المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



من التراث الإسلامي

معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق

الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية
جامعة أم القرى
معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي
مركز إحياء التراث الإسلامي
مكة المكرمة



معاني القرآن الكريم

للإمام أبي جعفر النحاس
المتوفى سنة ٣٣٨ هـ

تحقيق
الشيخ محمد علي الصابوني
الأستاذ بجامعة أم القرى

الجزء السادس

الطبعة الأولى
١٤١٠هـ / ١٩٨٩م

إني لأعجب ممن يقرأ القرآن، كيف يلتذ بتلاوته ولم يفهم معناه

« الإمام الطبري »

تفسير سورة الصّافات

مكية وآياتها ١٨٢ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصافات وهي مكية[1]

١ ــ من ذلكَ قولـه جلَّ وعـزَّ ﴿ وَالصَّافَّـاتِ صَفَّـاً . فَالزَّاجِـرَاتِ زَجْـرَاً . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرَاً ﴾ [آية ١ ــ ٣] .

رَوَى مسروق عن عبدِ الله بنِ مسعودٍ ، وعكرمـةُ عن ابـــن عباس قالا في قوله تعالى : ﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفَّـاً . فَالزَّاجِـرَاتِ زَجْـرَاً . فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرَاً ﴾ هذه كلُّها الملائكةُ[2] .

قال أبو جعفـر : ﴿ الصَّافَّـاتُ ﴾ جمع صافَّـةٍ ، كأنـه جماعـةٌ

---

(١) أخرج ابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال : نزلت سورة الصافات بمكة . اهـ. وانظر الدر المنثور ٢٧٠/٥ . وقال القرطبي : مكية في قول الجميع .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧١/٥ وابـن كثير ٣/٧ وهـذا هو القول الراجح الذي عليه جمهور المفسريـن ، واختـاره الـطبري ٣٤/٢٣ وابـن كثير ٣/٧ أنـه قسم بالملائكة الأبرار الأطهار ، التي تصفُّ لربها في السماء ، للعبادة والذكر ، وتزجر السحـاب فتسـوقه إلى حيث شاء الله ، وتتلو آيات الذكر الحكيم ، المنزل على سيـد المرسلين ، مع التسبيـح والتقـديس ، والتحميـد والتمجيـد ، أقسم تعـالى بهذه الأنـواع من الملائكة ، تنبيهاً على جلالـة قدرهم ، وكثرة طاعتهم وعبادتهم ، فهـم مع رفعـة قدرهـم وعـظيم شأنهم ، لا ينفكُّـون عن عبـادة الله ، يصطفون للعبادة كاصطفـاف المؤمـنين في الصلاة ، مع الخشوع والخضوع ، وقيـل : هي الطير لقوله تعالى ﴿ ألم يروا إلى الطير فوقهم صافات ﴾ والأول أرجـح ، ومما يدل على أن المراد بهم الملائكة قوله تعالى ﴿ وإنا لنحـن الصافـون ، وإنـا لنحـن المسبحـون ﴾ وانظـر صفـوة التفـاسير ٢٨/٣٠ وزاد المسير لابن الجوزي ٤٤/٧ وتفسير الفخر الرازي ١١٤/٢٦ .

صافَّةٌ ، أي مصطفَّةٌ تذكرُ اللهَ جلَّ وعزَّ ، وتُسبِّحهُ[1] .

﴿ والزَّاجِرَاتِ ﴾ جمعُ زاجرة ، أي التي تزجرُ السحاب ، على ما مَضَى[2] .

وقال قتادة : ﴿ **الزاجراتُ** ﴾ : كلُّ ما زُجِر عنه[3] ، كأنه يريد ذوات الزَّجر .

ويجوزُ أن تكون ﴿ **الزَّاجِرَاتُ** ﴾ : كلُّ ما يزجُر عن معاصي اللهِ جلَّ وعز ، وأن تكون ﴿ **التَّالِيَاتُ** ﴾ كلُّ ما يتلو ذكر اللهِ جلَّ وعزَّ وكُتُبه[4] .

٢ ــ **ثم قال جلَّ وعز :** ﴿ **رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ** ﴾ [آية ٥] .

رَوَى أبو ظبيان عن ابن عباس قال : للشَّمسِ كلَّ يومٍ

---

(١) قال القرطبي : الصفُّ : ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة ، والصافات جمعُ الجمع ، يُقال : جماعة صافة ، ثم يُجمع على صافَّات . اهـ. القرطبي ٦٢/١٥ .

(٢) أي أنها من صفات الملائكة ، فهي التي تسوق السحاب إلى حيث شاء الله بأمره جل وعلا ، وهو الأظهر .

(٣) عبارة الطبري ٣٤/٢٣ وقال قتادة : ما زجر عنه القرآن ، ثم قال ابن جرير : والذي هو أولى بتأويل الآية عندما قاله مجاهد أنهم الملائكة ، لأن الله تعالى ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون بإجماع ، فلأن يكون ما بعده قسماً بسائر أصنافهم أشبه . اهـ.

(٤) هذا هو القول الآخر لبعض المفسرين وهو مروي عن قتادة ، والجمهور على أن هذه الأقسام كلها في الملائكة ، وهو الأظهر والأرجح كما نقلنا عن الطبري ، وابن كثير .

مشرقٌ ، وكلَّ يوم مغرِبٌ ، فتلكَ المشارقُ والمغاربُ[1] .

وللصَّيف مَشْرِقٌ ومغربٌ ، ولِلّشتاءِ مَشْرِقٌ ومَغْرِب ، فذلك قوله جلَّ وعز ﴿ رَبُّ المَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ المَغْرِبَيْن ﴾[2] .

٣ ـــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الكَوَاكِب ﴾ [آية ٦] .

على البدلِ ، و ﴿ بِزِينَةِ الكَوَاكِبَ ﴾[3] قال أبو حاتم : أعني الكواكبَ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ٣٥/٢٣ والفخر الرازي ١١٨/٢٦ والقرطبي ٦٣/١٥ ولفظه ﴿ ورَبُّ المَشَارِقِ ﴾ : أي مالك مطالع الشمس ، وقال ابن عباس : للشمس كل يوم مشرق ومغرب ، وذلك أن الله تعالى خلق للشمس (٣٦٥) ثلاثمائة وخمسة وستين كوَّة في مطلعها ، ومثلها في مغربها على عدد أيام السنة الشمسية ، تطلع في كل يوم في كوَّة منها ، وتغيب في كوَّة ، فلذلك قال ﴿ ورب المشارق ﴾ . اهـ.

أقول : وإنما لم يذكر المغارب ، اكتفاء بذكر المشارق ، ولدلالة الكلام عليه ، وإنما جمع المشارق في هذه الآية ، لأنه أراد مشارق الشمس ومغاربها ، فلها ـــ كما قال ابن عباس والسدي ـــ كل يوم مشرق ومغرب ، ويحتمل أن يكون الجمع باعتبار إرادة الشمس ، والقمر ، وسائر النجوم والكواكب ، فلكل مشرق ومغرب . قال الحافظ ابن كثير ٤/٧ ومعنى الآية أنه تعالى هو المالك المتصرف في الخلق ، بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات ، تبدو من المشرق ، وتغرب من المغرب ، واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه ، وقد صرح بذلك في مكان آخر في قوله تعالى ﴿ فلا أُقسم برب المشارق والمغارب إنَّا لقادرون ﴾ وقال في الآية الأخرى ﴿ رَبُّ المشرقين ورب المغربين ﴾ يعني في الشتاء والصيف ، للشمس والقمر . اهـ.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ١٧ .

(٣) في هذه الآية قراءتان ، قرأ حمزة وحفص عن عاصم بالتنوين ﴿ بزينة الكواكب ﴾ بكسر الباء ، =

قال أبو جعفر : وأجودُ ممّا قالَ أن يكون بمعنى : بأن زيَّنا الكواكبَ فيها ،

ويجوزُ ﴿ بِزِينَةٍ الكَوَاكِبُ ﴾[1] بمعنى : بأن زيَّنتها الكواكبُ ، أو بمعنى : هي الكواكبُ .

٤ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴾** [آية ٧] .

أي وحفظناها حفظاً[2] من كلِّ شيطانٍ مارد .

٥ ـــ **وقولُه جل وعز : ﴿ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى المَلَأِ الأَعْلَى .. ﴾** [آية ٨] .

يعني الملائكة[3] .

قال أبو حاتم[4] : أي لئلا يسمعوا ، ثم حُذِف « أَنْ » فرُفِعَ

= فعلى هذه القراءة تكون خفضاً على البدل أي زيناها بالكواكب ، وقرأ عاصم بالتنوين في « زينةٍ » ونصب الكواكب أي زيناها بزينة أعني الكواكب ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢/٥٤٦ .

(١) لم ترد هذه في القراءات السبع ، وإنما هي قراءة شاذة ، قرأ بها زيد بن علي كما في روح المعاني للألوسي ٢٣/٦٨ والقراءات لا تصح إلا بما يثبت عن رسول الله ﷺ بالسند الصحيح .

(٢) على هذا الوجه الذي ذكره المصنف تكون الآية مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف تقديره وحفظناها حفظاً ، ويصح وجه آخر هو أن تكون مفعولاً لأجله « وحفظاً » أي لحفظها من الشياطين زيناها بالكواكب .

(٣) سميت الملائكة بالملأ الأعلى ، لأنهم يسكنون في العالم العلوي ، في السموات التي هي جهة العلو .

(٤) أبو حاتم هو الإمام « سهل بن محمد السجستاني » النحوي اللغوي المتوفى بالبصرة سنة ٢٥٥هـ وانظر معجم المؤلفين ٤/٢٨٥ .

الفعلُ[1] ، كما قال الشاعر :

أَلَا أَيُّهـا اللَّائِمـي احْضُرُ الوَغَـى
وأنْ أشْهَدْ اللَّذَّاتِ هَلْ أنْتَ مُخْلِدِي[2]

٦ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ وَيُقْذَفُـونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُـوراً .. ﴾** [آية ٩] .

قال مجاهد : ﴿ وَيُقْذَفُونَ ﴾ أي يُرمـون **﴿ دُحُـوراً ﴾** أي مطرودين[3] .

وقال قتادة : ﴿ دحوراً ﴾ أي رمياً في النَّارِ .

قال أبو جعفر : يُقـال : دَحَره إذا طرده وبَاعَده ، دُحُوراً ، ودَحْراً .

(١) قال أبو حيان في البحر ٣٥٣/٧ : وقول من قال إن الأصل : لأن لا يسمَّعوا فحُذفت « اللام » و « أنْ » فارتفع الفعل قول متعسف ، يُصان كلام الله عنه ، واختار أنه كلام مبتدأ منقطع ، حكاية لما عليه حال المسترقة للسمع ، وأنهم لا يقدرون أن يستمعوا أو يسمعوا ، وهم مقذوفون بالشهب ، مبعدون عن ذلك ، إلا من أُمهل حتى خطف الخطفة ، فعندها تعاجله الملائكة ، باتباع الشهاب الثاقب . اهـ.

(٢) البيت لطرفة بن العبد في ديوانه ص ٣٢ وهو من شواهد سيبويه ٩٩/٣ بلفظ « ألا أيها الزاجري » بدل اللائمي والمعنى : يا من يلومني في حضور الحرب لئلا أُقتل ، ما أنت مخلِّدي إن قبلتُ نصيحتك ، والشاهد فيه رفع « أحضرُ » لحذف الناصب وأصله أن أحضر ، فلما سقط « أن » ارتفع الفعل ، وانظر مجالس ثعلب ٣١٧/١ وأمالي بن الشجري ٨٣/١ .

(٣) قول مجاهد ذكره الطبري ٣٩/٢٣ وكذلك ذكر قول قتادة ولفظه : وقال قتادة « دحوراً » قذفاً بالشهب كما ذكره ابن الجوزي ٤٧/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٥ ومعنى الآية : أي يرجمون بالكواكب طرداً وإبعاداً وإهانة . اهـ.

ويُرْوَى عن أبي عبدالرحمن[1] أنه قرأ ﴿ دَحُـوراً ﴾ بفتح الدَّالِ ، والمصادرُ على « فَعُوْلٍ » قليلةٌ .

وقال بعض النحويين : ليس بمصدرٍ ، ولكنَّه بمعنى بما يَدْحَرهم[2] ، ولو كان على ما قال لكان « بِدَحُوْرٍ »[3] أي بمباعد .

٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴾** [آية ٩] .

قال مجاهد وقتادة : أي دائم[4] .

---

(١) هو « عبد الرحمن السلمي » أحد القراء المشهورين ، وقد عدَّ ابن جني في المحتسب ٢١٩/٢ هذه القراءة من القراءات الشاذة .

(٢) ذكره الفراء في معاني القرآن ٣٨٣/٢ ولفظه : من ضمَّها « دحوراً » جعلها مصدراً ، ومن فتحها جعلها اسماً كأنه قال : يقذفون بداحرٍ ، وبما يدحرُ ، ولست أشتهيها ، لأنها على هذا الوجه تحتاج إلى الباء كما تقول : يُقذفون بالحجارة ، ولا تقول : يُقذفون الحجارة ، وهو جائز ، كما قال الشاعر :

نغالي اللحمَ للأضيافِ نيئاً ونُرخصُهُ إذا نَضِجَ القُدُور

أي نغالي باللحم . اهـ.

(٣) قال القرطبي ٥/١٥ : وقرأ السُّلَمي ، ويعقوب الحضرمي ﴿ دُحُوراً ﴾ بفتح الدال ، ويكون مصدراً أي ويُقذفون بما يدحرهم ، أي بِدَحُورٍ ، ثم حذف الباء ، والكوفيون يستعملون هذا كثيراً ، وأنشدوا :

تَمرُّونَ الدِّيَارَ ولَمْ تَعُوجُوا كَلامُكُمُ عَلَيَّ إذاً حَرَامُ

أي تمرُّون بالديار ، فحذف الباء منه ، فصار منصوباً بنزل الخافض .

(٤) الأثر أخرجه القرطبي ٦٦/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٧/٧ وذكر أنه قول ابن عباس وعكرمة أيضاً .

٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ [آية ١٠] .

يُقال : خَطِف[1] الشيءَ إذا أخذه بسرعة ﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ .

قال الحسنُ ، ومجاهدٌ ، وقتادةُ ، وأبو مِجْلز : ﴿ ثَاقِبٌ ﴾ أي مضيءٌ[2] .

قال أبو جعفر : وهذا مشهورٌ في اللغة ، كما قال :

« وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا »[3]

٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمْ مَنْ خَلَقْنَا .. ﴾ ؟ [آية ١١] .

---

(١) خَطِفَ بكسر الخاء يَخْطَفُ من باب تَعِب : استلبه بسرعة ، كذا في المصباح ، قال الجوهري : وفيه لغة أخرى بالفتح « خَطَفَ ، يَخْطِفُ » وهي قليلة رديئة ، لا تكاد تُعرف . اهـ. الصحاح مادة خطف .

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/٤١ والقرطبي ١٥/٦٧ وفي روح المعاني ٢٣/٧١ وهو مروي عن الضحاك أيضاً قال الألوسي : ﴿ ثاقب ﴾ مضيءٌ ، كما قال الحسن وقتادة ، كأنه ثقب الجوَّ بضوئه ، وروي عن يزيد الرقاشي أنه قال : يثقبُ الشيطان ، فذُكر ذلك لأبي مجلز فقال : ليس ذاكَ ، ولكن ثقوبه ضوءُه ، ورُوي عن السدي أن الثاقب المحرق . اهـ.

أقول : ويمكن الجمع بين القولين أن الله يبعث على الشيطان شهاباً مضيئاً نافذاً بضوئه ، فيحرقه .

(٣) هذا شطر بيت للأعشى ميمون بن قيس ، وتمامه كما في ديوانه ص ٦١ :

وُجِدْتَ إذا اصْطَلَحُوا خَيْرَهُمْ ... وَزَنْدُكَ أَثْقَبُ أَزْنَادِهَا

قال مجاهد والضحاك : يعني السَّمواتِ والأرضَ ، والبِحَارَ(١) .

قال أبو جعفر : يجب أن يكون داخلاً في هذا ، الملائكةُ ، وغيرُها مع السمواتِ ، والأرض ، والبحارِ ، لأن « مَنْ » لايقعُ لما لا يعقل مفرداً(٢) .

١٠ ـ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾** [آية ١١] .

قال مجاهد : أي لازم(٣) .

وقال قتادة : أي لازق(٤) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤١/٢٣ عن مجاهد بلفظ « السموات ، والأرض ، والجبال » وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٢/٥/٥ وقيل : من الأمم السابقة التي كانت قبلهم . فقد كانوا أشد من أهل مكة وأعتى ، والأول أرجح لقوله تعالى ﴿ لَخَلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ .

(٢) هذا القول هو الصحيح وهو الأرجح الذي اختاره الطبري وابن كثير وجمهور المفسرين ، فقد قال الطبري ٤١/٢٣ المعنى : استفتِ يا محمد هؤلاء المشركين ، وسلهم أهم أشدُّ خلقاً ؟ أي أخلقُهم أشدُّ ؟ أم خلق من عددنا من الملائكة ، والشياطين ، والسموات ، والأرض ؟ وقال ابن كثير ٥/٧ المعنى : سلْ هؤلاء المنكرين للبعث ، أيما أشدُّ خلقاً ؟ هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة ، والشياطين ، والمخلوقات العجيبة ؟ . اهـ. وقد نبّه المصنف إلى وجه الترجيح ، بأن الآية وردت بصيغة « مَنْ » في قوله ﴿ أم من خلقنا ﴾ وهي موضوعة للعقلاء ، فلو لم تدخل الملائكة والجنُّ ، وعجائب الخلق ، لما صحَّ إطلاق « مَن » عليها .

(٣ ـ ٤) انظر في القرطبي قول مجاهد وقتادة ٦٩/١٥ وذكرهما ابن كثير ٥/٧ والطبري ٤٣/٢٣ ومعنى قول قتادة « لَازِبٌ » : لازقٌ أي أنه يلزق باليد ، وروي عن ابن عباس أنه : اللَّزج ، وانظر الطبري ٤٣/٢٣ .

والفَرَّاءُ يذهب إلى أن الياء ، بدلٌ من الميم ، وحُكي أنه يُقال « لَاتِبٌ »[1] بمعناه ، وقال النابغة :

فَلَا تَحْسَبُونَ الخَيْرَ لاَ شَرَّ بَعْدَهُ
وَلَا تَحْسَبُونَ الشَّرَّ ضَرْبَةَ لَازِبِ[2]

١١ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾ [آية ١٢] .

قال قتادة : بل عجبتَ من الكتابِ ، والوحي ، ويَسْخَرُونَ مِمَّا جئتَ بِهِ[3] .

وقيل المعنى : بل عجبتَ من إنكارهم البعثَ[4] .

وأنكر شريحٌ أن تُقرأ ﴿ بَلْ عَجِبْتُ ﴾ بضمِّ التَّاءِ ، وقال : إنَّ اللَّهَ لَا يعجبُ ، إنما يعجبُ من لا يَعْلَمُ[5] .

---

(١) قال الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٤/٢ : اللازب : اللَّاصق ، وقيسٌ تقول : طينٌ لاتِبٌ ، وأنشدني بعضهم « وغَنّيٌ مع الإشراق في الجَوْفِ لَاتِبٌ » والعرب تقول : ليس هذا بضربة لازبٍ ، ولازمٍ ، يُبدلون الباء ميماً لتقارب المخرج . اهـ.

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٤٢/٢٣ وهو في اللسان مادة لزب ، واستشهد به الطبري والقرطبي في تفسيريهما .

(٣) انظر الأثر في الطبري ٤٤/٢٣ والدر المنثور ٢٧٢/٥ وتفسير ابن كثير ٦/٧ .

(٤) توضيح معنى الآية : بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث والنشور ، مع رؤيتهم آثار قدرة الله الباهرة ، وأنت موقن مصدِّق بما أخبر الله به من الأمر العجيب ، وهو إعادة الأجسام بعد فنائها ، وهم من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول ويهزءون .

(٥) الأثر ذكره القرطبي في تفسيره ٧٠/١٥ ولفظه : وقال شريح القاضي : إن الله لا يعجب من شيء ، إنما يعجبُ من لا يعلم ، قال الأعمش : فذكرته لإبراهيم فقال : إن شريحاً كان يعجبه =

قال أبـو جعفـر : وهـذا الـذي قالـه لايلـزمُ ، وبضمِّ التّـاءِ قرأ « عليٌّ بن أبي طالبٍ »[1] و « ابنُ مسعودٍ » و « ابنُ عباسٍ » .

ومعنى التعجب في اللغة : أن يُنكـرَ الشيءُ ويَقِـلَّ ، فيُتَعـجَّبُ منه[2] ، فاللَّهُ جلَّ وعـزَّ العالـمُ بالأشيـاء ، وبما يكـون ، ولكـنْ لا يقـع التعجب إلاَّ بعد الكون .

فهو منه جلَّ وعلا ، خلافُه من الآدميِّين ، لأنـه قد علمـه قبـلُ وبعـدُ ، وهـو يُشبـه علـم الشهـادة ، كما قال سبحانـه ﴿ **لِنَعْلَـــمَ أيُّ الحِزْبَيْنِ** ﴾[3] .

ويجوز أن يكون المعنى : قلْ بلْ عجبتُ[4] .

= رأيه ، إن عبد الله كان أعلم من شريح ، وكان يقرؤها عبد الله ﴿ بل عَجِبْتُ ﴾ . اهـ. وذكـره الفراء في معاني القرآن ٣٨٤/٢ قال الزجاج : وإنكار هذه القـراءة غلـط ، لأن العـجب من الله خلاف العجب من الآدميين ، وهذا كقوله تعالى ﴿ ويمكـرون ويمكـر الله ﴾ وقولـه ﴿ سَخِـر الله منهم ﴾ . اهـ. انظر زاد المسير ٥٠/٧ .

(١) في هذه الآية قراءتان سبعيتـان ، وردتـا عن رسول الله ﷺ ، فقـد قرأ ابـن كثير ، ونافـع ، وأبـو عمرو ، وعاصم وابن عامر ﴿ بل عَجِبْتَ ﴾ بفتح التاء ، وقرأ حمزة والكسائي ﴿ بل عجبْتُ ﴾ بضم التاء ، وانظر النشر ٣٥٦/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٤٧ .

(٢) قال في اللسان : العُجْبُ والعَجَبُ : إنكار ما يرد عليك ، لقلـة اعتيـاده ، قال ابـن الأعـرابي : العجبُ النظر إلى شيء غير مألوف ولا معتاد ، كقوله تعالى ﴿ وإن تعـجب فعـجب قولهم أئـذا كنا تراباً أئِنَّا لفي خَلْق جديد ﴾ ؟ الخطاب للنبي ﷺ أي هذا موضع عجب ، حيث أنكـروا البعث ، وقد تبين لهم من خلق السموات والأرض مـا دلهم على البعث بعد الموت . اهـ.

(٣) الآية في سورة الكهف رقم ١٢ وتمامها ﴿ ثم بعثناهـم لنعلـم أي الحزبين أحصى لما لبثـوا أمـداً ﴾ أي لنظهر للناس علمنا .

(٤) هذا قول « علي بن سليمان » واستحسنه النحاس في كتابه إعـراب القـرآن ٧٤١/٢ وقـال : لأن =

١٢ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وإذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : أي يسخرون[١] .

وقال مجاهد : أي يسخرون ويستهزئون[٢] .

وقيل : ﴿ يَسْتسخِرُونَ ﴾ يستدعون السِّخْرِيَّ[٣] من غيرهم ،

= النبي ﷺ مخاطب بالقرآن . وقال في التسهيل ٣٦٨/٣ : وقرئ « عجبتُ » بضم التاء ، وأشكلَ ذلك على بعضهم ، وقال : إن التعجب مستحيل على الله ، فتأولوه على أنه على حال يتعجب منها الناس ، وقيل : تقديره قل يا محمد عجبتُ .. ثم قال : وقد جاء التعجب من الله في القرآن والحديث كقوله ﷺ (عجب ربك من شاب ليس له صَبْوةٌ) وإنما جعلوه مستحيلاً على الله ، لأنهم قالوا : إن التعجب استعظام خفي سببه ، والصواب أنه لا يلزم أن يكون خفي السبب ، بل هو لمجرد الاستعظام ، فعلى هذا لا يستحيل على الله . اهـ.

(١ ــ ٢) قول مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٤٤/٢٣ ولفظه عن قتادة ﴿ يستسخرون ﴾ يسخرون منها ويستهزئون ، فعلى هذا يكون « سَخِر » و « استسخر » بمعنى واحد ، قال أبو عبيدة : يستسخرون ، ويسخرون ، سواء ، قال ابن قتيبة : يُقال : سَخِر ، واستسخر ، كما يقال : قرَّ ، واستقرَّ ، ويجوز أن يكون المعنى : يسألون غيرهم من المشركين أن يسخروا من رسول الله ﷺ . اهـ. نقلاً عن زاد المسير ٥١/٧ . وذهب بعضهم إلى أن معنى ﴿ يستسخرون ﴾ يبالغون في السخرية والاستهزاء ، وهو ما اختاره الزمخشري في الكشاف ، ونقله الألوسي . وأبو حيان في البحر ، ولعله انتزعه من قولهم : زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، والله أعلم .

(٣) قوله « يستدعون السِّخريَّ » أي يطلب بعضهم من بعض أن يسخر منها ، لأن السين والتاء للطلب ، والحاصل أنهم لا تفيد معهم البراهين القطعية ، ولا المقدمات لوعظية . ولا المعجزات الساطعة الدالة على صدق القرآن ، وقد روي في سبب نزول الآية أن رجلاً من المشركين يُدعى « رُكانة » لقيه الرسول عليه السلام في أحد جبال مكة ، يرعى غنماً له ، وكان من أقوى الناس وأشجعهم ، لا يقدر أحد على مصارعته ، فقال له الرسول : يا رُكانة أرأيت إن صرعتك ــ أي غلبتك بالمصارعة ــ أتؤمن بي ؟ قال : نعم ، فصرعه ﷺ ، فقال ركانة : أعِدْ ، فصرعه ثانية ، =

وهو قول مجاهد وقتادة .

ونظيرهُ من كلام العرب : « قَرَّ ، واسْتَقَرَّ » و« عَجِبَ ، واسْتَعْجَبَ » بمعنًى واحدٍ .

وقرأ أهل الكوفة ﴿ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفَرَةٌ ﴾[1] أي نافرة .

وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ نَعَمْ وأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ [آية ١٨] .

المعنى : قل نعم تُبعثون ﴿ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴾ قال قتادة : أي صاغرون[2] .

١٣ ــ ثم أخبر أن ذلكَ يكون زَجْرةً واحدة فقال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴾ أي قد حَيُوا ينْظرون[3] .

= ثم ثالثة ، ثم عرض عليه بعض المعجزات من تسليم الشجر والحجر عليه ﷺ ، ودعى شجرة فأقبلت تمشي نحوه عليه السلام ، فلم يؤمن بل عدَّ ذلك سحراً ، وجاء إلى أهل مكة فأخبرهم بالخبر ، وقال لهم : ساحروا بصاحبكم أهل الأرض ، فإنه يغلبهم بسحره ، فنزلت فيه وفي أضرابه ، وانظر البحر ٣٥٥/٧ وروح المعاني ٧٧/٢٣ .

(١) الآية من سورة المدثر رقم ٥٠ وبالفتح « مُسْتَنفَرَة » قرأ نافع وابن عامر ، وقرأ الباقون بالكسر « مُسْتَنْفِرَة » وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٦٠ .

(٢) استبعد المشركون البعث فجاءهم الجوابِ ﴿ قل نعم وأنتم داخرون ﴾ أي نعم تبعثون أنتم وآباؤكم ، وأنتم أذلاء صاغرون كلكم .

(٣) الزجرة : الصيحة من قولهم : زجر الراعي الغنم إذا صاح عليها ، والمراد بها النفخة الثانية في الصور وهي نفخة الإحياء كما قال سبحانه ﴿ ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ﴾ وانظر الصحاح للجوهري .

١٤ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا يَاوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴾ [آية ٢٠] .

قال قتادة : أي يومَ يَدِينُ اللَّهُ جلَّ وعزَّ العبادَ بأعمالهم(١) .

١٥ ـــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ هَذَا يَوْمُ الفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [آية ٢١] .

أي يُقال لهم : نعم هذا يومُ الفصلِ ، أي يوم الفصلِ بين المحسن والمسيء(٢)

وقال أبو عُبيدة : ﴿ يَوْمُ الفَصْلِ ﴾ يومُ القضاءِ(٣) .

١٦ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ احْشُروا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ . منْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الجَحِيمِ ﴾ [آية ٢٣] .

---

(١) يوم الدين معناه : يوم الحساب والجزاء ، لأن الله تعالى يحاسب العباد على أعمالهم ، مأخوذ من دان يدين : إذا جازاه ، وفي الحديث « كما تدينُ تُدان » وقد أخرج الأثر عن قتادة والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٧٢ والطبري ٢٣/٤٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٥٢ .

(٢) أشار المصنف إلى أن هذا ليس من قول الكفار ، وإنما هو من قول الملائكة ، أو المؤمنين لهم ، فالكفار يقولون : يا ويلنا هذا يوم الدين ، فتقول لهم الملائكة : نعم هذا يوم الجزاء ، والفصل بين العباد ، وقد نبَّه على ذلك صاحب الجلالين وابن الجوزي فقال : ﴿ وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين ﴾ أي قال الكفار هذا يوم الحساب والجزاء ، فتقول لهم الملائكة ﴿ هدا يوم الفصل ﴾ أي يوم القضاء الذي يُفصل فيه بين المحسن والمسيء . اهـ.

(٣) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٦٨ .

أي يُقال هذا(١) .

قال عبدُاللّهِ بنُ عبّاسٍ ، والنُّعمانُ بنُ بشير عن عمر : ﴿ **وَأَزْوَاجَهُمْ** ﴾ أي وأشباههم(٢) .

قال أبو جعفر : يُقال : زَوَّجْتُ الناقةَ بالنَّاقةِ أي قرنتهما ، ومنه قيل للرجل : زوجٌ ، وللمرأةِ زوجٌ .

ويُقال : هديتُه الطَّريق أي دللتُه عليه(٣) .

١٧ ـ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ . بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ** ﴾ [آية ٢٦] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ** ﴾ ؟ أي لا يدفعُ بعضكم عن بعض ﴿ **بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ** ﴾ قال : أي مستسلمون في العذاب(٤) .

---

(١) هذا من قول الله عز وجل للملائكة ـ كما نبَّه عليه المفسرون ـ أي يقول الله يوم القيامة للملائكة : اجمعوا الظالمين وأشباههم من العُصاة المجرمين ، فدلُّوهم إلى طريق جهنم .

(٢) ليس المراد بالأزواج هنا الزوجات ، بل المراد الأشباه والأمثال ، وعبارة الطبري ٤٦/٢٣ : عن ابن عباس : نظراءهم ومن أشبههم من الظلمة . اهـ. وقال القرطبي : الزاني مع الزاني ، وشارب الخمر مع شارب الخمر ، والسارق مع السارق . اهـ.

(٣) الهداية هنا في الآية خرجت مخرج السخرية والتهكم ، أي سوقوهم إلى النار ، وأرشدوهم إلى طريق الجحيم ، فهي بمعنى الدلالة كقوله سبحانه ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى .. ﴾ .

(٤) هذا الأثر عن قتادة أخرجه الطبري في تفسيره ٤٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥ وذكره القرطبي ٧٤/١٥ ومعنى المستسلم : المنقاد الذليل الذي لا حيلة له ، والآية وردت بطريق التهكم والتوبيخ للكفرة المجرمين ، وردًّا على أبي جهل حين قال يوم بدر ﴿ نحن جميعٌ منتصر ﴾ .

١٨ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ . قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ ﴾ [آية ٢٨] .

رَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : هذا قولُ الكفار للشَّيَاطينِ[١] .

ورَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : هذا قولُ الإنس للجنِّ ، قالوا لهم ﴿ إنكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ اليَمِينِ ﴾ أي من طريق الجنة ، تُثَبِّطوننا عنها وتصدُّوننا[٢] .

وقيل : هذا قول التابعين للمتَّبعين[٣] .

قال أبو جعفر : وهذا يشبه قوله تعالى ﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾[٤] .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى

---

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٨/٧ وفي الدر المنثور ٢٧٣/٥ وفي زاد المسير ٥٤/٧ ولم يعزه لمجاهد .

(٢) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٢٧٣/٥ والطبري ٤٩/٢٣ ولفظه : وقال قتادة : قالت الإنس للجن : إنكم كنتم تأتوننا من قِبَل الخير فتنهونا عنه ، وتبطِّئوننا عنه .

(٣) ذكر هذا القول أبو حيان في البحر ٣٥٧/٧ ونسبه إلى مجاهد ، وابن زيد ، وهو الأظهر والأرجح ، أنه من قول الضعفاء ، للرؤساء الكبراء ، ويدلُّ عليه قوله تعالى ﴿ يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنَّا مؤمنين ﴾ وقد اختار هذا القول الحافظ ابن كثير ، والقرطبي ، وصاحب تفسير الجلالين .

(٤) أشار المصنف إلى قوله تعالى حكاية عن إبليس « ثم لآتينهم من بين أيديهم ، ومن خلفهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » سورة الأعراف آية رقم ١٧ أي آتيهم من كل جهة من الجهات الأربع ، لأصدَّهم عن دينك ، وأزيِّن لهم الباطل ، وأصرفهم عن الحق .

﴿ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ ﴾ قال : أشبِّهُ عليهم أمر دينهم[1] .

قال أبو جعفر : وحقيقةُ معنى ﴿ **إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ** ﴾ ــ واللَّهُ أعلمُ ــ إنكم كنتم تأتوننا من الجهة التي هي أقوى الجهات[2] ، وهي جهةُ الدين فتشكِّكُونَنَا فيه .

وقد قيل هذا في قوله جلَّ وعزَّ ﴿ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾[3] وهو معروفٌ في كلامِ العربِ ، واللَّهُ أعلم بما أراد ،

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسير سورة الأعراف ١٣٦/٨ ولفظه : قال ابن عباس ﴿ ثم لآتينهم من بين أيديهم ﴾ يقول أشككهم في آخرتهم ﴿ ومن خلفهم ﴾ أرغبهم في دنياهم ﴿ وعن أيمانهم ﴾ أشبِّه عليهم أمر دينهم .. إلخ.

(٢) اليمين في كلام العرب تطلق على الجارحة ، وتستعار للجهة والناحية ، فيقال : جاءه عن يمينه ، أي من الجهة التي يحبُّها ويرغب فيها ، وتستعار كذلك للقوة والقدرة ، قال الطبري ٤٩/٢٣ ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي من قبل الدِّين والحق ، فتخدعوننا بأقوى الوجوه ، وهذا قول قتادة ، ثم قال : واليمين في كلام العرب : القوة والقدرة . اهـ.

وقال ابن جُزيّ في التسهيل ٢٧٠/٣ : واليمين هنا يحتمل ثلاثة معان :

الأول : أن يراد بها طريق الخير والصواب ، وجاءت العبارة عن ذلك بلفظ اليمين ، كما أن العبارة عن الشر بالشمال ، والمعنى : قالوا لهم : إنكم كنتم تأتوننا عن طريق الخير ، فتصدُّوننا عنه .

والثاني : أن يُراد به القوة ، والمعنى : إنكم كنتم تأتوننا بقوتكم وسلطانكم ، فتأمروننا بالكفر ، وتمنعونا عن الإيمان .

والثالث : أن يراد به اليمين التي يُحلف بها والمعنى : إنكم كنتم تحلفون لنا أنكم على الحق ، فنصدِّقكم ونتبعكم . اهـ.

(٣) سورة الزمر آية رقم ٦٧ وقد قال الطبري عن هذه الآية ٢٨/٢٤ : وقال بعض أهل العربية في قوله تعالى ﴿ والسماء مطويات بيمينه ﴾ أي في قدرته نحو قوله تعالى ﴿ وما ملكت أيمانكم ﴾ =

قال الشاعر :

« تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ »[1]

فردُّوا عليهم بأنهم كانوا ضالين ، فقالوا : ﴿ بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ . وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾ .

قال السُّدِّيُ : أي من حجة[2] .

١٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ بَلْ كُنْتُمْ قَوْماً طَاغِينَ ﴾** أي ضالين **﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴾** أي كلنا في العذاب **﴿ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴾** [آية ٣٢] .

أي بالوسوسة والاستدعاء .

٢٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّـهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾** [آية ٣٥] .

أي عن توحيد الله جلَّ وعز .

= أي وما كانت لكم عليه قدرة التملك ، وليس الملك لليمين دون سائر الجسد ، قال : وقوله ﴿ قبضته ﴾ نحو قولك : هذا في يدك ، وفي قبضتك .. إلخ. ثم قال : والأخبار التي ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه تشهد على بطول ــ أي بطلان ــ هذا القول . اهـ.

(١) هذا شطر بيت للشماخ يمدحه عَرَابة الأوسي وتمامه :

إذا ما رَايــةٌ رُفِــعَتْ لِمَجْــدٍ ... تَلَقَّاهَــا عَرَابَــةُ باليَمِيــنِ

والبيت من شواهد الفراء في كتابه معاني القرآن ٣٨٥/٢ على أن اليمين تطلق على القدرة والقوة ، وذكره الطبري وعزى التفسير إلى الضحاك وابن عباس كما عزاه الحافظ ابن كثير .

(٢) ذكره الطبري عن السدي ٥٠/٢٣ قال : ﴿ وما كان لنا عليكم من سلطان ﴾ قال : الحجة . اهـ. والأظهر أن المراد بالسلطان هنا القهر ، أي كان لنا عليكم من قوة نقهركم بها على اتباعنا .

٢١ ـــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴾ [آية ٤٥] .

قال قتادة : أي خمرٍ جارية[١] ﴿ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ ﴾ قال الحسنُ : خمرُ الجنَّةِ أشدُّ بياضاً من اللَّبَن[٢] .

٢٢ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ [آية ٤٧] .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ لا فَيهَا غَوْلٌ ﴾ قال : لا فيها وَجَعُ بَطْنٍ ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ : لا تَذْهَبُ عقولُهُمْ[٣] .

ورَوَى معمرٌ عن قتادة ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ قال : لا تُصدَّعُ رءوسُهُم ، ولا تَذْهَبُ عُقولُهُمْ[٤] .

وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ ﴾ قال : يقول : ليس فيها صُداعٌ ﴿ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ ﴾ قال : لا تذهبُ عقولهم[٥] .

---

(١) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٢٣/٥٢ فقال ﴿ وكأس من مَعِين ﴾ قال قتادة : كأس من خمر جارية ، والمعين هي : الجارية ، وقال الضحاك : كل كأس في القرآن فهو خمر . اهـ. قال الراغب في المفردات : الكأسُ : الإناء بما فيه من الشراب ، ويسمى الشراب كأساً فيقال : شربتُ كأساً ، وكأسٌ طيبة يعني بها الشراب قال تعالى ﴿ وكأس من معين ﴾ . اهـ. المفردات ص ٤٤٤ .

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٥٦ والألوسي في روح المعاني ٢٣/٨٧ والقرطبي ١٥/٧٨ .

(٣ـــ ٥) هذه الآثار كلها وردت عن السلف في قوله تعالى ﴿ لا فيها غَوْلٌ ﴾ وجماعها أن المعنى : لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صُداع ﴿ ولا عنها يُنزفون ﴾ أي لا يسكرون بشربها كما =

قال سعيد بنُ جبير : ﴿ **لَا يُنْزَفُونَ** ﴾ لا تنزف عقولهم ، قال : والغَوْلُ : الأذى المكروه(١) .

قال أبو جعفر : وهذا أجمعُها وأولاها ، يُقال : غالتْهُ غَوْلٌ أي ذهبت به ذاهبة(٢) ، وقد غَالَه الشَّرابُ واغتاله ، أي ذهب بعقله أو آذاه(٣) ، ومنه « اغتالَ فلانٌ فلاناً » ومنه « قَتَله قتلَ غِيلَةٍ » انقلبت الواوُ ياءً لانكسار ما قبلها . وأصل « نُزِفَ » نُقِص ، والمعنى : لا يلحقهُم نُقْصَانٌ بسكرٍ ولا غيرِهِ ، فَنَفى اللهُ جلَّ وعزَّ عنهم السُّكْر ، لما فيه من الباطل والسَّفه .

= تفعل خمر الدنيا ، قال الحافظ ابن كثير ١٠/٧ : نزَّه الله خمر الآخرة عن الآفاق التي في خمر الدنيا ، من صُداع الرس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل ، فخمر الجنة طعمها طيِّب كريحها ، وطيبُ الطعم دليل على طيب الريح ، قال الضحاك عن ابن عباس : في الخمر أربع خصال : السُّكْرُ ، والصُّداع ، والقيءُ ، والبول ، فذكر الله خمر الجنة ، ونزهها عن هذه الخصال . اهـ. واختار الطبري بعدما أورد الآثار ، أن معنى الغول في كلام العرب هو ما غال الإنسان فذهب به ، فهو يعمّ جميع هذه الأشياء ، من صداع الرأس ، ووجع البطن ، وذهاب العقل ، والأذى والمكروه في الجسم والعقل ، والإثم الذي يلحق شاربها ، فكل ذلك قد نفاه الله عن خمر الجنة .. إلخ. وهو الأظهر والله أعلم .

(١) ذكره الطبري ٥٤/٢٣ وفي زاد المسير ٥٧/٧ وابن كثير ١٣/٧ ثم قال : والصحيح قول مجاهد أن الغول وجع البطن . اهـ.

(٢) هذا الذي قال المصنف هو ما ذهب إليه ابن جرير الطبري ، واختار العموم في معنى الغول ، واستدل بقول الشاعر :

وَمَا زَالَتِ الكَأْسُ تَغْتَالُنَا ... وَتَذْهَبُ بالأَوَّلِ الأَوَّلِ

(٣) قال في المصباح : غَالَه غَوْلاً من باب قال : أهلكه ، وكلُّ ما اغتال الإنسان فأهلكه فهو غول .

وجملتُه النُّقصانُ ، ويُقْرأ ﴿ وَلاَهُمْ عَنْهَا يُنْزِفُونَ ﴾[1] وفي معناه قولان :

أ ــ أعرفُهما أنه يقال : أَنْـزَف الرجلُ إذا نفِد شرابه والمعنى أنزفَ شرابُه[2] .

ب ــ والقول الآخر أنه حُكي أنه يُقال : أنزفَ الرجل إذَا سَكِر[3] ، وأنشد أبو عُبيدةَ للأُبَيْرد :

لَعْمِري لَئِنْ أَنْزَفْتُمْ أَوْ صَحَوْتُمْ
لَبِئْسَ النَّدَامَى كُنْتُمْ آلَ أَبْجَرَا[4] .

فأمَّا نُزِفَ الرجلُ : إذا ذهبَ عَقْلُه من السُّكْرِ ، فمعروفٌ مَسْموعٌ من العرب[5] .

---

(١) قرأ حمزة والكسائي ﴿ يُنْزِفُون ﴾ بكسر الزاي من أَنْزَفَ بمعنى سَكِر ، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ﴿ يُنْزَفُون ﴾ بنصب الزاي وكلاهما من القراءات السبع .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٣٨٥/٢ : فمن فتح فالمعنى : لا تذهب عقولهم بشربها ، من نُزِف الرجل فهو منزوف ، ومن كسر ففيه وجهان : أحدهما أنه يُقال : أنزفَ الرجل : إذا فنيت خَمْرُه ، وأنزف : إذا ذهب عقله . اهـ .

(٣) قال النحاس في إعراب القرآن ٧٤٨/٢ : القراءة الأولى ﴿ يُنْزَفُون ﴾ أبين وأصح في المعنى ، لأن معناها عند جلة أهل التفسير : لا تذهب عقولهم ، فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الآفات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصُّداع والسُّكر . اهـ .

(٤) البيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٦٩/٢ وهو للأبيرد الرياحي . ذكره في الصحاح واللسان مادة « نَزَف » وفي الأغاني ٩/١٢ وذكره الطبري في تفسيره ٥٥/٢٣ عن الأبيرد ، وهو في القرطبي ٧٩/١٥ منسوبي إلى الحطيئة .

(٥) قال في اللسان : نُزِف الرجل فهو منزوف ونزيف أي سَكِرَ فذهب عقله . اهـ . مادة نزف .

٢٣ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ﴾** [آية ٤٨] .

قال قتادة : قَصَرْن طَرْفَهنَّ على أَزْواجهن[1] .

وَرَوَى أبو يحيى عن مجاهد قال : [قَصَرْنَ : أطرافَهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يَنْظُرْنَ إلى غيرهم][2] .

ورَوَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : لا يَغَرْنَ على أزواجهنَّ[3] .

قال أبو جعفر : والقولُ الأوَّلُ هو المعروف ، وأصلُه من قصرتُه أي حبستُه .

وقوله تعالى ﴿ عِينٌ ﴾ قال مجاهد : أي حِسانُ العيون .

وقال السدي : ﴿ عِينٌ ﴾ أي عِظامُ الأعين .

وحكى أهل اللغة أنه يُقال : رجلٌ أعينُ ، وامرأة عَيْنَاءُ أي واسع

(١ ـ ٢) الأثران عن مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ٥٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٧٤/٥ وابن كثير ١١/٧ ولفظه : ﴿ وعندهم قاصرات الطَّرْف ﴾ : أي عفيفات ، لا ينظُرْنَ إلى غير أزواجهنَّ . وما بين الحاصرتين أثبتناه من هامش المخطوطة .

(٣) هذا القول عن مجاهد قول ضعيف ، لأن غيرة المرأة على زوجها مما يُمدح ويُستحسن ، لأنها من فرط حبِّها له تغارُ عليه ، ولهذا ردَّه المصنِّف ، وذكر أن القول الأول هو المعروف والمشهور ، لأن معنى القصر في اللغة : الحبسُ ، أي قد حَبَسْنَ نظرهُنَّ ، فلا ينظرن إلى غير أزواجهن ، وقد رُوي عن ابن زيد أنه قال : إن المرأة لتقول لزوجها : « وعزَّةِ ربي ما أرى في الجنة أحسنَ منك ، الحمد لله الذي جعلني زوجاً لك ، وجعلك زوجاً لي » وانظر زاد المسير لابن الجوزي ٥٨/٧ .

العين[1] .

٢٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ [آية ٤٩] .

قال قتادة : أي لم تمرُّ به الأيدي ، يُشبِهْنَ بياضَه[2] .

يعني قتادة : الذي داخل القِشر .

قال أبو جعفر : يُقال : كَنَنْتُ الشَّيْءَ : أي صُنْتُهُ[3] ، والعربُ تُشبِّه المرأة ببيضةِ النَّعامةِ[4] ، كما قال الشاعر :

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ
غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرَ مُحَلَّلِ[5]

---

(١) قال في اللسان مادة « عين » : يُقال إنه أعينُ : إذا كان ضخم العين واسعها ، والأنثى عيناء ، والجمع منها عِينٌ ، وامرأة عيناء : واسعة العين . اهـ. وقال الطبري ٥٦/٢٣ : ويعني بالعِين : النُّجْل العيون عظامها ، وهي جمع عيناء ، والعيناء : المرأة الواسعة العين عظيمتها ، وهي أحسن ما تكون من العيون . وقال في البحر ٣٦٠/٧ : والعِين جمع عيناء ، وهي الواسعة العين في جمال . اهـ. هذا القول يجمع قول مجاهد والسُّدي وقد قال الزجاج : ﴿ عِينٌ ﴾ كبار العيون حسانها ، وواحدتهن عيناء . اهـ.

(٢) هذا الأثر ذكره القرطبي ٥٧/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٨/٧ ومعنى : لم تمرُّ به الأيدي أي لم تمسَّه الأيدي .

(٣) في المصباح : كننتُ الشيء أكُنُّه من باب قَتَل : سترتُه في كِنِّه وهو السُّترة ، وأكننته : أخفيته .

(٤) قال الطبري : وأولى الأقوال عندي قول من قال : شبَّههن في بياضهن ، وأنهن لم يمسَّهُنَّ قبل أزواجهن إنسٌ ولا جان ، ببياض البيض الذي هو داخل القشر ، وذلك هو الجلدة الملبَّسة المخَّ ، قبل أن تمسهنَّ يدٌ أو شيءٌ غيرها ، وذلك لا شك هو المكنون ، فأمَّا القشرة العليا فإن الطائر يمسُّها ، والأيدي تباشرها ، والعُشُّ يلقاها ، والعرب تقول لكل مَصُونٍ : مكنون ، لؤلؤاً كان ، أو بيضاً ، أو متاعاً . اهـ.

(٥) البيت من معلقة امرىء القيس وهو في ديوانه ص ١٦ يتغزَّل بفتاة ، والبِكْرُ : الشيء الذي لم =

٢٥ ـ ثم قال عز وجل : ﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴾ [آية ٥٠] .

يعني أهلَ الجنة .

﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ [آية ٥١] .

قال عطاء الخراساني : هذان رجلان أخوان ، تصدَّق أحدهما بمالِهِ فعيَّره أخوه ، وقال له ما قصَّ اللَّهُ جلَّ وعزَّ(١) .

= يُسبق مثله ، والمُقَاتَاة : الخَلْطُ بين شيئين ، شبَّهها في صفاء اللون ، بدُرَّة فريدة ، تضمنتها صَدَفة بيضاء ، شابت بياضها صفرة ، والعرب تشبِّه المرأة الحسناء في بياضها ، وحسن لونها ببيضة النَّعامة ، وهو أحسن ألوان النساء ، لأن بياضها يكون مُشْرَباً بصُفرة ، وانظر شرح المفصل لابن يعيش ٩١/٦ والبحر المحيط ٣٦٠/٧ وفي ديوان امرىء القيس « غير المحلل » بالألف واللام .

(١) ذكره الطبري ٥٩/٢٣ وابن كثير ١٥/٧ والفخر الرازي ١٣٩/٢٦ في قصة طويلة خلاصتها : أنه كان رجلان شريكين ، وكان لهما ثمانية آلاف دينار ، فاقتسماها ، فعمد أحدهما فاشترى بألف دينار أرضاً ، وابتنى فيها بألف داراً ، ثم تزوج بالألف الثالثة ، واشترى بالباقي خدماً ومتاعاً ، ودعا شريكه ليطلعه على ما نال من عز وشرف ، وما هو فيه من بهجة وسرور ، ومُلك وجاه ، فلما رجع العبد الصالح ، أخذ ما عنده من مال فتصدق به لوجه الله ، وقال : اللهم إن فلاناً اشترى بماله داراً ، وزوجة ، وخدماً ، ومتاعاً ، ليسعد بها في الدنيا ، وأنا أشتري منك داراً في الجنة وخدماً وحوراً فاجعلها ذخراً لي عندك في الآخرة ، ثم عمد إلى ماله فأنفقه على الفقراء والمساكين ، فلقيه شريكه الكافر فقال : ما فعلت بمالك ؟ قال : قدَّمته لآخرتي ، واشتريت به داراً ، وبستاناً ، وخدماً ، وزوجة في الجنة ، فقال له الكافر مؤنباً وموبِّخاً ﴿ أئنك لمن المُصَدِّقين . أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون ﴾ ؟ أي هل سنُبعث ونُحاسب ونُجازى على أعمالنا بعد أن نصبح تراباً ورفاتاً ؟ فإذا كان يوم القيامة ، اطَّلع المؤمن عل الكافر ، فرآه في

وقد رُوي عن ابن عباس : هو الرجل المشرك له صاحبٌ مؤمن ، قال له هذا[1]

قال مجاهد : ﴿ قَرِينٌ ﴾ أي شيطان[2] .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴾ [آية ٥٢] .

المعنى : يقول أئنك لمن المصدِّقين بأنَّا مدينون ؟ ثم كُسِرتْ « إنَّ » لمجيء اللّام[3] .

قال مجاهد : ﴿ مَدِينُونَ ﴾ أي مُحاسبون[4] .

﴿ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ أي قال الذي في الجنة : هل أنتم مُشرفون ؟ **﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ ﴾** أي فأشرف فرأى قرينه **﴿ فِي سَوَاءِ**

= وسط الجحيم ، فقال له ما حكاه القرآن الكريم من تمام الخبر ، وانظر الطبري ، وابن كثير ، والدر المنثور ، ففيها تفصيل للقصة كامل .

(١) ذكره الطبري في تفسيره ٥٩/٣ عن ابن عباس وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٧/٥ عن السدي بمعناه .

(٢) هذا الأثر عن قتادة ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٧٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٥٩/٧ وابن كثير ١٢/٧ ورُوي عن ابن عباس : هو الرجل المشرك يكون له صديق مؤمن في الدنيا ، ثم قال ابن كثير : ولا تنافي بين كلام مجاهد وابن عباس ، فإن الشيطان يكون من الجن فيوسوس في النفس للإنسان ، ويكون من الإنس فيقول كلاماً تسمعه الأذنان .

(٣) أشار إلى قوله تعالى ﴿ أئنَّا لمدينون ﴾ والأصل فيها : أئنك لمن المصدقين بأننا مدينون ؟ بفتح همزة إن .

(٤) هذا قول قتادة والسدي أيضاً كما في الطبري ٦٠/٢٣ وابن كثير ١٣/٧ وقال ابن عباس ﴿ لمدينون ﴾ أي لمجزيون بأعمالنا ، يُقال : دنته بما صنع أي جازيته قال في المصباح : دِنتُه أَدِينُه : جازيته . اهـ.

الجَحِيمِ ﴾ أي في وسطها[1] .

قال الذي في الجنة ﴿ **تَاللَّـهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ** ﴾ أي تهلكني .

وفي قراءة عبدالله « لَتُغْوِينِ »[2] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ المُحْضَرِينَ ﴾** [آية ٥٧] .

قال قتادة : أي لمن المُحْضَرين في النار[3] .

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ أَفَمَا نَحْن بِمَيِّتِينَ . إلاَّ مَوْتَتَنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ؟ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾** [آية ٦٠] .

قال قتادة : هذا آخر كلامه[4] ، ثم قال جلَّ وعز ﴿ **لِمِثْلِ**

(١) قال القرطبي ٨٣/١٥ : أي في وسط النار . وقال الألوسي ٩٢/٢٦ : سُمِّي الوَسَط سواءً لاستواء المسافة منه إلى الجوانب .

(٢) هذه القراءة ليست من السبع بل من الشواذ . والمراد بعبد الله « عبد الله بن مسعود » رضي الله عنه .

(٣) أي لمن المحضرين معك في النار . وهذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٦٢/٢٣ وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٣٨٥/٢ .

(٤) أي آخر كلام المؤمن ، يقوله لرفقائه في الجنة ، تحدثاً بنعمة الله عليه ، والأثر أخرجه الطبري ٦٢/٢٣ والقرطبي ٨٤/١٥ واختار في التسهيل ٣٦/٣ أن هذه الآية من كلام الله تعالى ، لأن الذي بعدها من كلامه سبحانه ، فيكون الكلام متصلاً ، وينتهي كلام المؤمن عند قوله ﴿ أفما نحن بميِّتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ﴾ ؟ يقوله توبيخاً للكافر ، لإنكاره البعث ، ثم يأتي =

هَذَا فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ ﴾ .

٢٩ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً .. ؟ ﴾** [آية ٦٢] .

أذلكَ خيرٌ نُزُلاً ، ونَـزْلاً : أي رزقـاً ، والنُّـزُل أيضاً : الرَّيْـع والفضل(١) .

ثم قال تعـالى : ﴿ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ . إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴾ [آية ٦٢] .

قال مجاهـد : قال أبـو جهـل : ما نعـرف الزَّقُّـومَ إلاَّ التَّمْـر بالزُّبْد ، فنتَزقَّم(٢) .

وقال قتادة : فُتِنُوا بهذا ، فقالوا : كيف يكون في النَّارِ شجرة ، والنَّار تأكل الشجر ؟ فقال اللهُ عز وجل ﴿ **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي**

= كلام الله مبتدأ ﴿ إن هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ وهو وجه وجيه ، وقد ذكره الألوسي في تفسيره .

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٧٠ : النُّزُل والنَّزَل واحد وهو الفضل ، يقال : والنُّزل أي الضيافة ، وقال الليث : النُّزُل ما يُهَيَّأ للضيف إذا نزل . اهـ. التهذيب مادة نزل .

أقول : ومعنى الآية : أنعيم الجنة خير ضيافة وعطاء ، أم شجرة الزقوم التي هي في جهنم ؟ أيهما أفضل نُزل الأبرار أم نزل الفجار ؟

(٢) هذا الأثر ذكره الطبري ٢٣/٦٣ وابن كثير ٧/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٧٧ ولفظه كما في الطبري : قال أبو جهل لما نزلت ﴿ إنَّ شجرة الزقوم ﴾ تعرفونها في كلام العرب ؟ أنا آتيكم بها ، ثم دعا جارية فقال لها : ائتيني بتمر وزبد ، فقال : دونكم تزقَّموا ، فهذا الذي يخوِّفكم به محمد !! يقول ذلك تهكماً وسخرية .

أَصْلِ الجَحِيمِ ﴾ أي غذاؤها من النَّار ، ومنها خُلِقَتْ[1] .

٣٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ [آية ٦٥] .

﴿ طَلْعُهَا ﴾ أي ثَمرُها كأنَّـه أولُ ما يَطْلَـع[2] منها ، ثم قال : ﴿ كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾[3] .

قال أبـو العبـاس[4] : يُقـالُ : لم تُرَ الشَّيَاطيـنُ ، فكيـفَ وقـعَ التشبيه بها ؟

وهل يجوز أن يُقال : كأنَّ زيداً فلانٌ ، وفلانٌ لا يُعْرَفُ[5] ؟

---

(١) ذكره الطبري وابـن كثير ١٦/٧ ولفظـه : قال قتـادة : ذُكـرت شجـرة الزقـوم ، فافتتـن بها أهـل الضلالة ، وقال : صاحبكم يُنبئكم أن في النار شجـرة ، والنـار تأكل الشجـر ، فأنـزل الله الآية ﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ﴾ . اهـ.

أقول : إنما صـارت فتنة للظالمين ، بسبب أن الكفار لما سمعوا هذه الآية قال : كيف يُعقل أن تنبت الشجـرة في جهنـم ، مع أن النـار تحرق الشجـر ؟ فنـزلت الآية توضح أن خالـق النـار لا يعجزه شيء أصلاً .

(٢) طلعها : المراد بالطلع الثمر ، سمي طلعاً لطلوعه ، قال في المصباح : الطلـع ما يطلـع من النخلـة ثم يصير ثمراً . اهـ.

(٣) قال ابن كثير ١٧/٧ : وإنما شبَّهها برءوس الشياطين ، وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين ، لأنـه استقرَّ في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر . اهـ.

(٤) أبو العباس : هو الإمام المبرِّد ، النحوي ، اللغوي ، الشهير ، المتوفى سنة ٢٥٨هـ وقـد تقـدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٥) يحكي المبرِّد ما يقوله بعض الملاحـدة في الطعـن بهذا التشبيـه ﴿ كأنـه رءوس الشيـاطين ﴾ بأنـه تشبيه بما يُجهل ولا يُعرف ، ليردَّ عليه ، وحاصل القول في هذا التشبيه أنـه لا يشتـرط في المشبَّـه به أن يكون معروفاً مرئياً ، بل يكفي كونه مركوزاً في الذهن والخيال ، فإنه قد استقرَّ في النفـوس =

فالجوابُ : أن المقصود هو ما وقع عليه التَّعارُف من المعاني ، فإذا قيل : فلانٌ شيطانٌ ، فقد عُلِم أن المعنى : فلانٌ قبيحٌ خبيثٌ ، ومنه قولهم : تَشَيْطَنَ : إذا تخبَّثَ ، كما قال الشاعر :

أَيَقْتُلُنِي وَالمَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي
وَمَسْنُونَةٌ زُرْقٌ كَأَنْيَابِ أَغْوَالِ [1]

ولم تُرَ الغولُ قطُّ ، ولا أنيابُها ، ولكنَّ العرب إذا قبَّحت المؤنَّث شبَّهته بالغول ، وإذا قبَّحت المذكَّر شبَّهته بالشيطان[2] ، فهذا جوابٌ صحيح بيِّنٌ .

وقد قيل هو نَبْتٌ باليمن قبيحُ المنظر ، شُبِّهتْ بهُ ، يقالُ له : الأَسْتَنْ[3] ، والشَّيْطَانُ ، وليس ذلك بمعروفٍ عند العرب .

= قبحُ الشياطين ، وإن لم تشاهد ، والعرب تشبِّه قبيحَ الصورة بالشياطين ، فيقولون : وجهُهُ كوجه الشيطان ، ورأسُه كرأس الغول ، كما تشبِّه جميل الصورة بالمَلَك فيقولون : هذا وجه ملك ، وعليه قوله تعالى ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ لأنه ارتسم في خيالهم صورة المَلَك بأحسن صورة ، وصورة الشيطان بأقبح صورة ، وهذا ما يسمى « بالتشبيه التخييلي » .

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ٣٣ و « المشرفيُّ » السيف الصارم ، وأراد بالمسنونة السهام المحدَّدة ، وشبَّهها بأنياب الأغوال تشنيعاً لها ، ومبالغة في وصفها بما يُفزع ، وقد استشهد به الألوسي في روح المعاني ٩٥/٢٣ وصاحب مجمع البيان ٦٢/٢٣ وابن منظور في اللسان ، مادة غول .

(٢) قال الزجاج ٣٠٧/٤ : الشاعر لم ير الغول ولا أنيابها ، ولكنَّ التمثيل بما يُستقبح أبلغ في باب المذكَّر أن يُمثَّل بالشياطين ، وفي باب المؤنث أن يُشبَّه بالغول . اهـ. وانظر أيضاً زاد المسير لابن الجوزي ٦٣/٧ .

(٣) ذكره الزمخشري في تفسيره ٣٠٢/٣ فقال : وقيل إنه شجر « الأَسْتَين » وهو شجر خشن منتن مرٌّ ، منكر الصورة يسمى ثمرُهُ « رءوس الشياطين » وقال أبو حيان في البحر ٣٦٣/٧ : وشبَّه =

قال أبو جعفر : وقيل الشياطين : ضروبٌ من الحيَّاتِ قِباحٌ[1] .

٣١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ إنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبَاً مِنْ حَمِيمٍ ﴾** [آية ٦٧] .

قال قتادة : أي مزاجاً[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : شُبْتُ الشَّيْءَ بالشَّيْءِ أي خَلَطْتُه بِهِ[3] .

فقيل : يُراد به ههنا شربُ الحميم .

٣٢ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾** [آية ٧٠] .

= طلعها بثمر شجرة معروفة ، يُقال لثمرها رءوس الشياطين ، وهي بناحية اليمن يقال لها الأَسْتَنُ ، ذكرها النابغة بقوله : « تَحِيدُ من أستَنٍ سُودٍ أسَافِلُهُ » فعلى هذا القول يكون تشبيهاً بما هو معروف عند العرب .

أقول : وهذا خلاف الظاهر المتبادر .

(١) ذكره الطبري ٦٤/٢٣ والقرطبي ٨٧/١٥ والألوسي ٩٦/٢٣ وهو منسوب إلى الزجاج والفراء .

(٢) ذكره الطبري ٦٥/٢٣ ولفظه قال قتادة : ﴿ شوباً من حميم ﴾ مِزاجاً من حميم ، قال القرطبي ٨٧/١٥ : الشَّوب : الخَلْط ، يقال : شاب طعامه وشرابه إذا خلطهما بشيء ، يشوبهما شوباً ، والحميم : الماء الحار ليكون أشنع ، قال الله تعالى ﴿ وسُقُوا ماء حميماً فقطَّعَ أمعاءَهم ﴾ .

(٣) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٠/٢ : تقول العرب كل شيء خلطته بغيره فهو مشوب ، وقال ابن قتيبة المعنى : إن لهم لخلطاً من الماء الحار يشربونه عليها . اهـ. وانظر زاد المسير ٦٤/٧ .

معنى ﴿ أَلْفَوْا ﴾ : وجدوا[1] .

قال مجاهد : ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ كهيئة الهَرْولة ، وقال قتادة : يُسْرِعون[2] .

وقيل : كأنهم يُزْعَجون من الإسراع[3] .

٣٣ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ [آية ٧٥] .

قيل : بمسألتِهِ هلاكَ قومه[4] ، فقال ﴿ **رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى**

---

(١) ومنه قوله تعالى ﴿ وألفيا سيِّدها لدى الباب ﴾ أي وجدا سيدها .

(٢) قول قتادة ومجاهد ذكرهما الطبري ٢٣/٦٦ والقرطبي ١٥/٨٨ قال الفراء : الإهراع : الإسراع برعدة ، وقال أبو عبيدة ﴿ يُهرعون ﴾ يُستحثون من خلفهم ، ونحوه قال المبرد : المُهرع : المستحث ، يقال : جاء فلان يُهرع إلى النار إذا استحثه البرد إليها . وانظر القرطبي ١٥/٨٨ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في معانيه ٤/٣٠٧ وحكاه القرطبي في تفسيره ، يقال : هرِعَ وأُهرع : إذا استُحِث وأُزعج . اهـ.

(٤) هذا ما رجحه الطبري ٢٣/٦٧ واختار غيره من المفسرين أن النداء هنا بمعنى الاستغاثة ، وقد تضمَّن نداؤه ثلاثة أمور :

١ ــ الدعاء على قومه بالهلاك .

٢ ــ سؤاله النجاة من الغرق .

٣ ــ طلبه النصرة على المجرمين .

كما أخبر تعالى عنه في سورة القمر ﴿ فدعا ربه أنِّي مغلوب فانتصر ﴾ وقد أجاب الله دعاءه في هذه الأمور كلها ، أبلغ استجابة ، ولهذا قال : ﴿ فَلَنِعْمَ المُجِيبون ﴾ أي فلنعم المجيبون له نحن ، وجاء اللفظ بصيغة الجمع للعظمة والكبرياء ، وهذا القول أرجح ، وهو اختيار الألوسي ، وصاحب البحر .

الأَرْضِ مِنَ الكَافِرِينَ دَيَّاراً ﴾(١) .

وقيل : المعنى دعا بأن نُنَجِّيَهُ من الغَرَق ﴿ **وَنجَّيناه وأَهْلَهُ مِنَ الكَرْبِ العَظِيمَ ﴾**(٢) أي من الغرق .

٣٤ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَجَعْلَنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ البَاقِينَ ﴾** [آية ٧٦] .

رَوَى سعيد عن قتادة : النَّاسُ كلُّهم من ذُرِّيَّة نوحٍ صلَّى الله عليه وسلم(٣) .

٣٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ﴾** [آية ٧٨] .

قال مجاهد وقتادة : أي ثناءً(٤) .

وقال محمد بنُ يزيدَ(٥) : المعنى : وتركنا عليه في الآخرين ،

---

(١) سورة نوح آية رقم ٢٦ .

(٢) إنما سُمي الطوفان « كَرْباً » لأنه كان شديداً هائلاً ، طغى على كل شيء ، حتى علا قمم الجبال ، والكربُ في اللغة : البلاء ، والشدة ، والحزن ، والغمُّ الذي يأخذ بالنفس ، كما في لسان العرب .

(٣) هذا قول الجمهور ، ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة كما في البحر ٣٦٤/٧ وقال في التسهيل لعلوم التنزيل ٢٧٥/٣ : أهلُ الأرض كلهم من ذرية نوح ، لأنه لما غرق الناس في الطوفان ، ونجا نوح ومن كان معه في السفينة ، تناسل الناس من أولاده الثلاثة « سام ، حام ، ويافث » . اهـ.

أقول : ولهذا يسمي علماء التاريخ نوحاً أبا البشر الثاني .

(٤) قال في الدر المنثور ٢٧٨/٥ وعن قتادة : أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرة ، وعن ابن عباس : تركنا عليه الثناء الحسن إلى آخر الدهر .

(٥) هو الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٥ وعلى قوله يكون الكلام وارداً على الحكاية أي تركنا عليه هذا الكلام بعينه ﴿ سلام على نوح في العالمين ﴾ .

يقال : ﴿ سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴾ أي تركنا عليه هذه الكلمة باقية[1] .

٣٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ ﴾** [آية ٨٣] .

قال مجاهد : أي على منهاجه وسُنَّته[2] .

وقال قتادة : على دينه[3] .

قال أبو جعفر : المعنى : وإنَّ من شيعة نوحٍ .

قال الفراء : المعنى : وإن من شيعةِ محمد صلى الله عليه وسلم[4] .

---

(١) هذا قول المبرد ، والفراء ، والزجاج ، واختاره الألوسي في روح المعاني ، وجمهور المفسرين على ما ذهب إليه مجاهد وقتادة وابن عباس أن المعنى : أبقينا عليه ثناء جميلاً في الناس إلى يوم القيامة ، فلا يُذكر إلا بالإجلال والتعظيم ، وانظر الطبري ٦٨/٢٣ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦٩/٢٣ عن ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدي ، وكذلك ذكره القرطبي ، وصاحب البحر ، والألوسي ، قال الطبري المعنى : وإن من أشياع نوح ، على منهاجه وملَّته ، لإبراهيم خليل الرحمن . اهـ. وقال في اللسان : الشيعة : أتباع الرجل وأنصاره ، وكلُّ قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة ، وقوله تعالى ﴿ وإنَّ من شيعته لإبراهيم ﴾ أي من شيعة نوح ومن أهل ملته . اهـ. اللسان .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٦٩/٢٣ والقرطبي ٩١/١٥ وهو مروي عن ابن عباس والسدي وهو قريب من الأول .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٣٨٨/٢ فقد جعل الهاء في « شيعته » عائدة إلى محمد عليه السلام ، وقال : وإن كان إبراهيم سابقاً له ، فإنه مثل قوله تعالى ﴿ وآية لهم أنا حملنا ذرِّيتهم ﴾ أي ذرية من هم منه ، فجعلها ذريتهم وقد سبقتهم . اهـ. والجمهور على أن الضمير في « شيعته » عائد إلى نوح عليه السلام ، لأنه هو المذكور سابقاً ، وقلَّما يقال للمتقدم هو شيعة للمتأخر ، وانظر تفسير الألوسي ١٠٠/٢٣ .

والأوَّلُ أشبهُ ، لأن ذكر نوحٍ قد تقدَّم .

٣٧ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾** [آية ٨٤] .

قال قتادة : أي سليمٍ من الشِّرك[١] .

وقال عروةُ بن الزبير : لم يَلْعنْ شيئاً قطُّ[٢] ، فقال الله جلَّ وعز ﴿ **إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴾** [آية ٨٦] .

قال قتادة : أي أكذباً[٣] ؟ .

٣٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾** [آية ٨٧] .

رَوَى سعيد عن قتادةَ قال : أي فما ظنكم برب العالمين ، وقد

(١ــ ٢) انظر الأثرين في الطبري ٢٣/٧٠ وابن الجوزي ٧/٦٧ وابن كثير ٧/٢٠ والقرطبي ١٥/٩١ والأولى التعميم أي سالم من جميع الآفات والنقائض ، سالم من الشرك ، والشكّ ، وسائر العيوب ، من الغلّ ، والحسد ، والكبر ، والمكر ، والخبث ونحوها ، قلب نقيٌّ طاهر ، لم تدنّسه مغريات الحياة .. إلخ. وما ذُكر عن قتادة وعروة فإنما هو تخصيص بدون مخصص ، فيكون ما ذكرناه من العموم أولى وأظهر ، وهو اختيار الألوسي ، وصاحب البحر المحيط .

(٣) الإفك في اللغة : الكذبُ والباطل قال في المصباح : أَفَكَ يأفِكُ من باب ضرب ، إفكاً : بالكسر : كَذَب ، فهو أفّاك وأفُوك . اهـ. ومعنى الآية : أتعبدون آلهةً من دون الله من أجل الإفك والكذب والزور ؟ وقُدِّم المفعول لأجله على المفعول به ، للتقبيح والتشنيع ، والأصل : أتريدون آلهة من دون الله إفكاً ؟ قال المبرد : والإفك أسوءُ الكذب ، وهو الذي لا يثبت ويضطرب .

عبدتم غيره ، إذا لقيتموه[1] ؟

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴾** [آية ٨٨] .

في معناه ثلاثةُ أقوالٍ :

قال الحسن : أي تفكَّر فيما يعملُ إذا كلَّفوه الخروج[2] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول : فنظَرَ فيما نَجَمَ له من الرأيِ ، أي فيما طَلَع له ، يُقال : نَجَم القَرْنُ والنَّبْتُ إذا طَلَعَا .

أي فكَّر فعلم أنه لا بدَّ لكل حيٍّ من أن يسقم ، فقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/٧٠ والقرطبي ١٥/٩٢ وابن كثير ٧/٢٠ ولفظه : قال قتادة : ما ظنكم به أنه فاعل بكم ، إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره ؟ . اهـ.

(٢) الأثر عن الحسن البصري أخرجه ابن كثير ٧/٢٠ ولفظه : قال : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم ، فأرادوه على الخروج معهم ، فاضطجع على ظهره ﴿ فقال إني سقيم ﴾ وجعل ينظر في السماء ، فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، وقال قتادة : العرب تقول لمن تفكَّر : نظر في النجوم ، أي إنه نظر في السماء ، متفكراً فيما يلهيهم به . اهـ.

أقول : لما وبَّخ قومه على عبادة الأوثان ، أراد أن يريهم أن أصنامهم لا تضرُّ ولا تنفع ، ولا تستطيع أن تدفع الأذى عن نفسها ، فأراد أن يخلو بها حتى يُحطِّمها ، فاحتال للبقاء وعدم الخروج معهم إلى العيد ، فنظر في السماء ــ على عادة قومه حيث كانوا منجِّمين ــ وأوهمهم أن النجوم التي يعتقدون بها ، تشير إلى أنه سيمرض غداً ، فقال إني سقيم أي سأمرض إن خرجتُ معكم ، وهذا منه عليه السلام ليس بكذب ، وإنما هو من المعاريض الجائزة لمقصد شرعي كما روي « إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب » أو أراد أنه سقيم القلب من عبادتهم للأوثان والأصنام ، وانظر ابن كثير ففيه كلام نفيس .

قال الخليل : يُقـال للرجـل إذا فكـرَّ في الشيء كيـف يدبِّـرهُ : نظر في النجوم .

وكذلك قال أبو العباس[1] في معنى هذه الآية .

والقـولُ الثـاني : أن يكـون المعنـى : فنظـر فيمـا نَجَـم من الأشيـاءِ ، فعلـم أنَّ لها خالِقـاً ومدبِّـراً ، وأنها تتغيَّـرُ ، وعلـمَ أنَّ ذلك يلْحقُهُ فقالَ : إني سقيمٌ[2] .

والقول الثالث : ما رواه سعيدٌ عن قتـادة أن سعيـد بن المسيَّب قال : نظر إلى نجم ، فقال : إني سقيمٌ ، فكايد عن دينه[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول ، فعمِلَ ما يعلمون من

---

(١) هو الإمـام المبرد ، وقـد حكـى هذا القـول عن الخليـل والمبرد الإمـام القرطبـي في تفسيره ٩٢/١٥ وهو قول مرجوح ، والراجح ما ذكرناه .

(٢) هذا القول ذكـره الألـوسي في تفسيره ١٠١/٢٣ وبسطـه بعض البسـط فقـال ﴿ فنظـر نظـرة في النجوم ﴾ أي فتأمل نوعاً من التأمل في أحـوالها ، على طراز تأمـل الكامـلين في خلـق السمـوات والأرض ، إذ هو اللائق به عليه السلام ، لكنه أوهمهم أنـه تفكـر في أحـوالها ، وفي الأوضاع التـي تدل بزعمهـم على الحوادث ، ليرتِّب عليـه ما يتـوصل به إلى غرضه النبيـل ، وهـذا من معـاريض الأفعال ، نظير ما وقع في قصة يوسف عليه السلام ، من تفتيش أوعية إخوته قبل وعاء شقيقـه ، نفياً للتهمة . اهـ. بإيجاز .

(٣) الأثـر ذكـره الـطبري ٧١/٢٣ والسيوطـي في الـدر المنثـور ٢٧٩/٥ وابـن كثير ٢١/٧ بلفـظ « كابَدَ » ومعناه تحمُّل المشقـة والشدة دفاعـاً عن دينـه ، وأمـا عبـارة « كايـد » كما في الـطبري ، فصحيحة أيضاً ، أي صنع ما يكيد به الأعداء من أجل نصرة دينه .

النظر في النجوم ، واستدلالهم بها[1] .

قال سعيد بن جُبَيْر والضحَّاك : ﴿ **فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ أي مطْعُونٌ ، وكانوا يهربون من الطَّاعون[2] قال اللَّهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ** ﴾ .

٤١ ــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ **فَرَاغَ إِلَى آلِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴾ [آية ٩١] .

أي مالَ وعَدَلَ[3] ، ومنه الرَّواغُ ، ثم قال ﴿ **أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴾ ؟

---

(١) أقول : هذا القول الذي ذكره المصنف عن ابن المسيب هو أرجح الأقوال وأقواها ، وهو الذي رجحه جمهور المفسرين ، الألوسي ، وأبو حيان ، والقرطبي ، وابن كثير ، وهو ظاهر الآية الكريمة أنها نجوم السماء ، فقد أتاهم عليه السلام من حيث يعتقدون ، وأوهمهم بأنه استدل بأمارة في علم النجوم ، أنه سيسقم ويشارف على المرض ، ولذلك تركوه وخرجوا إلى عيدهم ، فصنع ما صنع بالأصنام ، لينبههم إلى ضلالهم . قال في التسهيل لعلوم التنزيل ٣٧٧/٣ : في تأويل قوله تعالى ﴿ فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم ﴾ ثلاثة أقوال :

الأول : أنها كانت تأخذه الحمَّى في وقت معلوم ، فنظر في النجوم ليرى وقت الحمى ، واعتذر عن الخروج لأنه سقيم منها .

والثاني : أن قومه كانوا منجمين ، فأوهمهم أنه استدل بالنظر في علم النجوم أنه يسقم ، فاعتذر بما يخاف عن الخروج معهم .

والثالث : أن معنى نظر في النجوم أنه نظر وفكَّر فيما ينجم من حاله معهم ، وليست بنجوم السماء ، وهذا بعيد . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه ابن أبي شيبة وابن جرير عن الضحاك ، وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان قال : طعين وكانوا يفرُّون من المطعون ، وانظر الدر المنثور ٢٧٩/٥ وابن كثير ٢١/٧ .

(٣) قال في المصباح : راغ الطريق : مال ، وراغ فلان إلى كذا : مال إليه سراً . اهـ. وقال القرطبي ٩٤/١٥ : راغ ، يروغ، رَوْغاً ، وروغاناً : إذا مال . قال الشاعر :

تعجباً .

أي فقرَّب إليها الطَّعام ، فقال : ﴿ **أَلَا تَأْكُلُونَ** ﴾ ؟ فلمَّا لم يرها تأكُلُ ، قال : أَلاَ تنطقون ؟ .

وقال أبو مالك : جاء إلى آلهتهم ، وكانوا قد جعلوا بين أيديها طعاماً ، فلمَّا لم تُكَلِّمْه[1] قال ﴿ **مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ** ﴾ فأخذ فأساً فضرب به حافَّتَيْها ، ثم علَّقه في عُنُقِ أكبرها .

٤٢ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ** : ﴿ **فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبَاً بِالْيَمِينِ** ﴾ [آية ٩٣] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون معنى ﴿ **باليَمِينِ** ﴾ : بالقوَّة ، كما تقدَّم[2] .

ويجوز أن يريد اليدَ[3] .

= يُعطِيكَ من طَرَفِ اللِّسانِ حَلَاوَةً ... ويَرُوغُ عَنْكَ كما يَرُوغُ الثعلب

اهـ.

(١) عرض الأكل على الأصنام ، واستفهامها عن النطق ﴿ ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون ﴾ ؟ إنما هو وارد على سبيل السخرية والهزء ، لكونها جمادات لا تأكل ، ولا تتكلم ، فهي منحطة عن عابديها إذ هم يأكلون وينطقون ، وإنما وضعوا عندها الطعام لتصيبه بركة أصنامهم على زعمهم .

(٢) في قوله تعالى ﴿ إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين ﴾ أي عن طريق القوة والغلبة ، على أحد وجوه التفسير ، قال ابن جرير ﴿ فراغ عليهم ضرباً باليمين ﴾ قال ابن عباس : جعل يضرب آلهتهم باليمين ، وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى القوة والقدرة ، أي فراغ عليهم ضرباً بالقوة والقدرة . اهـ.الطبري ٢٣/٧٣ .

(٣) هذا قول الضحاك والربيع بن أنس أنه أخذ يكسرها باليد اليمنى ، لأنها أقوى والضرب بها أشد .

وقيل : بيمينه حين قال ﴿ وتَاللهِ لأَكِيدَنَّ أصْنَامَكُمْ ﴾[1] .

٤٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [آية ٩٤] .

قال قتادة : أي يمشون[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : زَفَّ النَّعامُ يَزِفُّ : إذا أسْرَع ، وذلك في أول عَدْوِهِ .

ويُقرأ ﴿ يُزِفُّونَ ﴾[3] بضم الياء ، وأكثرُ أهلِ اللغةِ لا يعرفُهُ .

وقد يجوز أن يكون « أُزَفَّ » صَادَفَ الزَّفيفَ ، فيكونُ هذا منه[4] .

---

(١) هذا القول حكاه ابن الجوزي عن الماوردي ، وذكره الطبري ولم ينسبه لقائله ، وإنما قال : تأول بعضهم اليمين بالحلف ، والمعنى : جعل يضربهن باليمين التي حلف بها . اهـ. وانظر الطبري ٧٣/٢٣ .

(٢) الأثر عن قتادة مروي عن السدي أيضاً كما في الطبري ٢٧/٢٣ والقرطبي ٩٥/١٥ وهو خلاف المشهور عند أهل اللغة ، فإنهم يقولون : زفَّ الرجل إذا أسرع في مشيه ، مع تقارب الخطى ، قال في المصباح : زفَّ الرجل يزفُّ من باب ضَرَب : أسرع ، والاسم الزَّفيفُ ، وقال في اللسان : الزَّفيف : سرعة المشي مع تقارب خطو ، وقيل : هو أول عَدْو النَّعام ، وقال اللحياني : الزفيفُ : الإسراع ومقاربة الخطو ، زفَّ ، يَزِفُّ ، زفيفاً ، وقال الزجاج : يزِفُّون يُسرعون ، وأصله من زفيف النعامة وهو ابتداء عَدْوها . اهـ. اللسان مادة زفف .

(٣) هذه قراءة حمزة كما في النشر في القراءات العشر ٣٥٧/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٤٨ من أَزَفَّ يُزِفُّ أي دخل في الزفيف ، وهو الإسراع أي بادروا مسرعين نحوه ، وقرأ الباقون بفتح الياء « يَزِفُّون » قال الفراء : وقراءة الضم كأنها من أزففتُ ، ولم نسمعها إلَّا زففت ، ولها في اللغة وجه .

(٤) قال الأصمعي : أَزْفَفتُ الإبل أي حملتها على أن تزِفَّ ، فالمعنى على قراءة الضم أي يحملونهم =

وحكَى الكسائي أنه قُرِئَ ﴿ يَزِفُونَ ﴾[1] بتخفيف الفاء ، وأكثرُ أهل اللغة لا يعرفه أيضاً .

وحَكَى بعضهم أنه قال : وَزَفَ ، يَزِفُ : إذا أسرعَ .

٤٤ ـ ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [آية ٩٦] .

قال أبو عبيد[2] : أي وما تعملون منه الأصنامَ وتنحتونه ، وهو الخشبُ والحجارةُ وغيرهما[3] .

قال قتادة : وما تعملون بأيديكم .

ويجوز أن يكون « ما » نفياً ، أي وما تعملونه ، ولكنَّ اللَّهَ خالقهُ .

ويجوز أن يكون بمعنى المصدر أي وعَمَلكم[4] .

= على التزفيف . اهـ. وقال الفراء : لعل هذه القراءة من قول العرب : قد أطرَدْتُ الرجلَ أي صيَّرته طريداً ، وطَرَدْتُه إذا أنت قلت له : اذهب عنَّا ، قال : وأنشدني المفضَّل :

« فأمسَى حُصَيْنٌ قَدْ أَذَلَّ وَأَقْهَرَا » أي صار إلى حال الذلّ والقهر . اهـ.

(١) هذه القراءة ﴿ يَزِفُونَ ﴾ بالتخفيف من الشواذ ، وهي قراءة « عبد الله بن يزيد » كما في المحتسب ٢/٢٢١ كأنها من وَزَفَ يَزِفُ قال الكسائي : لا أعرفها ، وكذلك قال الفراء : لا أعرفها أيضاً ، إلا أن تكون لم تقع إلينا . وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٨٩ .

(٢) أبو عبيد : هو القاسم بن سلَّام الخزاعي اللغوي ، المحدّث ، الفقيه ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ له غريب القرآن ، وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٨/٣١٥ .

(٣) على هذا القول تكون « ما » اسم موصول ، بمعنى « الذي » أي خلقكم وخلق الخشب والحجارة التي تعملون منها الأصنام .

(٤) هذا القول على أن « ما » مصدرية والمعنى : والله خلقكم وخَلَق عملكم ، وهذا من مذهب أهل =

ويجوز أن يكون استفهاماً فيه معنى التوبيخ[1] .

٤٥ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَسْفَلِينَ ﴾ [آية ٩٨] .

﴿ الأَسْفَلِينَ ﴾ الأذلِّينَ حُجَّةً .

قال قتادة : ما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم[2] .

٤٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [آية ٩٩] .

هاجر إلى الأرض المقدَّسَة[3] .

= السنة ، أن الأفعال خلقٌ لله عز وجل ، واكتسابٌ للعباد ، وفيه إبطال مذهب القَدَرية ، والجبرية ، كما في القرطبي ، وقد ذكر ابن جرير الوجهين فقال في تفسيره جامع البيان ٧٥/٢٣ : في قوله تعالى ﴿ وما تعملون ﴾ وجهان :

الأول : أن تكون « ما » بمعنى المصدر ، فيكون المعنى : والله خلقكم وعملكم .

والآخر : أن تكون بمعنى « الذي » فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس . اهـ.

(١) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٦٧/٧ كما ذكر قول من قال إن « ما » نافية ، ولكنه رحمه الله ردَّهما وبيَّن أن هذه الأقوال خارجة عن طريق البلاغة ، والمعنى على القول بأنها للاستفهام الإنكاري : أي وأيَّ شيء تعملون في عبادتكم لأصنام تنحتونها بأيديكم ؟!

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره ٧٥/٢٣ والمراد أنه عليه السلام لمَّا قهرهم بالحجة قصدوا تعذيبه بالإحراق بالنار ، لئلا يظهر أمام الناس عجزهم ، فلم يناظرهم بعد تلك الحادثة حتى أهلكهم الله .

(٣) هي أرض الشام على رأي الأكثرين ، قال القرطبي ٩٧/١٥ قال مقاتل : هو أول من هاجر من الخلق إلى أرض الشام ، مع لوط وسارة ، وقيل : إلى أرض مصر ، وهو بعيد . اهـ.

٤٧ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى .. ؟﴾ [آية ١٠٢] .

قال مجاهد : ﴿ بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أي العملَ ، أي شبَّ[1] .

وقال غيره : بلغ ثلاثَ عشْرَةَ سنةٍ[2] .

﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى ؟﴾ [آية ١٠٢] .

أي إني أرى في المنام أني سأذبحك[3] .

أي أُمِرتُ بهذا في المنام ، وجُعل علامةً ، إذا رأيتُ ذلكَ أن أذبحك .

(١) قال القرطبي ٩٩/١٥ : أي لما بلغ معه المبلغ الذي يسعى مع أبيه في أمور دنياه معيناً له على أعماله . اهـ. وقول المصنف : أي شبَّ هو قول مجاهد ، وقال ابن عباس : أي بلغ العمل وأدرك عمل إبراهيم ، والقولان متقاربان ، لأن المعنى : أنه لمَّا ترعرع وشبَّ ، وبلغ السنَّ الذي يمكنه مساعدة أبيه في عمله .

(٢) هذا قول ابن السائب ، كما في تفسير ابن الجوزي ٧٢/٧ وهو ما رجحه الفراء حيث قال : كان إسماعيل يومئذ ابن ثلاث عشرة . اهـ.

(٣) أي بأمر من الله تعالى ، ويدل عليه قوله ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ ورؤيا الأنبياء وحيٌ كاليقظة ، وإنما ذكر له الرؤيا اختباراً لصبره ، وليوطِّن نفسه على ملاقاة هذا البلاء ، إذ المفاجأة بالأمر أصعب على النفس ، قال الحافظ ابن كثير ٢٤/٧ : وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه ، وليختبر صبره ، وجَلَده ، وعزمه من صغره على طاعة الله وطاعة أبيه . اهـ. وقال في التسهيل ٣٧٩/٣ : إن قيل : لمَ شاوره في أمرٍ هو عليه حتمٌ من الله ؟ فالجواب : أنه لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ، ولكنْ ليعلم ما عنده فيثبت قلبه ، ويوطِّن نفسه على الصبر ، فأجابه بأحسن الجواب ؟

ويُقرأ ﴿ **مَاذَا تُرِي** ﴾[1] ؟ من الصَّبْرِ .

قال أبو إسحق[2] : لم يقل هذا أحدٌ غيرهُ .

وإنما قال العلماء المعنى : ماذا تُشيرُ ؟

وقد رُوي في الذبيح أحاديث عن جماعةٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] .

وقال بعضُ أهل العلم : الدليلُ على أنه إسماعيل ، أن أسماعيل كان بمكة ، وكان الذَّبحُ بمنى[4] .

---

(١) قوله وقرئ ﴿ ماذَا تُرِي ﴾ بضم التاء وكسر الراء ، من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة والكسائي ، كما في كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٤٨ ومعناها : ماذا تريني من صبرك ؟ وقرأ الباقون بفتح التاء والراء ، أي ما رأيك في الأمر ؟

(٢) يريد به الإمام الزجاج . وهو يردُّ على الفراء في قوله : ماذا تريني من صبرك أو جزعك ؟ على قراءة الضم فقد جعل هذا القول من قول الفراء فقط ولم يقل به أحد غيره . وأما غير الفراء فقد قالوا المعنى : ماذا تُشير ؟ وانظر معاني القرآن للفراء ٢/٣٩٠ وإعراب القرآن للنحاس ٢/٧٦٢ .

(٣) أي إن السلف اختلفوا في الذبيح هل هو « إسحاق » أم « إسماعيل » ولكل واحد دليل على ما ذهب إليه ، فذهب ابن مسعود وقتادة وعكرمة والسدي إلى أنه « إسحاق » وأورد ابن جرير في تفسيره عنهم بعض الأحاديث والآثار ، وذهب ابن عباس ، وابن عمر ، ومعاوية ، ومحمد القرظي ، والحسن ، ومجاهد إلى أنه « إسماعيل » واستدلوا بظاهر هذه الآيات ، وبقوله عليه السلام (أنا ابن الذبيحين) وبقول الأعرابي للرسول : (يا ابن الذبيحين) فتبسَّم عليه السلام ، ويعني بالذبيحين : إسماعيل عليه السلام ، ووالد النبي « عبد الله » حين نذر عبد المطلب أن يذبح أحد أولاده ، فخرجت القرعة على عبد الله ، فمنعه أخواله وقالوا له : افدِ ابنك بمائة من الإبل ، والجمهور على أن الذبيح إسماعيل ، كما سنذكر الأدلة عليه واضحة إن شاء الله .

(٤) هذا أحد الوجوه التي ترجح أن الذبيح كان « إسماعيل » عليه السلام ، ولا يقوى على ردِّه ما نقل =

وهـذا لا يلـزم ، رُوي عن ابـن عبـاس أنـه قال : كان الذَّبـــحُ بالشَّامِ .

وقال عُبيدُ بنُ عُمَيْرٍ : كان بالشام ، وإن كان مجاهد قد قال : كان بمِــنى .

وقال بعضهم : في القـرآن ما يدلُّ على أنـه إسماعيـلُ صلَّـى الله عليه وسلـم ، قال اللـه جل وعـز ﴿ **فَبَشَّرْنَاهَـا بِإِسْحَـاقَ ، وَمِـنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ** ﴾[1] فدلَّ بهذا على أن إسحاق سيعيش ، حتـى يُولَـد له[2] ، فكيف يُؤْمَرُ بذبحه ؟

= عن ابـن عبـاس أن الذبـح كان بالشام ، فإن الصحيـح أنــه كان بمكـــة ، وعـــرض إبلـــيس لإبراهيم بصورة شيخ ناصح ، ليصدَّه عن تنفيـذ أمـر الله ، فحصبـه بحصيات عنـد الجمرات ، وصار ذلك تشريعاً لرمي الجمار ، ولا شك أن الجمرات إنما هي بمنى وليست بالشام .

(١) سورة هود آية رقم ٧١ .

(٢) تكاد تكون الآية من الأدلة الصريحة القاطعة على أن الذبيـح « إسماعيـل » لا « إسحـاق » أن الله تعالى بعد أن ذكر تلك الحادثـة العجيبـة « حادثـة الذبـح » ومـا جرى من امتثـال إبـراهيم عليـه السلام وولده إسماعيل لأمـر الله ، واستسـلامهمـا لحكمـه في قولـه سبحانـه ﴿ فلمـا أسلمـا وتلَّـه للجبين . وناديناه أن يا إبراهيم . قد صدَّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ وذكر أمر الابتلاء والفداء بقوله ﴿ إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم ﴾ بعد سرد جميع أحـداث الـقصة على أكمـل وجـه ، قال بعدهـا ﴿ وبشرنـاه بإسحـاق نبيـاً من الصالحين . وباركنـا عليـــه وعلى إسحاق ، ومن ذريتهما محسنٌ وظالم لنفسه مبين ﴾ فالبشارة بإسحـاق إنما جاءت بعـد « حادثـة الذبح » تكريماً للخليل إبراهيم ، على صبره على تنفيذ أمـر الله ، ولـولا أن الله تعـالى منـع السكِّين من أن تفري الأوداج ، لتمَّ الأمر وذُبح الوليد ، ولكنَّ الله علم صدقه ففداه بكبش عظيم ، وأكرمه بولد آخر هو الذي بشره به بقوله ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ .

وأمرٌ آخر وهو أن الله تعالى ذكر في سورة هود البشـارة لسارة بغـلام يكـون من نسلـه يعقـوب =

قال أبو جعفر : وهذا أيضاً لا يثبتُ حُجَّةً ، لأنه يجوز أن يُؤمر بذبحه ، وقد علم أنه يولدُ له ، لأنه يجوز أن يُحييه اللَّهُ جلَّ وعزَّ بعد ذلك .

٤٨ ـــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ [آية ١٠٣] .

= ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ فكيف يؤمر بذبح إسحاق وهو في ريعان الصبا ، قبل إنجاز الوعد في ولادة يعقوب ؟ ولنفسح المجال للحافظ ابن كثير فقد أجاد في تحقيق هذا الموضوع وأفاد ، فقال تغمده الله بالرحمة والرضوان : وقوله تعالى ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام ، فإنه أول ولد بُشِّر به إبراهيم عليه السلام ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل ولد ولإبراهيم ست وثمانون سنة ، ووُلد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تعالى أمر إبراهيم ابنه وحيده وبِكْرَه ، فأقحموا ههنا كذباً وبهتاناً ـــ إسحاق ـــ ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنصِّ كتابهم ، وإنما أقحموا « إسحاق » لأنه أبوهم ، و « إسماعيل » أبو العرب فحسدوهم ، وحرفوا وحيدك ـــ بمعنى ليس عندك غيره ـــ وهذا تحريف وتأويل باطل ، فإنه لا يقال « وحيد » إلا لمن ليس له غيره ..

ثم قال : وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح إسحاق ، وحُكي ذلك عن طائفة من السلف ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظنُّ ذلك تُلُقِّي إلا عن أحبار أهل الكتاب ، وأُخذ ذلك مسلَّماً من غير حُجة ، وهذا كتاب الله ، شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل ، فإنه ذكر البشارة بالغلام الحليم ، وذكر أنه الذبيح ، ثم قال بعد ذلك ﴿ وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين ﴾ وقال تعالى ﴿ فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ أي يولد لهما في حياتهما ولد يسمى يعقوب ، فيكون من ذريته عَقِبٌ ونسلٌ ، فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيراً ؟ ورُوي عن ابن عباس أنه قال : المفديُّ إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود ، وهذا مروي عن مجاهد ، والشعبي ، والحسن البصري ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، وسعيد بن جبير ، كلهم قالوا إن الذبيح إسماعيل » . اهـ. تفسير ابن كثير ٢٣/٧ بشيء من الإيجاز .

قال **مجاهد** : أي سلَّمَا لأمرِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ[1] .

قال **أبو جعفر** : وفي حرف عبدالله بن مسعود ﴿ فَلَمَّا سَلَّمَا ﴾[2] .

يُقالُ : سلَّم ، إذا أعطى بيده ورضي .

ثم قال تعالى : ﴿ **وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ** ﴾ أي صَرَعه ، وهما جبينان ، بينهما الجبهةُ[3] .

وجواب « لمَّا » عند البصريِّينَ محذوفٌ ، كأنه قال : سَعِدَ .

والواوُ عند الكوفيِّين زائدةٌ ، كأنه قال : نَادَيناهُ[4] .

٤٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **وَفَدَيْنَاهُ بِذِبحٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آية ١٠٧] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٩/٢٣ عن مجاهد والسيوطي في الدر المنثور ٢٨٠/٥ وعزاه إلى ابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والمعنى : استسلما لأمر الله ، وانقادا لحكمه وأطاعا .

(٢) ذكرها في المحتسب ٢٢٢/٢ وهي من القراءات الشاذة ، قال ابن جني : ومعنى ﴿ أسلما ﴾ فوّضا وأطاعا ، وأما « سلّما » فمن التسليم ، أي سلما أنفسهما لما أُمرا به ، ولم يُخالفا . اهـ.

(٣) في المصباح : الجبين : ناحية الجبهة ، وهما جبينان عن يمين الجبهة وشمالها ، قاله الأزهري وابن فارس وغيرهما ، فتكون الجبهة بين جبينين . اهـ. وقال ابن قتيبة « وتلّه للجبين » أي صرعه على جبينه ، فصار أحد جبينيه على الأرض ، وهما جبينان ، والجبهة بينهما ، والناسُ لا يكادون يفرّقون بين الجبين والجبهة . اهـ. وانظر زاد المسير ٧٦/٧ .

(٤) جواب « لمَّا » محذوف عند البصريين تقديره : فلما أسلما كان ما كان من الأمر العظيم ، وقال الكوفيون جوابها « تلَّه للجبين » والواو زائدة ، وقال بعضهم : جوابها ناديناه والواو زائدة ، وهذا قول الفراء ، ولكن الإمام النحاس في كتابه « إعراب القرآن » ٧٦٣/٢ يقول : والواو من حروف المعاني فلا يجوز أن تزاد ، ويرجح أن الجواب محذوف .

الذِّبْحُ : المذبوحُ ، والذَّبْحُ المصدرُ[1] .

رَوَى ورقاءُ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : كبيرٌ ، مُتَقَبَّلٌ[2] .

قال أبو جعفر : ﴿ **عظيمٌ** ﴾ في اللغة : يكونُ للكبير[3] ، والشريف .

وأهل التفسير على أنه ههنا للشريف ، أي المتقبَّل .

٥٠ ــ **وقولُه جل وعزَّ** : ﴿ **وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ . وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الكَرْبِ العَظِيمِ** ﴾ [آية ١١٥] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادَةَ قال : من فرعونَ[4] .

٥١ ــ **ثم قال جل وعزَّ** : ﴿ **وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ** ﴾ [آية ١١٦] .

ولم يقل : ونصرناهما ، لأن الإثنين في الأصلِ جمعٌ .

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٢/٣٩٠ : الذِّبح : الكبش ، وكلُّ ما أعددته للذَّبح فهو ذِبْح . اهـ.

(٢) ذكر الطبري عن مجاهد ٢٣/٨٦ : أن المراد بالذبيح العظيم الكبش العظيم السمين ، وأنه رعى في الجنة أربعين خريفاً ، كما روى أنه الفداء المتقبَّل ، الذي عظم قدره لأنه متقبَّل .

(٣) في المخطوطة للكثير ، وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه للكبير ، كما في القرطبي ١٥/١٠٧ لأن المراد به ضخامة الجثة .

(٤) المراد إنجاؤهم من بطش فرعون وطغيانه ، فإنه كان يذبِّح أبناء بني إسرائيل ويستحيي نساءهم ، وهذا الذي نُقل عن قتادة ذكره الطبري ٢٣/٩٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٨٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٧٩ .

ويجوز أن يكون ، كما يُخبر عن الواحد بفعل الجماعة[1] .

وقيل : المعنى : ونصرنا موسى ، وهارون عليهما السلام ، وقومَهما ، على فرعون وقومه ، وهذا هو الصوابُ ، لأن قبله ﴿ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا ﴾ .

٥٢ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَآتَيْنَاهُمَا الكِتَابَ المُسْتَبِينَ ﴾ [آية ١١٧] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : التَّوْراةَ[2] .

قال : ﴿ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ ﴾ : الإِسلامَ[3] .

٥٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ ﴾ [آية ١٢٣] .

---

(١) قال القرطبي ١١٤/١٥ : قال الفراء : ﴿ ونصرناهم ﴾ الضمير لموسى وهارون وحدهما ، وهذا على أن الاثنين جمع ، دليله قوله ﴿ وآتيناهما ﴾ و ﴿ هديناهما ﴾ وقيل : الضمير لموسى وهارون وقومهما ، وهذا هو الصواب لأن قبله ﴿ ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ﴾ . اهـ. وهذا هو الذي رجحه الإمام النحاس .

(٢) ذكره الطبري عن قتادة ٩١/٢٣ وفي الدر المنثور ٢٨٥/٥ وإنما وصف تعالى التوراة بأنها الكتاب المستبين لأن فيها الهدى والنور والضياء كما قال سبحانه ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ﴾ والصراط المستقيم هو دين الإسلام ، لأنه دين جميع الأنبياء والمرسلين لقوله سبحانه ﴿ يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا .. ﴾ الآية . ولأن الدين عند الله واحد وإن اختلفت الشرائع والمذاهب كما قال تعالى « إن الدين عند الله الإسلام » وكما أخبر جل ثناؤه ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه .. ﴾ الآية .

(٣) هذا من تتمة الأثر الذي ورد عن قتادة ، كما في الطبري ٩١/٢٣ والدر المنثور ٢٨٥/٥ .

قيل : إلْيَاسُ : هو إدريسُ(١) .

وقيل : هو من ولد هارون ، صلَّى الله عليهما وسلم ، واللهُ جلَّ وعزَّ أعلمُ .

٥٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الخَالِقِينَ ﴾** [آية ١٢٥] .

قال مجاهد : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ أي(٢) رباً .

وقال الضحاك : هو صنمٌ لهم يُسمَّى بَعْلاً(٣) .

قال ابن زيد : كانوا ببعلبكَّ(٤) .

وسُئل ابن عباس عن هذا فسكَت ، فسمع رجلاً ينشُدُ ضالَّةً ، فقال له آخر : أنا بعلُها أي ربُّها ، فقال ابن عباس للسائل :

---

(١) نُسب هذا القول إلى قتادة ، وابن مسعود ، أن « إلياس » هو إدريس عليه السلام كما ذكره الطبري ٢٣/٩١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٨٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/٧٩ والصحيح الذي عليه أكثر المفسرين أن « إلياس » من نسل نبي الله هارون عليه السلام ، وأنه غير إدريس ، قال أبو حيان في البحر ٧/٣٧٢ : « وذُكِر عن ابن مسعود تفسير « إلياس » بأنه إدريس ، ولعله لا يصحُّ عنه ، لأن « إدريس » كان قبل نوح ، كما هو معلوم في التاريخ المنقول .. وفي سورة الأنعام ذكر تعالى إلياس وأنه من ذرية إبراهيم ﴿ ومن ذريته داود وسليمان ﴾ إلى قوله « وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كلٌّ من الصالحين » فذكر في جملة هذه الذرية « إلياس » وقال الطبري ٢٣/٩١ : هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن هارون » انتهى وهو الصحيح .

(٢ــ ٤) هذه الآثار عن التابعين ذكرها الطبري ٢٣/٩٢ وأبو حيان في البحر ٧/٣٧٣ وابن كثير ٧/٣٢ قال وقد روي عن ابن عباس ومجاهد ﴿ بعلاً ﴾ يعني : رباً ، وقال الضحاك : هو صنم كانوا يعبدونه ، وقال ابن زيد : هو اسم صنم ، كان يعبده أهل مدينة يُقال لها : « بعلبك » غربيَّ دمشق . اهـ.

هذا مِثْلُ قوله تعالى ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلاً ﴾ أي ربّاً[1] .

وحكى ابنُ إسحاقَ أنَّ ﴿ بَعْلاً ﴾ امرأةٌ كانوا يعبدونها[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : هذا بعلُ الدَّار : أي ربُّهَا[3] .

فالمعنى : أتَدعون رَبّاً اختلقتُموه ، وتَذَرونَ أحسنَ الخَالِقين ؟

وأصلُ هذا أنه يُقال لكل ما عَلَا وارْتَفَع : بَعْلٌ ، ومنه قيل : بَعْلُ المرأةِ ، ومنه قيل لِمَا شَرِبَ بماءِ السَّماءِ : بَعْلٌ[4] .

٥٥ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [آية ١٢٧] .

قال قتادة : أي في العذاب[5] .

---

(١) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في تفسيره زاد المسير ٨٠/٧ ولفظها : قال الضحاك : كان ابن عباس قد أعياه هذا الحرف ، فبينا هو جالس إذ مرَّ أعرابي قد ضلَّت ناقتُه ، وهو يقول : من وجد ناقةً أنا بعلها ؟ فتبعه الصبيان يصيحون يا زوج الناقة ، يا زوج الناقة ، فدعاه ابن عباس فقال : ويحك ما عنيت بقولك : أنا بعلها ؟ قال : أنا ربُّهَا ، فقال ابن عباس : صدق الله ﴿ أتدعون بعلاً ﴾ : أي رباً . اهـ.

(٢) ذكره ابن كثير ٣٢/٧ والقرطبي ١١٧/١٥ وغيرهما .

(٣) ذُكر أن ابن عباس سمع رجلاً من أهل اليمن ، يسومُ ناقةً بمنى فقال : مَنْ بعلُ هذه ؟ أي من ربُّها ؟ ذكره القرطبي ١١٧/١٥ .

(٤) في لسان العرب : البعل : كل شجر أو زرع لا يُسقى ، والبعل من النَّخل ما شرب بعروقه من غير سقي ولا ماء سماء ، وقيل : هو ما اكتفى بماء السماء . اهـ. وانظر اللسان ، والمصباح المنير مادة (بعل) .

(٥) لفظ الإحضار إذا أُطلق ، فإنه إنما يستعمل في الشر ، ولهذا فسَّره قتادة بقوله في العذاب ، وعلى ذلك جرى المفسرون ، قال الطبري : لمحضرون في عذاب الله ، وقال ابن كثير : لمحضرون للعذاب يوم الحساب . اهـ.

وقوله جلَّ وعز : ﴿ **سَلَامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ** ﴾ [آية ١٣٠] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ **سَلَامٌ عَلَى إِلْيَاسِينَ** ﴾ ففي قراءته قولان :

أحدهما : أن يكون ﴿ **إِلْيَاسِينَ** ﴾ و « إِلْيَاسَ » واحدٌ ، كما يُقال : سِينَاءُ ، وسِينِينَ(١) .

والثاني : ويجوز أن يكون جَمَعه مع أهل دينه ، كما يُقال : مَهَالبةٌ(٢) .

٥٦ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾** [آية ١٤٠] .

أي هَرَب(٣) .

قال طاووس : لمَّا ركب السفينةَ ركدتْ ، فقالوا : إن فيها

---

(١) الجمهور على أن ﴿ الياسين ﴾ اسمٌ لنبي الله « إلياس » عليه السلام ، فيقال له : إلياس ، ويُقال له « إلياسين » قال ابن جني : العرب تتلاعب بالأسماء الأعجمية تلاعباً ، فياسين ، وإلياس ، وإلياسين ، شيء واحد . اهـ. وانظر القرطبي ١١٨/١٥ وهذا اختيار الإمام الطبري في جامع البيان ٩٥/٢٣ .

(٢) هذا على القول الآخر بأن « إل » بمعنى « آل » أي سلام على ياسين وعموم آله وأتباعه ، وهذا قول أبي عُبيدة ، فكأنه جُمِعَ جَمْعَ المذكر السالم ، لأنه أراد هو وأهل بيته ، كما يُجمع ما يُنسب إلى الشيء بلفظ الشيء ، فتقول : رأيت المهالبة تريد بن المهلَّب ، والمسامعة تريد بني مسمع .

(٣) هذا قول الزجاج قال في المصباح : أَبَقَ العبدُ من باب ضرب : إذا هرب من سيِّده . اهـ.

رجلاً مشئوماً ، فقارعوه فوقعت القرعةُ عليه ثلاث مراتٍ ، فرمَوْا به ، فالتقمه الحوتُ[1] .

٥٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ [آية ١٤١] .

قال مجاهد : ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ أي من المَسْهُومينَ[2] .

قال أبو جعفر : أصلُ أدحضتُه : أزلقتُه .

وقال ابن عُيَيْنة : أي من المقمورين[3] .

٥٨ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ [آية ١٤٢] .

قال قتادة : أي مسيءٌ[4] .

---

(١) هذه الرواية ذكرها ابن الجوزي في تفسيره ٨٩/٧ وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٢٨٧/٥ ومعنى « ركدت » أي وقفت عن السير في وسط البحر ، وفي الدر أنهم لما اقترعوا ليلقوا أحدهم خرجت القرعة على يونس ، فقالوا : ما كنا لنفعل بك هذا ــ تكريماً له ــ ثم اقترعوا فخرجت القرعة عليه ثلاثاً ، فرمى بنفسه فالتقمه الحوت ، فأوحى الله إلى الحوت أن خذه ولا تخدشْ له لحماً ، ولا تكْسِر له عظماً ، فإني لم أجعله لك طعاماً ، بل جعلتُ بطنك له وعاء ، فمكث في بطن الحوت أربعين ليلة .

(٢) أي المغلوبين قال الفراء : يُقال : أدحض الله حجَّتك ، ودحضت حجته ، وأصله من الزَّلَق . اهـ. قال في البحر ٣٧٥/٧ : ﴿ فساهم فكان من المدحضين ﴾ أي من المغلوبين ، وحقيقته من المزلقين عن مقام الظفر في الاقتراع .

(٣) قال في المصباح : قامرتُه قماراً فقمرته : غلبته في القمار . اهـ. ورُوي عن ابن عباس : من المقروعين أي المغلوبين بالقرعة وهو أظهر .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/٢٣ عن قتادة قال : المسيء في صنعه ، وعن مجاهد وابن زيد « مليم » مذنب .

قال أبو جعفر : يُقال : أَلَامَ الرجلُ : إذا جاء بما يُلامُ عليه[1] .

٥٩ ــ وقوله جل وعزَّ : ﴿ فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ . لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [آية ١٤٤] .

رَوَى أبو رَزِين عن ابن عباس ﴿ من المُسَبِّحِينَ ﴾ قال : من المصلِّين[2] .

ثم قال ﴿ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [آية ١٤٤] .

قال مجاهد : أي في بطن الحوت[3] .

٦٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ [آية ١٤٥] .

قال يعقوب بنُ إسحاق[4] : قال الفراء : ﴿ العَرَاءُ ﴾ :

---

(١) هذا قول أهل اللغة ، قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٧٤/٢ : تقول العرب : ألامَ فلان في أمره ، وذلك إذا أتى أمراً يُلام عليه ، قال لبيد : « سَفَهاً عَذَلْتِ وَلُمْتِ غَيْرَ مَلُومِ » . اهـ. وقال الزمخشري : « مُليم » داخل في الملامة ، يُقال : ربَّ لائم مليم أي يلوم غيره وهو أحقُّ منه باللوم .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٠١/٢٣ وفي زاد المسير ٨٧/٧ وهو قول سعيد بن جبير والسدي ، وقال مجاهد ﴿ من المسبحين ﴾ من العابدين .

(٣) أي عقوبة له ، وقال قتادة : لصار بطن الحوت قبراً له ، إلى يوم القيامة . اهـ. الطبري ١٠١/٢٣ .

(٤) هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم « أبو عوانة » الاسفراييني ، محدث حافظ من أعلام فقهاء الشافعية توفي سنة ٣١٦هـ له كتاب : المسند الصحيح المخرج على صحيح مسلم ، انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٦٨/١ وتذكرة الحفاظ ٧٧٩/٣ ووفيات الأعيان ٤٠٧/٢ .

المكـانُ الخالي[1] ، ومنـه قولُ اللـهِ جلَّ وعـزَّ ﴿ **فَنَبَذْنَـاهُ بِالعَـرَاءِ وَهُـوَ سَقِيمٌ** ﴾ .

قال وقال أبـو عُبيـدة : العَـرَاءُ : وجـهُ الأرضِ ، وأنشد لرجـلٍ من خزاعة :

رَفَّعْتُ رِجْـلاً لا أَخَـافُ عِثَارَهَـا
وَنَبَذْتُ بالبَلَـدِ العَـرَاءِ ثِيَابِـي[2]

٦١ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ** : ﴿ **وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ** ﴾ [آية ١٤٦] .

رَوَى عَمْرُو بنُ ميمونٍ عن ابن مسعودٍ قال : هي القرعُ[3] .

وقال مجاهد : هي كلُّ شجرة على وجه الأرض لا ساق لها[4] .

---

(١) ذكره عنه القرطبي ١٢٩/١٥ ولم أره في معاني القرآن للفراء ، وإنما ذكره أهل اللغة ، قال أبو عُبيدة : العراءُ : الواسع من الأرض ، ووجه الأرض ، وقال في التسهيل ٣٨٢/٣ : العراء : الأرض الفضاء التي لا شجر فيها ولا ظلَّ ، وقيل : يعني الساحل ــ أي ساحل البحر ــ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عُبيدة ١٧٥/٢ والقرطبي ١٢٩/١٥ ولسان العرب لابن منظور مادة عَرَى ، ولم ينسبه في اللسان ، وقد استشهد به الطبري أيضاً ١٠١/٢٣ ولم يذكر قائله .

(٣) هذا الأثر عن ابن مسعود ذكره الطبري ١٠٢/٢٣ وهو مروي عن ابن عباس ، وعليه جمهور المفسرين ، قال ابن جزي في التسهيل ٣٨٣/٣ : واليقطين : القرعُ ، وإنما خصَّه الله به لأنه يجمع برد الظلّ ، ولين اللَّمس ، وكبر الورق ، وأن الذباب لا يقربه ، فإن لحم يونس لما خرج من البحر كان لا يحتمل الذباب ، وقيل : اليقطين كلُّ شجرة لا ساق لها كالبقول ، والقرع ، والبطيخ ، والأول أشهر .

(٤) الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري في تفسيره ١٠٢/٢٣ وذكر قولاً آخر عنه أنه القرع وهو قول الضحاك والسُّدي ، وهو الأشهر عند المفسرين ، وما ذكره الإمام النحاس ، هو قول الزجاج ، وأبي عُبيدة ، وغيرهم من علماء اللغة .

قال أبو جعفر : هذا الذي قاله مجاهدٌ ، هو الذي تعرفه العربُ ، يقعُ للقَرْع ، والحَنْظَل ، والبطِّيخ ، والكل ما لم يكن على ساقٍ ، وكأن اشتقاقَه من قَطَنَ بالمكانِ : أي أقامَ به ، وأنشدَ سيبويه :

« قَوَاطِناً مَكَّةَ مِنْ وُرْقِ الحَمِي »[1]

٦٢ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [آية ١٤٧] .

قال أبو جعفر : في معنى « أَوْ » أربعةُ أقوالٍ :

١ ــ قال أبو عُبيدة والفرَّاءُ : هي بمعنى : بَلْ[2] .

وهذا خطأٌ عند أكثرِ النحويين الحُذَّاقِ ، ولو كان كما قَالَا لكان : وأرسلناه إلى أكثرَ من مائةِ ألفٍ ، واستغنى عن « أَوْ »[3] .

(١) هذا من شواهد سيبويه ١/٢٦ في باب ما لا يجوز حذفه إلَّا في الشعر ، واستشهد بما أنشده العجاج :

وَرَبِّ هَذَا البَلَدِ المحَرَّم   قَوَاطِناً مكةَ من وُرْقِ الحَمِي

وهو من بحر الرجز الذي يسمى « حمار الشعراء » والمراد بالحَمِي الحَمام ، وانظر ديوان العجاج ص ٢٩٥ واللسان مادة حمم .

(٢) عبارة أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٧٥ : (أو يزيدون) « أو » ههنا ليس بشك ، وهي هنا بمعنى « بل يزيدون » وقال الفراء في معاني القرآن ٢/٣٩٣ : « أو » ههنا في معنى « بل » مع صحته في العربية .

(٣) « أو » في أصلها تفيد التشكك والتردُّد كما تقول : الخطيب الذي سمعنا كلامه بالأمس مصري =

٢ ــ **وقال القُتْبِيُّ**(١) : « أو » بمعنى الواو .

وهذا أيضاً خطأٌ ، لأنَّ فيه بُطْلانَ المَعَانِي(٢) .

٣ ــ **وقيل** : « أو » للإباحة(٣) .

٤ ــ **وقال محمد بنُ يزيدَ**(٤) : « أَوْ » على بابها ، والمعنى :

= أو شامي ، ولمَّا كان هذا لا يصح على الخالق جل وعلا ، لأنه لا تخفى عليه خافية ، فقد تأولها المفسرون على ثلاثة أقوال :

الأول : أنها بمعنى « بل » أي بل يزيدون ، وهذا مروي عن ابن عباس ، كما حكاه الطبري ، وإليه ذهب الفراء ، وأبو عبيدة .

الثاني : أنها بمعنى « الواو » والمعنى : وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون ، وهذا قول ابن قتيبة .

الثالث : أنها على أصلها للتردد والشكِّ بالنسبة لرؤية الناظر ، على معنى أن من رآهم شكَّ في عددهم فقال هم مائة ألف أو يزيدون ، وهذا قول المبرِّد ، كما حكاه القرطبي عنه قال : المعنى وأرسلناه إلى جماعة لو رأيتموهم لقلتم هم مائة ألف أو أكثر ، فالشك إنما هو من البشر ، لا من الخالق العليم ، وانظر تحقيق البحث في التفسير الكبير للرازي ١٦٦/٢٦ .

(١) القتبيُّ : هو الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري صاحب كتاب (مشكل القرآن) المتوفى سنة ٢٧٦هـ وانظر الأعلام ٢٨٠/٤ واستدل بقراءة جعفر بن محمد (وأرسلناه إلى مائة ألف ويزيدون) بالواو ، وقد عدَّها ابن جني في المحتسب ٢٢٦/٢ من القراءات الشاذة .

(٢) إنما قال المصنف « وفيه بطلان المعاني » لأن « الواو » لمطلق الجمع ، و « أو » للشك أو التخيير كما تقول : « استقبِ الحسن أو الحسين » فلو جعلنا الواو مكان « أو » لضاعت تلك المعاني التي دلت عليها الألفاظ .

(٣) مثل قولهم : اشتر هذا أو هذا ، ومعنى الآية على هذا القول : قولوا إنهم مائة ألف ، أو قولوا إنهم أكثر من ذلك .

(٤) هو الإمام المبرد كما تقدم ٥٥/١ وهذا القول هو الذي رجحه المصنف ، وضعَّف القول الأول والثاني ، وفي كلامه نظر ، لأن حبر الأمة « عبد الله بن عباس » هو الذي فسَّرها بمعنى « بل يزيدون » وكفى به جلالة وقدراً ، والفراء ، وأبو عُبيدة من كبار علماء العربية قالوا : إنها صحيحة من حيث اللغة ، والله أعلم .

أرسلناه إلى جماعةٍ لو رأيتموهم لقلتم : مائةُ ألفٍ ، أو أكثرُ .

ورُوي عن ابن عباس : قال أُرْسِل إلى مائةِ ألفٍ وثلاثينَ ألفاً[١] .

قال أبو مالك : أقام في بطن الحوت أربعين يوماً[٢] .

قال ابن طاووس : أنبتَ الله عليه شجرةً من يقطين وهي « الدُّبَّاءُ » فكانت تُظِلُّهُ من الشمس ، ويأكل منها ، فلما سقطتْ بكى عليها ، فأوحى اللهُ جلَّ وعز إليه : أتحزنُ على شجرةٍ ، ولا تحزنُ على مائة ألفٍ أو يزيدون ؟ تابوا فلم أُهْلِكهم[٣] .

قال سعيدُ بن جُبير : أرسل اللهُ جل وعزَّ على الشجرة الأَرَضَةَ ، فقطَّعَتْ أصولهَا ، فحزِن عليها ، وذكر الحديث

قال مجاهد : كانت الرسالة قبل أن يلتقمه الحوتُ[٤] .

---

(١) الأثر ذكره ابن كثير ٣٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩١/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٩٠/٧ .

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير أقوالاً للسلف ، في مقدار مكث يونس في بطن الحوت ، فقيل : ثلاثة أيام ، وقيل سبعة ، وقيل أربعين ، وقيل : التقمه ضحىً ، ونَبَذه قبل غروب الشمس ، ثم قال : والله أعلم بمقدار ذلك . اهـ.

(٣) ذكر هذا الأثر ابن الجوزي في تفسيره ٨٨/٧ عن ابن مسعود قال : كان نبيّ الله يستظل بها ويصيب منها ، فيبست فبكى عليها ، فأوحى الله إليه : أتبكي على شجرة إن يبست ، ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردتَ أن تهلكهم ؟ وذكره السيوطي في الدر المنثور ٢٩٠/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٨/١٥ كما ذكر رواية سعيد بن جبير مفصَّلة .

(٤) هذا هو الصحيح من أقوال المفسرين أن رسالة يونس عليه السلام كانت قبل أن يبتلعه الحوت ، لأنه عندما دعى قومه إلى الله لم يؤمنوا ، فأنذرهم بعذاب قريب ، وغادرهم مغضباً لأنهم كذَّبوه ،=

قال أبـو جعفـر : حدثنـا إبراهيـمُ بنُ محمَّـدِ بن عَرَفَـةَ ، قال : حدثنا العباسُ بنُ محمد ، قال : حدثنا أبو النعمان محمدُ بن الـفضل ، قال : حدثنـا أبـو هلالٍ ، قال : حدثنـا شهـرُ بنُ حَوْشَبَ عن ابـــن عباس ، قال : إنما كانت رسالةُ يونسَ ﷺ بعد ما نَبَذَهُ الحوتُ ، وتـلا هذه الآية ﴿ **وإنَّ يُونُسَ لَمِـنَ الْمُرْسَلِيـنَ** .. ﴾ حتـى بلـغ إلى قولـــه ﴿ **وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَـةِ أَلْـفٍ أَوْ يَزِيـدُونَ** ﴾ قال : كانت الرسالـة بعـد ذلك[1] .

٦٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [آية ١٤٨] .

رَوَى معْمَرٌ عن قَتادة قال : إلى الموتِ[2] .

= فقاده الغضب إلى شاطىء البحر ، وحدث له ما حدث ، ثم رده الله إلى قومه بعدما آمنوا .. وانظر تحقيق البحث في البحر المحيط ٣٧٦/٧ وفي روح المعاني ١٤٧/٢٣ .

(١) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه الطبري ١٠٥/٢٣ وابن كثير ٣٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩١/٥ وهو قول مرجوح ، والراجح الذي عليه أكثر المفسرين ما ذهب إليه مجاهد ، والحسن ، وقتادة أن الله بعثه إلى أهل « نينوى » قبل أن يلتقمه الحوت ، ثم غاب عنهم ، ثم رجع إليهم بعدما آمنوا ، والدليل على أنه بلَّغهم الرسالة قبل ذلك قوله تعالى ﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخِزْي في الحياة الدنيا .. ﴾ الآية . فقد نسب القوم إليه ، وأخبر أنهم نفعهم الإيمان بعد غيبة نبيهم عنهم ، فكشف الله عنهم العذاب ، ولو لم تبلغهم الدعوة ما استحقوا العقاب ، قال الألوسي ١٤٧/٢٣ : والإرسال على ما أخرج غير واحد عن مجاهد ، والحسن ، وقتادة ، هو الإرسال الأول الذي كان قبل أن يلتقمه الحوت ، فالعطف في قوله ﴿ وأرسلناه ﴾ على سبيل البيان لدلالته على ابتداء الحال وانتهائه ، واعترض بينهما بقصته اعتناء بها لغرابتها .

(٢) يعني إلى انتهاء آجالهم بالموت ، فلم يُهْلَكوا بالعذاب لأنهم آمنوا ، وهذا الأثر ذكره الطبري ١٠٥/٢٣ والألوسي ١٤٨/٢٣ .

٦٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ [آية ١٤٩] .

أي فاسألهم سؤال توبيخ[١] .

ورُوي عن جماعةٍ من القراء أنهم قرءوا ﴿ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴾ بوصل الألف ، وأنكر أبو حاتم[٢] هذه القراءة[٣] .

قال أبو جعفر : وهي جائزةٌ ، على أن يكون مردوداً على القول ، وعلى أنه قد يكون التوبيخ بغير ألف استفهام[٤] .

٦٥ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ . فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ

---

(١) إنما كان السؤال هنا للتوبيخ ، لأنه تعالى ذكره بعده تقريع المشركين بقوله ﴿ ما لكم كيف تحكمون ؟ أفلا تذكَّرون ﴾ ؟ .

(٢) أبو حاتم هو الإمام النحوي اللغوي سهل بن محمد السجستاني المتوفى سنة ٢٥٥هـ روى عن أبي عبيدة والأصمعي ، وأخذ عنه المبرد وابن دريد ، وانظر معجم المؤلفين ٤/٢٨٥ .

(٣) هذه القراءة التي أنكرها أبو حاتم من القراءات السبع ، وهي قراءة أبي جعفر ، ورواية عن نافع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٤٩ والعشر لابن الجزري ٢/٣٦٠ قال أبو حيان في البحر المحيط ٧/٣٧٧ : قرأ الجمهور (أصطفى) ؟ بهمزة الاستفهام على طريقة الإنكار والاستبعاد ، وقرأ نافع بوصل الألف ﴿ وإنهم لكاذبون . اصطفى البنات ﴾ وهو من كلام الكفار ، حكى الله شنيع قولهم ، وهو أنهم ما كفاهم أن قالوا : ولَدَ الله ، حتى جعلوا ذلك الولد بنات الله ، والله تعالى اختارهم على التبيين . اهـ.

أقول : لا يعتد بإنكار أبي حاتم طالما هي من القراءات السبع .

(٦) هذا هو قول الفراء كما في كتابه معاني القرآن ٢/٣٩٤ حيث قال ﴿ اصْطَفَى البنات على البنين ﴾ ؟ استفهام وفيه توبيخ لهم ، وقد تُطرح ألف الاستفهام من التوبيخ ، ومثله قوله تعالى ﴿ أذهبتم طيباتكم ﴾ يستفهم بها ولا يستفهم ، ومعناهما جميعاً واحد . اهـ.

صَادِقِينَ ﴾ [آية ١٥٧] .

قال السُّدِّي : ﴿ سُلْطَانٌ ﴾ أي حُجَّة **﴿ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ ﴾** قال : بحُجَّتكم أن كتاباً جاءكم بهذا[١] .

٦٦ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً .. ﴾** [آية ١٥٨] .

قال الفراء : ﴿ الجِنَّةُ ﴾ ههنا : الملائكةُ ، أي قالوا : الملائكةُ بناتُ اللَّهِ[٢] .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : قالوا : يعني كفَّارَ قريش ــ الملائكةُ . بناتُ اللَّهِ ، فقال أبو بكرٍ : فمَنْ أُمَّهاتُهنَّ ؟ قالوا : مُخَدَّراتُ الجنِّ[٣] .

ورَوَى سعيدٌ عن قتادة قال : قالوا صَاهَرَ اللَّهُ جلَّ وعزَّ الجنَّ ،

---

(١) السلطان في اللغة : الحجة والبرهان ، وهو قول السدي ، وقتادة ، وعلماء السلف كما رواه الطبري وغيره ، ومعنى الآية : هل لكم حجة واضحة ، وبرهان بيِّن ، على صحة ما تقولون ، بأن الملائكة بنات الله ؟ إن كان لكم حجة ، فائتوا بهذا الكتاب ، الذي يشهد بصحة دعواكم فيما تزعمون ، والغرض تعجيزهم ، لأنهم ليس لهم كتاب يحتجون به .

(٢) لم يجزم الفراء في تفسير ﴿ الجِنَّة ﴾ بالملائكة ، وإنما أورده بلفظ الحكاية : يُقال الجِنَّة ههنا الملائكة أي جعلوا بينه وبين خلقه نسباً ، كما في معاني القرآن ٢/٣٩٤ وهذا التفسير خلاف الظاهر المشهور كما سنبينه إن شاء الله .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٠٨/٢٣ والقرطبي ١٣٤/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٢ ومعنى « مخَدَّارات الجنِّ » جمع مخدَّرة وهي التي لزمت الخِدر أي دخلت في الستر والخباء ، لتستتر عن الأنظار ، وانظر اللسان .

فوَلدتِ الملائكة(١) .

ورَوَى جويبرٌ عن الضحاك في قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجِنَّةِ نَسَباً .. ﴾ قال : قالوا : إبليسُ أخو الرحمنِ جلَّ وعزَّ(٢) .

٦٧ ــ وقولُه جل وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾ [آية ١٥٨] .

أي ولقد علمتِ الجِنَّةُ ، أن الذين قالوا هذا ، لمحضرونَ العذابَ ، كذا قال السُّدِيُّ ، وهو صحيحٌ ، وكذا كلُّ ما في السورة من محضرين(٣) .

---

(١) هذا قول اليهود لعنهم الله ، كما ذكره القرطبي عن قتادة ، والكلبي ، ومقاتل ، قال : قالت اليهود لعنهم الله : إن الله صاهر الجنَّ ، فكانت الملائكة من بنيهم . اهـ.

(٢) هذه أيضاً رواية العوفي عن ابن عباس كما حكاها الطبري ١٠٨/٢٣ وابن كثير ٣٧/٧ حيث قال في قوله تعالى ﴿ وجعلوا بينه وبين الجِنَّةِ نسباً ﴾ قال ابن عباس : زعم أعداء الله ، أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخَوَان ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً . اهـ.

أقول : وهذا القول يدل على أن المراد بالجنة الشياطين لا الملائكة ، وهو الصحيح لأنه هو المشهور من لفظة « الجِنَّة » وهو المعروف من اللغة كما قال سبحانه ﴿ من الجِنَّة والناس ﴾ ويدل عليه قوله تعالى ﴿ ولقد عَلمت الجنة إنهم لمحضرون ﴾ أي في العذاب ، وهذا واضح على أن المراد بهم الجن ، وهو ما رجحه أبو حيان والألوسي .

(١) لفظ « المُحْضَر » إذا أطلق فإنه يوحي بالعقوبة والعذاب ، لأنه يدل على أن صاحبه مجرم ، سيق للعقاب ، وقد سبق ذكره في هذه السورة ﴿ ولولا نعمةُ ربي لكنتُ من المحضرين ﴾ أي من المحضرين للعذاب ، وهو ما رجحه الطبري ، قال الثعلبي : تكرر الإحضار في هذه السورة ولم يرد به إلا العذاب .

وقال مجاهد : ﴿ لَمُحْضَرُونَ ﴾ الحِسَابَ[1] ، يعني الجِنَّ .

٦٨ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ . مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ [آية ١٦٢] .

أي ما أنتم به مضلِّين .

﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الجَحِيمِ ﴾ .

قال ابن عباس : أي لا تُضِلُّون إلاَّ مَنْ سَبَقَ في قَضَائِي أنه يَضِلُّ[2] .

قال الحسن وإبراهيم ، ومحمد بن كعب ، والضحاك : هذا معنى قوله ﴿ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴾ أي لن تَفْتِنُوا إلاَّ من قَضَيْتُ عليهِ بذلك[3] .

---

(١) هذا القول مبني على تفسير الجن بالملائكة كما قاله مجاهد لاستتارهم عن الأنظار ، ولهذا فسَّره هنا بالحساب .

(٢) الأثر ذكره الطبري في تفسيره عن ابن عباس ١٠٩/٢٣ وهذا هو المشهور الراجح عند المفسرين ، أن المراد ﴿ بفاتنين ﴾ أي مضلِّين ، والمعنى : لا تُضلُّون من عبادي ، ولا تقدرون على إغواء أحد ، إلَّا بقضاء الله ، وقال النحاس في إعراب القرآن ٧٧٥/٢ : أهل التفسير مجمعون ـــ فيما علمتُه ـــ على أن المعنى : ما أنتم بمضلين أحداً ، إلَّامن قدَّر الله جلَّ وعز عليه أن يضلَّ ، ففي هذه الآية ردٌّ على القدرية ـــ يعني المنكرين للقدر ـــ من كتاب الله جل وعز ، وفيها من المعاني أن الشياطين لا يَصِلون إلى إضلال أحدٍ ، إلَّا من كتب الله جل وعز عليه أنه لا يهتدي ، ولو علم الله أنه يهتدي لحال بينه وبينهم . اهـ.

(٣) انظر هذه الأقوال عن السلف في الطبري ١٠٩/٢٣ والقرطبي ١٣٦/١٥ والدر المنثور ٢٩٣/٥ .

٦٩ ـــ **ثم قال جل وعز :** ﴿ **وَما مِنَّا إلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ** ﴾ [آية ١٦٤] .

قال الشعبيُّ : جاء جبرئيل أو مَلَكٌ إلى النبي ﷺ فقال : تقوم أدنى من ثُلُثَي الليل ، ونصفَه ، وثُلُثَه ؟ إن الملائكة لتصلّي وتسبِّحُ ، ما في السماء مَلَك فارغٌ(١) .

٧٠ ـــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ **وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ . وَإِنَّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُونَ** ﴾ [آية ١٦٦] .

قال مجاهد وقتادة : هذا من قول الملائكة(٢) .

٧١ ـــ **وقوله جلَّ وعز :** ﴿ **وَإِنَّ كَانُوا لَيَقُولُونَ . لَوْ أَنَّ عِنْدَنا ذِكْرَاً مِنَ الأَوَّلِينَ** ﴾ [آية ١٦٨] .

رُوي عن الضحاك(٣) **قال :** هذا قول مشركي مكة ، فلما جاءهم ذكر الأولين ، وعلمُ الآخرين ، كفروا به فسوف يعلمون(٤) .

---

(١) لم أر هذا الأثر بلفظه إلا في القرطبي ١٥/١٣٨ وقد ورد ما يؤيده في الأحاديث الصحيحة من أنَّ الملائكة مستغرقون في عبادة الله ، يصفون صفوفهم في الصلاة ، ويُسبِّحون الله ، منها ما رواه مسلم (ألا تصفون كما تَصُفُّ الملائكة عند ربها ؟ يُتمُّون الصفوف الأُوَل ، ويتراصُّون في الصف) ومن حديث (أطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئطَّ ، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه مَلَك قائم أو راكع أو ساجد) ثم تلا ﴿ وإنا لنحن الصافون .. وإنا لنحن المسبِّحون ﴾ رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد في المسند ٥/١٧٣ .

(٢) انظر الأثر في الطبري ٢٣/١١٢ وابن كثير ٧/٣٩ والدر المنثور ٥/٢٩٤ .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من الطبري ، والقرطبي ، ومعاني القرآن للزجاج .

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري ٢٣/١١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٤ .

قال أبو إسحق : كان كفار قريش يقولون : لو جاءنا ذكرٌ كما جاء غيرنا من الأولين ، لأخلصنا العبادة للّهِ عز وجل ، فلما جاءهم كفروا به ، فسوف يعلمون مغَبَّةَ كفرهم ، وما ينزل بهم من العذاب ، والانتقام منهم ، في الدنيا والآخرة[1] .

٧٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾** [آية ١٧١] .

أي سبق منا القولُ لرسلنا ، إنهم لهم المنصورون ، أي مضى بهذا منا القضاءُ والحكم .

قال الفراء : أي سبقت لهم السعادة ، وهي في قراءة عبدالله **﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا عَلَى عِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾**[2] .

وقيل : أراد بالكلمة قوله عز وجل **﴿ كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾**[3] .

٧٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾** [آية ١٧٧] .

أي نزل بهم العذاب ، ومعنى **﴿ بِسَاحَتِهِمْ ﴾** أي بدارهم ،

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣١٦/٤ .

(٢) انظر معاني الفراء ٣٩٥/٢ وهذه القراءة ليست من السبع ، بل هي شاذة ، قال الفراء . و « على » تصلح في موضع اللام .

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢١ .

والسَّاحةُ في اللغة : فناء الدار الواسع .

﴿ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴾ أي فبئس صباحُ الذين أنذروا بالعذاب ، وفيه إضمارٌ ، أي فساء الصَّباحُ صُباحهم . وفي الحديث (اللهُ أكبرُ ، خربتْ خيبرُ ، إنَّا إذا نزلنا بساحة قومٍ ، فساء صباح المنذرين)[1] .

٧٤ ـ **وقولُه جلَّ وعز ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ . وسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ . والحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾** [آية ١٨٠ ـ ١٨٢] .

نزَّه سبحانه نفسه عما أضاف إليه المشركون من الصاحبة والولد ﴿ رَبِّ الْعِزَّةِ ﴾ على البدل ، ويجوز النصبُ على المدح ، والرفعُ بمعنى هو ربُّ العزة .

وسئل رسول الله ﷺ عن معنى « سبحان الله ، فقال : هو تنزيه اللهِ عن كلِّ سوءٍ » .

* * *

« تمت سورة الصافات »

(١) الحديث أخرجه البخاري في المغازي ، باب غزوة خيبر ١٦٧/٥ ومسلم في الجهاد برقم ١٣٦٥ وأحمد في المسند ٢٨/٤ .

تفسير سورة ص

مكية وآياتها ٨٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعز ﴿ صٓ ﴾ .

بإسكان الدَّالِ ، لأنَّها من حروف التهجِّي ، وتُقرأ صَاد .

والأجودُ عند سيبويه فيها الإسكـانُ ، ولا تُعْـرَبُ ، لأن حكمهـا الوقوفُ عليها ، فهىَ مثلُ حروفِ الهجاءِ ﴿ الٓمٓ ﴾ و﴿ الٓمٓرٰ ﴾ .

و ﴿ صٓ ﴾ إذا جعلتَهُ اسماً للسورة لم يَنْصرِف .

قال مجاهد : هو فاتحة السورة .

[**وقال قتادة** : هو اسم من أسماء الرحمن[2] .

وقال محمد بن كعب : هو مفتـاح أسماء الله تعـالى « صمـد » و« صادق الوعد »[3]] .

---

(١) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٤٢/١٥ : مكية في قول الجميع ، وهي ست وثمانون آية .

(٢) يوجد سقط في المخطوطة وهـي ما بين الحاصرتين ، وقـد أثبتنـاه عن الإمـام النحـاس ، من كتابـه إعراب القرآن ، والله أعلم .

(٣) انظر هذه الآثار عن السلف في الطبري ١١٧/٢٣ وزاد المسير لابن الجوزي ٩٧/٧ والدر المنثور للسيوطي ٢٩٦/٥ والراجح من الأقوال ، أن هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على إعجاز القـرآن ، وأنه كلام الرحمن جل وعلا ، أنزلـه على نبيٍّ أميٍّ ، لا يعـرف القـراءة ولا الكتابـة ، وأنـه مركبٌ ومنظومٌ من أمثال هذه الحروف ، ومع ذلك فقد عجـز بلغاؤهـم ، وفصحاؤهـم ، وعباقـــرتهم عن

ورُوي أن الضحاك قال : ﴿ صَادْ ﴾ : صدقَ اللَّهُ .

وقراءةُ الحسن : ﴿ صَادِ ﴾ بكسر الـدَّالِ[1] ، معناهـا : صَادِ القرآن بعملِكَ .

يُقالُ : صَادَيْتُه أي قَابَلْتُه ، وهذا مشهورٌ عند أهل اللغة .

ويجوز أن يكون كُسِرَ لالتقاء السَّاكِنَيْنِ.

والفتح من ثلاثِ جهات :

أ ـــ **قيل منها أن يكون قَسَماً** : اللَّهَ لأفعلنَّ .

ب ـــ **ومنها أن يكون بمعنى** : اتلُ صَادَ والقرآن .

جـ ـــ **ومنها أن يكون** فُتِحَ لالتقاء الساكِنَيْنِ[2] .

= مضاهاته ، والإتيان بمثل آياته المعجزات ، قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى ﴿ آلـم ﴾ من سورة البقـرة : « وإنما ذكـرت هذه الحروف في أوائـل السور بياناً لإعجـاز القـرآن ، وأن الخلـق عاجزون عن معارضته بمثله ، مع أنه مركَّب من هذه الحروف المقطعة التـي يتخاطبـون بها ، وهـو قول جمع من المحققين ، وقـد قرره الـزمخشري في تفسيره « الكشاف » ونصره أتَـم نصر ، وإليـــه ذهب الإمـام ابـن تيميـة ، ثم قال : ولهذا فكـل سورة افتتـحت بالحروف فلا بد أن يذكـــر فيها الانتصار للقرآن مثل ﴿ آلم ذلك الكتاب ﴾ ﴿ حم والكتاب المبين ﴾ « المص . كتـاب أنـزل إليك » . اهـ.

(١) ذكـر ابـن جنـي في المحتسب ٢٣٠/٢ قراءة الـكسر « صَادِ » والفتـح « صادَ » وبيَّـــن أنها من الشواذ .

(٢) قال في المحتسب ٢٣٠/٢ : المأثور عن الحسن أنه إنما كان يكسر الدَّال من « صَادِ » لأنه عنـده أمر من المصاداة أي عارض عملك بالقرآن ، وقد يجوز أن من فتح الـدال جعـل « صَادَ » عَلَمـاً للسورة ، فلم يصرفه ، فالفتحة على هذا فتحة إعراب ، وبفتح الـدال قرأ الثقفـي ، قال ومعنـاه : صادَ محمد قلوب الخلق ، واستمالها حتى آمنوا به وأحبُّوه . اهـ.

والقراءةُ بكسر الدَّال والتنوين ، لحنٌ عند أكثر النحويين[1] ، وإن كان ابنُ أبي إسحاق من كبراء لنحويِّيـنَ ، إلاَّ أنَّ بعض النحويِّيـنَ قد أجازها ، على أن تُخْفَضَ على القَسَم ، أجاز ذلك سيبويه .

٢ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ ﴿ وَالْقُرآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾** [آية ١] .

رَوَى سفيانُ عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، ومِسْعَرٌ عن أبي حُصَيـنٍ ، في قول الله جلَّ وعزَّ **﴿ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾** أي ذي الشَّرَف[2] .

وهذا مِثْلُ قولِه جلَّ وعز ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾[3] .

وقيل : معنى ﴿ ذِي الذِّكْرِ ﴾ فيهِ ذِكْرُ الأُمَمِ ، وغيرهم[4] .

---

(١) قال القرطبي ١٤٣/١٥ : وقرأ ابن أبي إسحاق « صادٍ » بكسر الدال والتنوين ، على أن يكون مخفوضاً ، على حذف حرف القسم ، وهذا بعيد ، وإن كان سيبويه قد أجاز مثله .

(٢) هذا قول ابن عباس كما في تفسير الطبري ١١٨/٢٣ وتفسير ابن الجوزي ٩٨/٧ وقال القرطبي ١٤٤/١٥ : وهو قول الضحاك أيضاً ثم قال : ومعنى ذي الشرف أنَّ من آمن به ، كان شرفاً له في الدارين ، كما قال سبحانه ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي شرفكم ، وأيضاً القرآن شريف في نفسه لإعجازه ، واشتماله على ما لا يشتمل عليه غيره

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٤٤ .

(٤) هذا القول غريب وقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٨٣/٧ فقال : وقيل : ذي الذكر للأمم ، والقصص والغيوب والشرائع . اهـ. والأقرب منه أن الذكر بمعنى الموعظة والتذكير ، أي فيه تذكيركم وهدايتكم ، وهو قول قتادة ، قال ابن كثير : ولا منافاة بين قول ابن عباس وقتادة ، فإنه كتاب شريف، مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار ، ذكر لمن يتذكر ، وعبرة لمن يعتبر . اهـ.

فأما جواب القسم فقيل : إنه في قوله ﴿ **إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ** ﴾[1] وهذا بعيدٌ جداً ، لأنه قد اعترضتْ أقاصيصُ وأخبار .

وقيل : الجوابُ في قوله تعالى ﴿ **كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ** ﴾ .

والمعنى : لَكَمْ أهلكنا ، وحُذفت اللَّامُ كما قال تعالى ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا** ﴾ وهو مذهبُ الفراء[2] .

وقيل : الجواب ﴿ **إِنْ كُلٌّ إِلاَّ كَذَّبَ الرُّسُلَ** ﴾[3] .

وقيل : الجوابُ محذوفٌ ، أي ما الأمرُ كما يقول هؤلاء الكفَّارُ .

ودلَّ على هذا قولُه تعالى ﴿ **بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ**

---

(١) هذه الآية في آخر السورة ، بعد ثلاث وستين آية ، فكيف تكون جواباً ؟ ولهذا استبعده المصنف ، كما استبعده الفراء في معاني القرآن ٢/٣٩٧ فقال : وذلك كلام قد تأخر تأخراً كثيراً ، وجرت بينهما قصص مختلفة ، فلا نجد ذلك مستقيماً في العربية ، وقال ابن الأنباري : هذا قبيح ، لأن الكلام قد طال كثيراً فيما بين القسم وجوابه .

(٢) عبارة الفراء ٢/٣٩٧ ﴿ والقرآن ﴾ يمين اعترضه كلام ، فصار جوابها جواباً للمعترض ولها ، فكأنه أراد ﴿ والقرآن ذي الذكر لَكَمْ أهلكنا ﴾ فلما اعترض قوله ﴿ بل الذين كفروا في عزَّة وشقاقٍ ﴾ صارت « كم » جواباً للعزة ولليمين ، ومثله ﴿ والشمس وضُحاها ﴾ اعترضه ﴿ ونفسٍ وما سوَّاها ﴾ فصارت ﴿ قد أفلح ﴾ . اهـ.

(٣) حكاه الأخفش عن بعضهم ، كما ذكره القرطبي عنه في تفسيره ١٥/١٤٤ وهو قول مرجوح ، وقال ابن الأنباري : وهذا قبيح ، لأن الكلام قد طال فيما بينهما ، وكثرت الآيات والقصص ، وانظر معاني الأخفش ٢/٦٧٠ .

وَشِقَاقٍ ﴾ وهو مذهب قتادة[1] .

وهـــو أولى الأقـــوال ، لأنَّ « بَلْ » قد حَـلَّت محلَّ الجواب ، فاستغنى بها عنه .

٣ ــ **ثم خبَّـر اللّـهُ جلَّ وعـزَّ بعنادهـم وانحرافهـم عن الحقِّ فقـال : ﴿ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾**[2] [آية ٢] .

أي خــلاف .

٤ ــ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَـا مِنْ قَبْلِهِـمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَـادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾** [آية ٣] .

و ﴿ **كَمْ** ﴾ للتكثير في كلام العرب[3] .

٥ ــ **ثم قال جلَّ وعـزَّ ﴿ فَنَـادَوْا ﴾** أي بالتوبـة والاستغاثـة **﴿ وَلَاتَ حِيـنَ مَنَاصٍ ﴾** [آية ٣] .

رَوَى أبـو إسحـاق ، عن التميمـيِّ ، عن ابـن عبـاسٍ ﴿وَلَاتَ

---

(١) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٩٩/٧ والقرطبي ١٤٤/١٥ وهو الذي رجحه الطبري في تفسيره ١١٩/٢٣ فقـال : والصواب عنـدي ما قالـه قتـادة ، لأن « بل » دلت على التكـذيب فمعنـى الكلام : ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم في عزة وشقاق .

(٢) قال ابن الجوزي ٩٩/٧ : العزَّة : الحميَّة والتكبر عن الحق ، والشقاق : الخلاف والعـداوة لرسول الله ﷺ ، وقال القرطبـي « شقـاق » خلاف ومباينـة وهـو من الشق كأن هذا في شق وذاك في شق . اهـ.

(٣) « كَمْ » في لسان العـرب تفيـد التكـثير ، قال الطبري ١٢٠/٢٣ : والمعنـى : كثيراً أهلكنـا من قبل هؤلاء المشركين من قريش ، الذين كذبوا رسولنا محمداً ﷺ .

حِينَ مَنَاصٍ ﴾ : قال : ليس حين نَزْوٍ ، ولا فرار[1] .

وقال عكرمة : ليس حين انقلاب[2] .

وقال قتادة : نادوا حين لا حينَ نداء[3] .

قال أبـو جعفـر : هذه الأقـوال متقاربـــةٌ ، أي ليس حين نداءٍ مُنجي .

والمعنـى : ليس حين فَوْتٍ ، وأصلُـــه من نَاصَ يَنُـــوصُ : إذا تأخَّر[4] ، وبَاصَ يَبُوصُ : تقدَّم كما قال الشاعر :

أَمِـنْ ذِكْـرِ لَيْلَـــى إِذْ نَأَتْكَ تَنُـــوصُ
فَتَـــقْصِرُ عنهـــا تَارَةً وَتَبُـــــوصُ[5]

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٢١/٢٣ والقرطبي ١٤٥/١٥ عن ابن عباس ، ومعنى قوله « نَزْوٍ » أي جَرْيٍ وركض ، كقوله تعالى ﴿ لا تركضوا وارجعوا إلى ما أُترِفتم فيه ﴾ .

(٢) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور عن عكرمة ٣٩٦/٥ ومعناه قريب من قول ابن عباس .

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٢١/٢٣ وابن كثير ٤٤/٧ والألوسي ١٦٣/٢٣ ولفظه وقـال الحسن وقتادة : رفعوا أصواتهم بالتوبة حين عاينوا العذاب لينجوا منه ، وليس الحينُ حينَ فوات ونجاة . اهـ.

(٤) في اللسان : نَاصَ يَنُوصُ مَنَاصاً : نجا وفي التنزيل ﴿ وَلَاتَ حين مَنَـاص ﴾ أي وقت طلب ومُغاث ، وقيل معناه أي استغاثوا وليس ساعة ملجأ ولا مهرب ، والنَّوصُ : الفِرار ، والمنَاصُ : المهربُ . اهـ.

(٥) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ١٧٧ وهو من شواهد الفراء ٣٩٧/٢ وقد ذكره بلفظ « خطوة » بدل « تارة » وانظر الطبري ١٢٠/٢٣ ومختار الشعر الجاهلي ١٢٧/١ وزاد المسير ١٠١/٧ واللسان ، والصحاح . قال ابن جُزي في التسهيل ١٧٩/٣ معنى الآية : ليس الحين الذي دَعَوا فيه حين مفرٍّ ونجاة ، و « لات » بمعنى ليس ، وأصلها « لا » النافية زيدت عليها علامة التأنيث ، كما زيدت في « رُبَّت » و « ثُمَّت » . اهـ.

٦ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [آية ٥] .

عُجَابٌ ، وعَجِيبٌ ، بمعنىً واحد[(١)] ، كما تقول : طويلٌ ، وطُوَالٌ ، وكذلك ﴿ عُجَّابٌ ﴾ قرأ به أبو عبدالرحمن[(٢)] .

٧ ــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ .. ﴾ [آية ٦] .

رَوَى سفيانُ ، عن إبراهيمَ بنِ مُهَاجر ، عن مجاهد ﴿ وَانْطَلَقَ المَلأُ مِنْهُمْ ﴾ قال : هو « عُقْبَةُ بنُ أبي مُعَيْطٍ »[(٣)] ﴿ أَنِ

---

(١) قال اللغويون : العُجَاب ، والعجيب ، والعُجَّاب ، بمعنى واحد ، كما تقول : كبير ، وكُبَار ، وكُبَّار ، كما نُقل عن أبي عبيدة والفراء ، وغيرهما ، واستشهدوا بقوله ﴿ ومكروا مكراً كُبَّاراً ﴾ أي كبيراً ، وفرَّق الخليل بين عجيب ، وعُجَاب ، فقال : العجيب : العجب ، والعُجَاب : الذي قد تجاوز حد العجب . وانظر القرطبي ١٥/١٥٠ .

(٢) يراد به « أبو عبد الرحمن السلمي » أحد القراء المشهورين ، وهذه القراءة ﴿ لَشَيء عُجَّاب ﴾ من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٠ وهي لغة أزد شنوءة كما في القرطبي .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد ، ذكره الطبري في تفسيره ٢٣/١٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٢٩٦ ومعنى الملأ في اللغة : أشراف القوم ، الذين يملأون العين هيبةً وإجلالاً ، و « عقبة بن أبي معيط » هو قائل هذه المقالة ، للنَّفر من مشيخة قريش .

وسبب نزول هذه الآيات ما ذكره الطبري ٢٣/١٢٧ والحافظ ابن كثير ٧/٤٦ من رواية السدي أن ناساً من قريش اجتمعوا فيهم « أبو جهل » و « العاص بن وائل » و « الأسود بن عبد يغوث » في نفر من مشيخة قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى أبي طالب ، فلتكلمه في محمد ، فلينصفنا منه ، فليكفَّ عن شتم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه الذي يعبده ، فإننا نخاف أن يموت هذا الشيخ ــ يعنون أبا طالب ــ فيكون منا إليه شيء ، فتعيرنا العرب فيقولون : تركوه حتى إذا مات عمُّه تناولوه .

امْشُوا ﴾ « أَنْ » تفسيرٌ .

ويجوز أن يكون معناه : بأن امشُوا ، واصبِرُوا على آلهتكم ، فخبَّر اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، بإقامتهم على الكفر .

٨ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَـذَا فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ إنْ هَذَا إلاَّ اخْتِلَاقٌ ﴾** [آية ٧] .

رَوَى ابراهيم بن مهاجر عن مجاهد : وعليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس ، قالا : ﴿ **فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ** ﴾ في النصرانية(١) .

= قال : فبعثوا رجلاً منهم يقال له « المطَّلِبُ » فاستأذن لهم على « أبي طالب » فقال : هؤلاء مشيخة قومهم وسَرَواتهم ــ أي رؤساؤهم وكبراؤهم ــ يستأذنون عليك ، قال : أَدْخِلهم ، فلما دخلوا عليه قالوا : يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا ، فأنْصِفْنا من ابن أخيك ، فَمُرْه فليكفَّ عن شتم آلهتنا ، ونَدَعه وإلهه ، قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخل عليه رسول الله ﷺ قال : يا ابن أخي ، هؤلاء مشيخة قومك وسَرَواتهم ، وقد سألوك الـنَّصَف ــ أي العَدْل والإنصاف ــ أن تكفَّ عن شتم آلهتهم ، ويدعوك وإلـهَكَ ، قال : يا عم ، أَوَلا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلامَ تدعوهم يا ابن أخي ؟ قال : أدعوهم إلى كلمة واحدة ، تدين لهم بها العرب ، ويملكون بها العجم !! فقال أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيكَ لنعطينَّكها وعشرة أمثالها ؟ قال : تقولون : « لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا : سلما غير هذه ، قال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها ، فقاموا من عنده غضاباً وقالوا : والله لنشتمنَّك وإلهك الذي أمرك بهذا ، فذلك قوله تعالى ﴿ وانطلق الملأ منهم .. ﴾ الآية .

(١) ذكر هذا الأثر الطبري ٢٣/١٢٦ وابن كثير ٧/٤٧ وهو مروي عن السدي ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومقاتل ، ومراد المشركين أن يقولوا : لو كان القرآن حقاً لأخبرتنا به النصارى ، وقال مجاهد وقتادة وابن زيد يعنون بالملة الآخرة دين قريش .

وقال محمد بن كعب : يعنون ملَّة عيسى صلَّى الله عليه وسلَّم[1] .

وروَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد ﴿ **فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ** ﴾ قال : ملَّةُ قريش[2] .

وقال قتادة : ﴿ **فِي المِلَّةِ الآخِرَةِ** ﴾ أي ملَّتنا التي نحنُ عليها[3] .

٩ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ العَزِيزِ الوَهَّابِ** ﴾ [آية ٩] .

قال أبو جعفر : هذه الآية مشكلةٌ ، لذكره هذا بعدما تقدَّم ، وفيها قولان :

أحدهما : أنها متَّصلة بقوله ﴿ **وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ** ﴾ أي إنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ له خزائنُ السَّموات والأرض وملكُهما ، فيرسلُ من يشاءُ .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٣/١٢٦ والدر المنثور ٥/٢٩٧ وزاد المسير ٧/١٠٣ .

(٢) الأثر في الطبري ٢٣/١٢٧ وابن كثير ٧/٤٧ والقرطبي ١٥/١٥٢ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٢٧ وهو كقول مجاهد من حيث المعنى يقولون : ما سمعنا به في ديننا هذا ولا في زماننا قطُّ ، وأرجح الأقوال قول ابن عباس أنهم يعنون ﴿ بالملَّة الآخرة ﴾ دين النصرانية ، لأنه آخر الأديان السماوية قبل الإسلام ، فهم يحتجون بالملل والشرائع السابقة ، والمعنى على هذا القول واضح ﴿ ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ﴾ أي ما سمعنا بمثل هذا القول في ملة النصرانية التي هي آخر الملل ، فإنهم يقولون بالتثليث لا بالتوحيد ، فكيف يزعم محمد أن الله واحد ؟ ولو كان كما قال لأخبرتنا به النصارى . اهـ. وانظر صفوة التفاسير ٣/٥١ .

والقولُ الآخر : أنـه لمَّـا ذكـر عِنادَهُـمْ ، وكفرَهـم ، وصبرَهَـم على آلهتهم ، كان المعنـى : أم عندهـم خزائـن رحمة ربِّك ، فيحظروهـا على مَنْ يُريدون ؟ أم لهم مُلْكُ السَّمواتِ والأرض وما بينهمـا ؟ فقرَّرهـم بهذا[(١)] .

١٠ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَمْ لَهُـمْ مُلْكُ السَّمَواتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَـا فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ ﴾** [آية ١٠] .

أي إن كانوا صادقين فليرتقوا في أبواب السَّموات[(٢)] .

قال مجاهد وقتـادة : ﴿ الأسبـابُ ﴾ : أبـوابُ السَّمـوات[(٣)] ، وقال زهير :

---

(١) توضيحاً للمعنى ننقل كلام محمد بن جزي الغرناطي في تفسيره « التسهيـل لعلـوم التنزيل » ففيه توضيـح وبيـان ، فقـد قال رحمه الله ٣٩٢/٣ : هذه الآية ردٌّ على المشركين ، فيما أنكـــروا من اختصاص محمد ﷺ بالنبوة ، والمعنى : إنهم ليس عندهم خزائن رحمة الله ، حتـى يُعطـوا النبـوة من شاءوا ، ويمنعوا من شاءوا ، بل يُعطيها الله لمن يشاء ، ثم وصف نفسه بالعزيـز الوهَّـاب ، لأن العزيز ــ أي القاهـر الـذي لا يُغـالب ــ يفعـل ما يشاء ، والوهَّـاب ينعـم على من يشاء ، فلا حجة لهم فيما أنكروا ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض ﴾ وهذا أيضاً ردٌّ عليهم والمعنـى : أن لهم المُلك ، فيتصرَّفون فيه كيف شاءوا ؟ بل مالكُ المُلك يفعل في ملكه ما يشاء . اهـ.

(٢) هذا تهكُّم بهم واستهزاء أي إن كان لهم شيء من ملك السمـوات والأرض ، فليصعـدوا في المراقي التي توصلهم إلى السماء ، وليدبِّروا شئون الكون ؟ وكفى به سخرية وتهكماً !!

(٣) قول مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري ١٢٩/٢٣ والقرطبـي ١٥٣/١٥ وأصل السبب عنـد العـرب : كلُّ ما تسبَّب به إلى الـوصول للمطلـوب ، من حبـل ، أو وسيلـة ، أو رحـم ، أو قرابـــة ، أو طريق ، أو محجة ، وغير ذلك ، أفاده الطبري .

« وَلَوْ نَالَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّم »[1]

وقيل : ﴿ الأسبابُ ﴾ : الحِبَالُ[2] ، أي فليرتقوا في السماء ، حتى يأتوا بآية .

وحَكَى أهلُ اللغةِ أنهُ يقال للدَّيِّنِ الفَاضِلِ : ارتقى أسباب السموات[3] ، كما يُقال : قد بلغ السَّماءَ ، على التمثيل .

١١ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ [آية ١١] .

أي هم جندٌ لهؤلاء الآلهة ﴿ مَهْزُومٌ ﴾ أي مقموعٌ ذليل ، أي قد انقطعت حجتهم ، لأنهم لا يصلون إلى أن يقولوا : هذا لنا[4] .

ويُقال : تَهَزَّمتِ القريةُ : إذا انكسرتْ ، وهزمتُ الجيشَ :

---

(١) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص ٣٠ وتمامه :

وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَهُ ... ولو رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ

يقول : من اتقى الموتَ لقيه ولو صعد إلى السماء .

(٢) ومنه قوله تعالى ﴿ فليمدد بسبب إلى السماء ﴾ أي بحبل ، والمراد بهذا الأمر التوبيخ والتعجيز .

(٣) أي نال أسمى الغايات والمراتب الرفيعة ومنه قول الشاعر : « بلغنا السماء مَجْدُنا وعَلاَؤُنَا » وهذا القول هو ما حكاه أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١٧٧/٢ .

(٤) هذه الآية تسلية للنبي ﷺ وتأنيس ، يقول تعالى لنبيه : هؤلاء الفجرة ما هم إلَّا جندٌ من الكفار ، تحزَّبوا على رسل الله ، وهم عما قليل سيُهزمون ويولون الأدبار ، فلا تبال ولا تكترث بشأنهم ، فإني أهزم جمعهم ، وأسلب عزمهم ، قال قتادة : وعد الله أنه سيهزمهم وهم بمكة ، فجاء تأويلها يوم بدر .

كسرْتُــهُ ، ثم قال ﴿ مِنَ الأَحْزَابِ ﴾ قال مجاهـــــد : أي من الأمم الخالية(١) .

قال أبو جعفر : والمعنى أنهم حِزْبٌ من الأحزاب ، الذين تحزَّبوا على أنبيائهم .

١٢ ــ **وقوله جلّ وعز** : ﴿ **كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ ، وَعَادٌ ، وَفِرْعَوْنُ ذُو الأَوْتَادِ** ﴾ [آية ١٢] .

رَوَى سعيدٌ عن قتــادةَ في قولــه تعــالى ﴿ **وَفِرْعَـــوْنُ ذُو الأَوْتَادِ** ﴾ قال : كانت له أوتادٌ ، وأَرْسانٌ ، وملاعبُ ، يُلعب بها بين يديه(٢) .

قال أبو جعفر : وقيل كان يَجْعل الإنسانَ بين أربعة أوتادٍ ، ثم يقتله(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير ١٣٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وعزاه إلى عبد بن حميد .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٦/٧ وهذا القول خلاف الظاهر ، فإن الله تعالى ذكر في الآية بطش فرعون ، وطغيانه ، وجبروته ، ولم يذكر ما كان يتلهّى به ويتسلى من أنواع الملاعب المحبَّبة إلى نفسه .

(٣) هذا القول حكاه ابن جرير عن السدي والربيع بن أنس ١٣١/٢٣ وهو قول ابن مسعود ، وابن عباس ، والحسن البصري ، كما في تفسير ابن الجوزي ١٠٥/٧ ولفظه : كان يُعذِّب الناس بأربعة أوتاد ، يشدهم فيها ، ثم يرفع صخرة فتلقى على الإنسان فتشدخه . اهـ.

أقول : وهذا القول هو المناسب لظاهر الآية ، فإن الله تعالى وصفه في آيات كثيرة بالعلوّ ، والجبروت ، والاعتداء على حرمات الناس ، كما قال سبحانه عنه ﴿ إن فرعون عَلَا في الأرض ﴾ وقال : ﴿ إنه كان عالياً من المسرفين ﴾ .

وقال الضحاك : ﴿ ذُو الأَوْتَادِ ﴾ ذو البناء المحْكَمِ[1] ، كما قال :

« فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ »[2]

١٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَثَمُودُ ، وَقَوْمُ لُوطٍ ، وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ ، أُوَلئِكَ الأَحْزَابُ ﴾ [آية ١٣] .

قال قتادة : كان أصحابُ الأيكةِ أصحابَ شَجَرٍ ، أكثرُهُ من الدَّوْمِ[3] .

١٤ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : ﴿ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴾ أي من رجوعٍ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣١/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٠٥/٧ والقرطبي في الجامع ١٥٤/١٥ واختارة ابن قتيبة قال : والعرب تقول : هم في عزٍّ ثابت الأوتاد ، يريدون أنه دائم شديد . اهـ.

(٢) البيت للأسود بن يَعْفُر وتمامُه :

وَلَقَدْ غَنَوْا فيها بأَنْعَمِ عيشةٍ ... في ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

والبيت في غريب القرآن ٣٧٧ وفي البحر ٣٦٧/٧ وفي المفضليات ٢١٧ ومعنى « غَنَوْا » أقاموا وسكنوا .

(٣) الأثر ذكره ابن جرير ١٣١/٢٣ قال في المعجم الوسيط ٣٠٥/١ : وشجر الدَّوْمِ شجر عظام ، من الفصيلة النخلية ، وله ثمار في غلظ التفاحة . اهـ.

(٤) انظر الطبري ١٣٣/٢٣ والقرطبي ١٥٦/١٥ وهذا القول محكي عن ابن عباس أيضاً كما في القرطبي .

وقال قتادة : أي ما لها من مثنويّة[1] .

وأبو عُبيدة يذهبُ إلى أن معنى ﴿ **مِنْ فَوَاقٍ** ﴾ بفتح الفاء : من رَاحةٍ ، و﴿ **مِنْ فُوَاقٍ** ﴾ بضم الفاء : من انتظار[2] .

وقال غيرُه : هما لغتان بمعنىً[3] .

وقال السدي : ما لهم بعدها إفاقةٌ ، ولا رجوعٌ إلى الدنيا[4] .

قال أبو جعفر : أصلُ هذا من قولهم « فُوَاق النَّاقةِ » وهو ما بين الحلبتين .

المعنى : أنها لا تلبثهم حتى يموتوا ، ولا يحتاج فيها إلى رجوع ، وأفاق من مرضه ، رجع إلى الصحَّةِ والراحة ، وإلى هذا ذهب أبو

---

(١) الأثر أخرجه القرطبي ١٥/١٥٦ وفي روح المعاني ٢٣/١٧٢ ومعنى « مثنوية » أي أنها صيحة واحدة ، لا تثنّى ولا تكرّر .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٧٩ فقد قال : من فَتحها « فَوَاق » قال معناها ما لها من راحة ، ومن ضمها « فُوَاق » جعلها من فُواق الناقة ، وهو ما بين الحلبتين ، يريد ما لها من انتظار . اهـ .

(٣) هذا مذهب الجوهري وبعض علماء اللغة قالوا : الضمُّ والفتحُ بمعنى واحد ، كما يُقال : قُصَاص الشَّعَر ، وقَصَاص الشَّعَر ، قال الجوهري : الفُواقُ والفَوَاق : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأنها تُحلب ثم تترك سُويعة ، يرضعها الفصيلُ لتَدُرَّ ، ثم تحلب . اهـ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٢٣/١٣٣ وتلخص من هذا ، أن للمفسرين ثلاثة أقوال :
الأول : ﴿ ما لها من فَوَاق ﴾ أي أنها صيحةٌ واحدة لا ثانية لها ، وهو قول قتادة .
الثاني : ما لها من تأخير ولا توقف مقدار فُوَاق الناقة ، وهو ما بين حَلْبتيْ اللبن ، وهذا على قراءة الضم .
الثالث : ما لها من رجوع ولا عودة إلى الدنيا ، وهو قول مجاهد ، وابن عباس .

عبيدة في قوله : مالها من راحة[1] .

١٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾** [آية ١٦] .

قال سعيد بنُ جبير : ﴿ قِطَّنَا ﴾ أي نصيبنا من الجنة[2] .

وقال الحسن : أي عقوبتنا[3] .

وقال مجاهد : أي عذابنا[4] .

وقال قتادة : أي نصيبنا من العذاب[5] .

وقال عطاء الخراساني : أي قضاءنا أي حسابنا[6] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٠/٢ ومجاز القرآن لأبي عبيدة ١٧٩/٢ وحاشية الجمل على الجلالين ٥٦٤/٣ ففيه بحث موسَّع .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٣٥/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ ونسبه إلى ابن عباس ، وذكره ابن الجوزي ١٠٩/٧ قال الحافظ ابن كثير ٤٩/٧ : وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . اهـ.

(٣ــ ٥) هذه الآثار الواردة عن الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، ذكرها الطبري في جامع البيان ١٣٤/٢٣ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥٧/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وقال الألوسي في تفسيره روح المعاني ١٧٣/٢٣ : أي قالوا بطريق الاستهزاء والسخرية ، ربَّنا عجِّل لنا قِسْطنا ، ونصيبنا من العذاب ، الذي تُوعِدنا به ، ولا تؤخِّره إلى يوم الحساب .

(٦) قول عطاء ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٠٩/٧ ثم قال : وقال الزجاج : القِطُّ النصيبُ ، وأصله : الصحيفة يُكتب للإنسان فيها شيء يصل إليه ، واشتقاقه : من قَطَطْتُ أي قطعت ، فالنصيب هو القطعة من الشيء ، ثم في هذا للمفسرين قولان :

أحدهما : أنهم سألوه نصيبهم من الجنة ، قاله سعيد بن جبير .

والثاني : سألوه نصيبهم من العذاب ، قاله قتادة . وعلى جميع الأقوال إنما سألوا ذلك استهزاءً لتكذيبهم بالقيامة . اهـ.

=

قال أبو جعفر : أصلُ هذا من قولهم : قَطَطْتُ الشيءَ أي قطَعْتُه ،

فالمعنى : عجِّلْ لنا نصيبنا أي ما قُطع لنا .

ويجوز أن يكون المعنى : عجِّلْ لنا ما يكفينا ، من قولهم : قَطْني من هذا أي يكفيني .

ويُروى أنهم قالوا هذا لمَّا أنزل اللَّهُ جلَّ وعز ﴿ **وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ** .. ﴾ استهزاءً ، وهذا كما قال :

« ... يُعْطِي القُطُوطَ ويَأْفِقُ »[1] .

يعني الكتب بالجوائز .

ويدلُّ على هذا قولُه تعالى ﴿ إصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾

[آية ١٧] .

١٦ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

[آية ١٧] .

= أقول : القول الثاني هو الأرجح وهو قول جمهور المفسرين ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ فقد صرح بأنهم سألوا تعجيل حظهم من العذاب ، ولم يسألوا نصيبهم من الجنة ، وأيضاً قول السفهاء ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ يدل دلالة واضحة على أنهم سألوا العذاب والله أعلم .

(١) هذه قطعة من بيت شعر للأعشى ميمون بن قيس ، وهو في ديوانه ص ٣٣ وتمامه :

ولا المَلِكُ النُّعْمَانُ يومَ لقيتُهُ　　بِنِعْمَتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ ويأفِقُ

أراد القطوط كتب الجوائز ، ويأفق أي يُصلح ، والبيت من شواهد أبي عبيدة ٢/١٧٩ وانظر الطبري ٢٣/١٣٤ .

قال سعيدُ بنُ جبيرٍ ومجاهدٌ وقتادةُ : أي ذَا القُوَّة في طاعةِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ[١] .

قال أبو جعفر : الأَيْدُ ، والآدُ ، في اللغة : القـوَّةُ[٢] ، وأَيَّـدهُ : قوَّاه ، فَانْآدَ ، كما قال :

« لَمْ يَكُ يَنْآدُ فأَمْسَى انْآدَا »[٣]

ثم قال تعالى ﴿ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ قال مجاهد : أي راجع عن الذنوب[٤] .

وقال قتادة : أي مطيع[٥] .

قال أبو جعفر : يُقال : آبَ ، يؤوبُ ، فهو آيبٌ : إذا

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري ١٣٦/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٧/٥ وغيرهما .

(٢) قال الراغب في غريب القرآن مادة « أيد » : الآيْدُ : القوة الشديدة ، قال تعالى ﴿ والله يؤيد بنصره من يشاء ﴾ أي يُكثر تأييده ، ويُقال : إدْته ، أَئِيدُهُ ، أَيْداً ، نحو بعتُه أبيعه بَيْعاً ، وأَيَّدْتُه على التكثير قال عز وجل ﴿ والسماء بنيناها بأيدٍ ﴾ من الأيد أي القوة الشديدة . اهـ. وقال القرطبي ١٥٨/١٥ : ﴿ ذا الأَيدِ ﴾ أي ذا القوة في العبادة ، كان يصوم يوماً ، ويفطر يوماً ، وذلك أشد الصوم وأفضله ، وكان يصلي نصف الليل ، وكان لا يفرُّ إذا لاقى العدو ، وكان قوياً في الدعاء إلى الله تعالى ، ويُقال : الأَيْدُ والآدُ كما تقول : العَيْبُ والعَابُ ، ومنه رجلٌ أَيِّدٌ أي قويٌّ . اهـ. وفي البخاري كتاب التفسير ١٥٥/٦ قال ابن عباس : الأَيْدُ : القوة في العبادة .

(٣) هذا شطرٌ من الرجز للعجاج ، وتمام البيت كما في لسان العرب ٧٥/٣ :

مِنْ أَنْ تبدَّلتُ بآدِي آدَا ... لم يكُ ينآدُ فأَمْسَى انآدا

يقال : انآد العود ينآدُ : إذا انثنى واعوجَّ ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٥٨/١٥ .

(٤ـ ٥) ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٢٩٨/٥ والطبري ١٣٧/٢٣ .

رَجَع ، وأَوَّابٌ : على التكثير[1] .

١٧ ــ **ثم قال جل وعزَّ : ﴿ إنَّا سَخَّرْنَا الجِبَالَ مَعُهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ ﴾** [آية ١٨] .

إشراقُ الشمس : ضوءُها وصفاؤها[2] .

١٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾** [آية ١٩] .

يجوز أن يكون المعنى : كلٌّ للَّهِ جلَّ وعزَّ أَوَّابٌ ، يعني داودَ ، والجبالَ ، والطيرَ .

ويجوز أن يكون المعنى في ﴿ كلٌّ ﴾ للجبالِ ، والطير ، أي تُرَجِّع مع داودَ التسبيح[3] .

١٩ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾** [آية ٢٠] .

---

(١) قال الطبري : والمعنى : إن داود كان رجّاعاً عما يكرهه الله إلى ما يرضيه والأواب : هو من قولهم آب الرجل إلى هله : إذا رجع . اهـ.

(٢) قال الراغب في غريب القرآن : شَرَقَتِ الشمس : طَلَعت ، وأشرقت أضاءت ، ومعنى ﴿ العَشِيِّ والإشراق ﴾ أي وقت العشي ــ وهو من زوال الشمس إلى الصباح ــ والإشراق : أي وقت الإشراق وهو عند طلوع الشمس . اهـ.

(٣) هذا القول هو الأظهر والأرجح ، وهو قول الجمهور أن الضمير يعود إلى داود ، والمعنى : كلٌّ من الجبال والطير رجَّاع إلى طاعته وأمره ، مسبِّحٌ لأجل تسبيحه ، وأما القول الأول فهو قول السدي ، قال الحافظ ابن كثير : كانت الطير تسبِّح بتسبيحه ، وتُرجِّع بترجيعه ، إذا مرَّ به الطير وهو سابحٌ في الهواء ، فسمعه وهو يترنَّم بقراءة الزبور لا تستطيع الذهاب بل تقف في الهواء وتُسبِّح معه ، وتجيبه الجبال الشامخات ، تُرجِّع معه ، وتسبِّح تبعاً له . اهـ.ابن كثير ٤٩/٧ .

قال مجاهد : لم يكن في الأرض سلطانٌ أعزُّ من سلطانِهِ[١] .

قال السُدّي : كان يحرسه في كل ليلةٍ أربعةُ آلافٍ[٢] .

وقيل : ﴿ **شَدَدْنَا مُلْكَهُ** ﴾ بأنَّ الوحي كان يأتيه ، وهذا عن ابن عباس[٣] .

وقد رَوَى عكرمةُ عن ابن عباس : أن رجلين اختصما إلى « دَاودَ » فقال المستعدِي : إن هذا اغتصبني بقراً ، فجحَدَهُ الآخر ، فأوحى اللهُ إلى « داود » أن يقتل الذي استعَدَى عليهِ ، فأرسلَ داود إلى الرجل إن اللّه قد أوحى إليَّ أن أقتلك ، فقال الرجل : أتقتلني بغير بيِّنةٍ ؟ فقال : لا يُرَدُّ أمرُ اللهِ فيكَ ، فلَّما عرف الرجلُ أنه قاتلهُ قال : واللّهِ ما أُخِذْتُ بهذا الذنبِ ، ولكنّي كنتُ اغْتَلتُ والدَ هذا فقتَلْتُه ، فأمر به « داودُ » فقُتِلَ ، فاشتدَّت هيبةُ بني إسرائيل عند ذلك له ،

---

(١) الأثر ذكره الحافظ ابن كثير عن مجاهد ٧/٥٠ والقرطبي ١٥/١٦٢ وعزاه إلى ابن عباس ، ومعنى ﴿ شددنا ملكه ﴾ أي قوّينا ملكه وثبتناه ، بالهيبة والنصرة ، وكثرة الجنود ، والتمكين له في الأرض ، حتى كان ملكه وطيداً .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٣٨ وابن كثير ٧/٥٠ عن السدي ، وضعَّف هذا القول القاضي ابن العربي ، ورجَّح أن شدَّ ملكه ، إنما كان بالتأييد من الله له ، والنصر ، وقال : لا ينفع الجيشُ الكثير ، التفافه على غير منصور وغير معان . اهـ. وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٥/١٦١ .

(٣) هذا الأثر عن ابن عباس يؤيده ما ذهب إليه الأكثرون من تثبيت دعائم ملكه بالنبوة والرسالة ، والعون والتأييد ، لا بكثرة الرجال فحسب ، بل للهيبة التي جعلها الله له في قلوب الناس ، وهو خلاصة ما ذكرناه عن ابن العربي رحمه الله .

وهو قولُ اللهِ عز وجل ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾[1] .

٢٠ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَآتَيْنَاهُ الحِكْمَةَ ﴾ [آية ٢٠] .

قال أبو العالية : أي المعرفة بكتاب اللّهِ جلَّ وعزَّ[2] .

وقال السُدِّي : النبوَّة[3] .

وقال مجاهد : هو عدلُه[4] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَفَصْلَ الخِطَابِ﴾ [آية ٢٠] .

قال الحسن : أي الفهمَ في القضاء[5] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ١٣٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩٩/٥ وابن كثير ٥٠/٧ وذكر السيوطي أنه من رواية ابن أبي حاتم ، وعبد بن حُميد .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ١٦٢/١٥ وابن كثير ٥١/٧ وعزاه إلى قتادة .

(٣ــ ٤) الأثران ذكرهما الطبري ١٣٩/٢٣ وابن كثير ٥١/٧ وابن الجوزي ١١/٧ والراجح أن المراد بالحكمة ما يشمل هذه الأمور ، من النبوة ، والفهم ، وسداد الرأي ، والإصابة في القضاء ، وآراء السلف في هذه المسألة متقاربة ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ١١١/٧ : في قوله تعالى ﴿ وآتيناه الحِكمة ﴾ فيها أربعة أقوال :

أحدها : أنها الفهم ، كما قال ابن عباس والحسن ، وابن زيد .

والثاني : أنها الصواب ، قاله مجاهد .

والثالث : النبوة ، قاله السدي .

والرابع : أنها السنة ، قاله قتادة . اهـ .

(٥) هذا أحد أقوال أربعة في معنى قوله تعالى ﴿ وفَصْلَ الخِطَاب ﴾ وهو مروي عن ابن عباس ، ومجاهد ، والسدي ، كما في تفسير ابن كثير ٥١/٧ والطبري ١٣٩/٢٣ حيث ذكر عن مجاهد أن ﴿ فَصْلَ الخطاب ﴾ : إصابة القضاء وفهمه .

وقال **أبو عبدالرحمن وقتادة** : أي وفَصْل القضاء[1] .

وقال **شُرَيْح والشعبيُّ وكعبٌ** : الشهودُ والأيمانُ[2] .

وكذلك روى الحَكَم عن مجاهد .

وروَى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : ما قال أُنْفِذ .

وقال الشعبي : ﴿ فصلُ الخِطَابِ ﴾ : أمَّا بعدُ[3] .

قال أبو جعفر : الخطابُ في اللغةِ ، والمخاطبةُ ، واحدٌ .

فالمعنى على حقيقةِ اللغة : أنه يَفْصِلُ أي يقطع المخاطبة ، بالحكم الذي آتاه اللّهُ إيَّاه ، ويقطع أيضاً فصلها في الشهودِ والأيمان .

وقيل ﴿ وَفَصْلَ الخِطَابِ ﴾ : البيانُ الفاصلُ بين الحقِّ والباطل[4] .

---

(١) هذا هو القول الثاني ، وقد ذكره القرطبي ، والطبري ، وابن كثير ، وهو قريب من الأول .

(٢) هذا هو القول الثالث ، والمراد به تكليف المدَّعي بالبيِّنة وهي شاهدان ، أو يمين المدَّعي عليه ، قال ابن الجوزي في تفسيره ١١٢/٧ وهو قول حسن ، لأن الخصومة إنما تُفْصَل بهذا ، وقال ابن كثير ٥١/٧ : وهو فصل الخطاب الذي فصل به الأنبياء والرسل ، وهو قضاء هذه الأمة إلى يوم القيامة .

(٣) هذا هو القول الرابع في تفسير الآية ، ذكره الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، فقد قيل : إن أول من تكلم بهذه العبارة « أما بعد » هو داود عليه السلام ، واختار ابن جرير الطبري العموم فقال في جامع البيان ١٤١/٢٣ : والصواب أن يعمَّ الخبر فيقال : أُوتي داود فصل الخطاب في القضاء ، والمحاورة ، والخطب . اهـ.

(٤) هذا قول الزمخشري في تفسيره ٣٢١/٣ وذكره في التسهيل ٢٩٥/٣ والمعنى على هذا القول : ﴿ وفَصْلَ الخطاب ﴾ أي البيِّن من الكلام الذي يفهمه من يُخاطب به ، ويفصل به بين الحق=

٢٢ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ ﴾ [آية ٢١] .

تسوَّروا أي عَلَوْا ، والمحرابُ كلُّ مكان مرتفع .

وقيل : محرابٌ للذي يُصَلَّى إليه على التمثيل ، أي هو أرفعُ موضعٍ في المسجد[١] .

و« خَصْمٌ » يقعُ للواحد ، والاثنين ، والجميع بلفظٍ واحدٍ على معنى « ذو خصْمٍ »[٢] .

ولا اختلاف بين أهل التفسير أنه يُراد به ههنا مَلَكان[٣] .

= والباطل ، وقد اختار هذا القول ابن عطية ، وجعله من قوله تعالى ﴿ إنه لقول فصل . وما هو بالهزل ﴾ . اهـ.

(١) قال الراغب في غريب القرآن ص ١١٢ : ومحراب المسجد سُمِّي بذلك لأنه موضع محاربة الشيطان والهوى ، وقيل : الأصل فيه أن محراب البيت : صدرُ المجلس ، ثم اتُّخذ المساجد فسُمِّي صدره به تشبيهاً بمحراب المسجد ، وكأن هذا أصح قال تعالى ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل .. ﴾ . اهـ.

(٢) قال الزجاج ٣٢٥/٤ : إنما قال ﴿ الخَصْمِ ﴾ بلفظ الواحد ، وقال ﴿ تسوَّروا المحراب ﴾ بلفظ الجماعة ، لأن قولك « خَصْمٌ » يصلح للواحد ، والاثنين ، والجماعة ، والذَّكر ، والأنثى ، تقول : هذا خصمٌ ، وهما خصمٌ ، وهم خصم ، إنما يصلح لجميع ذلك لأنه مصدر . اهـ. وانظر زاد المسير ١١٧/٧ .

(٣) قال ابن جُزَيّ في التسهيل ٣٩٥/٣ : واتفق الناس على أن هؤلاء الخصم كانوا ملائكة ، ورُوي أنهما جبريل ، وميكائيل ، بعثهما الله ليضربَ بهما المثل في نازلة ــ أي حادثة ــ وقع هو في مثلها ، وقال ابن الجوزي ١١٨/٧ : كانا ملكَيْن ، وهما جبريل وميكائيل أتياه لينبهاه على التوبة ، وإنما قال ﴿ تسوَّروا ﴾ وهما اثنان ، لأن معنى الجمع ضمُّ شيء إلى شيء ، والاثنان فما فوقهما جماعة . اهـ.

٢٣ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ .. ﴾ [آية ٢٢] .

قيل : دخلا عليه ليلاً في غير وقت الخصومة ، فلذلك قال : ﴿ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ﴾ .

وقيل : فزع منهما ، لدخولهما من غير الباب ، الذي كان منه المدخل[1] .

٢٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ .. ﴾ [آية ٢٢] .

على جهة المسألة[2] كما تقول : رجلٌ يقول لامرأته كَذَا ما يجب عليه ؟

٢٥ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلاَ تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ [آية ٢٢] .

﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ ﴾ أي بالعدل ﴿ ولا تُشْطِطْ ﴾ أي ولا تَجُرْ ،

(١) قال في التسهيل : وإنما فزع داود منهم ، لأنهم دخلوا عليه بغير إذن ، ودخلوا من غير الباب ، وقيل : إن ذلك كان ليلاً . اهـ.

(٢) مراد المصنف رحمه الله أن قوله تعالى ﴿ خصمانِ بغى بعضنا على بعض ﴾ أي جئنا نسألك عن هذه المسألة المتنازع فيها ، نحن خصمان اختلفنا في هذه القضية .. إلخ.

يُقال : أشطَّ يُشِطُّ إذا جار ، وشطَّ يَشِطُّ إذا بَعُدَ[1] .

وقد قُرىء ﴿ **وَلَا تَشْطُطْ** ﴾[2] أي لا تبعد في الحكم ، كما قال الشاعر :

شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ فَأَصْبَحَتْ
عَسِراً عَلَيَّ طِلَابُها ابْنَةَ مَخْرَمِ[3]

واهْدِنا إلىَ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أي إلى قصدِ السَّبِيلِ .

وقال تعالى ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ** ﴾ بغير « إلى » والعربُ تحذف حرف الخفضِ مما يتعدَّى إلى مفعولين كما قال الشاعر :

ومنَّا الَّذي اختيرَ الرجالَ سَمَاحَةً
وبِرّاً إذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ[4]

وقيل : معنى ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ** ﴾ أعلمنا الصراطَ ، ومعنى

---

(١) قال في المصباح : شطَّتِ الدار : بَعُدت ، وشطَّ في حكمه شَططاً : جار وظلم ، وأشطَّ في الحكم بالألف لغة فيه . اهـ.

(٢) هذه قراءة أبي رجاء وقتادة ﴿ ولا تَشْطُطْ ﴾ وهي من القراءات الشاذة ، كما ذكر ذلك ابن جني في المحتسب ٢/٢٣١ .

(٣) البيت من معلقة عنترة ، وانظر الديوان والمعلقات السبع للزوزني ص ١٢٦ والمحتسب لابن جني ٢/٢٣١ وقد ورد فيه بلفظ « عَسِراً عليَّ طِلَابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ » وفي المخطوطة « مَحْرمِ » بالحاء المهملة ، وصوابه ما أثبتناه .

(٤) البيت للفرزدق كما في ديوانه ٥١٦ وفي خزانة الأدب ٩/١٢٤ وفي المقتضب للمبرد ٤/٣٣٠ والشاهد فيه نصب : « الرجالَ » حيث نُصب بنزع الخافض ، والأصل : اختير من الرجال ، وهذا كما قال الشاعر « تَمُرُّونَ الدِّيَارَ ولم تَعُوجُوا » أي تمرُّون بالديار ، فنصب بنزع الخافض .

﴿ اهدِنا إلى الصَّرَاطِ ﴾ أرشدنا إلى الصراط[1] .

٢٦ ــ ثم قال عز وجل ﴿ إنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ .. ﴾ [آية ٢٣] .

قال وهبٌ : ﴿ إنَّ هَذَا أَخِي ﴾ أي على ديني[2] ﴿ لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً ﴾ والعربُ تَكْنِي عن المرأة : بالنَّعْجَةِ ، والشَّاةِ ، كما قال الشاعر :

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عنْ شَاتِهِ
فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[3]

وفي قراءة ابنِ مسعود : ﴿ إنَّ هَذَا أَخِي كانَ لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً أُنْثَى ﴾[4] .

---

(١) قال في المصباح مادة هدى : هديتُه الطريقَ ، أَهْدِيه ، هدايةً ، هذه لغة الحجاز ،ولغة غيرهم يتعدَّى بالحرف ، فيُقال : هديته للطريق ، وهديتُه إلى الطريق ، والهدى البيانُ ، واهتدى إلى الطريق ، وهداه الله إلى الإيمان هدى . اهـ. مصباح .

(٢) الأثر ذكره الطبري عن وهب بن منبه ١٤٣/٢٣ وقصد بقوله ﴿ أَخِي ﴾ أخوَّة الدين لا النسب ، أو أخوَّة الصداقة والألفة .

(٣) البيت للأعشى كما في ديوانه ص ١٥٠ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٨١/٢ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٧٢/١٥ والألوسي في روح البيان ١٨٠/٢٣ والشاهد فيه أنه كنَّى عن زوجة الرجل بالشاة ، يريد أنه نظر إليها في غفلة من زوجها ، فأسرها بجماله ، ووقع حبُّها له في سويداء قلبها .

(٤) هذه القراءة شاذة وليست من القراءات السبع ، وذكرُ الأنثى جاء على سبيل التأكيد ، كما يُقال : هو رجلٌ ذكر ، ومعلوم أن الرجل لا يكون إلَّا ذكراً ، وانظر جامع الأحكام للقرطبي ١٧٤/١٥ .

و « كان » ههنا مثل قوله ﴿ وكان اللَّهُ غفُورًا رَحِيمًا ﴾[1]

فأما قوله « أنثى » فقيل : هو على جهة التوكيد .

وقيل : لمَّا كان يُقال : هذه مائةُ نعجةٍ ، وإن كان فيها من الذكور شيءٌ يسير ، جاز أن يُقال : أنثى ، ليُعلم أنه لا ذكر فيها[2] .

٢٧ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا ﴾ [آية ٢٣] .

قد جاءت أخبارٌ وقِصصٌ في أمر « داودَ » ﷺ و« أُوْرِيَا » وأكثرُهَا لا يصحُّ ، ولا يتَّصلُ إسناده ، ولا ينبغي أن يُجترأَ على مثلها ، إلاَّ بعد المعرفة بصحتها[3] .

---

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٤٠٣/٢ : ربَّما أدخلت العرب « كان » على الخبر الدائم الذي لا ينقطع مثل قوله تعالى ﴿ وكان ربك قديراً ﴾ فهذا دائم ، ومثله « وكان الله غفوراً رحيماً » . اهـ.

(٢) هذا لدفع التوهم في التجوز ، فإن قولنا مائة شاة ، يحتمل أن يوجد بينها ذكور ، فدفعاً لهذا قال : أنثى ، ومثله قوله ﷺ : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي فلأَولى رجل ذكر » .

(٣) خبط بعض المفسرين خبط عشواء ، في إيراد أخبار وآثار ، من القصص الإسرائيلية ، ما كان ينبغي لهم أن يوردوها في كتب التفسير ، وإليها يشير المصنف رحمه الله بقوله « ولا ينبغي أن يُجترأ على مثلها » وهذه الروايات والأخبار ، مستقاة من قصص أهل الكتاب ، من غير تمحيص ولا تحقيق ، وهي مما تتعارض مع « عصمة الأنبياء » التي اتفق المسلمون عليها ، من هذه الأخبار الباطلة ما حكاه بعضهم : « أن داود عليه السلام كان في معبده ذات يوم ، فوقعت عليه حمامة ، فأراد أن يأخذها ، فطارت إلى كوَّة المحراب ، فذهب ليأخذها فطارت ، فاطَّلع من الكوَّة ، فرأى امرأة تغتسل ، فعجب من حسنها ، فحانت منها التفاتة فرأت ظلَّه ، فنقضت شعرها فغطَّى بدنها ، فزاده ذلك إعجاباً بها ، فسأل عنها فقيل : هذا امرأة « أُوريَا » وزوجها غائب في إحدى الغزوات ، فأرسل إلى رئيس الجيش ، أن يحمِّله الراية ويجعله في المقدمة ، حتى =

= يُقتل ، فلما قُتل زوجها ، وانقضت عدتها ، تزوجها داود ، فهي أم ابنه سليمان ، وكان عند داود تسعة وتسعون امرأة غيرها ، فعتب الله عليه فأرسل إليه الملكَيْن بصورة خصمين .. » إلى آخر القصة .

وهذه القصة من الأساطير والأوهام ، التي ينبغي أن تُنزَّه عنها ساحة الرسل الكرام ، فداود عليه السلام من عظماء أنبياء بني إسرائيل ، فكيف ينسب إليه مثل هذا الفعل المشين ، الذي يتورع عنه العامة من الخلق ، فضلاً عن نبي معصوم كريم !!

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ٥١/٧ : « قد ذكر المفسرون ههنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ، فالأَوْلى أن يُقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة ، وأن يُرَدَّ علمُها إلى الله عز وجل ، فإن القرآن حقٌّ ، وما تضمَّن فهو حقٌّ أيضاً » . اهـ.

وقال ابن الجوزي في زاد المسير ١١٥/٧ بعد أن ذكر القصة من رواية وهب بن منبه والسدي : « وذكر جماعة من المفسرين أن داود لمَّا نظر إلى المرأة سأل عنها ، وبعث زوجها إلى الغزو مرة بعد مرة ، إلى أن قُتل فتزوجها .. قال : وهذا لا يصحُّ من طريق النقل ، ولا يجوز من حيث المعنى ، لأن الأنبياء منزَّهون عنه » .

وقال القاضي عياض في الشفاء : وأما قصة داود عليه السلام ، فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطَّره الإخباريون عن أهل الكتاب الذين بدَّلوا وغيَّروا ، ونقله بعض المفسرين ، ولم ينصَّ الله على شيء من ذلك ، ولا ورد في حديث صحيح ، وإلى نفي هذه الأخبار ذهب « أحمد بن نصر » و « أبو تمام » وغيرهما من المحققين ، وقال الداودي : ليس في قصة « داود » و « أوريا » خبرٌ يثبت ، ولا يُظنُّ بنبي محبة قتل مسلم » .

وقال الإمام البيضاوي في تفسيره أنوار التنزيل ٣٠٨/٢ : « وما قيل إنه أرسل « أوريا » إلى الجهاد مراراً ، وأمر أن يُقدَّم حتى قتل ، فتزوجها داود ، هُراء وافتراء ، ولذلك قال علي رضي الله عنه : من حدَّث بحديث داود ــ على ما يرويه القُصَّاص ــ جلدته مائة وستين جلدة » يريد أنه يضاعف له العقوبة لانتهاك حرمة النبي داود ، ثماني جلدة للقذف ، وثمانين للافتراء والبهتان .

وقال الإمام الخازن في تفسيره لباب التأويل ٤٩/٦ : « اعلم أن من خصَّه الله بنبوته ، وأكرمه برسالته ، وشرَّفه على كثير من خلقه ، وائتمنه على وحيه ، وجعله واسطةً بينه وبين خلقه ، لا يليق أن يُنسب إليه ما لو نُسب إلى آحادالناس ، لاستنكف أن يُحدَّث به عنه ، فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء ، والصفوة الأمناك ذلك ؟! » . =

وأصحُّ ما رُوي في ذلك ما رواه مسروقٌ عن عبدالله بن مسعود قال : « ما زادَ دَاوُدُ ﷺ على أن قال ﴿ **أَكْفِلْنِيهَا** ﴾ أي انزِل لي عنها » .

وَروَى المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : « ما زَادَ داودُ على أن قال ﴿ **أَكْفِلْنِيهَا** ﴾ أي تحوَّل لي عنها ، وضُمَّهَا

= وقال أبو حيان في تفسيره البحر المحيط ٣٩٣/٧ : « ونعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا ، لا يمكن وقوعهم في شيء منها ، ضرورة أنّا لو جوّزنا عليهم شيئاً من ذلك ، بطلت الشرائع ، ولم نثق بشيء ممّا يذكرون أن الله أوحى به إليهم ، فما حكى تعالى في كتابه ، يُمرُّ على ما أراده الله تعالى ، وما حكى القُصّاص مما فيه غضٌّ لمنصب النبوة طرحناه ، ونحن كما قال الشاعر :

ونؤثِرُ حكمَ العقلِ في كلِّ شبهةٍ إذا آثرَ الأخبارَ جُلّاسُ قُصّاصِ »

أقول : والصحيح في موضوع هذه القصة ما ذكره المحققون ، من أهل الرأي والنظر ، أن داود عليه السلام كان يخصِّص بعض وقته لتصريف شئون المُلْكِ ، وللفصل في الخصومات بين الناس ، ويخصص بعض الوقت والأيام ، للخلوة والعبادة ، وترتيل الزبور تمجيداً للرحمن ، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة ، لم يأذن لأحد بالدخول عليه حتى يخرج هو إلى الناس ، وبينا هو في محرابه يتعبد ربه ، في يوم خلوته ، إذ فُوجئَ بشخصين يتسوران المحراب ، الذي يتعبد فيه ، ففزع منهما وأضمر في نفسه أن يبطش بهما ، فبادرا يطمئنانه أنهما خصمان اختلفا في أمرٍ بينهما مهم ، وبدأ أحدهما فعرض خصومته ــ كما قصَّها القرآن الكريم في آياته البينات ــ والقضية كما عرضها أحد الخصمين ، تحمل في طياتها ظلماً صارخاً مثيراً ، لا يحتمل الجدل ، ومن ثَمَّ اندفع داود عليه السلام يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة ، ولم يوجه للخصم الآخر سؤالاً ، ولم يستفسر منه عن حقيقة الأمر وجليته ، بل أصدر حكمه بقوله ﴿ لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ فعاتبه الله على ذلك ، ونبهه إلى ضرورة تثبت القاضي في حكمه ، وألا يحكم إلا بعد سماعه للخصم الآخر ، والله أعلم .

إليّ »[1] .

قال أبو جعفر : فهذا أجلُّ ما رُوي في هذا .

والمعنى عليه : أن داود عليه السلام سأل « أُوْرِيًّا » أن يُطلِّق له امرأته ، كما يسأل الرجلُ الرجلَ أن يبيعه جاريته ، فنبَّهه اللهُ جلَّ وعزَّ على ذلك وعاتَبَه ، لمَّا كان نبياً ، وكان له تسع وتسعون ، أنكر عليه أن يتشاغل بالدنيا ، وبالتزيُّد منها[2] ، فأما غيرُ هذا فلا ينبغي الاجتراءُ عليه .

ومعنى ﴿ **أَكْفِلْنِيهَا** ﴾ إنزلْ لي عنها ، واجعلني كافِلَها .

قال الضحاك : ﴿ **وَعَزَّنِي فِي الخِطَابِ** ﴾ أي قهرني[3] .

وفي قراءة عبدالله ﴿ وَعَازَّنِي ﴾[4] .

---

(١) ذكر هذه الرواية الطبري في جامع البيان ١٤٤/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١١٦/٧ وليس فيها تلك الفرية .

(٢) على هذا القول إنما عوتب على أمر جائز ، كان ينبغي أن يتنزه عنه لعلو مرتبته ، ومتانة دينه ، فإنه قد يعاتب الفضلاء على ما لا يعاتب به غيرهم ، كما قيل « حسنات الأبرار سيئات المقربين » .

(٣) قول الضحاك هذا ذكره الطبري ١٤٤/٢٣ وهو مروي عن قتادة أيضاً والمراد أنه قهره وغلبه في الكلام ، قال في لسان العرب : عزَّه يُعزُّه عزًّا : قهره وغلَبه ، وفي التنزيل « وعزَّني في الخطاب » أي غلبني في الاحتجاج .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، وهي قراءة ابن مسعود ، وهي من باب المفاعلة بمعنى غالبني ، وانظر زاد المسير ١٢٠/٧ والقرطبي ١٧٥/١٥ وكذلك قراءة ﴿ وعَزَني ﴾ بالتخفيف من القراءات الشاذة . كما في المحتسب ٢٣٢/٢ .

قال أبو جعفر : يُقال : عازّه اي غالبه ، وعزه اي غلبه .

قال الحسن : أي قَهَرهُ في المحاورة .

قال أبو جعفر : ومنه قولهم « من عزَّ بزَّ »[1] .

ومنه قول زهير :

« فَعَزَّتْه يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ »[2]

٢٨ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ .. ﴾** [آية ٢٤] .

المعنى : بسؤاله نعجتَكَ كما قال تعالى **﴿ لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعاءِ الخَيْرِ ﴾**[3] .

ومعنى ﴿ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ أي مضمومةً إلى نعاجه .

﴿ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الخُلَطَاءِ ﴾ .

---

(١) هذا من أمثال العرب ، ومعنى ﴿ من عزَّ بزَّ ﴾ أي من غلب سلب ، والاسم العزة ، وهي من القوة والغلبة كما قال الشاعر :

قطاةٌ عزَّها شَرَكٌ فَبَاتَتْ   تُجاذِبُه وقد عَلِقَ الجَنَاحُ

(٢) هذا شطر بيت لزهير بن أبي سلمى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٣٠ :

قَلِيلاً عَلَفْنَاهُ فأُكمِلَ صُنْعُهُ   فَتَمَّ وَعَزَّتْهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ

(٣) سورة فصلت آية رقم ٤٩ والشاهد فيها حذف الضمير في قوله ﴿ من دعاء الخير ﴾ أي من دعائه الخير ، كما حذف من الآية هنا ﴿ بسؤال نعجتك ﴾ أي بسؤاله نعجتك .

أي الشركاء ، والخليط : الشريكُ[1] .

٢٩ ـــ **ثم قال جلّ وعزّ : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ ﴾** [آية ٢٤] .

أي أيقن[2] .

وقرأ قتادة ﴿ أَنَّمَا فَتَنَاهُ ﴾ بتخفيف النون ، يعني المَلَكَيْنِ[3] ، وقال : معناه : صَمَدَا له .

﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً ﴾ قال أبو الأحوص والحسنُ : خرَّ ساجداً[4] .

وقال مجاهد : سجد أربعين يوماً ، من قبل أن يسأل ربَّه

---

(١) قال في اللسان مادة « خلط » : الخلطاء : الشركاء ، الذين لا يتميز ملك كل واحد منهما ، من ملك صاحبه إلا بالقسمة ، والخليطُ : المخالطُ ، وهو الشريك الذي يخلط ماله بمال شريكه . اهـ.

(٢) الظنُّ في اللغة : يأتي بمعنى الشك وبمعنى اليقين ، تقول : أظن الأمر كذا إذا كنت شاكاً قال في المصباح : الظن خلاف اليقين قاله الأزهري وغيره ، وقد يستعمل بمعنى اليقين كقوله تعالى ﴿ الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم ﴾ . اهـ.

(٣) قراءة التخفيف من القراءات الشاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢/٢٣٢ قال : ومعنى « فَتَنَاه » أي اختبراه ، فخبَّراه بما ركبه من التماسه امرأة صاحبه ، وهما المَلَكان الخصمان . اهـ.

(٤) قد يُعبَّر عن السجود بالركوع فقوله تعالى ﴿ وخرَّ راكعاً ﴾ أي خرَّ ساجداً ، قال الشاعر :

فَخَرَّ على وَجْهِهِ راكعاً ... وتابَ إلى اللهِ من كل ذنب

قال ابن العربي : لا خلاف بين العلماء ، أن المراد بالركوع ههنا السجود ، فإن السجود هو الميل ، والركوع هو الانحناء ، وأحدُهما يدخل في الآخر . اهـ.

شيئاً[١] .

قال سفيان : يُروى أنه أقام أربعين يوماً ، لا يرفع رأسه ، إلاَّ لصلاةٍ ، أو حاجةٍ ، لابدَّ منها[٢] .

قال قتادة : ﴿ وَأَنَابَ ﴾ أي تابَ[٣] .

٣٠ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ** ﴾ [آية ٢٥] .

قال الضحاك : ﴿ **لَزُلْفَى** ﴾ أي منزلةً رفيعة[٤] .

قال أبو جعفر : الزُّلفى في اللغة : القُربةُ ، ومنه قولُه تعالى ﴿ **وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الآخَرِينَ** ﴾[٥] ومنه قوله :

مَرَّ اللَّيالِي زُلَفاً فَزُلَفا
سَمَاوَةَ الهِلاَلِ حتَّى احْقَوقفا[٦]

---

(١) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٠٣/٥ والألوسي في روح المعاني ١٨٤/٢٣ .

(٢) الأثر ذكره الألوسي في روح المعاني ١٨٤/٢٣ والقرطبي في جامع الأحكام ١٨٥/١٥ وابن الجوزي في تفسيره ١٢٣/٧ .

(٣) عبارة الطبري « وأناب » أي رجع إلى رضى ربه ، وتاب من خطيئته . اهـ. ومعنى الإنابة في اللغة الرجوع .

(٤) الزلفى في اللغة : القرب والتقدم قال في المصباح : الزُّلفة والزُّلفى : القربة ؛ وأزلفه قرَّبه ، ومنه مزدلفة لاقترابها إلى عرفات . اهـ.

(٥) سورة الشعراء آية رقم ٦٤ ومعنى الآية : قرَّبنا هناك فرعون وأتباعه ، حتى دخلوا البحر .

(٦) البيت للعجاج بن رؤبة كما في ديوانه ٤٩٦ ويريد بقوله « زُلَفاً فزُلفاً » يعني منزلة بعد منزلة ، ودرجة بعد درجة ومعنى « احقوقف » أي اعوجَّ ، وذكره ابن منظور في اللسان ، مادة زلف .

أي ساعةً تقرب من أُخرى .

ثم قال ﴿ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ قال الضحاك : أي وحُسنَ مرجعٍ[1] .

٣١ ـــ ثم قال جلَّ وعز ﴿ يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢٦] .

يُقال : إنه من هذا جاز أن يُقال خلفاء[2] .

٣٢ ـــ وقوله جل وعزَّ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الحِسَابِ ﴾ [آية ٢٦] .

﴿ بِمَا نَسُوا يومَ الحِسَابِ ﴾ أي تركوا العمل له ، وكانوا ناسين له ، هذا مذهب السدي[3] .

وقال عكرمة : هذا من التقديم والتأخير ، أي لهم يوَم الحسابِ

---

(١) المآب في اللغة : المرجعُ ، والمنقلبُ ، والمصير ، قال في اللسان مادة « أَوَب » : الأَوْبُ : الرجوع ، آب إلى الشيء : رجع ، وآبَ الغائب يئوبُ إذا رجع ، وفي التنزيل ﴿ وحُسْنَ مآبٍ ﴾ أي حسن المرجع الذي يصير إليه في الآخرة ، وكلُّ شيء رجع إلى مكانه فقد آب . اهـ اللسان .

(٢) يعني المصنف بأن إطلاق لفظ « الخلفاء » على من يتولى شئون المسلمين ، لعله جاء من هذه الآية ﴿ خليفةً في الأرض ﴾ فيجوز إطلاق لفظة « خليفة » على السلطان ، ومنه سمي الخلفاء الراشدون .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٥٢/٢٣ وابن الجوزي في زاد المسير ١٢٤/٧ وابن كثير في تفسيره ٥٤/٧ .

عذابٌ شديد ﴿ بِمَا نَسُوا ﴾ أي بما تركوا أمرَ اللَّهِ عز وجل ، والقضاءَ بالعدل[1] .

٣٣ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا .. ﴾ [آية ٢٧] .

أي لمَّا قالوا : إنه لا حسابَ ، ولا جنةَ ، ولا نار ، قيل لهم هذا[2] .

ثم قال جل وعز : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾ [آية ٢٧] .

فأخبرَ أنه يُعذِّبهم على ذلك .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري عن عكرمة ١٥٢/٢٣ والألوسي في روح المعاني ١٨٧/٢٣ وذكر الحافظ ابن كثير ٥٤/٧ عند هذه الآية هذه القصة : أن الوليد بن عبد الملك سأل إبراهيم أبا زرعة ، فقال له : أيحاسب الخليفة ؟ فإنك قد قرأت الكتاب الأول ، وقرأت القرآن ، وفقهتَ ؟ فقلتُ : يا أمير المؤمنين أقول ؟ قال : قلْ في أمان ، قلت : يا أمير المؤمنين : أنت أكرم على الله أم داود ؟ إن الله عز وجل ، جمع له النبوة والخلافة ، ثم توعَّده في كتابه فقال : ﴿ يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض ، فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله .. ﴾ الآية .

وقصد بقوله « قرأت الكتاب الأول » أي قرأت التوراة ، قال البخاري في التاريخ الكبير ٢٨٧/١ : إبراهيم أبو زرعة وكان من مسلمة أهل الكتاب ، يُعدُّ في الشاميين . اهـ.

(٢) غرض المصنف أن قوله تعالى ﴿ ذلك ظنُّ الذينَ كفروا ﴾ وردت بأسلوب التقريع والتهكم بالكفار ، لإنكارهم البعث ، والحشر ، والحساب ، فهم من حيث أنكروا المعاد ، ظانُّون أن خلق السموات والأرض ، إنَّما هو عبثٌ ، وليس فيه حكمة ، فلذلك قرَّعهم سبحانه ووبَّخهم ، وبيَّن سخافة عقولهم ، وتوعَّدهم بالعذاب الأليم .

٣٤ ــ وقوله جلّ وعز : ﴿ كِتَابٌ أُنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ ﴾ [آية ٢٩] .

على إضمار هذا[١] .

ثم قال تعالى ﴿ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ ﴾ أي ليفكروا في عواقب ما يكون منه[٢] ﴿ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾ أي العقول[٣] .

٣٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [آية ٣٠] .

فيه سبعة أقوال :

أ ــ قال ابن المسيب : ﴿ الأَوَّابُ ﴾ : الذي يُذنِبُ ثم يتوبُ ، ثم يُذنبُ ثم يتوب[٤] .

ب ــ وقال سعيد بن جبير : ﴿ الأَوَّابُ ﴾ : المسبِّح[٥] .

جـ ــ وقال قتادة : المطيعُ[٦] .

---

(١) قال في البحر ٣٩٥/٧ : ﴿ كتابٌ أنزلناه ﴾ ارتفع على إضمار مبتدأ ، أي هذا كتاب مبارك أنزلناه .

(٢) أي ليتدبروا آياته البينات ، وما فيها من الإشراقات والأنوار ، وما يُستقى منها من الحِكَم والأحكام ..

(٣) قال القرطبي ١٩٢/١٥ : ﴿ أولو الألباب ﴾ أي أصحاب العقول ، واحدها لبٌّ ، وقد يُجمع على أَلُبّ ، كما جُمع بُؤْسٌ على أبؤس . اهـ. قال في المصباح : اللُّبُّ العقل ، والجمع ألبابٌ ، مثل قُفْلٍ ، وأقفال ، ولبُّ كل شيء خالصُهُ ، ومثلُه لُبَابه . اهـ.

(٤ ــ ٦) هذه الآثار كلُّها وردتْ عن السلف ، كما في تفسير الطبري ١٥٣/٢٣ وابن الجوزي ١٢٧/٧ والقرطبي ١٥٩/١٥ قال ابن الجوزي : وفي « الأوَّاب » أقوالٌ ، أليقُها بهذا المكان : =

د ـــ **وقال عُبيدُ بنُ عُمَيْرٍ** : الذي يذكر ذنبه في الخلاءِ ، فيستغفرُ منه[1] .

هـ ـــ **وقيل** : الرَّاحمُ[2] .

و ـــ **وقيل** : التائب[3] .

ز ـــ **وقال أهل اللغة** : الرجَّاع الذي يرجعُ إلى التَّوبةِ[4] .

٣٦ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ ﴾** [آية ٣١] .

قال مجاهد : ﴿ الصَّافِنَاتُ ﴾ من الخيل : التي ترفع إحدى يديها ، وتقف على ثلاث[5] .

وقال الفراء : الصَّافِنُ : القائم[6] .

= أنه رجَّاع بالتوبة إلى الله تعالى ، مما يقع منه من السَّهْو والغفلةِ . اهـ. وقال ابن كثير ٥٥/٧ : الأوَّاب : هو كثير الطاعة ، والعبادة ، والإنابة إلى الله عز وجل .

(١ ـــ ٤) هذه الآثار لا تعارض بينها ، وقد ذكرت جميعها في كتب التفسير ، وتكاد تكون راجعة إلى المعنى الجامع ، الذي قاله أهل اللغة ، كما في اللسان مادة « أُوَبَ » قال : أوَّابٌ : كثيرُ الرجوع إلى الله عز وجل من ذنبه ، والأَوْبةُ : الرجوعُ كالتوبة ، والأَوَّابُ : التائب ، قال أبو بكر : في الأوَّاب سبعةُ أقوال : الراحمُ ، والتائب ، والمسبِّح ، والمطيع .. إلخ.

(٥) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ٥٦/٧ ولفظه قال مجاهد : « الصَّافنات » هي التي تقف على ثلاث ، وطَرَفِ حافرِ الرابعةِ ، والجيادُ : السِّراع ، وكذا قال غير واحد من السلف . اهـ.

(٦) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ وهذا القول الذي ذهب إليه الفراء ورجحه النحاس ، هو قول ابن قتيبة ، كما حكاه في زاد المسير ١٢٧/٧ قال ابن قتيبة : الصافنُ في كلام العرب : الواقف =

وهذا المعروفُ في كلامِ العرب .

قال مجاهد : الجيادُ : السِّراعُ[1] .

٣٧ ـ **وقولُه جلَّ وعز : ﴿ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي .. ﴾** [آية ٣٢] .

قال الفراء : الخيرُ في كلام العرب ، والخيلُ واحدٌ[2] .

قال أبو جعفر : في الحديث الشريف (الخيلُ في نَواصيها الخيرُ إلى يومِ القيامةِ)[3] .

فكأنها سميت خيراً لهذا .

وفي الحديث (لمَّا وفد زيدُ الخيلِ على النبيِّ ﷺ فقال له : أنت زيدُ الخيرِ)[4] .

= من الخيل وغيرها ، قال الفراء : على هذا رأيتُ العربَ ، وأشعارهم تدلُّ على أنه القيامُ خاصة . اهـ.

(١) قال ابن الجوزي في تفسيره : فأما الجيادُ فهي السِّراع في الجري . اهـ. زاد المسير ١٢٨/٧ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ .

(٣) الحديث أخرجه الدارمي في الجهاد ، وأحمد في المسند ٣٩/٣ ولفظُه « الخيلُ معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » وورد في البخاري بصيغة « الخيرُ معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة » وفي الأسلوب النبوي الشريف نفحة من نفحات الجمال ، بين لفظ « الخيل » و « الخير » وهذا ما يسمى عند علماء البيان الجناس غير التام .

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٦٢/٢ في ترجمة « زيد الخيل » : زيد الخيل بن مهلهل ، وفد في سنة تسع وسمَّاه النبي ﷺ « زيد الخير » ثم روى بسنده عن عبد الله بن مسعود قال : « كنا عند النبي ﷺ فأقبل راكبٌ حتى أناخ ، فقال يا رسول الله : إني أتيتُك من مسيرة تسع =

وهو « زيد بن مُهَلْهَل » الشاعر .

قال الفراء : المعنى : إني آثرتُ حبَّ الخير[1] .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى : إني أحببتُ حبَّ الخير حبّاً ، فألْهاني عن ذكرِ ربِّي[2] .

قال قتادة : عن صلاة العصر[3] .

٣٨ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴾** [آية ٣٢] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى حتى توارت الشَّمسُ[4] ، وأنه قد عُرف معنى الضمير ، كما قال :

أسألك عن خصلتين فقال : ما اسمك ؟ قال : أنا زيد الخيل ، قال : بل أنت زيد الخير .. » الحديث ، وكان شاعراً ، خطيباً ، شجاعاً ، كريماً ، يكنى أبا مكنف . اهـ.

(١) ضمَّن « أحببتُ » معنى « آثرتُ » ولهذا عُدِّي بـ « عن » والمعنى : إني آثرتُ حبَّ الخيل على ذكر ربي ، أو حتى شغلني عن ذكر ربِّي ، وهكذا فسَّره الزجاج ٣٣٠/٤ وانظر معاني القرآن للفراء ٤٠٥/٢ .

(٢) ذكره القرطبي ١٩٤/١٥ وقال : هذا على تقدير مصدر ، أُضيف إلى المفعول : أي أحببت الخير حباً فألهاني .. إلخ.

(٣) هذا قول جمهور المفسرين ، سلفاً وخلفاً ، قالوا : الصلاة التي فاتته هي صلاة العصر ، وانظر ابن كثير ٥٦/٧ وزاد المسير لابن الجوزي ١٢٩/٧ .

(٤) الضمير للشمس وإن لم يتقدم ذكرها ، ولكنها تفهم من سياق الكلام ، وذكر العشيِّ يقتضيها ، والمعنى : حتى غابت الشمس ، قال القرطبي ١٩٥/١٥ : يعني الشمس ، وهي كناية عن غير مذكور ، كقوله تعالى ﴿ ما ترك على ظهرها من دابة ﴾ أي على ظهر الأرض ، وتقول العرب : هاجت باردة أي هاجت الريح باردة . اهـ.

عَلَى مِثْلِهَا أَمْضِي إِذَا قَالَ صَاحِبِي
أَلَا لَيْتَنِي أَفْدِيكَ مِنْهَا وأَفْتَدِي[1]

أي منها ، يعني من الفَلَاة ، ولم يَجْرِ لها ذكر .

قال أبو إسحق : لما قال : ﴿ **بالعَشِيّ** ﴾ كان المعنى بعد زوال الشمس ، فجيء بالضمير على هذا[2] .

ورَوَى أبو اسحقَ عن الحارث ، عن عليٍّ رضي الله عنه ، قال : « الصَّلَاةُ التي فرَّط فيها سليمان صلاةُ العصرِ »[3] .

وقيل : حتى توارتْ بالحجاب ، يعني الخيل .

ورَوَى سعيدُ بن مسروق عن عكرمة قال : كانت الخيلُ التي شُغل بها سليمانُ ، عشرين ألف فرسٍ ، **فَقَطَّعها**[4] .

---

(١) البيت لطرفة بن العبد من معلقته المشهورة « لخولة أطلالٌ ببرقة ثَهْمَدِ » كما في ديوانه ص ٤٢ .

(٢) هذا القول هو الأظهر والأشهر ، أن الضمير في قوله ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ يعود إلى الشمس ،لأنه يُفهم من السياق ، كما في قوله تعالى ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ ولم يتقدم للنار ذكر ، وهذا الذي ذكره المصنف ، قول الزجاج في معانيه ٣٣١/٤ وقد وضَّحه القرطبي فقال : وقال الزجاج : إنما يجوز الإضمار إذا جرى ذكر الشيء ، أو دليل الذكر ، وقد جرى ههنا الدليل وهو ذكر « العشي » وهو ما بعد الزوال . اهـ.

(٣) هذا الأثر عن علي رضي الله عنه ، ذكره الطبري ١٥٥/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٠٩/٥ وقال ابن كثير ٥٦/٧ : « ذكر غير واحد من السلف والمفسرين ، أنه اشتغل بعرضها ، حتى فاتَه وقت صلاة العصر » . اهـ. وهذا القول أنكره بعض المفسرين وقالوا : تفويت الصلاة ذنبٌ لا يفعله سليمان ، وإنما شغلته عن ذكر مخصوص ، كان قد اعتاده ويدلُّ عليه قوله تعالى « عن ذكر ربِّي » وانظر التسهيل ٤٠١/٢ والفخر الرازي ٢٠٥/٢٦ وصفوة التفاسير ٥٩/٣ .

(٤) هذا قول لبعض المفسرين أن الضمير في قوله تعالى ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ يعود إلى الخيل =

٣٩ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحَاً بِالسُّوقِ وَالأَعْنَاقِ ﴾** [آية ٣٣] .

قال الحسن : في قوله تعالى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحَاً بِالسُّوقِ والأَعْنَاقِ ﴾ فَقَطَّع أَسْوُقَها وأعْنَاقها[1] ، فأبْدَله اللهُ جلَّ وعزَّ مكانَها خيراً منها[2] .

وقيل : معنى ﴿ فَطَفِقَ مَسْحاً ﴾ : أقبلَ يمسحُهَا بيده ، من غير قتلٍ ، كما رَوَى ابنُ أبي طلحة عن ابن عباس قال : يقول : جعل يمسحُ أعرافَ الخيلِ ، وعراقيبهَا ، حُبّاً لَهَا[3] .

= لا إلى الشمس ، واختاره أبو حيان في البحر المحيط ٣٩٦/٧ حيث قال : والظاهر أن الضمير في « تَوَارَت » عائد على الصافنات ــ يعني الخيل ــ أي دخلت اصطبلاتها فهي الحجاب ، أو توارت في السباق حتى حجبت عن النظر . اهـ.

(١) قيل : كانت عشرين فرساً ذكره الطبري ، وقيل : كانت عشرين ألفاً ، قال ابن كثير وهذا أشبه ، والأثر الذي ذكره المصنف ، رواه أبو حاتم عن إبراهيم التيمي .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٥٦/٢٣ وابن الجوزي ١٣١/٧ وابن كثير ٥٧/٧ ولفظ الطبري : وقال الحسن البصري : « قال لا والله لا تشغليني عن عبادة ربي ، آخر ما عليك ، فكسف عراقيبها بضرب أعناقها » وهذا قول قتادة أيضاً ، وقال السدي : ضرب سوقها وأعناقها . اهـ.

(٣) هذا القول عن ابن عباس ذكره الطبري ١٥٦/٢٣ وهو رواية أخرى عنه ، واختاره ابن جرير ورجحه ، وقال ما نصه : « وهذا القول الذي ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبي الله ﷺ لم يكن ــ إن شاء ــ ليعذِّب حيواناً بالعَرْقَبة ــ أي قطع الركبة والساق ــ ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب ، سوى أنه اشتغل عن صلاته ، بالنظر إليها ، ولا ذنب لها باشتغاله بذلك . اهـ.

قال الحافظ ابن كثير ٥٧/٧ بعد أن ذكر رواية ابن جرير : « وهذا الذي رجَّح ابن جرير فيه نظر ، لأنه قد يكون في شرعهم جواز مثل هذا ، ولا سيما إذا كان غضباً لله عز وجل ، بسبب =

ومن قال : **قَتَلَهَا** ، فذلك على أنـه ذكاةٌ ، أو أنـه أُبيـح ذلك ، كما رُوي عن عبدالله بنِ عمر ، أنه أعجبَهُ غلامٌ فأعتقه[1] .

٤٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـانَ وَأَلْقَيْنَـا عَلَـى كُرْسِيِّـهِ جَسَدَاً ثُمَّ أَنَابَ ﴾** [آية ٣٤] .

قد رُويتْ في ذلك أخبارٌ :

أ ــ **منها** أن شيطاناً غَلَبَ على ملكه أيَّاماً[2] .

= أنه اشتغـل بها حتـى خرج وقت الصلاة ، ولهذا لما خرج عنها لله تعـالى ، عوَّضه الله ما هو خير منها ، وهي الريح التي تجري بأمـره رُخـاء حيث أصاب ، غدوُّهـا شهـر ورواحهـا شهـر ، فهـذا أسرع وخيرٌ من الخيل . اهـ .

وقال ابن الجوزي في تفسيره ١٣٢/٧ : والمفسرون على القول الأول ، وقد اعتـرضوا على القـول الثاني وقالوا : أيُّ مناسبة بين شغلها إياه عن الصلاة ، وبين مسح أعرافهـا حبـاً لها ؟! قال : ولا أعلم قوله « حباً لها » يثبت عن ابن عباس ، وحملوا قول مجاهد « مسحاً بيـده » أي تولَّـى ضرب أعناقها بنفسه . اهـ .

أقول : وقد انتصر الإمام الفخر الرازي لما ذهـب إليـه الـطبري من أن المراد المسح باليـد ، وأنـه مسح سوقهـا وأعناقهـا إكرامـاً منـه لها ، لأنها آلـة الجهـاد ، واستبعـد روايـة الجمهـور القائـلين بالذبح ، والعقر من ستة وجوه ، فانظر إليها في تفسيره الكبير ٢٠٥/٢٦ ولكن يمكـن أن يقـال : إنما عقرها ليأكلها الناس ، وكان زمانهم زمان مجاعة فعقرها تقرباً إلى الله ، ولعل كسف العراقيب ليتأتى ذبحها بسهولة ، وأما ما قيل : إنه أتلفها حيث شغلتـه عن عبـادة الله ، فهـو قول باطـل لا ينبغي أن يُلتفت إليه ، وحاشا نبي الله أن يُتلف مالاً محترماً ، لمجرد أنه شُغـل به عن عبـادة الله ، وله طريق إلى الانتفاع به بما يُرضي الله ، والله أعلم .

(١) هذا من سيرة السلف الصالح ، أنهم إذا استحسنوا شيئاً وأحبُّوه ، تصدقوا به ، عملاً بقوله تعـالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ الآية .

(٢) هذا القول من الأخبار الإسرائيلية التي لا ينبغي التعويـل عليها ، لمخالـفتها العقـل والنقـل ، فإن الله عز وجل لم يجعل للشيطان سلطاناً على عبادة المؤمنين ، حيث قال ﴿ إن عبادي لَيْسَ لك عليهم =

ب ـــ ومنها أن الشَّياطيـنَ قتلـتْ ابنَـه ، خوفـاً من أن يملكهـم بعده ، وألقَتْهُ على كرسيِّه ، واللهُ أعلمُ بما كان من ذلك(١) .

والكلامُ يوجب أنه أُزيل ملكه ، فجلس آخرُ على كرسيِّه(٢) .

٤١ ـــ وقولـه جلَّ وعـز : ﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِـرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكَـاً لَا يَنْبَغِـي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي ﴾ [آية ٣٥] .

أي أعطنـي فضيلـةً ومنزلـة كما قال إبـراهيم ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْـــفَ

= سلطان إلا من اتَّبعك من الغَاوين ﴾ فكيف يجعل له سلطاناً على الأنبيـاء والمرسلين ؟! ومـا أشار إليـه المصنـف هو روايـة واهيـة ، ذكرهـا بعض المفسريـن في كتبهم ، وتتلـخص في أن نبـي الله سليمان عليه السلام كان له زوجة تسمى « جرادة » وكانت أحبَّ نسائه إليه ، وكان له خاتم فيـه اسم الله ، هو خاتم ملكه ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجـة نزع خاتمه توقيراً لاسم الله تعـالى ، ولم يأتمن أحداً من النـاس غيرهـا ، وأعطاهـا يومـاً خاتمه ودخـل الخلاء ، فخـرج الشيطـان في صورة سليمان ، فقال لها : هاتي الخاتم ، فأعطته إياه ، فجاء حتى جلس على كرسي سليمـان ، يأمـر وينهى ، والنـاس يظنـون أنـه سليمـان ، وخـرج سليمـان بعـد ذلك ، فسألها أن تعطيـه الخاتم ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، فخـرج من القصر تائهـاً ، ومكـث الشيطـان يحكـم بين الناس أربعين يوماً ، فأنكر الناس أحكامه ، وألقى الشيطـان الخاتم في البحـر ، فابتلعتـه سمكـة ، فبينا هو يوماً على شطِّ نهر ، وجد سمكـة فأخذهـا ، فشقَّ بطنها فوجـد خاتمه ، فلبس سليمـان الخاتـم وعاد إلى ملكه .. إلى آخر ما هنالك من روايات واهية لا يوثق بها لأنها من أباطيـل أهـل الكتـاب ، قال الحافظ ابـــن كثير ـــ بعـــد أن أورد بعض تلك الآثار ـــ : ولهذا كان في هذا السياق منكرات ، وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب ، والله أعلم بالصواب .

(١) هذه الرواية ذكرها ابـن الجوزي في زاد المسير عن الشعبـي ١٣٥/٧ وهـي كسابـقتها ضعيفـة غير صحيحة .

(٢) ليس لدينا نص صريح قاطع ، يدل على زوال ملك سليمان ، كما قال المصنف .

تُحْيِي المَوْتَى ﴾[1] ؟

٤٢ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾** [آية ٣٦] .

قال قتادة : الرُّخاء : اللَّيِّنةُ[2] .

قال الحسن : الرُّخاءُ : ليست بعاصفةٍ ، ولا هيِّنةٍ ، بين ذلك[3] .

وروى عليُّ بنُ أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ : قال : مطيعةً حيث أراد[4] .

حَكَى الأصمعيُّ : أصابَ الصَّواب ، فأخطأ الجواب .

أي أراد الصَّوابَ ، وحقيقتُه في اللغة أنه بمعنى قَصَد ، من قولهم : أَصَبْتَ ، أي قصدتَ فلم تُخْطِىء[5] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٦٠ .

(٢) مأخوذ من الرخاوة وهي اللين ، وانظر الأثر في تفسير الطبري ٢٣/١٦٠ وابن الجوزي ٧/١٤٠ .

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٦٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٤ .

(٤) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٦١ وأبو حيان في البحر ٧/٣٩٨ وابن الجوزي ٧/١٤٠ قال في التسهيل ٣/٦٥ : فإن قيل : كيف قال هنا ﴿ رُخَاء ﴾ أي ليِّنة ، وقال في الأنبياء ﴿ عاصفة ﴾ وهي الشديدة ؟ فالجواب : أنها كانت في نفسها لينة طيبة ، وكانت تسرع في جريها كالعاصف ، فجمعت الوصفين .

(٥) هذا قول الزجاج أيضاً ٤/٣٣٣ أنَّ ﴿ أَصَابَ ﴾ بمعنى أراد ، قال في البحر ٧/٣٩٨ : أصاب أي « أراد » لغة حمير ، وأنشد الثعلبي :

أَصَابَ الكَلَامَ فلم يَسْتَطِعْ فَأَخْطَا الجَوابَ لَدَى المِفْصَلِ

٤٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ [آية ٣٧] .

أي مَنْ يبني له المحاريب والتماثيل ، ومن يغوص في البحر ، فيخرِجُ الحِلْيَةَ[١] .

وقوله جل وعز : ﴿ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : أي في الأغلال[٢] .

قال أبو جعفر : يُقال : صَفَدْتُ الرجلَ إذا شَدَدتَه ، وأصفدتُه : أعطيتُه[٣] .

٤٤ ــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آية ٣٩] .

---

(١) قال المفسرون : إن سليمان هو أول من استخرج الدُّرَّ ، كانت الشياطين يغوصون أعماق البحار ، فيستخرجون له ، قال الحافظ ابن كثير عند تفسيره هذه الآية ﴿ والشياطين كل بنَّاء وغوَّاص ﴾ أي منهم من هو مستعمل في الأبنية الهائلة من محاريب ، وتماثيل ، وجفان ، كالجواب ، وقدورٍ راسيات ، إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة ، التي لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون في البحار ، يستخرجون مما فيها من اللآلئ والجواهر ، والأشياء النفيسة التي لا توجد إلَّا فيها .

(٢) الأثر ذكره القرطبي عن قتادة ١٥/٢٠٦ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٤ عنه قال : مردةُ الشياطين في الأغلال ، وهذا قول أهل اللغة أيضاً قالوا : الأصفاد : السلاسل والأغلال ، واحدها صَفَد ، قال الشاعر :

فآبُوا بالنِّهابِ وبالسَّبَايَا وأُبْنَا بالمُلُوكِ مُصَفَّدِينَا

(٣) قال في اللسان مادة « صفد » : صَفَدتُ الرجل فهو مصفود أي شددته وقيَّدته بالحديد ، وأصفدتُه إصفاداً ، أي أعطيته مالاً ، أو وهبت له شيئاً . اهـ.

قال الحسن والضحاك : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ : المُلْكُ ، فأَعْطِ وامْنَعْ[1] .

وقال قتادة : هؤلاء الشياطينُ ، فاحبسْ من شئتَ ، وسرِّحْ من شئتَ[2] .

وعن ابن عباس : كان له ثلاثُمائةِ امرأةٍ ، وتسعُمائةِ سُرِّيةٍ ، هذا عطاؤنا[3] .

قال أبو جعفر : وأولاها الأوّلُ ، لأن الأول مشتملٌ على كلِّ ما أُعطي ، وهو عقيب تلك الأشْياءِ .

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٦٢/٢٣ والقرطبي ٢٠٦/١٥ قال : والإشارة بهذا إلى الملك ، أي هذا المُلْكُ عطاؤنا ، فأعطِ من شئت ، وامنع من شئت ، لا حساب عليك ، قاله الحسن والضحاك . اهـ.

أقول : وهو أصحُّ الأقوال في معنى الآية ، قال أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ : ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ إشارة لما أعطاه الله تعالى من المُلكِ الضخم ، وتسخير الريح ، والإنس ، والجنّ ، والطير ، وأمره بأن يمنَّ على من يشاء ، ويمسك عمن يشاء ، أعلمه تعالى قدر النعمة ، ثم أباح له التصرف فيها بمشيئته ، وهو تعالى يعلم أنه لا يتصرف إلا بطاعة الله . اهـ. وهو اختيار ابن كثير .

(٢) هذا الأثر عن قتادة أخرجه أبو حيان في البحر ٣٩٩/٧ والطبري في جامع البيان ١٦٢/٢٣ وابن الجوزي ١٤١/٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٦٣/٢٣ عن ابن عباس ، والقرطبي ٢٠٦/١٥ وهو قول ضعيف ، يكاد لا يصحُّ عن ابن عباس ، وقد ذكر الغرناطي في التسهيل ٤٠٤/٣ أن القول الأول أحسن ، وهو قول ابن عباس ، وقال في البحر ٣٩٩/٧ : روي عن ابن عباس أن قوله تعالى ﴿ هذا عطاؤنا ﴾ : إشارة إلى ما وُهبَه من النساء ، وأقدره عليهن من جماعهن ، ولعله لا يصح عن ابن عباس ، لأنه لم يجر هنا ذكر النساء ، ولا ما أُوتي من القدرة على ذلك . اهـ.

ورَوَى سفيـانُ عن أبيـهِ ، عن عكرمــةَ ، عن ابــن عبــاس ﴿ فَامْنُنْ ﴾ أي أعـطِ ، ﴿ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْـرِ حِسَابٍ ﴾ : أي أمسِكْ فليس عليك حساب[1] .

ورَوَى ابـنُ أبي نجيـح ، عن مجاهـد ﴿ بِغَيْـرِ حِسَابٍ ﴾ : أي بغير حَرَج .

وقال الحسن : ليس أحدٌ ينعم عليه بنعمةٍ ، إلاَّ وهو يُحـاسب عليها ، إلاَّ سليمان ، ثم قرأ ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا ﴾ أي بغير تقتير[2] .

ويجوز أن يكون بمعنى : لا يُحاسب عليه[3] .

٤٥ ـــ ثم قال جلَّ وعــزَّ : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَــا لَزُلْفَـــى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾ [آية ٤٠] .

قال قتادة : أي حسنُ مصيرٍ[4] .

٤٦ ـــ ثم قال جل وعزَّ ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ ، إِذْ نَادَى رَبَّهُ ، أَنِّـي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [آية ٤١] .

---

(١) هذا القول عن ابن عباس يرجح ما ذهبنا إليـه أن المراد بالعطـاء الملك لا النساء ، وقد ذكره في الدر المنثور ٣١٥/٥ وعزاه إلى مجاهد والحسن البصري .

(٢) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣١٥/٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٤١/٧ .

(٣) هذا قول عكرمة كما في الدر المنثور ٣١٥/٥ : قال : ما أعطيْتَ أو أمسكْتَ ، فليس عليك فيه حساب . اهـ .

(٤) هذا تفسير للمآب ، والمآب في اللغة العربية معناه : المرجعُ والمصير . وأما « الزُّلفى » فمعناها القربة والكرامة ، ومعنى الآية : إن له عندنا لمكانة رفيعة في الدنيا ، وحسنَ مرجع في الآخرة .

ويُروى عن الحسنِ ، والجُحْدرِي ، وأبي جعفر ﴿ **بَنَصَبٍ** ﴾[1] بفتح النون والصَّاد ، وهما عند أكثر أهل اللغة بمعنى واحد ، كما يُقال : حُزْنٌ ، وَحَزَنٍ ، إلاَّ أن القتبيَّ حكى أنَّ أبا عُبيدة قال : النُّصْبُ : الشرُّ ، والنَّصَبُ : الإعياء[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : أنْصَبه ، يُنْصِبهُ : إذا عذَّبه وآذاه ، ومنه :

« كِلِيني لِهَمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ »[3]

قال أبو جعفر : وأحسنُ ما قيل في معنى ﴿ **أنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ** ﴾ ما رواه يوسفُ بنُ مهران عن ابن عباس قال :

« لمَّا أصابَ أيُّوبَ ﷺ البلاءُ ، أخذ إبليسُ تابوتاً ، وقعد على

---

(١) في هذه الآية ثلاث قراءات :
الأولى : « نُصْب » بضم النون وإسكان الصَّاد ، وهي قراءة الجمهور ، حفص ، وعاصم ، وأبو بكر .
الثانية : «نَصَب » بفتح النون والصاد ، وهي قراءة يعقوب ، والجحدري .
الثالثة : « نُصُب » بضم النون والصاد ، وهي قراءة أبي جعفر ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٦٢ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٤ فقد فرَّق بينهما من حيث اللغة .

(٣) هذا شطر بيت للنابغة وتمامه كما في ديوانه ص ٤٠ وهو مطلع القصيدة :
كِلِيني لهمٍّ يا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ   ولَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءِ الكَوَاكِبِ
وانظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢/١٨٤ واللسان مادة نصب ، والطبري ٢٣/١٦٥ .

الطريق يداوي النَّاسَ ، فجاءته امرأة أيوب ، فقالت : أتُداوي رجلاً ، به عِلَّةُ كَذَا ، وكَذَا ؟ فقال : نعم بشرطٍ واحد ، على أنيِّ إذا شَفَيْتُه قال لي : أنتَ شفيتَنِي ، لا أريدُ منه أجراً غيرَ هذا .

فجاءت امرأةُ أيُّوبَ إلى أيُّوبَ فأخبرتْهُ ، فقال لها : ذاكِ الشيطانُ ، واللّهِ لئن بَرَأْتُ لأضربنَّكِ مائةً ، فلما بَرَأَ ، أخذ شِمْرَاخاً[1] فيه مائة ، فضَرَبَها به ضَرْبةً »[2] .

قال أبو جعفر : فمعنى النُّصْبِ على هذا ، هو ما ألقاه إليه ، أي يكون شيئاً وسوس به .

---

(١) الشِّمْراخ : هو عنقود النخيل وهو بمنزلة العنقود في العنب قال في اللسان : الشِّمْراخ والشُّمروخ : العِثْكالِ ـ أي العنقود ـ الذي عليه البُسْر ، وأصله في العِذق وجمعه شماريخ .

(٢) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في زاد المسير ١٤٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٦/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢١٢/١٥ وهي من الإسرائيليات الباطلة .

أقول : وقد رويت آثار كثيرة هي من الأخبار الإسرائيلية ، ضربنا صفحاً عنها ، لأنها لا تناسب مناصب الأنبياء ، الذين نزههم الله ، وعصمهم عن كل ما يشين ، منها أنه أصيب بالجذام ، وأنه مرض حتى تساقط لحمه .. إلخ. قال ابن العربي القاضي فيما نقله عنه القرطبي : ولـن يصحَّ عن أيوب في أمره ، إلا ما أخبرنا الله عنه في كتابه في آيتين : الأولى قوله تعالى ﴿ وأيُّوب إذ نادى ربَّه أني مسَّني الضُّرُّ ﴾ والثانية في « ص » ﴿ أنّي مسَّنِي الشَّيطان بنُصبٍ وعذاب ﴾ وأما النبي ﷺ فلم يصحَّ عنه أنه ذكره بحرف واحد ، إلا قوله « بينا أيوب يغتسل إذ خرَّ عليه رِجْلٌ من جراد من ذهب .. » الحديث . وإذ لم يصح عنه فيه قرآن وسُنَّة إلا ما ذكرناه ، فمن الذي يوصل ـامع إلى أيوب خبره ؟ أم على أي لسان سمعه ؟ والإسرائيليات مرفوضة عند العلماء ، فأعرضْ عن سطورها بصَرَك ، واصْمُمْ عن سماعها أذنيك ، فإنها لا تعطي فكرك إلَّا خيالاً ، ولا تزيد فؤادك إلا خبالاً » . اهـ. نقلاً عن القرطبي ٢١٠/١٥ .

فأمّا قولُ من قال : إنّ « النُّصْبَ » ما أصابَه في بَدَنه ، و« العَذَابُ » ما أصابَهُ في مالِهِ ، فبعيدٌ[1] .

قال مجاهدٌ عن ابن عباس : ضَرَبَها بالأَسَلِ[2] .

قال قتادةُ : أخذ عُودَاً ، فيه تسعةٌ وتسعون عوداً ، وهو تمامُ المائة ، فَضَرَبها به[3] .

قال مجاهدٌ : هذا له خاصٌّ[4] .

وقال عطاءٌ : هذا لجميعِ النَّاسِ[5] .

قال أبو جعفر : البيِّنُ من هذا أنه خاصٌّ[6] ، لأنه قال

---

(١) قال في تهذيب اللغة : الأَسَل : نبات له أغصان كثيرة دقيقة ، لا ورق له . اهـ.

(٢) هذا القول مروي عن السدي ، نقله عنه صاحب البحر ٤٠٠/٧ والراجح أن المراد بالنُّصب التعب والمشقة ، وبالعذاب المرض الذي كان يقاسي فيه أنواع الوصب .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٦٩/٢٣ ولفظه قال : « كانت امرأته قد عرضت له بأمر ، وأرادها إبليس على شيء ، فحلف نبي الله لئن شفاه الله ، ليجلدنّها مائة جلدة ، فأُمر بغصنٍ فيه تسعة وتسعون قضيباً ، والأصل تكملة المائة ، فضربها ضربة واحدة ، فبرّت يمينه ، وخفّف الله عن امرأته ، والله رحيم » .

(٤ ــ ٥) الأثران ذكرهما السيوطي في الدر المنثور ٣١٧/٥ قال ابن الجوزي ١٤٤/٧ : وهل ذلك خاصٌّ له ، أو هو عام ؟ فيه قولان : أحدهما أنه عام ، وبه قال ابن عباس وعطاء ، والثاني أنه خاص لأيوب قاله مجاهد ، وقد اختلف العلماء فيمن حلف أن يضرب عبده عشرة أسواط ، فجمعها كلها وضربه بها ضربة واحدة ، فقال مالك : لا يبرُّ ، وبه قال أصحابنا ــ يعني الحنابلة ــ وقال أبو حنيفة والشافعي : إذا أصابه بالضربة الواحدة كل واحد منها فقد برَّ ، واحتجوا بعموم قصة أيوب عليه الصلاة والسلام . اهـ. نقلاً عن زاد المسير .

(٦) ما ذهب إليه المصنف هو الأرجح ، أن ذلك خصوصية لأيوب عليه السلام ، قال المفسرون :=

﴿ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ فأسقطَ عنه الحِنْثَ ، وقال اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ ومن جُلِدَ بشمراخٍ فيه مائةٌ ، فإنما جُلِدَ جَلدةً واحدةً .

٤٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ ، وإِسْحَقَ ، وَيَعْقُوبَ ، أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ ﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى عليُّ بنُ أبي طَلْحَة ، عن ابن عباس ﴿ أُولِي الأَيْدِي ﴾ قال : القوَّةُ ، والعبادةُ ﴿ وَالأَبْصَار ﴾ قال : الفقهُ في دينِ اللّهِ جل وعزَّ[1] .

قال أبو جعفر : واحدُ « الأَيْدي » يدٌ ، واليدُ تقعُ للقُوَّةِ .

وفي قراءة عبدالله بن مسعود : ﴿ أُولي الأَيْد ﴾ بلا ياءٍ[2] .

= جازاها الله بحسن صبرها على زوجها ، أن أفتاه يضربها بحزمة قضبان ، فجمع لها مائة عود ، فضربها بها ضربة واحدة ، فسهَّل الأمر عليها لتقواها ، ومما يدل على الخصوصية أنه لو جمع في الحدِّ ــ في الزنى أو القذف ــ للمضروب بين الجلدات ، فجلده دفعة واحدة لا يجزىء ، والله أعلم .

(١) الأثر ذكره الطبري ١٧٠/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣١٨/٥ قال الطبري : وذكر الأيدي مَثَلٌ ، وذلك لأن باليد البطش ، وبالبطش تعرف قوة القوي ، وعنى بالبصر بصرَ القلب ، وبه تنال معرفة الأشياء . اهـ.

(٢) هذه من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢٣٣/٢ قال الفراء في معاني القرآن ٤٠٦/٢ : وفي قراءة عبد الله ﴿ أولي الأيد ﴾ وفيها وجهان : أحدهما أنه أراد الأيدي فحذف الياء وهو صواب مثل الجوار ، والمناد ، والثاني أن يكون من القوة والتأييد . اهـ.

وهذا بيّنٌ من قولهم : أَيَّدَهُ إذا قَوَّاه(١) .

٤٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴾ [آية ٤٦] .

قال قتادة : أي يُذَكِّرون بالآخرة ، وبطاعةِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ(٢) .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ بيِّنٌ ، أي إنهم يُزهِّدون في الدنيا ، ويُرغِّبون في الآخرة ، وكذا الأنبياءُ صلَّى الله عليهم وسلم .

وقال الضحاك : أي بخوفِ الآخرة(٣) .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا القول : أنهم يَذْكُرونَ الآخرةَ ، ويَرْغَبُونَ فيها ، ويَزْهَدُونَ في الدنيا .

---

(١) ومن ذلك قوله تعالى عن عيسى بن مريم ﴿ وأيدناه بروح القدس ﴾ وقوله لمحمد ﷺ ﴿ هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ وقال الطبري ١٧١/٢٣ : وقراءة عبد الله « أولي الأيد » يحتمل أن يكون ذلك من التأييد ، وأن يكون بمعنى « الأيدي » ولكنه أسقط منه الياء ، كما في قوله تعالى ﴿ واستمع يوم ينادي المنادِ ﴾ بحذف الياء . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٧١/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ١٤٧/٥ قال ابن جرير والمعنى : أنهم كانوا يذكّرون الناس الدار الآخرة ، ويدعونهم إلى طاعة الله ، والعمل للدار الآخرة ، وهكذا قال قتادة : كانوا يدعون إلى الآخرة ، وإلى الله . اهـ.

(٣) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر ٤٠٢/٧ وعزاه إلى مجاهد . حيث قال ما نصُّه « خص لهم ذكرهم الدار الآخرة ، وخوفهم لها ، والعمل بحسب ذلك » . اهـ.
أقول : وأولى الأقوال ما رُوي عن عطاء ، ومجاهد ، والسدي : أن المعنى أخلصناهم بذكر الآخرة ، فليس لهم ذكر غيرها ، وليس لهم همٌّ إلا العمل لها ، زهدوا في الدنيا ، ورغبوا في الآخرة ، وفيما عند الله ، وهذا ما رجحه المصنف ، وهو أظهر الأقوال ، وانظر تفسير ابن كثير ٦٧/٧ والبحر المحيط ٤٠٢/٧ .

وهذا القولُ ظاهرُ معنى الكلمة .

وقد يكون من صفتهم أيضاً الترغيبُ في الآخرة .

وهذان التأويلان على قراءةِ من قرأ بالتنوين(١) .

ومن أضاف قال معناه : أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة .

هذا قول ابن زيد(٢) .

والمعنى على هذا القول : أنهم يُذكِّرون بالآخرة ، ويُرغِّبونَ فيها ، ويُزهِّدون في الدنيا .

وفي القراءة بالإضافة قولٌ آخر ، وهو قول مجاهد ، يكون المعنى : إنَّا أخلصناهمْ بأن ذَكَرنا الجنَّة لهم(٣) .

٤٩ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ ﴾ [آية ٤٧] .

---

(١) أشار المصنف إلى أن هناك قراءتان : القراءة الأولى ﴿بخالصةٍ ذكرى الدَّار﴾ بالتنوين وهي قراءة الجمهور ، والقراءة الثانية بالإضافة ﴿ بخالصةِ ذكرى الدار ﴾ وبها قرأ نافع وحده ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ٢/٥٥٤ .

(٢) الأثر ذكرة الطبري ٢٣/١٧١ وأبو حيان في البحر المحيط ٧/٤٠٢ وابن كثير ٧/٦٧ ولفظه : وقال ابن زيد « جعل لهم خاصة أفضل شيء في الدار الآخرة » . اهـ.وقال الطبري : « بخالصة ذكرى الدار » أي بأفضل ما في الآخرة أخلصناهم به ، وأعطيناهم إياه ، قاله ابن زيد : قال : والدار هي الجنة ، وقرأ ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون عُلُواً في الأرض ولا فساداً ﴾ . اهـ.

(٣) أي ذكرنا لهم الجنة فجدُّوا واجتهدوا في طلبها والعمل لها ، فكانوا بحق عباداً لله ، وقد ذكر هذا المعنى الطبري .

أي هم مصطفَونَ من الذُّنوبِ ، والأدناسِ[1] .

٥٠ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الأخْيارِ ﴾** [آية ٤٨] .

قال الأشعري : قيل « ذو الكِفْلِ » لأنه كفل بعمل رجلٍ صالح ، كان يصلِّي في كل يوم مائةَ صلاةٍ ، فأثنى اللَّهُ جلَّ وعزَّ عليه بحسن كفالته ، ولم يكن نبيًّا[2] .

وقيل : كَفَل لبعضِ الملوك بالجنة ، وكتب له كتاباً بذلك[3] .

---

(١) قال ابن الجوزي عند تفسيره هذه الآية ١٤٧/٧ ﴿ وإنهم عندنا لمن المُصطفين الأخيار ﴾ أي من الذين اتخذهم الله صفوة ، فصفَّاهم من الأدناس ﴿ الأخيار ﴾ الذين اختارهم له . اهـ. وهو أوضح مما قاله المصنف .

(٢) الأثر أخرجه ابن كثير ٣٥٩/٥ والطبري ٧٥/١٧ قال الحافظ ابن كثير : وأما « ذو الكفل » فالظاهر من السياق أنه ما قُرن مع الأنبياء ، إلَّا وهو نبي ، وقال آخرون : إنما كان رجلاً صالحاً ، وكان ملكاً عادلاً ، وحكماً مقسطاً ، وتوقَّف ابن جرير في ذلك » . اهـ.

أقول : الصحيح أنه من الأنبياء ، من أنبياء بني إسرائيل ، فإن ذكره في جملة الأنبياء ، الذين أثنى الله عليهم ذلك الثناء العاطر ، واختارهم من بين سائر الخلق ، وذكر أنهم من الصفوة الأخيار ، دليل على نبوته ، وهذا مذهب الجمهور ، والله أعلم .

(٣) هذا الأثر ذكره القرطبي في تفسيره عن كعب ٣٢٨/١١ ولفظه : « كان في بني إسرائيل ملك كافر ، فمرَّ ببلاده رجل صالح ، فقال : والله لا أخرج من هذه البلاد حتى أعرض على هذا الملِك الإسلام ، فعرض عليه ، فقال : ما جزائي ؟ قال : الجنة ـــ ووصفها له ـــ قال : من يتكفَّل لي بذلك ؟ قال : أنا ، فأسلم الملك وتخلى عن المملكة ، وأقبل على طاعة ربه حتى مات ، فدُفن في قبره ، فأصبحوا فوجدوا يده خارجة من القبر ، وفيها رقعة خضراء مكتوب فيها بنور أبيض : إن الله قد غفر لي ، وأدخلني الجنة ، ووفى عن كفالة فلان ، فسُمِّيَ ذا الكفل اهـ.

والكِفْلُ في اللغة : النَّصيبُ ، والحظُّ .

٥١ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ هَذَا ذِكْرٌ ، وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴾**
[آية ٤٩] .

﴿ **هَذَا ذِكْرٌ** ﴾ أي شرفٌ ، وذكر حَسَنٌ في الدنيا[١] .

ثم قال ﴿ **وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسنَ مَآبٍ** ﴾ أي لهم مع الذِّكرِ الحسنِ في الدنيا ، حسنُ مرجعٍ في الآخرة .

٥٢ ــ **ثم بيَّن ذلك فقال ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَاب ﴾**
[آية ٥٠] .

أي أبوابها[٢] .

٥٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾**
[آية ٥٢] .

رَوَى سعيد عن قتادة قال : قَصرْنَ طرفهنَّ على أزواجهنَّ ، فلا يُردن غيرهم[٣] .

قال أبو جعفر : وأنشد أهلُ اللُّغةِ :

---

(١) قوله تعالى ﴿ هذا ذكر ﴾ الإشارة إلى ما تقدم في هذه السورة ، من ذكر أخبار الأنبياء ، وكأن قوله ﴿ هذا ذكر ﴾ ختام للكلام المتقدم ، ثم شرع بعده في كلام آخر فقال ﴿ وإن للمتقين .. ﴾ كما يُتم المؤلف باباً ، ثم يقول : فهذا باب ، ثم يشرع في آخر .

(٢) قال الفراء في معاني القرآن ٤٠٨/٢ : إنما رُفعت الأبواب لأن المعنى : مفتَّحةً لهم أبوابها ، والعرب تجعل الألف واللام خَلفاً من الإضافة ، فيقولون : مررت على رجل حسن العين ، قبيح الأنف ، والمعنى : حسنةٌ عينه ، قبيح أنفه . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٥٧/٧ والطبري في جامع البيان ١٧٤/٢٣ والقرطبي في =

مِنَ القَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْدَبَّ مُحْوِلٌ
مِنَ الذَرِّ فَوْقَ الإِتْبِ مِنهَا لَأَثَّرا[1]

الإِتْبُ : الجلدُ[2] .

ثم قال تعالى ﴿ أَتْرَابٌ ﴾ .

قال قتادة على سِنٍّ واحدةٍ[3] .

قال مجاهد : أي أمثالٌ[4] .

وَحَكَى السُّدِّيُ : متواخياتٌ ، لايتعادَيْنَ ، ولا يتغايَرْنَ[4] .

٥٤ ــ **وقوله جلَّ وعز ﴿ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَالَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾** [آية ٥٤] .

أي انقطاع .

= الجامع لأحكام القرآن ٨٠/١٥ والمعنى أنهن متحببات إلى أزواجهن ، قد قصرن نظرهن عليهم ، ولا تطمح أعينهن إلى غيرهم ، تعففاً وحسن صحبة .

(١) البيت لامرىء القيس وهو في ديوانه ص ٦٨ ، وانظر تهذيب الأزهري ٣٥٩/٨ ، ولسان العرب مادة قصر ، واستشهد به القرطبي ٢٢٠/١٥ والمُحْوِلُ : الذي أتى عليه الحول ، وهو كناية عن الصغير ، يقول : لو مرت ذرة صغيرة على ثوبها لأثرت في جلدها لنعومتها ورقة بشرتها .

(٢) أصل الإتب في اللغة : ثوب رقيق له جيب ، وليس له كمَّان ، ويسميه العرب : البَقيرة ، كذا في اللسان ، والقاموس .

(٣ ــ ٤) ذكرهما الطبري ١٧٥/٢٣ وأبو حيان في البحر ٤٠٥/٧ قال : ﴿ أتراب ﴾ أمثال على سنٍّ واحدة ، قال الزجاج ٣٣٨/٤ : والأتراب : اللواتي أسنانهن واحدة ، وهنَّ في غاية الشباب والحسن . اهـ.

(٥) الأثر أخرجه الطبري ١٧٥/٢٣ عن السدي ولفظه : ﴿ أتراب ﴾ مستويات ، متواخيات ، لا يتباغضن ، ولا يتعادين ، ولا يتغايرن . ولا يتحاسدن . اهـ.ومراده أنهن على أكرم الخصال ، ليس فيهن بغضاء ، ولا عداوة ، ولا حسد .

قال السدي : كلَّما أُخذ منه شيءٌ ، عاد مثلُه[1] .

٥٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ** ﴾ [آية ٥٧] .

يجوز أن يكون المعنى : هذا حميمٌ وغسَّاقٌ ، فلْيذُوقوه .

ويجوز أن يكون المعنى : هذا فلْيذوقوه ، منه حميم ، ومنه غسَّاقٌ[2] ، كما قال الشاعر :

لَهَا مَتَاعٌ وأَعْوَانٌ غَدَوْنَ لَهَا
قِتْبٌ ، وَغَرْبٌ إِذَا مَا أُفْرِغَ انْسَحَقَا[3]

قال قتادة : كنا نُحَدَّثُ أن الغَسَّاق : ما يسيلُ من بين الجلدِ ، واللحم[4] .

قال الفراء :ــ وهو مذهب الضحاك ــ قيل : الغسَّاقُ شيءٌ

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٧٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٧/١٤٨ قال القرطبي ١٥/٢٢٠ والآية دليل على أن نعيم الجنة دائم لا يقطع كما قال تعالى ﴿ عطاء غير مجذوذ ﴾ وقال : ﴿ آكلها دائم وظلُّها ﴾ .

(٢) وضَّحه الفراء في معاني القرآن ٢/٤١٠ فقال : في الآية تقديم وتأخير ، تقديره : هذا حميم وغسّاق فليذوقوه ، وإن شئت جعلت الحميم مستأنفاً ، وجعلت الكلام قبله مكتفياً ، كأنك قلت : هذا فليذوقوه ، ثم قلت منه حميم ، ومنه غساق .

(٣) البيت لزهير بن أبي سُلمى وهو في ديوانه ص ٣٩ يصف الناقة التي يُستقى عليها الماء ، والغَرْبُ : الدَّلْو العظيمة ، والقِتبُ بالكسر : أداة السقي ، وقد استشهد به القرطبي في تفسيره ١٥/٢٢١ .

(٤) انظر الطبري ٢٣/١٧٧ وابن الجوزي ٧/١٥٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٨ .

باردٌ ، يُحرق . كما يُحْرِقُ الحميمُ[1] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أولى ، لأنه يُقال : غَسَقَتْ عينُهُ : إذَا سالتْ .

وقال ابن زيد : الحميمُ : دموعُ أعينهم ، يُجْمعُ في حياضِ النَّارِ ، يُسْقَوْنَه[2] .

والغسَّاقُ : الصَّديدُ الذي يخرجُ من جلودهم .

والاختيار على ذلك ﴿ **غسَّاقٌ** ﴾ حتَّى يكون مثل سَيَّال[3] .

٥٦ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾** [آية ٥٨] .

---

(١) هكذا ذكره الفراء في معاني القرآن ٢/٤١٠ بلفظه ثم قال : ويُقال إنه ما يغسِق ، ويسيل من صديدهم وجلودهم . اهـ.

أقول : قول قتادة أقرب وأظهر ، وهو أشبه باللغة ، قال في لسان العرب : غَسَقَ الجُرْحُ غَسْقاً : أي سال منه ماء أصفر ، قال الشاعر :

إذَا مَا تَذَكَّرْتُ الحَيَاةَ وطِيبَهَا ... إلَيَّ جَرَى دَمْعٌ من اللَّيلِ غَاسِقُ

فمعنى الغاسق : السائل ، وهو كما قال محمد بن كعب : عصارة أهل النار ، وما يسيل من جلودهم ، من الصَّديد والدم ، وهو ما رجحه الطبري ٢٣/١٧٧ .

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٧٦ والقرطبي ١٥/٢٢٢ عن ابن زيد ، وهو خلاف ما اشتهر عند المفسرين أن الحميم هو : الماء الحارُّ الذي تناهى حرُّه ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وسُقُوا ماء حميماً فقطَّع أمعاءهُم ﴾ وقوله ﴿ يَطُوفون بينها وبين حميم آن ﴾ أي قد بلغ أقصى غاية الحرارة .

(٣) نبَّه المصنف على أن قراءة ﴿ غَسَّاق ﴾ بالتشديد هي القراءة المختارة ، وهي قراءة الجمهور ، لتكون بمعنى سيَّال لغةً ووزناً ، وقراءة التخفيف ﴿ غَسَاق ﴾ قراءة نافع ، وابن كثير ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٥ .

وقرأ **مجاهد** ، وأبو عمروٍ بن العلاء ﴿ **وَأُخَرُ مِنْ شَكْلِهِ** ﴾[1] .

وأنكرَ أبـو عَمْـروٍ ﴿ **آخَرُ** ﴾ لقوله ﴿ **أَزْوَاجٌ** ﴾ أي لا يُخبر عن واحدٍ بجماعة .

وأنكر عاصمٌ الجحـدريُّ ﴿ **وَأُخَـرُ** ﴾ قال : ولـو كانت ﴿ **وأُخَرُ** ﴾ **لكان من شكلها .**

قال أبو جعفر : كِلَا الرَّدَّيْن لايلزمُ ، لأنه إذا قرأ ﴿ **وأُخَـرُ مِنْ شَكْلِهِ** ﴾ جاز أن يكون المعنى : وأُخَرُ من شكل ما ذكرنا .

وأُخَرُ من شكل الحميم .

وأُخَرُ من شَكْلِ الغَسَّاق .

وأن يكون المعنى : وأُخَرُ من شكل الجميع .

ومن قرأ ﴿ **وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ** ﴾ فقراءتُه حسنةٌ[2] ، لأن المعنى للفعل ، وإذا كان المعنى للفعل ، خُبِّر عن الواحد باثنين ، وجماعة ، كما تقول :

---

(١) قرأ أبو عمرو وحده ﴿ وأُخَرُ ﴾ بالجمع ، وقرأ بقية القراء ﴿ وآخَرُ ﴾ بالإفراد والمدِّ ، وانظر النشر في القراءات العشر ٢/٣٦١ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٥٥ .

(٢) القراءتان سبعيتان كما أسلفنا ، وقراءة الجمهور ﴿ وآخَرُ ﴾ تفيد أن لهم عذاباً من حميم وغساق ، وعذاباً آخر سوى الحميم والغساق ﴿ من شكله ﴾ أي من نحوه ومثله ، من الزمهرير ، والسَّموم ، وأكل الزقوم ، وغير ذلك .

عذابُ فلانٍ ضربان ، وعذابهُ ضُرُوبٌ شتَّى[1] .

ويجوز أن يكون ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ لحميم ، وغسَّاقٍ ، وآخَر[2] .

قال قتادة ﴿ مِنْ شَكْلِهِ ﴾ : من نَحْوِه[3] .

قال يعقوبُ : الشَّكْلُ : المِثْلُ ، والشِّكْلُ : الدَلُّ[4] .

قال عبدُاللهِ بن مسعود : ﴿ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ : الزَّمهريرُ[5] .

حدثنا محمد بن جعفر الأنباري ، قال : حدثنا الحسنُ بن محمد الزعفراني ، قال : حدثنا إسماعيلُ بن عُلَيَّة ، عن أبي رجاء ، عن الحسن في قوله ﴿ أَزْوَاجٌ ﴾ قال : ألوانٌ من العذاب[6] .

---

(١) هذا ما ذهب إليه الفراء في معاني القرآن ٤١١/٢ حيث قال : إذا كان الاسم فعلاً ، جاز أن يُنعت بالاثنين ، والجمع ، كقولك في الكلام : عذابُ فلان ضروبٌ شتى ، وضربان مختلفان ، وهذا بيِّنٌ ، ومن قرأ ﴿ وأُخَرُ ﴾ كأنه ظنَّ أن الأرواج ، لا تكون من نعتِ الواحد . اهـ .

(٢) يعني يكون لفظ الجمع « أزواج » مطابقاً للموصوف الذي هو جمع ، وهو الحميم ، والغساق ، وللعذاب الآخر ، فتكو قد تطابقت الصفة مع الموصوف ، كما يشترط علماء النحو ، وعلى ذلك خرجه المصنف .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٧٩/٢٣ وهو قول ابن عباس وابن زيد قال : والشَّكْلُ : الشبيه .

(٤) قال في المصباح : الشَّكْلُ : المِثْل ، يقال : هذا شكل هذا ، والجمع شكول ، وأشكال ، والشِّكْلُ : الذي يشاكل غيره في طبعه ووصفه ويشابهه ، وامرأةٌ ذات شِكْل أي دلُّ . اهـ . أي دلال ، وهو حُسن الحديث ، وحسن الملاعبة ، والممازحة .

(٥) الأثر أخرجه الطبري عن ابن مسعود ١٧٨/٢٣ والقرطبي كذلك ٢٢٣/١٥ .

(٦) انظر الطبري ١٧٩/٢٣ والقرطبي ٢٢٣/١٥ قال ﴿ أزواج ﴾ أي أصناف وألوان من العذاب ، قال في التسهيل ٤٠٨/٢ : والأزواج معناه الأصناف أي أصناف من العذاب .

٥٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ هَذَا فَوْجٌ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ لاَ مَرْحَبَاً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ [آية ٥٩] .

﴿ هَذَا فَوْجٌ ﴾ أي جماعةٌ وفرقة ﴿ مُقْتَحِمٌ مَعَكُمْ ﴾ أي شيءٌ بعد شيءٍ ﴿ لا مَرْحَبَاً بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴾ .

[﴿ لَا مَرْحَبَاً ﴾ بمعنى : لا أصبتَ رَحْبَاً أي سعةً ، بمعنى لا اتَّسعتْ منازلُهم في النار][1] .

الفرَّاءُ يذهب إلى أنَّ الكلام معترض ، وأن المعنى : قالوا لا مرحباً بهم[2] .

٥٨ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابَاً ضِعْفَاً فِي النَّارِ ﴾ [آية ٦١] .

قال عبدالله بن مسعود : يعني الحيَّاتِ والأفاعي[3] .

---

(١) ما بين المعترضيْن تفسير للآية ، وقد سقط من المخطوطة ، وأثبتناه من إعراب القرآن للنحاس ، ومن تفسير القرطبي .

(٢) يريد المصنف أن في الآية جملة اعتراضية وهي قوله « لا مرحباً بهم » والأصل أن الكلام متصل في الآية وهو ﴿ هذا فوج مقتحم معكم إنهم صالوا النار ﴾ فاعترضت جملة ﴿ لا مرحباً بهم ﴾ من قول أهل النار ، وهو كقوله تعالى ﴿ كلما دخلت أمة لعنت أختها ﴾ وانظر معاني الفراء ٤١١/٢ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور عن ابن مسعود ٣١٨/٥ والقرطبي ٢٢٤/١٥ وفي البحر المحيط ٤٠٧/٧ ولفظه : الضعف : حيات وعقارب ، والظاهر من الآية العموم ، أي طلب زيادة العذاب ومضاعفته لهم ، فقد دعا الأتباع أن يضاعف الله العذاب للرؤساء ، لأنهم كانوا سبب ضلالهم ، فهو كما في الآية ﴿ ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ﴾ والضعف في اللغة : زيادة المثل .

٥٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالُوا مَا لَنَا لا نَرَى رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الأَشْرَارِ . اتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [آية ٦٢ ، ٦٣] .

ويُقرأ ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ ﴾ ؟ على الاستفهام .

وفي القراءة الأولى قولان :

أحدهما : وهو قول الفراء : أنها على التوبيخ والتعجُّبِ ، قال : والعربُ تأتي بالاستفهام في التوبيخ والتعجب ، ولا تأتي به(٢) .

والقـول الآخر : وهو قولُ أبي حاتم(٣) أن المعنى : وقالوا مالنا لا نرى رجالاً اتَّخَذْنَاهم سِخْرياً ؟ يجعله نعتاً للرجال(٤) .

---

(١) في الآية قراءتان سبعيتان : الأولى قراءة حمزة والكسائي ﴿ اتَّخذناهم ﴾ بألف موصولة على الخبر . والثانية قراءة الجمهور « ابن كثير ، ونافع ، وعاصم ، وابن عامر » ﴿ أَتَّخذناهم ﴾ بقطع الألف على الاستفهام .

وعلى القراءة الثانية يقول المشركون وهم في جهنم : ما لنا لا نرى في النار هؤلاء الذين كنا نعدهم من الأشرار ؟ يعنون بهم المؤمنين من أصحاب النبي ﷺ . قال ابن عباس : يقول أبو جهل وأمثاله : أين بلال ؟ أين صهيب ؟ أين عمار ؟ أولئك في الفردوس ! واعجبا لأبي جهل مسكين أسلم ابنه عكرمة ، وابنته حويرية ، وأسلم أخوه ، وأمه ، وكفر هو ؟! وانظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص ٥٥٦ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤١١/٢ ولفظه : وهو من الاستفهام الذي معناه التعجب والتوبيخ ، فهو يجوز بالاستفهام وطرحه . اهـ.

(٣) هو سهل بن محمد السجستاني ، النحوي ، اللغوي ، الشهير المتوفى سنة ٢٥٥ أخذ عنه المبرد وابن دريد ، وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٤) المعنى على رأي السجستاني والإمام النحاس : ما لنا لا نرى رجالاً أشراراً ، جعلناهم سخرية واستهزاء في الدنيا ، فيكون في محل نصب صفة لـ ﴿ رجالاً ﴾ قال ابن الأنباري : وهذا خطأ لأن النعت لا يكون ماضياً ، ولا مستقبلاً . اهـ.

ومعنى « سُخْرِي » و« سِخْرِي » عند أكثرِ أهلِ اللغةِ واحدٌ ، إلاَّ أبا عَمْروٍ[١] ، فإنه زعم أن ﴿ سِخْرِيّاً ﴾ يسخرون منهم ، و﴿ سُخْرِيّاً ﴾ يُسخِّرونهم ويستذلُّونهم[٢] .

٦٠ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ ﴾ [آية ٦٣] .

رَوَى ليثٌ عن مجاهد ﴿ وَقَالُوا مَالَنَا لاَنَرَى رِجَالاً ﴾ قال : قال أبو جهلٍ والوليدُ بنُ المغيرة ﴿ مَالَنَا لاَنَرَى رِجَالاً ﴾ ؟ قال : قالوا : أين سلمانُ ؟ أينَ خَبَّابٌ ؟ أينَ بلالٌ ؟ أين عمَّارٌ[٣] ؟ .

ورَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِياً ﴾ فأخطأنا ، أمرهم في النَّارِ فزاغتْ أبصارُنَا عنهم[٤] ؟ .

---

(١) أبو عمروٍ هو : « أبو عمرو بن العلاء المازني » النحوي ، من كبار علماء اللغة ، والقراءات المتوفى سنة ١٥٤هـ وانظر تقريب التهذيب ٢/٤٥٤ .

(٢) قال في التهذيب : « سُخْرِيّاً » من السُّخرة و « سِخْرياً » من الهزء ، وهو قول ابن سلَّام . اهـ.
أقول : وإليه ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٨٧ وقد جاء التفريق في القرآن الكريم بين الضم والكسر ، فقال سبحانه في سورة المؤمنون ﴿ فاتَّخذتموهم سِخْرياً حتى أنسَوْكم ذكري ﴾ بالكسر بمعنى السخرية والاستهزاء ، وفي سورة الزخرف ﴿ ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات ليتخذ بعضكم بعضاً سُخْرياً ﴾ بالضم بمعنى التسخير والخدمة ، وبعضهم يرى أن الضم والكسر بمعنى واحد ، لا فرق بينهما ، كما ذكره الإمام النحاس هنا .

(٣) انظر الطبري ٢٣/١٨١ وابن كثير ٧/٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣١٩ كلهم عن مجاهد .

(٤) الأثر ذكره القرطبي عن مجاهد ١٥/٢٢٤ ولفظه : وقال مجاهد : اتخذناهم سخرياً في الدنيا ، أم زاغت عنهم أبصارنا فلم نعلم مكانهم ؟ . اهـ. فعلى هذا القول تكون « أو » للتسوية والمعادلة ، وهذا ما اختاره أبو جعفر النحاس .

قال أبو جعفر : وهـذا قولٌ حسنٌ ، لأنَّ « أَمْ » للتَّسويـــةَ ،
فصار المعنى على قوله : أأخطأنا ، أم لم نُخطِىءْ .

وقيل : هي بمعنى « بَلْ »[1] .

والقراءةُ بوصلِ الألِف ، بيِّنةٌ حسنةٌ .

٦١ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْــرِضُونَ ﴾** [آية ٦٨] .

قال مجاهد : يعني القرآن[2] .

٦٢ ــ **وقوله جل وعــز : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْــمٍ بِالمَــلأِ الأَعْلَــى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾** [آية ٦٩] .

قال الحسن : يعني الملائكةَ[3] ، اختصموا ــ كما أخـبر تعـالى عنهم بقولـه ــ **﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَــةِ إِنِّــي خَالِــقٌ بَشَرَاً مِنْ**

---

(١) ذكر هذا الوجه من التأويل المفسرون . فقـال القرطبـي ١٥/٢٢٥ : إذا قرئت بالاستفهـام كانت « أم » للتسوية ، وإذا قرئت بغير الاستفهام فهي بمعنى « بل » ويصبـح المعنـى : بل زاغت عنهم الأبصار ، وقال الطبري ٢٣/١٨٢ : وكان بعض أهل العربيـة من أهـل البـصرة يوجّـه معنـى قولـه ﴿ أم زاغت عنهم الأبصار ﴾ إلى معنى : بـل زاغت عنهم . اهـ.

(٢) قول مجاهـد ذكـره الـطبري ٢٣/١٨٣ والقرطبـي ١٥/٢٢٦ ولفظـه : وقـال ابـن عبـاس ومجاهـد وقتادة : يعنـي : القـرآن الـذي أنبئكـم به ، خبر جليـل ، عظيم المنفعة ﴿ أنتم عنـه معرضون ﴾ واختار بعضهم العموم من الحساب والثواب ، والعقاب ، والإيمان بالوحدانية والرسالـة ، وأن هذه الأمور من الأخبار العظيمة ، التي لا يعرض عن مثلها إلا غافل شديد الغفلة .

(٣) هذا هو الصحيح الراجح من أقوال المفسرين أن المراد بالملأ الأعلى : الملائكة الأبرار الأطهار .

طِينٍ ﴾ .

أي حين خلق آدم عليه السلام بيده[1] .

قال أبو جعفر : وفي الحديث (يختصمون في الكفَّارات : وهي إسباغُ الوضوءِ في المكارهِ ، وانتظارُ الصَّلاةِ بعدَ الصَّلاةِ)[2] .

قال أبو جعفر : المَلأُ في اللغـة : الأشرافُ والأفـاضلُ ، كأنهم مليئون بما يُسند إليهم[3] .

وقد قيل : يجوز أن يكون يعني بالملأ الأعلى ههنـا : الملائكـةُ ، ﴿ **إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾ يعني قريشاً ، لأن منهم من قال : الملائكـةُ بنـاتُ

---

(١) المقصود من الآية الاحتجاج على كفار قريش بأن ما جاء به الرسول ﷺ دليل واضح على نبوته ، فإن علم أخبار السماء ، لا يعرفه أحد من البشر ، إلا أن يكون رسولاً يُوحى إليه من عند الله ، فعلمه صلوات الله عليه بأحوال أهل النار ، وابتداء خلق آدم ، وغير ذلك من أخبار العالم العلوي ، لم يكن إلا بوحي من عند الله عز وجل له ، وهذا أكبر برهان على صدق رسالته ، وصحة القرآن ، فلولا الوحي الإلهي لم يكن لمعرفة ذلك سبيل ، والإشارة إلى اختصام الملائكة في قصة آدم هي قوله تعالى ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء .. ﴾ الآية .

(٢) أشار المصنف رحمه الله إلى ما أخرجه الترمذي في كتاب التفسير برقم ٣٢٣٣ وأحمد في المسند ٢٤٣/٥ (أتاني ربي في أحسن صورة ــ أي في المنام ــ فوضع يده بين كتفيَّ ، حتى وجدتُ بردها بين ثدييَّ ، ثم قال يا محمد : هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم يختصمون في الكفارات ..) الحديث .

(٣) الملأ في اللغة : هم أشراف القوم ووجهاؤهم الذين يُرجع إلى قولهم ، سمُّوا ملأ لأنهم يملاون العين رواء ، والنفوس جلالة وبهاء ، وانظر روح المعاني للألوسي ٢٢١/٢٣ ولسان العرب لابن منظور .

الله جلَّ وعز ، فأعلم الله جلَّ وعزَّ النبيَّ ﷺ ذلك ، وأعلمه أنهم عبادهُ ، وأنهم ﴿ **لَايستكبِرُون عن عبادِتِه ولا يَستَحسِرون** ﴾[1] .

وقيل : يجوز أن يُراد بالملأ الأعلى ههنا : أشرافُ قريشٍ ، إذ يختصمون فيما بينهم ، فيوحي اللهُ عز وجل إلى النبي ﷺ بذلك ، واللهُ أعلمُ بما أرادَ[2] .

وأولى ما قيل فيه ، ما قاله ابن عباس والسُدّي وقتادة : أنَّ الملأ الأعلى ههنا الملائكةُ ، اختصموا في أمر آدم عليه السلام حين خُلق ، فقالوا : لا تجعلْ في الأرض خليفة ؟[3]

٦٣ ــ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إنْ يُوحَى إلَيَّ إلاَّ أنَّمَا أنَا نَذيرٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ٧٠] .

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٩ وما ذكره المصنف وجه من وجوه التفسير ، ولكنه ضعيف ، ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧/٤٠٩ وابن جزي في التسهيل ٣/٤١٠ فقال : والضمير في ﴿ يختصمون ﴾ للملأ الأعلى ، وقيل : للكفار أي يختصمون في الملأ الأعلى ــ يعني الملائكة ــ فيقول بعضهم : هم بنات الله ، ويقول آخرون : هم آلهة تُعبد ، وهذا بعيد . اهـ.

(٢) هذا القول أضعف من سابقه ، وقد ذكره القرطبي ١٥/٢٢٧ أن المراد اختصام قريش فيما بينهم سراً ، فأطلع الله نبيه محمد ﷺ على ذلك .. إلخ.

أقول : الصحيح رأي الجمهور ، وهو قول قتادة ، وابن عباس ، والسدي ، واختاره الحافظ ابن كثير حيث قال ٧/٧١ : ﴿ ما كان لي من علم بالملأ إذ يختصمون ﴾ أي لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعني في شأن آدم ، وامتناع إبليس من السجود له ، ومحاجّته ربه في تفضيله عليه . اهـ.

(٣) هكذا وردت في المخطوطة ، والنص القرآني ﴿ قالوا أتجعل فيها من يُفسد فيها ويسفك الدماء ﴾ ؟ البقرة آية رقم ٣٠ .

يجوز أن يكون المعنى : إلاَّ إِنذارُ .

وأن يكون المعنى : إلاَّ بأنما أنا نذيرٌ مبين[1] .

٦٤ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ فَسَجَدَ المَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ . إلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾ [آية ٧٤] .

قال الضحاك قال ابن عباس : كان إبليسُ من أشرافِ الملائكة ، وكان خازنَ الجنَانِ ، وكان أميناً على السَّماءِ الدنيا والأرضِ ومن فيهما ، فأعجبته نفسُه ، ورأى أنَّ له فَضلاً على الملائكة ، ولم يعلم بذلك أحدٌ إلاَّ اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، فلما أمر الله جلَّ وعزَّ المَلائكة بالسجود لآدم ، امتنع وظهر تكبُّره[2] .

---

(١) هذا توجيه الفراء في معاني القرآن ٤١١/٢ حيث قال : إن شئت جعلت « أنما » في موضع رفع ، كأنك قلت : ما يُوحى إليَّ إلا الإنذار ، وإن شئت جعلت المعنى : ما يُوحى إليَّ إلا لأني نذير ونبي . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢٢٥/١ والسيوطي في الدر المنثور ٥٠/١ وفي هذا الأثر نظر ، فإن إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين ، كما قاله الحسن البصري ، وإنما هو من الجن ، وإليه ذهب المحقِّقون من المفسرين ، وقد ذكرنا في كتابنا « صفوة التفاسير » ٥٢/١ خمسة أدلة على أنه لم يكن من الملائكة ، نجملها في الآتي :

١ــ الملائكة منزهون عن المعصية ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ وإبليس قد عصى أمر الله تعالى عمداً وجهاراً ﴿ قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمإٍ مسنون ﴾ .

٢ــ الملائكة خُلقت من نور ، وإبليس خلق من نار ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ ﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ فالطبيعة في الخلق مختلفة .

٣ــ الملائكة لا تزاوج بينهم ، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة ، فليس لهم نسل وذرية بخلاف الشياطين ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدوٌ ﴾ . =

٦٥ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾** [آية ٧٨] .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ **إِلَى يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ : إلى اليوم الذي يُدان فيه الناسُ بأعمالهم(١) .

قال أهل التفسير : ﴿ **رَجِيمٌ** ﴾ أي ملعونٌ ، والمعنى : مرجومٌ باللعنة .

٦٦ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾** [آية ٨١] .

ومعناه إلى يوم الوقت المعلوم ، الذي لا يعلمُهُ إلاَّ اللَّهُ جلَّ وعز .

= ٤ــ النص الصريح القاطع أن إبليس من الجن وذلك في سورة الكهف ﴿ فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ .

٥ــ قول الحسن البصري وهو من كبار المفسرين من التابعين : لم يكن إبليس من الملائكة طرفة عين ، وإنه لأصل الجن ، كما أن آدم أصل الإنس .

وبهذه الأدلة تنجلي غياهب الشك ، والتردد في أمر إبليس اللعين ، وتطمئن النفوس إلى أنه كان من الجنِّ المتمردين ، وهذا ما رجحه الحافظ ابن كثير حيث قال ٧٢/٧ : سجد الملائكة إلا إبليس ، ولم يكن منهم جنساً ، كان من الجن فخانه طبعه وجبلته ، فاستنكف عن السجود لآدم ، وخاصم ربه فيه . اهـ.

(١) الدين في اللغة : الجزاء والحساب ، والمراد بيوم الدين في الآية يوم القيامة ، لأنه اليوم الذي يُجازى فيه كل إنسان على ما قدَّم ، وفي الحديث (كما تدين تُدان) .

٦٧ ــ وقوله جلَّ وعز ﴿ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ . لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [آية ٨٥] .

ويُقرأ بنصبِ الأول[١] .

وحَكى الفراء أنه يجوز الخفضُ في الأول[٢] .

قال أبو جعفر : رفعُه على ثلاثةِ معانٍ :

أ ــ رُوي عن ابن عباس : فأنا الحقُّ[٣] .

ب ــ وَرَوَى أَبَانُ بنُ تَغْلِبَ عن الحَكَم عن مجاهد قال : فالحقُّ مني ، وأقولُ الحقَّ[٤] .

جـ ــ والقول الثالث : على مذهب سيبويه والفراء بمعنى : فالحقُّ لأملأنَّ جهنم ، بمعنى فالحقُّ أن أملأً جهنَّمَ .

وكذا يقول سيبويه في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا

(١ ــ ٢) قراءة النصب ﴿ فالحقَّ والحقَّ أقول ﴾ هي قراءة الجمهور ، وقرأ عاصم وحمزة ﴿ فالحقُّ والحقَّ أقول ﴾ بالضمِّ في الأول ، والفتح في الثانية ، وكلاهما من القراءات السبع ، كما ذكره ابن مجاهد في السبعة ص ٥٥٧ ، وابن الجزري في النشر ٣٦٢/٢ وأمـا قراءة الجر في الأول ﴿ فالحقِّ ﴾ فليست من القراءات السبع ، وانظر معاني الفراء ٤١٢/٢ .

(٣ ــ ٤) الأثران ذكرهما الطبري في تفسيره عن ابن عباس ومجاهد ١٨٧/٢٣ ، قال : وفي قراءة الرفع وجهان :

أحدهما : رفعُه بضمير تقديره : أنا الحقُّ ، وأقولُ الحقَّ .

والثاني : أنه مرفوع بتأويل الفعل ﴿ لأملأنَّ ﴾ وتقديره : الحقُّ أن أملأ جهنم منك . اهـ.

رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ ﴾[1] .

والنصبُ بمعنى : فالحقَّ قلتُ ، وأقولُ الحقَّ .

وقد قال أبو حاتم[2] : المعنى : فالحقَّ لأملأنَّ ، أي فحقاً لأملأنَّ .

وقال قولاً آخر وهو أن المعنى : فأقول الحقَّ ، والحقَّ لأملأنَّ .

والأَوْلى في النصب القولُ الأوَّلُ ، وهو مذهبُ أبي عُبَيدة[3] .

والخفضُ بمعنى القَسَم ، حَذَفَ الواوَ ، ويكونُ الحقُّ للَّهِ جلَّ وعز .

وقد أجاز سيبويه : اللَّهِ لأفعلنَّ ، إلاَّ أنَّ هذا أحسنُ من ذاكَ ، إلاَّ أن الفاء ههنا تكون بدلاً من الواو[4] ، كما تكون بدلاً من الواو في قوله :

فمِثْلُكِ حُبْلَى قَدْ طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ
فأَلْهَيْتُها عن ذِي تَمَائِمَ مُحْوِلِ[5]

---

(1) سورة يوسف آية رقم ٣٥ ووجه الشاهد في الآية أن فاعل ﴿ بَدَا ﴾ جملة ﴿ ليسجُنَنَّهُ ﴾ أي بدا لهم سجنُه حتى حين .

(2) أبو حاتم : هو الإمام اللغوي « سهل السجستاني » المتوفى سنة ٢٥٥ وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(3) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٨٧/٢ .

(4) أراد المصنف أن الفاء في قوله ﴿ فالحقِّ والحقَّ أقول ﴾ تكون للقسم كالواو ، واستشهد ببيت الشعر .

(5) البيت من معلقة امرىء القيس المشهورة « قِفَا نَبْكِ » وانظر ديوانه ص ١٤ وشواهد المغني ٤٠٢/١ .

٦٨ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾** [آية ٨٦] .

قال ابن زيد : أي لا أتخرَّصُ ، وأتكلَّفُ ما لم يأمرني اللَّهُ جلَّ وعزَّ به[١] .

٦٩ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾** [آية ٨٨] .

أي ولتعلمنَّ أنَّ القرآنَ ، وما أُوعدتم فيه ، حقٌّ .

ورَوَى معمر عن قتادة ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ قال : بعد الموت[٢] .

وقال السُدّي : يوم بدر .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في تفسيره عن ابن زيد ٢٣/١٨٨ ومعنى التكلف : التصنع بما ليس عند الإنسان قال في غرائب القرآن ٢٣/١٠٨ : ﴿ وما أنا من المتكلفين ﴾ أي الذين ينتحلون ما ليس عندهم ، ولا دليل لهم على وجوده ، بل العقل الصريح يشهد بصحة ما أقول ، فإني أدعوكم إلى الإقرار بالله أولاً ، ثم إلى تنزيهه عما لا يليق به ثانياً ، ثم إلى وصفه بنعوت الجمال والجلال ، ومن جملة ذلك التوحيد ونفيُ الأنداد والأضداد ، ثم الشفقة على خلق الله ، ثم أدعو إلى الإقرار بالبعث والقيامة ، فهذه هي الأصول التي تشهد بحسنها العقول . اهـ.

(٢) هذا أسلوب من أساليب الوعيد والتهديد ، أي لتعلمنَّ صدق القرآن ، وصحَّة ما جئتكم به ، بعد الموت ، أو في القيامة ، حيث ينكشف الغطاء وتظهر الحقائق ، وقد كان الحسن البصري رضي الله عنه يقول : « يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين » والآثار التي وردت عن قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، ذكرها الطبري وغيره . والله أعلم .

وقال ابن زيد : يوم القيامة .

والحينُ مُبْهمٌ[1] ، فهو مطْلَقٌ يقعُ لكلِّ وقتٍ علموه فيه .

* * *

« تمت بعونه تعالى سورة صٓ »

(١) قال أهل اللغة : الحينُ : المدة من الزمن ، طالت أو قصرت ، فقد تقع على الساعة ، واليوم ، والعام ، والسنين الطويلة ، قال تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ وقال : ﴿ تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها ﴾ وقال : ﴿ فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ﴾ .

تفسير سورة الزمر

مَكية وآياتها ٧٥ آيــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة الزمر وهي مكية[1]

قال وهبُ بنُ منبِّه : « من أحبَّ أن يَعْرِفَ قضاءَ اللَّهِ جلَّ وعزَّ في خلْقِه ، فليقرأ سورة الغُرَفِ »[2] .

قال مجاهد عن ابن عباس : هي مكيةٌ إلاَّ ثلاثَ آياتٍ منها ، فإنهنَّ نزلْنَ بالمدينةِ ، في « وحشيٍّ » قاتلِ حمزة ، صلواتُ اللَّهِ على حمزة[3] . أسلمَ ودخلَ المدينة ، فكان النبيُّ ﷺ لا يُطيق أن ينظر إليه[4] ، فتوهَّم أن اللَّه جلَّ وعزَّ لم يقبلْ إيمانَهُ ، فأنزل اللهُ جلَّ وعزَّ

(١) تسمى سورة الغرف لقوله تعالى ﴿ لكن الذين اتقوا ربهم لهم غُرَف من فوقها غُرَف مبنية ﴾ وتسمى سورة الزمر لقوله سبحانه ﴿ وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنم زُمَراً ﴾ جمع زمرة وهي الطائفة ، وانظر حاشية الجمل ٣/٥٨٨ .

(٢) هذا الأثر ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٥/٢٣٢ وفي الفتوحات الإلهية على الجلالين ٣/٥٨٨ ومراده أن هذه السورة الكريمة ، قد تناولت صورة بديعة عن الخلق والتكوين ، والإحكام والتدبير ، فيما خلق الله وقدَّر ، وكل شيء بقدر معلوم ، ونظام فائق ، ولذلك كان ﷺ فيما يرويه الترمذي عن عائشة أنه كان لا ينام حتى يقرأ الزمر ، وبني إسرائيل .

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني ٢٣/٢٣٢ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٢ وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس أنه قال : أنزلت سورة الزمر بمكة ، ولم يستثن ، فهي إذاً مكية كلها باتفاق إلا ثلاث آيات على رأي من أخذ بقول مجاهد .

(٤) الثابت في السيرة النبوية أن وحشياً لمَّا أسلم ، أمره عليه السلام أن يغيِّب عنه وجهه ، لئلا يتذكر ﷺ مقتل عمِّه حمزة ، وهذا لا يستدعي الشك في إيمان وحشي ، فإن الإسلام يجُبُّ ما قبله .

﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ .. ﴾ إلى آخر الثلاث الآيات .

١ ـ من ذلكَ قولُه جلَّ وعز : ﴿ تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ ﴾ [آية ١] .

يجوز أن يكون المعنى : تنزيلُ الكتاب من عند الله(١) .

وأن يكون المعنى : هذا تنزيلُ الكتاب(٢) .

٢ ـ ثم قال جلَّ وعز : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ .. ﴾ [آية ٢] .

أي بما حقَّ في الكتب من إنزاله عليك(٣) .

ويجوز أن يكون المعنى : ألزمك إيَّاهُ ، بحقِّه عليك ، وعلى خلقِهِ .

---

(١) انظر معاني القرآن للزجاج ٣٤٣/٤ فقد قال فيه ﴿ تنزيل ﴾ مرفوعة من جهتين : على الابتداء ، والخبر ﴿ من الله ﴾ أي نزل من عند الله ، ويجوز أن يكون : هذا تنزيل للكتاب . اهـ. وكذلك قال الفراء ٤١٤/٢ .

(٢) على هذا التقدير يكون ﴿ تنزيل ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف ، كقوله تعالى ﴿ سورة أنزلناها ﴾ أي هذه سورة ، وقد ذكر الوجهين ابن جرير ١٩٠/٢٣ والألوسي ٢٣٣/٢٣ ورجَّح الوجه الأول .

(٣) هذا الوجه من التفسير غير واضح ، والراجح أن المراد : أنزلناه ملتبساً بالحقِّ ، والصِّدق ، والصواب ، على معنى أن كلَّ ما أودعناه فيه ، من التوحيد ، والنبوة ، والحشر ، والمعاد ، وأنواع التكاليف ، فهو حق مصدق . قال ابن عطية : متضمناً الحق فيه ، وفي أحكامه ، وأخباره ، وكل ما جاء به ، من تشريع وتكليف .

وقيل المعنى : يأمرُ بالعدلِ ، والحقِّ[1] .

٣ ــ ثم قال تعالى ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴾ [آية ٢] .

أي لا تعبدْ معهُ غيرَه .

وحكى الفراءُ ﴿ لَهُ الدِّينُ ﴾ برفع الدِّين[2] .

وهو خطأٌ من ثلاثة جهات :

إحداها : أن بعده ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدينُ الخَالِصُ ﴾ فهو يغني عن هذا .

وأيضاً : فلم يُقرأْ به[3] .

وأيضاً : فإنه يجعل ﴿ مُخْلِصاً ﴾ التمامَ ، والتَّمامُ عند رأسِ الآيةِ أَوْلى .

٤ ــ ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ .. ﴾ [آية ٣] .

أي يُعْبَدُ وحدَه ، لأنَّ من الناس من له دينٌ ، ولا يُخلصهُ للَّهِ

---

(١) هذا قول الطبري في تفسيره ٢٣/١٩٠ حيث قال : أنزلنا إليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل . ومن ذلك الحق والعدل : أن تعبد الله مخلصاً له الدين ، لأن الدين له لا للأوثان . اهـ.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤١٤ فقد جعله وجهاً من وجوه اللغة صواباً ، ومعلوم أن القرآن العظيم لا تجوز القراءة به حسب اللغة ، إنما يُقرأ بالوجوه التي وردت عن المعصوم ﷺ حسب القراءات المتواترة ، فتنبه لهذا رعاك الله .

(٣) هذه قراءة ابن أبي عبلة ، وهي من القراءات الشاذة ﴿ له الدينُ ﴾ بالرفع ، وانظر تخريجها في معاني الفراء ٢/٤١٤ وروح البيان للألوسي ٢٣/٢٣٤ .

جلَّ وعزَّ[1] .

ورَوَى معمرٌ عن قَتَادَة ﴿ أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ ﴾ قال : « لا إله إلاَّ اللَّهُ »[2] .

٥ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوْا مِنْ دُوْنِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُوْنَا إِلى اللَّهِ زُلْفَى .. ﴾** [آية ٣] .

قال قتادة : أي منزلة[3] .

وقال الضحاك : أي إلاَّ ليشفعوا لنا[4] .

قال أبو جعفر : وفي قراءة ابن مسعود ، وابنِ عباسٍ ، ومجاهد **﴿ والَّذِينَ اتَّخذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إلى**

(١) قال الحافظ ابن كثير ٧/٧٤ : أي لا يُقبل من العمل ، إلا ما أخلص فيه العامل ، لله وحده لا شريك له . اهـ.

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٣/١٩٠ وابن كثير ٧/٧٤ عن قتادة قال : هي شهادة « أن لا إله إلا الله » ولا شك أن الشهادة أصل في الإيمان ، ولكن لا يراد بالآية هنا هذا الذي قاله قتادة ، وإنما يراد بإخلاص الدين : إخلاص العمل والعبادة لله جل وعلا . كما عليه جمهور المفسرين ، فإن الله لا يقبل من العمل ، إلا ما كان خالصاً لوجه الله ، ولهذا قال ابن الجوزي ﴿ الدين الخالص ﴾ أي الخالص من الشرك ، ومن كلِّ شائبة وكدر . وكذلك قال الطبري : لله العبادة والطاعة ، خالصة لا شرك لأحد معه فيها ، وانظر القرطبي ، والألوسي .

(٣ ـــ ٤) ذكر الأثرين الطبري ٢٣/١٩١ والقرطبي ١٥/٢٣٣ وابن كثير ٧/٧٥ وقد جمع ابن كثير بين القولين فقال : وقال قتادة والسدي وابن زيد : ﴿ إلا ليقرِّبونا إلى الله زُلْفى ﴾ أي ليشفعوا لنا ويقرِّبونا عنده منزلة . اهـ.

اللَّهِ زُلْفَى ﴾(١) .

وفي حرف أُبـيٍّ : ﴿ والَّذِيـنَ اتَّخَــذُوا مِنْ دُونِــهِ أَوْلِيَــاءَ مَا نَعْبُدُكُمْ إلاَّ ليقرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾(٢) .

قال أبو جعفر : والحكايةُ في هذا بيِّنةٌ .

٦ ــ وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّـهُ أَنْ يَتَّخِـذَ وَلَـداً لاَ صْطَفَـى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ .. ﴾ [آية ٤] .

واتصالُ هذا بالأول ، يدلُّ على أن هؤلاء ممن اتَّخذ من دون اللـهِ أولياء(٣) .

و﴿ اصْطَفَى ﴾ : اختار .

٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يُكَـوِّرُ اللَّيْـلَ عَلَـى النَّهَـارِ وَيُكَـوِّرُ النَّهَـارَ عَلَـى اللَّيْلِ .. ﴾ [آية ٥] .

(١ ــ ٢) قراءة ابن مسعود ، ومجاهـد بزيـادة ﴿ قالـوا ﴾ وقـراءة أُبـيٍّ بن كعب « ما نعبـدكم » بصيغة المخاطب لا الغائب من القراءات الشاذة ،ليستا من القراءات المعتبرة عند القراء ، وهي محمولـة على المعنى ، فكأنها تفسير وتوضيح لمعنى الآيات الكـريمة ، ولا يُقـرأ إلَّا بالثـابت عن رسول الله عليـه الصلاة والسلام .

(٣) ومما يدل على إشراكهم ، زعمهم أن الملائكة بنات الله ، وقـولهم في تلبيتهم : « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه ومـا ملك » وظاهـراً أن عبـادة الأُصنـام شرك وضلالـة ، والآية وردت على سبيل « الفرض والتقدير » ولهذا قال الحافظ ابن كثير ٧/٧٥ ﴿ لو أراد الله أن يتخـذ ولداً .. ﴾ هذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه ، بل هو محال ، وإنما القصد تجهيلهـم فيمـا ادَّعـوه وزعموه ، كما قال تعالى ﴿ لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لَدُنَّا ﴾ وكل هذا من باب الشرط ، ويجوز تعليق الشرط على المستحيل . اهـ.

قال قتادة : أي يلقي هذا على هذا ، وهذا على هذا[1] .

قال أبو جعفر : أصلُ التكوير في اللغة : اللَـفُّ ، والجمـعُ[2] ، ومنه كَوْرُ العِمَامةِ ، ومنه ﴿ **إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ** ﴾ .

٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ..** ﴾ [آية ٦] .

﴿ **ثُمَّ** ﴾ ههنا تدلُّ على أن الإخبار الثاني ، بعد الأول[3] .

وقال قتادة : ﴿ **ثمَّ جَعَلَ مِنها زَوْجَهَا** ﴾ حوَّاء ، خلقها من ضِلْعٍ من أضلاعه[4] .

وقيل : يكون خلْقُه الزَّوجَ ، مردوداً على واحـدٍ ، أي على نفسٍ

---

(١) الأثر ذكره الطبري ١٩٣/٢٣ بلفظ : يُغشِّي هذا هذا ، ويُغَشِّي هذا هذا ، وكذا في الدر المنثور ٣٢٢/٥ .

(٢) قال في المصباح : كوَّرتُ الشيء : إذا لففته على جهة الاستدارة ، وكَارَ العمامة : أدارها على رأسه ، وكلُّ دورٍ كور . اهـ. والآية بطريق الاستعارة أي يلفُّ الليل على النهار ، فيستره بظلامه ، فينقص النهار ويزيد الليل ، ويلفّ النهار على الليل ، فيطول النهار وينقص الليل ، فكأنما يلفه عليه لفَّ اللباس على اللابس ، أو كتكوير العمامة كَوْراً بعد كَوْر .

(٣) أراد المصنف أن يردَّ على شبهة وهي : أن حواء مخلوقة قبل بني آدم ، فكيف قال تعالى ﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها ﴾ و « ثمَّ » تفيد الترتيب مع التراخي ؟ فأجاب أن « ثمَّ » هنا لترتيب الأخبار لا لترتيب الزمن ، وجواب آخر أن العطف إنما هو على « واحدة » لا على « خَلَقَكُمْ » أي من نفسٍ واحدة ثم خلق منها حواء .

(٤) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ١٩٤/٢٣ ويؤيده الحديث الصحيح (استوصوا بالنساء خيراً ، فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج ..) وهو اختيار علماء السلف ، وقيل : المراد من قوله « ثم جعل منها » أي من جنسها ، فحواء مخلوقة من جنس آدم لا من نفسه . والأول أصح .

وحدها ، ثم جَعَلَ منها زوجها .

٨ ـــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ .. ﴾** [آية ٦] .

أي أصناف .

قال مجاهد : من الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين ، ومن الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين(١) .

قال قتادة : هي مثلُ التي في الأنعام(٢) .

٩ ـــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقاً مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ ﴾** [آية ٦] .

قال مجاهد والضحاك : نطفةً ، ثم علقة ، ثم مضغةً ، حتى يتمَّ الخلقُ(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٩٤ ولفظه : « من الإبل ، والبقر ، والضأن ، والمعز » وذكره القرطبي ١٥/٢٣٥ عن قتادة ثم قال : أخبر تعالى عن الأزواج بالنزول ، لأنها تكوَّنت بالنبات ، والنباتُ بالماء المنزل ، وهذا يسمى « التدريج » ومثله قوله تعالى ﴿ قد أنزلنا عليكم لباساً ﴾ وقيل : ﴿ أنزَلَ ﴾ بمعنى جعل ، وخلق ، أو المعنى : خلق لكم بالأمر النازل من عنده سبحانه . اهـ .

(٢) أشار إلى قوله تعالى في سورة الأنعام ﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ، ومن المعز اثنين .. ﴾ وقوله :﴿ ومن الإبل اثنين ، ومن البقر اثنين .. ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٣/١٩٥ وابن الجوزي ٧/١٦٣ وقول مجاهد والضحاك أن المراد بقوله ﴿ خلقاً من بعد خلق ﴾ وهو تكوّن الإنسان نطفة ، ثم علقة ، ثم مضغة ، ثم العظم واللحم ، ثم نبات الشعر ، هو الصحيح وهو قول الجمهور ، وقال ابن زيد : خلقاً في بطن الأم ، من بعد خلقه في ظهر آدم .

ثم قال تعالى ﴿ في ظُلُمَاتٍ ثلاثٍ ﴾ [آية ٦] .

قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والضحاك : في ظلمة الرحم ، وفي ظلمة المشيمة ، وفي ظلمة البطن(١) .

وقيل : في الصُّلْبِ ، ثم في الرَّحِمِ ، ثم في البطنِ ، وهذا مذهبُ أبي عُبيدة ، والأَوَّلُ أصحُّ(٢) .

١٠ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ إنْ تكْفُرُوا فَإنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ ، وَلَايَرْضَى لِعِبَادِهِ الكُفْرَ ، وَإنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ .. ﴾** [آية ٧] .

أي يرضى الشكرَ لكم ، ودلَّ **﴿ تَشْكُرُوا ﴾** على الشكر(٣) .

١١ ــ **وقولُهُ جلَّ وعزَّ : ﴿ وَإذَا مَسَّ الإنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبَاً إلَيْهِ .. ﴾** [آية ٨] .

رَوَى سعيدٌ عن قَتادةَ قال : مخلصاً(٤) .

(١ ــ ٢) الظلمات الثلاث : وهي « البطن ، والرحم ، والمشيمة » وهذا هو الصحيح الراجح ، كما قاله مجاهد ، وقتادة ، والضحاك ، وأما قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٨٨ : ﴿ في ظلمات ثلاث ﴾ : في أصلاب الرجال ، ثم في الرحم ، ثم في البطن ، فإنه قول مرجوح كما نبَّه عليه المصنف ، لأن الله تعالى قال ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم ﴾ فالظلمات الثلاث في بطون الأمهات ، لا في أصلاب الرجال .

(٣) وضَّح الإمام ابن جرير هذا المعنى في تفسيره ٢٣/١٩٨ فقال : كنَّى عن الشكر ولم يُذكر ، وإنما ذكر الفعل الدَّال عليه ، وذلك نظير قوله تعالى ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً ﴾ بمعنى : فزادهم قول الناس لهم ذلك إيماناً . اهـ.

(٤) المراد مخلصاً في دعائه وتضرعه ، أي لا يدعو لكشف الضرِّ إلا الله ، والمراد بالإنسان هنا =

قال **أبو جعفر** : يُقال : أنابَ : إذا رجَعَ ، وتَابَ .

١٢ ــ **وقوله جلّ وعز ﴿ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ .. ﴾** [آية ٨] .

أي أعطاهُ وأباحه ، وكان أبو عمروِ بنِ العلاءِ يُنْشِدُ :

هُنَالِكَ إنْ يُسْتَخْوَلُوا المَالَ ــ يُخْوِلُوا
وإن يُسْأَلُوا يُعْطُوا ، وإن يَيْسِرُوا يُغْلُوا[(١)]

ثم قال : ﴿ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوْ إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ ﴾ [آية ٨] .

أي نسي الذي كان يدعو اللّه جلّ وعزَّ به ، من قبلُ[(٢)] .

ويجوز أن يكون المعنى : نسيَ اللّهَ[(٣)] الذي كان يدعوه ، كما

═ الكافر ، بدليل قوله بعده ﴿ وجعل لله أنداداً ﴾ والغرض من الآية أمران : العتاب ، وإقامة الحجة على الإنسان ، فالعتاب على الكفر ، وترك عبادة الله ، وإقامة الحجة على الإنسان ، بدعائه الله في الشدائد ، ونسيانه بعد الفرج .

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى كما في ديوانه ص ١١٢ واستشهد به الطبري ٢٣/١٩٩ والقرطبي ١٥/٢٣٧ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/١٨٨ وغرض الشاعر أنهم كرماء ، إذ طُلب منهم العطاء ، بذلوا بسخاء ، وإذا قامروا بالميسر ، يأخذون سمان الإبل فيقامرون عليها ، وروي « يُسْتَخبلوا » وهي بمعناه .

(٢) أي نسي الضر الذي كان يدعو ربه لكشفه ، وتمرّد وطغى ، وعلى هذا تكون « ما » بمعنى الذي .

(٣) هذا القول ذكره المفسرون : القرطبي ، والطبري ، وأبو حيان ، وابن الجوزي ، فتكون ﴿ ما ﴾ بمعنى « مَنْ » قال ابن الجوزي ٧/١٦٥ فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه . ═

قال تعالى ﴿ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴾ .

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾ معنى التهديد[1] .

١٣ ــ وقولُه جل وعز ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ .. ﴾ [آية ٨] .

قال السدي : الأندادُ من الرجالِ ، يطيعهم في المعاصي[2] .

وقيل : عَبَدَ الأوثانَ .

وهذا أولى بالصواب ، لأن ذلك في سياق عتاب الله عز وجل إياهم ، على عبادتها[3] .

١٤ ــ وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا .. ﴾ [آية ٩] .

= الثاني : نسي الدعاء الذي كان يتضرَّع به إلى الله تعالى .

الثالث : نسي الله الذي كان يتضرَّع إليه .

قال الزجاج ٤/٣٤٦ وقد تدل ﴿ ما ﴾ على الله عز وجل كقوله تعالى ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ . اهـ.

(١) هذا الأمر ﴿ تمتع ﴾ خرج عن ظاهره ، فأصبح للتهديد ، أي تمتع بهذه الحياة الدنيا الفانية ، قليلاً من الزمن فمصيرك إلى نار جهنم .

(٢) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢٣/٢٠٠ والألوسي في روح المعاني ٢٣/٢٤٥ ونسبه إلى قتادة .

(٣) ما رجحه المصنف هو ما اختاره الطبري فقد قال ٢٣/٢٠٠ : وأولى القولين بالصواب قول من قال : عَنَى به أنه أطاع الشيطان في عبادة الأوثان ، فجعل له الأوثان أنداداً ، لأن ذلك في سياق العتاب لهم على عبادتها .

أي مُصَلٍّ ، والقنوتُ : الطاعةُ[1] .

قال الحسنُ وقتادة : ﴿ **آنَاءَ اللَّيْلِ** ﴾ ساعاتِه ، أوَّلَه ، وأوسَطه ، وآخِرَه[2] .

قال أبو جعفر : قال الأخفش : قراءةُ من قرأ ﴿ **أَمَنْ هُوَ** ﴾[3] ؟ بالتخفيف ، ضعيفةٌ في العربيةِ ، لأن ألفَ الاستفهامِ لا يُعتَمدُ على ما قبلها .

قال أبو جعفر : الذي قاله الأخفشُ حَسَنٌ ، يدلُّ عليه أن الذي في سورة النمل لم يُقرأ إلاَّ مُثَقَّلاً ، ومعنى كلامه : أن الكلامَ معتمدٌ على ما قبله ، ليس له خبرٌ ، وإنما دلَّ عليه ما قبله ، لأنه قال جلَّ وعز ﴿ **وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ** ﴾ .

---

(١) قال في اللسان : القنوتُ : الخشوع والقيام بالطاعة ، وقيل : القيام ، ومنه حديث جابر « سئل النبي ﷺ : أيُّ الصلاة أفضل ؟ قال : طول القنوت » يريد طول القيام ، ويردُ بمعانٍ متعددة ، كالطاعة ، والخشوع ، والصلاة ، والدعاء ، والقيام ، فيصرف لما يحتمله اللفظ .

(٢) هي من القراءات السبع ، قرأ بها ابن كثير ، ونافع ، وحمزة ، وقرأ الباقون بالتشديد ﴿ أمَّن هو قانت ﴾ وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٢/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ١٦٧/٧ وروح المعاني للألوسي ٢٤٦/٢٣ .

(٣) تكررت « أمَّن » بالتشديد في سورة النمل في قوله تعالى ﴿ أمَّن خلق السموات والأرض ﴾ وقوله ﴿ أمَّن جعل الأرض قراراً ﴾ وقوله ﴿ أمَّن يُجيبُ المضطر إذا دعاه ﴾ ؟ .. إلخ. وكلها بالتشديد ، وأصلها « أم من »فأدغمت الميم بالميم للتماثل ، فصارت ميماً مشدَّدة ﴿ أمَّن ﴾ ولم يرد عن القُرَّاء في سورة النمل أن أحداً قرأ بالتخفيف ، بل الجميع اتفقوا على قراءتها بالتشديد ، وهذا ما نبَّه عليه المصنف .

فحذَفَ الخبرَ لأن المعنى : أَمَّنْ هو مطيعٌ كهذا[1] ؟ .
أو أَمَّنْ هو مطيعٌ ، أفضلُ أمْ هَذَا ؟ .
وهذا موضعُ ﴿ أَمْ ﴾ التي بمعنى « بَلْ » كما قال :

أَفَتِـــلْكَ أَمْ وَحْشِيَّـــةٌ مَسْبُوعَـــةٌ
خَذَلَتْ وَهَادِيَـــةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَـــا[2]

وقوله :

أذلك أم جَأْبٌ يُطَـــارِدُ آتُنـــاً
حَمَلْـنَ فَأَدْنَـى حَمْلِهِـــنَّ دُرُوْصُ[3]

ومن قرأ بالتخفيف ، فالخبرُ أيضاً عنده محذوفٌ ، وهو شيءٌ غامضٌ في العربية ، لا يأنسُ به إلاَّ من دَرِبَ بها ، كما قال :

فَأُقْسِمُ لَوْشَيْءٌ أتانَـــا رَسُوْلُـــهُ
سِوَاكَ ، وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعاً[4]

---

(١) قد يُحذف الجواب إذا دلَّ الكلام عليه ، والمعنى : أَمَّن هو مطيع ، عابد في ساعات الليل ، يتعبَّد ربه في صلاته ، ساجداً وقائماً ، خيرٌ أم ذلك الكافر ، الذي جعل لله أنداداً ؟

(٢) البيت للبيد بن ربيعة ، في ديوانه ص ٣٠٧ من قصيدته : عَفَتِ الدِّيارُ .. إلخ. يقول : أفتلك الأتان تشبه ناقتي أم وحشية ؟

(٣) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ١٠٨ بلفظ : أذلك أم جَوْنٌ .. إلخ. واستشهد به ابن منظور في اللسان ، والأزهري في تهذيب اللغة مادة (درص) والشاهد فيه أن « أم » جاءت بمعنى « بل » يقول : أذلك الذكر من النعام يشبه ناقتي ، أم هذا الحمار من حمر الوحش ؟ .

(٤) البيت لامرئ القيس وهو في ديوانه ص ٢٤٢ بلفظ : أجدَّك لو شيء أتانا .. إلخ. وهو من شواهد النحويين كما في خزانة البغدادي ٨٤/١٠ وابن يعيش ٧/٩ والشاهد : أن الجواب فيه محذوف ، قال الفراء في معاني القرآن ٤١٧/٢ بعد استشهاده بالبيت المذكور إن معناه : لو أتانا رسول غيرك لدفعناه ، فعُلِم المعنى ولم يظهر ، بدليل قوله « مَدْفعاً » . اهـ. والصواب أن الجواب مذكور في البيت الذي بعده وهو قوله : =

أي لدفعناه ، فعلى هذا يقعُ الحذفُ .

وقيل : هو نداءٌ أي يا من هو قائم آناءَ اللَّيل(١) .

١٥ ـــ **وقوله جل وعز ﴿ يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾** [آية ٩] .

قرأ سعيد بن جُبير ﴿ يَحْذَرُ عَذَابَ الآخِرَةِ ﴾(٢) والمعنى واحدٌ .

١٦ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ؟ إنَّما يَتَذَكَّر أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾** [آية ٩] .

أي كما لا يستوي العالم والجاهلُ ، كذا لا يستوي المطيعُ والعاصي .

وقيل : ﴿ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ ﴾ ما لهم في الطاعة ، وما عليهم في المعصية(٣) .

= إذاً لَرَدَدْنَاهُ ولَوْ طَالَ مُكْثُهُ لَدَينا وَلكِنَّا بِحُبِّكَ وُلَّعا

قال البغدادي في خزانة الأدب ٨٤/١٠ وعذرهم في تقدير الجواب ، أن البيت الثاني ساقط من أكثر الروايات . اهـ.

(١) قال الفراء في معاني القرآن ٤١٦/٢ : فسَّرها الذين قرءوا بها فقالوا : يا مَنْ هو قانت ، وهو وجه حسن ، والعرب تدعو بألف كما تدعو بياء ، فيقول : يا زيد أقبلْ ، وأزيدُ أقبل . اهـ. وقال الطبري : وإذا وجهت الألف إلى النداء كان معنى الكلام : قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ، ويا من هو قانت آناء الليل ، إنك من أهل الجنة . اهـ. ٢٠١/٢٣ .

(٢) هذه قراءة شاذة وهي محمولة على التفسير وانظر زاد المسير ١٦٧/٧ .

(٣) هذا هو الظاهر من الآية الكريمة عدم التساوي بين العالم والجاهل ، والمطيع والعاصي ، والمراد بالعلم هنا ما أدَّى إلى معرفة الله ، والنجاة من عذابه ، لا مطلق العلم ، والمعنى الثاني ذكره =

ثم قال ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ أي العقول .

ولُبُّ كلِّ شيءٍ خالصُه[1] .

١٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ .. ﴾ [آية ١٠] .

قيل : الحسنةُ : الجنَّةُ[2] .

وقيل المعنى : لهم حسنةٌ في الدنيا ، أي ثناءٌ حسن ، وطمأنينةٌ بِمَا لَهُمْ[3] .

وقوله جلَّ وعز ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ [آية ١٠] .

قال مجاهد : أي فَهَاجِرُوا ، واعتزِلوا الأوثانَ[4] .

= الطبري ٢٠٣/٢٣ فقال : هل يستوي الذين يعلمون ما لهم في طاعتهم لربهم وما عليهم في معصيته ، والذين لا يعلمون ذلك ، فهم يخبطون في عشواء ؟

(١) في المصباح : لبُّ النخلة : قلبُها ، ولبُّ الجوز : ما في جوفه ، ولبُّ كل شيء خالصه ، واللبُّ : العقل .

(٢) هذا رأي أكثر المفسرين أن المراد بالحسنة الجنَّة ، قال القشيري : المراد بالحسنة : الثواب في الجنة ، وقيل : هي الصحَّة ، والعافية في الدنيا ، والظفر والغنيمة ، والأول أصحُّ ، لأن الكافر قد نال نِعَم الدنيا . اهـ.

(٣) الأثر ذكره الطبري ٢٠٣/٢٣ ولم يعزه لأحد من السلف ، وروى عن السدي أن الحسنة : الصحَّة ، والعافية .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢٠٣/٢٣ عن مجاهد ، وكذا السيوطي في الدر المنثور ٣٢٣/٥ ، والآية حضٌّ على الهجرة ، وأمر بالصبر على المكاره ، نُصْرة لدين الله !

١٨ ـــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴾** [آية ١٥] .

على الوعيد ، وهذا قبل الأمر بالقتال(١) .

١٩ ـــ **ثم قال جلَّ وعزَّ ﴿ قُلْ إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾** [آية ١٥] .

أي خسروا أنفسهم بالتخليد في النَّار ، وأهليهم بأنهم لم يدخلوا الجنة ، فيكون لهم أهلُونَ .

ورَوى معمرٌ عن قتادة قال : ليس أحدٌ إلَّا وقد أعدَّ اللهُ له أهلاً في الجنة ، إن أطاعه(٢) .

٢٠ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾** [آية ١٦] .

أي ذلك الذي وُصفَ من العذاب .

٢١ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا .. ﴾** [آية ١٧] .

---

(١) يريد المصنف رحمه الله أن الآية على الوعيد والتهديد ، قبل نزول آيات القتال ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب .. ﴾ الآية ، فهي كقوله تعالى ﴿ اعملُوا ما شئتم ﴾ لا يراد بها الإباحة ، إنما هي على الوعيد والتهديد .

(٢) هذا الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٤ وعزاه إلى ابن عباس أيضاً ، وذكره ابن الجوزي ٧/١٩٩ بنحوه حيث قال : خسروا الحور العين اللواتي أُعددن لهم في الجنة لو أطاعوا الله . اهـ .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : الطَّاغوتُ : الشَّاطينُ[1] .

قال أبو جعفر : وقد بينَّا هذا في سورة البقرة[2] .

٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِي الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ .. ﴾ [آية ١٨] .

في معنى هذا قولان :

القول الأول : قال الضحاك : ﴿ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ ﴾ القرآن ، و ﴿ أَحْسَنَهُ ﴾ ما أمر الله جلَّ وعزَّ به الأنبياء ، من طاعته فيتَّبعونه[3] .

---

(١) الأثر ذكره في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وفي زاد المسير ١٧٠/٧ والقرطبي ٢٤٣/١٥ قال الأخفش في معاني القرآن ٦٧١/٢ : الطاغوت في معنى الجماعة ، قال تعالى ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوتُ ﴾ وإن شئت جعلته واحداً مؤنثاً . اهـ.

أقول : ومعنى الطاغوت في اللغة : البالغ غاية الطغيان والجبروت ، كالرحموت والعظموت ، والمراد به الشيطان ، ووُصفَ به للمبالغة قال في التهذيب : وتأوها زائدة ، ويذكَّر ويؤنث ، والاسم الطغيان .

(٢) في قوله تعالى ﴿ الله وليُّ الذين آمنوا ، يخرجهم من الظلمات إلى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ، يخرجونهم من النُّور إلى الظلمات .. ﴾ البقرة آية رقم ٢٥٧ .

(٣) هذا الأثر عن الضحاك ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وابن الجوزي ١٧٠/٧ ونسبه إلى الجمهور ، والأظهر أن المراد بالقول العموم ، أي يستمعون الحديث والكلام ، فيأخذون أحسن ما فيه ، قال ابن عباس : هو الرجل يسمع الحسن والقبيح ، فيتحدَّث بالحسن ، وينكفُّ عن القبيح ، فلا يتحدث به ، وهذا ما رجَّحه الطبري ، وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن جزي في التسهيل ، والقصد من الآية الثناء على هؤلاء بنفوذ بصائرهم ، ونظرهم السديد ، وأنهم يفرقون بين الحق والباطل ، وبين الصواب والخطأ ، فيتبعون الأحسن من ذلك ، فإذا سمعوا قولاً تبصَّروه وعملوا بما فيه ، وأحسن الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي رسوله الكريم ﷺ .

والقول الآخر : أنهم يستمعون القرآن وغيرَه ، فيتَّبعونَ القرآنَ .

قال أبو جعفر : القـولُ الأوّلُ حسنٌ ، والمعنـى : أنهم إذا سمعـوا بالعقوبـة والعفـو ، عَفَـوْا ، ورأوا أنَّ العفْـوَ أفضـلُ ، وإن كانت العقوبـةُ لهم .

٢٣ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ العَذَابِ أَفَأَنْتَ تنقـذ من في النَّارِ ﴾ ؟** [آية ١٩] .

يُقال : كيف جيء باستفهامين ، وقد أجمعَ أهلُ العربيةِ ، أنـه لا يجوز استفهامانِ في اسمٍ وخبرِهِ ؟

ففي هذا جوابان :

أحدهما : أن العرب إذا طال الكلامُ ، كرَّرتْ توكيداً ، وكـذلك قال سيبويه في قول الله جلَّ وعز : **﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ ، وَكُنْتُـمْ تُرَابَاً وَعِظَامَاً ، أَنَّكُمْ مُخْرَجُوْنَ ﴾**(١) ؟

المعنـى على هذا : أفمـن حقَّ عليـه كلمـةُ العـذاب ، أفـأنت تنقذه ؟

والكلامُ شرطٌ وجوابُه ، وجيء بالاستفهـام ، ليـدلَّ على التوقيـف والتقرير(٢) .

---

(١) سورة « المؤمنون » آية رقم ٣٥ والشاهد في الآية تكرير لفظ « أنكم » .

(٢) قال الحوفي : وجيء بألف الاستفهام ﴿ أفأنت تنقذ ﴾ ؟ لمَّا طال الكلام توكيداً ، ولولا طولـه لم يجز الإتيان بها ، لأنه لا يصلح بالعربية ، أن يؤتى بألـف الاستفهـام في الاسم ، وألـف أخـرى في الجزاء ، ومعنى الكلام : أفأنت تنقذه ؟ . اهـ. نقلاً عن البحر المحيط ٤٢١/٧ .

قال الفراء : المعنى : أفأنتَ تُنقذ من حَقَّتْ عليهِ كلمةُ العذاب[1] ؟

قال أبو جعفر : وهذا والأول واحدٌ .

والجواب الآخر : أنَّ في الكلام حذفاً .

والمعنى : أفمن حقَّ عليه كلمةُ العذابِ يتخلَّصُ ، أو ينجو[2] ؟ .

ثم حذفَ الجوابَ ، وكان ما بعده مستأنفاً .

والمعنى : أفمن سبقَ في علمِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، أنه يدخل النَّارَ ، ينجو أو يتخلَّصُ ؟

٢٤ ــ وقولُه جلَّ وعز : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ .. ﴾ [آية ٢١] .

يُروى أنَّ كل ماءٍ في الأرض ، فأصلُه من السَّماءِ[3] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٤١٨/٢ فقد وضح المسألة وأتى بشواهد كثيرة .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٥٠/٤ قال ابن الجوزي ١٧١/٧ : ويجوز أن يكون في الكلام محذوف ، تقديره : أفمن حقَّ عليه كلمه العذاب ، فيتخلص منه أو ينجو ، أفأنت تنقذه ؟ . اهـ. وقد رجح ابن جزي في التسهيل ٤٢٠/٣ القول الأول فقال : والقول الثاني أن يكون التقدير : أفمن حقَّ عليه كلمة العذاب ، تتأسَّف عليه ، فحذف الخبر ، ثم استأنف قوله ﴿ أفأنت تنقذُ من في النار ﴾ ؟ والأول أرجح لعدم الإضمار .

(٣) هذا قول الشعبي حكاه عنه الطبري ٢٠٨/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٤/٥ وروي مثله عن ابن عباس حيث قال : ليس في الأرض ماء إلا نزل من السماء ، ولكن عروق في الأرض تغيِّره . فمن سرَّه أن يعود الملح عذباً فليصعِّده . اهـ. ابن كثير ٨٣/٧ .

وقد يجوزُ أن يكون إنزالُه إيَّاه ، خَلْقَه له ، وتكوينَه بأمره[1] .

وقوله تعالى ﴿ فَسَلَكَهُ ﴾ أي فأدخله فجعله ﴿ يَنَابِيعَ ﴾ جمعُ يَنْبُوعٍ « يَفْعُول » من نَبَعَ ، يَنْبَعُ .

﴿ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ﴾ أي أخضرَ ، وأسودَ ، وأصفرَ ، وأبيضَ[2] .

﴿ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ﴾ أي يَجِفُّ .

قال الأصمعيُّ : يُقال للنَّبْت إذا تمَّ جَفَافُه ، قد هاجَ ، يَهِيجُ ، هَيْجاً[3] .

﴿ ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً ﴾ أي رُفاتاً[4] .

٢٥ ــ ثم قال تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آية ٢١] .

---

(١) ذكر بعض المفسرين أن كل ماء نزل من السماء ، فأصله من الأرض ، واستدل على ذلك بقول الله تعالى ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾ فالمطر ينزل من السحاب ، والسحاب يتكون من مياه الأرض بواسطة الأبخرة المتصاعدة ، فيكون على هذا القول إنزاله بمعنى خلقه وتكوينه كما نبَّه المصنف عليه ، وانظر الدر المنثور ٣٢٤/٥ .

(٢) وفسَّر الإمام ابن جرير الطبري قوله ﴿ مختلفاً ألوانه ﴾ قال : يعني أنواعاً مختلفة من بين حنطة ، وشعير ، وسمسم ، وأرز ، ونحو ذلك من الأنواع المختلفة . اهـ. والأولى أن يُقال : مختلفة الألوان والأصناف لتشمل الكل .

(٣) قال الجوهري : هاج النبت هياجاً إذا يبس ، وفي اللسان وتاج العروس : هاجت الأرض هيجاً وهيجاناً : يبس بقلها . اهـ.

(٤) في القرطبي ٢٤٦/١٥ ﴿ حُطَاماً ﴾ أي فُتاتاً مكسَّراً ، من تحطَّم العود إذا تفتت من اليُبس . اهـ.

أي يفكِّرون ، فيذكرون أنَّ هذا دالّ على توحيد اللّهِ جلَّ وعزَّ ، وقدرته[1] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعزَّ ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْأَسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُوْرٍ مِنْ رَبِّهِ .. ﴾** [آية ٢٢] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنى : أفمن شرحَ اللّهُ صدرَه فاهتدى ، كمن طَبَعَ على قلبه ، فلم يهتدِ ؟!

وفي الحديث قال أصحابُ رسول الله ﷺ : (أو ينشرحُ القلبُ ؟ قال : نعم ، إذا أدخل اللّهُ فيه النُّورَ ، انشرحَ وانفسحَ ، قالوا : فهلْ لذلكَ من علامةٍ ؟ قال : نعم !!

• التَّجافي عن دار الغرور .

• والإنابةُ إلى دار الخلود .

---

(١) هذه الآية دليل على القدرة والوحدانية ، كما نبَّه المصنف ، وفيها تمثيل رائع للحياة الدنيا ، ومن على ظهرها من الخلائق ، مهما طال عمر الإنسان ، فلا بد له من النهاية ، حتى يصير مصفرَّ اللون ، متحطِّم الأركان ، متكسراً كالزرع بعد نُضرته ، ثم يأتيه الموت في نهاية المطاف ، وكذلك حال الدنيا بما فيها من بَهْرج ومتاع ، يتغير النبت الأخضر فيصفرُّ ، ثم يَزْوي ، وييبس ، فيكون حطاماً ، كذلك الدنيا بعد بهجتها ، قال ابن كثير ٨٣/٧ : هكذا الدنيا تكون خَضِرة ، نضِرة ، حسناء ، ثم تعود عجوزاً شوهاء ، وكذلك الشاب يعود شيخاً هَرِماً ، كبيراً ضعيفاً ، وبعد ذلك كله الموت ، فالسعيد من كان حاله بعده إلى خير ، وكثيراً ما يضرب الله تعالى مثل الحياة الدنيا ، بما يُنزل الله من السماء من ماء ، ويُنبت به زروعاً وثماراً ، ثم يعود بعد ذلك حطاماً . اهـ.

• والإعدادُ للموتِ قبلَ [لقاءِ] الموت)[1] .

٢٧ ــ **ثم قال جلَّ وعز ﴿ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ، أُوَلئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾** [آية ٢٢] .

قيل : معنى ﴿ **مِن** ﴾ و« عَنْ » ههنا واحدٌ[٢] .

قال أبو جعفر : وليس هذا بشيءٍ ، فمعنى ﴿ **مِنْ** ﴾ إذا تُليتْ عليهم آياته قَسَوْا ، كما قال تعالى ﴿ **وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسَاً إِلَى رِجْسِهِمْ** ﴾[٣] .

وإذا قال « عَنْ » فمعناه : قستْ قلوبُهم ، وجَفَتْ عن قبولِ ذكرِ الله[٤] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن مردويه ، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول ، والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٥/٥ ورواه الطبري ٢٧/٨ من طريقين عن عبد الله بن مسعود ، قال الحافظ ابن حجر في « تخريج الكشاف » : رواه الحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود ، وفيه « أبو فروة » فيه كلام ، ورواه ابن كثير في تفسيره ، مرسلاً ، متصلاً ٣٢٧/٣ ثم قال : وهذه طرق متصلة ومرسلة يشد بعضها بعضاً .

(٢) هذا مذهب الفراء في معاني القرآن ٤١٨/٢ قال : ﴿ من ذكر الله ﴾ و « عن ذكر الله » كلٌّ صوابٌ ، تقول : اتُّخمتُ من طعام أكلته ، وعن طعام أكلتُه ، سواء في المعنى . اهـ. وكذلك قال الطبري ٢٠٩/٢٣ ﴿ من ذكر الله ﴾ بمعنى : عن ذكر الله ، فوضعت ﴿ من ﴾ مكان « عن » . اهـ. والأولى ما ذكره صاحب البحر ٤٢٠/٧ أن الكلام على حذف مضاف ﴿ من ذكر الله ﴾ أي من أجل ذكره أي إذا ذُكر الله عندهم قست قلوبهم ، وإليه ذهب المصنف .

(٣) سورة التوبة آية رقم ١٢٥ .

(٤) وضح المعنى المراد من الآية الإمام الفخر الرازي بأبدع الكلام فقال رحمه الله : فإن قيل إنَّ ذكر الله سبب لحصول النور ، والهداية ، وزيادة الاطمئنان كما قال سبحانه ﴿ ألا بذكر الله تطمئن ـ

٢٨ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ كِتَابَاً مُتَشَابِهَاً .. ﴾** [آية ٢٣] .

رَوَى الشعبيُّ عن عَوْنِ بنِ عبدِاللهِ قال : قالوا يارسولَ اللّهِ : حَدِّثْنا !! فنزلت ﴿ **اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الحَدِيثِ** ﴾[1] .

قال قتادة : ﴿ **مُتَشَابِهَاً** ﴾ أي لا يختلف[2] .

قال أبو جعفر : والمعنى : أنه يُشبِهُ بعضُه بَعْضَاً في الحكمةِ والحقِّ ، كما قال جلَّ وعزَّ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غيرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافَاً كَثِيرَاً ﴾ .

٢٩ ــ **ثم قال جلَّ وعزَّ : ﴿ مَثَانِيَ .. ﴾** [آية ٢٣] .

= القلوب ﴾ فكيف جعله في هذه الآية سبباً لحصول قسوة القلب ؟ والجواب أن نقول : إن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر ، كدرة العنصر ، بعيدةً عن الروحانيات ، شديدة الميل إلى الطبائع البهيمية ، والأخلاق الذميمة ، فإن سماعها لذكر الله يزيدها قسوة وكدورة ، كنور الشمس يسوِّد وجه الإنسان ويُبيِّض ثوبه ، وحرارة الشمس تلينُ الشمعَ ، وتجمِّد الملح ، فلا يبعد أن يكون ذكر الله يوجب النورَ والهداية في النفوس الطاهرة الروحانية ، ويوجب القسوة والظلمة في النفوس الخبيثة الشيطانية ، وما ذاك إلا لاختلاف جواهر النفوس » . اهـ. التفسير الكبير ٢٦/٢٦٦ .

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن ابن عباس ٢٣/٢١١ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٥ والقرطبي في جامع الأحكام ١٥/٢٤٨ .

(٢) أحسن ما قيل في معنى ﴿ متشابهاً ﴾ قول ابن عباس رضي الله عنه : أنه يشبه بعضه بعضاً ، ويصدِّق بعضه بعضاً ، ولا يختلف شيء منه ، أي ليس فيه تناقض ولا اختلاف ، تتشابه آياته في الفصاحة والبيان ، والتناسق والأحكام ، كما ذكره المصنف .

قال قتادة : ﴿ مَثَانِي ﴾ : ثَنَّاه اللَّهُ عز وجلّ[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى : ما تُثَنَّى فيه القصصُ ، والثوابُ ، والعقابُ[2] .

وقيل : المثاني : كلُّ سورةٍ ، فيها أقلُّ من مائة آية ، أي تثنَّى في الصلاة[3] .

٣٠ ــ ثم قال جل وعز ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٢٣] .

أي تقشعرُّ من الآياتِ التي يُذكر فيها العذابُ ، ثم تلينُ إلى الآياتِ التي تُذكرُ فيها الرَّحمةُ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٣/٢١٠ ولفظه : ثنى الله فيه الفرائض ، والقضاء ، والحدود ، وانظر الدر المنثور ٥/٣٢٥ .

(٢) قال القرطبي ١٥/٢٤٩ : ﴿ مَثَانِي ﴾ تثنّى فيه القصص ، والمواعظ ، والأحكام ، وثني للتلاوة فلا يملُّ ، وفي التسهيل ٣/٤٢١ : ﴿ مثاني ﴾ جمع مثنى أي تثنى فيه القصص تكرَّر ، ويحتمل أن يكون مشتقاً من الثناء ، لأنه يُثنى فيه على الله . اهـ. وفي الجواهر الحسان للثعالبي ٤/٥٤ : ﴿ متشابهاً مثاني ﴾ معنى ﴿ متشابهاً ﴾ أي مستوياً لا تناقض فيه ولا تدافع ، بل يشبه بعضه بعضاً في رصف اللفظ ، ووثاقة البراهين ، وشرف المعاني ، إذ هي اليقين في العقائد في الله ، وصفاته ، وأفعاله ، وشرعه ﴿ ومثاني ﴾ معناه موضع تثنية للقصص ، والأقضية ، والمواعظ ، تُثنى فيه ولا تُملُّ مع ذلك ، ولا يَعْرض لها ما يعرض للحديث المعاد . اهـ.

(٣) هذا قول بعض القراء ، فقد قسموا سور القرآن إلى ثلاثة أقسام : طوال ، ومثاني ، ومفصَّل ، فهناك السبع الطوال ما زادت على مائة آية وهي (البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الأنعام ، الأعراف ، التوبة) وهناك السور القصار كسورة النصر وسورة الكوثر ، وهي في الأجزاء الأخيرة ، وهناك المثاني ، وهي دون الطوال .

٣١ ــ وقولـه جل وعــزَّ : ﴿ أَفَمَــنْ يَتَّقِــي بِوَجْهِــهِ سُوءَ العَــذَابِ يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾ ؟ [آية ٢٤] .

في الكلام حذفٌ .

والمعنـى : أفمـن يتّقـي بوجهـه سوء العـذاب ، كمـن يدخـل الجنة[١] ؟

قال مجاهد : يخرُّ على وجهه في العذاب يوم القيامة[٢] .

قال أبو جعفر : ويُرْوى أنه يُلْقى في النَّارِ مغلولاً ، فلا يقـدرُ أن يتَّقِي النَّارَ إلاَّ بوجْهِهِ[٣] .

٣٢ ــ وقولُه جل وعـزَّ : ﴿ قُرْآنَاً عَرَبِيَّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ، لَعَلَّهُـمْ يَتَّقُـونَ﴾ [آية ٢٨] .

قال مجاهد : أي غير ذي لَبْسٍ[٤] .

قال أبـو جعفـر : المعنـى : أنـه مستقيـمٌ ، لا يُخالـف بعضُه

---

(١) هكـذا قال الزجـاج في معانيـه ٣٥٢/٤ وذكـره ابـن الجوزي ١٧٨/٧ وقـال الأخـفش في معانيـه ٦٧١/٢ : وهذا لم يظهر له خبر في اللفظ ، ولكنه في المعنـى : أفمـن يتقـي بوجهـه أفضل ، أم من لا يتقي ؟ . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٢١١/٢٣ والقرطبي ٢٥١/١٥ والدر المنثور ٣٢٦/٥ .

(٣) هذا المعنى ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٧٨/٧ وهو مروي عن ابن عباس كما في الـدر المنثـور ٣٢٦/٥ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢١٢/٢٣ والبحر المحيط ٤٢٤/٧ والدر المنثور ٣٢٦/٥ ومعنى : العِـوَج : الإعوجـاج أي أنـه كتـاب مستـقيم ، بريءٌ من التنـــاقض والاختــلاف ، وإنما قال ﴿ غير ذي عِوَج ﴾ ولم يقـل غير معـوَّج ، لأنـه أبلـغ في النفـي ، كأنـه قال : ليس فيـه شيء من العِـوَج أصلاً .

بعضاً ، لأن الشَّيْءَ المعوَّجَ مختلفٌ .

وقد رُوي عن ابنِ عباسٍ : ﴿ غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ﴾ : غير مخلوق[1] .

٣٣ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال قتادة : هو الكافرُ ، والشركاءُ : هم الشياطينُ .

قال : ﴿ وَرَجُلاً سَلَماً ﴾ هو المؤمنُ ، يعملُ للَّهِ وحده[2] .

قال مجاهد والضحاك : هذا مثلٌ للحقِّ والباطلِ ، والشركاءُ : هم الأوثانُ[3] .

---

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن ابن عباس ١٧٩/٧ وذكره في البحر ٤٢٤/٧ ونسبه إلى السدي . وكذا في القرطبي ٢٥٢/١٥ ثم قال : أحسن ما قيل فيه قول الضحاك ﴿ غير ذي عِوَج ﴾ أي غير مختلف .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢١٤/٢٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ قال المفسرون : هذا مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر يعبد آلهة شتى ، والمؤمن يعبد إلهاً واحداً ، وقد ضرب الله مثلاً للكافر بعبد مملوك ، اشترك فيه عدة أشخاص ، سيئو الأخلاق ، مختلفو الطبائع ، متخاصمون ، متنازعون ، فهو لا يقدر أن يرضي واحداً منهم . كلٌّ منهم يريد أن يقضي حاجته على وجه التمام والكمال فلا يزال هذا العبد في عناء وتعب ، ولوم كل واحد من هؤلاء المالكين ، وعبد مملوك لسيد واحد ، فهو يخدمه بإخلاص ويتفانى في خدمته ، فهل يستوي هذا وهذا في حسن الحال ، وراحة البال ؟ وهو مثل في غاية الحسن في تقبيح الشرك ، وتحسين التوحيد .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ والطبري ٢١٤/٢٣ وقال مجاهد : هو مثل آلهة الباطل ، وإله الحق .

قال الفراء : ﴿ **متشاكسون** ﴾ : مختلفون[1] .

قال أبو جعفر : من قرأ ﴿ **رَجُلاً سَالِماً** ﴾ أخرجه على الفعل ، ومن قرأ ﴿ **سَلَماً** ﴾ جعله مصدراً فمعناه : ذا سَلَمٍ[2] .

٣٤ ـ **وقوله جلّ وعزّ** : ﴿ **ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ** ﴾ [آية ٣١] .

أي يُخاصم المظلومُ الظَّالمَ ، والمؤمنُ الكافرَ .

قال ابن عمر : ما كنا ندري فيم نختصمُ ، حتَّى وقعتِ الفتنةُ فقلنا : هُوَ ذا[3] .

وفي الحديث : أنَّ الزبير قال يارسول الله : (أنختصمُ يوم القيامة ، بعدما كان بيننا ؟ قال : نعم ، حتى يُؤدَّى إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه ، قال : إنَّ الأمرَ إذاً لشديدٌ)[4] .

---

(١) انظر معاني الفراء ٤١٩/٢ قال الفراء : وهذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن ، فجعل الذي فيه شركاء هو الذي يعبد الآلهة المختلفة .

(٢) قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ رَجُلاً سَالماً ﴾ بالألف ، وقرأ الباقون ﴿ سَلَماً ﴾ وهما قراءتان سبعيتان ، وانظر السبعة ص ٥٦٢ .

(٣) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨١/٧ : ولفظه : (نزلت هذه الآية وما ندري ما تفسيرها ؟ وما نرى أنها نزلت إلا فينا ، وفي أهل الكتاب ، حتى قُتل عثمان ، ووقعت الفتنة بين علي ومعاوية ، فعرفت أنها نزلت فينا) . اهـ. وذكرهالقرطبي في جامع الأحكام ٢٥٤/١٥ : قلنا : كيف نختصم ، ونبينا واحد ، وديننا واحد ؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف ، فعرفت أنها فينا نزلت . والسيوطي في الدر المنثور ٣٢٧/٥ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢/٢٤ وابن كثير ٨٧/٧ والقرطبي ٢٥٤/١٥ وفي الدر المنثور ٣٢٧/٥ .

٣٥ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [آية ٣٣] .

حدثنا بكرُ بنُ سهل قال : حدثنا أبو صالح عن معاويةَ بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ** ﴾ يقول : جاء بـ « لا إلهَ إلاَّ الله »[١] ﴿ **وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ يعني برسول الله ﷺ ﴿ **أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ** ﴾ يقول : اتقوا الشرك[٢] .

ورَوَى ابنُ عُيَيْنةَ ، عن منصورٍ قال : قلتُ لمجاهد : يا أبا الحَجَّاج[٣] ، ما معنى قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ ؟ [آية ٣٣] .

قال : الذي جاء بالقرآنِ ، وصدَّقَ به[٤] .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ٩٠/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٢/٧ والطبري ٤/٢٤ ورجَّح الطبري العموم ، فقال : والصواب من القول أن الله تعالى عنى بالصدق ، كلَّ من دعا إلى توحيد الله ، وتصديق رسله ، والعمل بما ابتعث به رسوله ﷺ ، وأن يراد بالصدق أيضاً القرآن ، وشهادة أن لا إله إلا الله ، والمصدِّق به المؤمنون من جميع خلق الله . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٥/٢٤ وابن كثير ٩٠/٧ الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

(٣) هذه كنية الإمام مجاهد بن جبر . وهو أبو الحجاج المخزومي المكي المقري ، من كبار المفسرين من التابعين توفي سنة ١٠٠هـ قال العجلي : تابعي ثقة ، وقال الذهبي : أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به ، وانظر التهذيب ٤٤/١٠ .

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري ٤/٢٤ ولفظه : عن مجاهد قال : هم أهل القرآن ، يجيئون به يوم القيامة يقولون : هذا الذي أعطيتمونا ، فاتبعنا ما فيه . اهـ. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ .

قال أبو جعفر : وهذا يشبهُ القولَ الأوَّلَ ، وهو قولُ أكثرِ أهلَ اللغة .

ويدلُّ على صحَّته ، أن عبدالله بن مسعود قرأ ﴿ والَّذينَ جاءوا بالصِّدقِ وصَدَّقُوا به ، أولئك هم المتَّقُونَ ﴾[1] .

فـ ﴿ الَّذي ﴾ ههنا ، و ﴿ الَّذينَ ﴾ واحدٌ .

وقال الحسن : هو المؤمنُ ، جاء بالصدق يوم القيامة ، وصدَّق به في الدنيا[2] .

وبعضُ أهل اللغة يقول : حُذف من **﴿ الَّذينَ ﴾** النُّونُ ، لطولِ الاسم[3] .

وبعضهم يقول : ﴿ الَّذي ﴾ بمعنى : الَّذينَ[4] .

---

(١) هذه قراءة على التفسير ، وليست من القراءات السبع ، ذكرها القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٦/١٥ وقال : هي على التفسير ، وذكرها الطبري ٤/٢٤ وابن كثير ٩٠/٧ فهي قراءة شاذة .

(٢) هذا القول قريب من قول مجاهد ، وقد اختاره الطبري ، واين كثير ، ويدلُّ على العموم قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ قال الحافظ ابن كثير ٩٠/٧ : وهذا القول يشمل كلَّ المؤمنين ، فإن المؤمن يقول الحق ويعمل به ، والرسول أولى الناس بالدخول في هذه الآية ، فإنه جاء بالصدق وصدَّق المرسلين . اهـ.

(٣) قال أبو حيان في البحر ٤٢٨/٧ : هذا القول ليس بصحيح ، إذ لو أريد به الذين وحذفت منه النون ، لكان الضمير مجموعاً أي يأتي بلفظ « جاءوا » بالجمع .

(٤) هذا قول البصريين حكاه عنهم ابن جرير وغيره ، قال ويدل عليه قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ بصيغة الجمع ، وانظر الطبري ٤/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٢/٧ .

وبعضهم يقول : ﴿ **الَّذي** ﴾ واحدٌ يؤدِّي عن معنى الجماعة .

قال أبو جعفر : وهذا القولُ أصحُّها ، يكون ﴿ **الَّذي** ﴾ مِثلَ « مَنْ » لأنه لا يُقصد قصْدُه ، وحقيقتُه أن المعنى : والقبيلُ الذي جاء بالصِّدقِ ، وصدَّقَ به[1] .

وقد قيل في الآية غيرُ هذا

قال قتادة وأبو العالية : الذي جاء بالصِّدقِ النبيُّ ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه[2] .

وقيل : النبيُّ ﷺ ، وعليٌّ عليه السلام[3] .

حدثنا عليُّ بن سعيد ، **قال** : حدثنا الحسينُ بنُ نَصْرٍ ، حدَّثني أبي ، قال : حدثنا عمر بن سعيد ، عن ليثٍ ، عن مجاهد ﴿ **والَّذِي جَاءَ بالصِّدْق** ﴾ محمد ﷺ ﴿ **وَصَدَّقَ بِهِ** ﴾ عليُّ بن أبي

---

(١) ما ذكره المصنف ورجَّحه ، هو احتيار الأخفش ، فقد جاء في معانيه ٦٧٢/٢ : ﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ ثم قال ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ فجعل ﴿ الذي ﴾ في معنى جماعة ، بمنزلة « مَنْ » . اهـ. وهو أيضاً اختيار ابن عطية ، وأبي حين في البحر المحيط ٤٢٨/٧ فقد جاء فيه ﴿ والذي ﴾ جنس ، كأنه قال : والفريق الذي جاء بالصدق ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ أولئك هم المتقون ﴾ .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ والطبري ٣/٢٤ والقرطبي ٢٥٦/١٥ وهو مروي عن ابن عباس أيضاً .

(٣) الأثر ذكره القرطبي ٢٥٦/١٥ وعزاه إلى مجاهد ، وذكر السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ هذا القول من كلام أبي هريرة وقال : أخرجه ابن مردويه .

طالب عليه السلام[1] .

ونظيرُ الَّـذي جاء بالصِّدقِ ، في أنـه واحـدٌ يؤدي عن جماعـة ، قوله .

وإنَّ الَّـــذِي حَانَتْ بِفَلْـــجٍ دِمَاؤُهُـــمْ
هُمُ القَـوْمُ كُلُّ القَـوْمِ يَا أُمَّ خَالِـــدِ[2]

وحَذَفَ النونَ ، وقولُه :

أَبَنِـــي كُلَـــيْبٍ إنَّ عَمَـــيَّ اللَّـــذَا
قَتَـــلا المُلُـــوكَ وفَكَّـــكا الأَغْلَالَا[3]

٣٦ ـــ وقوله عزَّ وجل : ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُوْنَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

هذا يدلُّ على النَّصر ، وأكثـــرُ الكوفـــيِّين يقـــرأ ﴿ **بكـــافٍ**

---

(١) هذا القول كسابقه ، أن المراد به النبي ﷺ ، وعلي بن أبي طالب ، رضي الله عنه . وقد أخرج هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٢٨/٥ والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ٢٥٦/١٥ .

(٢) البيت للأشهب بن رُميلة ، وهو في لسان العرب ، وتاج العروس ، والصحاح مادة « فلج » وقد استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ١٩٠/٢ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٣/٧ وأبو حيان في البحر ٤٢٨/٧ وهو في شواهد المغني ص ١٧٤ والخزانة ٥٠٧/٢ .

(٣) البيت للأخطل التغلبي كما في ديوانه ص ٣٨٧ وذكره ابن جني في المحتسب ١٨٥/١ وشواهد سيبويه ص ١٢٦ وفي الدرر ، والشاهد فيه حذف النون من لفظ « اللَّذان » حيث قال : « اللَّذا » ونظير هذا حذف النون من قول الشاعر « إن الذي حانت » في الشعر السابق ، وحذف النون في الآية ﴿ والذي جاء بالصِّدق ﴾ .

عِبَادَهُ ﴾[1] .

والتوحيدُ أحسنُ ، لأنه يُروى أنه يُراد به النبيُّ ﷺ ، ويدلُّ عليه ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ .

رَوَى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : الأوثانُ[2] .

قال قتادة : أخذها خالد بن الوليد فأساً ، فجاء إلى « العُزَّى » ليكسرها فقال له قيِّمها : إنَّ سَبَلَهَا لا يُطاق ، فخَفْ منها ، فجاء حتى كسر أَنْفَها[3] .

ويُروى أنهم قالوا للنبي ﷺ : لئن لم تنتهِ عن سبِّها ، لنأمرنَّها فلتخبلنَّك[4] .

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وخلف ، بالجمع ﴿ عِبَادَهُ ﴾ وقرأ الباقون ﴿ بكافٍ عبده ﴾ على الإفراد ، والقراءتان من السبع ، كما في النشر ٢/٣٦٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٢ وإنما كانت قراءة الإفراد ﴿ عَبْدَه ﴾ أحسن كما قال المصنف لقوله تعالى ﴿ ويُخَوِّفُونك ﴾ الخطاب فيها للنبي ﷺ ، فتتَّسق الجملة .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٦ وقال : ويخوِّفك المشركون يا محمد بالأوثان ، والآلهة أن تصيبك بسوء ، وقال ابن كثير ٧/٩١ : يعني المشركين يخوِّفون الرسول ، ويتوعَّدونه بأصنامهم وآلهتهم ، ونسب الطبري هذا القول إلى قتادة ، والسدي ، وابن زيد ، قال الفراء : وهذا مثل قول الكفار لشعيب ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء .. ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٦ والقرطبي ١٥/٢٥٨ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٨ ومعنى « إن سَبَلها » أي وعيدها لا يُطاق ، قال في اللسان : وقد تَشَرَّ سَبَلَته : إذا جاء يتوعد .

(٤) الأثر ذكره القرطبي في تفسيره ١٥/٢٥٨ قال : إنهم خوَّفوا النبي ﷺ مضرَّة الأوثان ، فقالوا : أتسبُّ آلهتنا ؟ لئن لم تكفَّ عن ذكرها ، لتخبلنك أو تصيبك بسوء ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٢٨ .

قال مجاهد : نزلت هذه الآية حين قرأ النبيُّ ﷺ سورة النَّجمِ عند باب الكعبة .

٣٧ ـــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُون ﴾** ﴿ آية ٣٩ ﴾ .

قال مجاهد : ﴿ على مكانتكم ﴾ أي على ناحيتكم(١) .

قال أبو جعفر : وهذا قولٌ صحيح .

والمعنى : على ناحيتكم التي اخترتموها ، وتمكَّنتْ عندكم .

﴿ **إِنِّي عَامِلٌ** ﴾ المعنى : إني عاملٌ على ناحيتي ، ثم حذف(٢) .

٣٨ ـــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا .. ﴾** [آية ٤٢] .

رَوَى جعفرُ بنُ أبي المغيرةِ ، عن سعيد بنِ جُبَيْرٍ قال : تُجْمَعُ أرواحُ الأحياءِ ، وأرواحُ الأمواتِ ، فتعارَفُ بينهما ما شاءَ اللَّهُ ، فيمسكُ التي قضى عليها الموتَ ، ويرسلُ الأخرى إلى أجسادها(٣) .

---

(١) الأثر أخرجه ابن جرير عن مجاهد ٨/٢٤ وهو وعيد وتهديد ، قال ابن كثير ﴿ على مكانتكم ﴾ أي على طريقتكم ، وهذا تهديد ووعيد .

(٢) إنما حذف الجار والمجرور ، لدلالة اللفظ عليه ، أي إني عامل على طريقتي ومذهبي ، من الدعوة إلى الله ، وإظهار دينه ، ويسمى هذا في البلاغة حذف إيجاز ، بشرط أن يدلَّ الكلام عليه .

(٣) أخرج هذا الأثر الطبري في تفسيره ٩/٢٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٦٠/١٥ وابن الجوزي في زاد المسير ١٨٦/٧ ورفعه إلى ابن عباس .

قال الفراء : المعنى ﴿ **وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** ﴾ عند انقضاء أجلها ، قال : وقد يكون « تَوَفَّاها » نوَّمها(١) .

قال أبو جعفر : وقيل : المعنى : اللَّهُ يتوفى الأنفس حين موتها ، بإزالة أَنْفُسِها وتمييزِها ، ثُمَّ أُضْمِر للثاني فعلٌ ، لأنه مخالفٌ للأول .

فالمعنى : ويتوفَّى التي لم تمت في منامها ، بإزالة تمييزها فقط ، لأن النائم يتنَفَّسُ(٢) .

قال أبو جعفر : أحسنُ ما قيل في هذا أن المعنى ﴿ **يتوفَّى** ﴾ و « يَسْتوفي »(٣) واحدٌ ، إذا انقضى الشيء ، كما يُقال : تَبَيَّنْتُ ،

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢/٤٢٠ ولفظه ، والمعنى فيه : يتوفَّى الأنفس حين موتها ، ويتوفَّى التي لم تمت في منامها ، عند انقضاء أجلها ، ويُقال : إن توفِّيها : نومها ، وهو أحبُّ الوجهين إليَّ . اهـ.

(٢) قال في التسهيل ٣/٤٢٥ : « هذه الآية عظة واعتبار . ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين : أحدهما وفاة كاملة حقيقية ، وهي الموت ، والآخر وفاة النوم ، لأن النائم كالميِّت في كونه لا يبصر ولا يسمع ، ومنه قوله تعالى ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ﴾ وتقدير الآية : ويتوفَّى الأنفس التي لم تمت في منامها ، فيمسك الأنفس التي قضى عليها بالموت ، فلا يردُّها إلى الدنيا ، ويرسل الأنفس النائمة ، فيرُدُّها إلى الدنيا ، والأجل المسمى : أجل الموت » . اهـ.

(٣) مراد المصنف أن آية ﴿ الله يتوفى ﴾ ليس بقبض الروح عند الموت فقط ، بل يكون بمعنى استيفاء الشيء على وجه التمام والكمال .. والمعنى : الله يعطي النفوس عمرها ، كاملاً مستوفياً ، فالتي حكم عليها بالموت ، يَقْبضها ولا يردُّها ، والتي لم ينته أجلها ، يَقْبضها في النوم ثم يردُّها ، عند اليقظة ، حتى تستوفي كامل أجلها ، فيقبضها عند ذلك ، ووجه المشابهة أن النائم كالميت ، فالنوم هو الوفاة الصغرى ، والموت : هو الوفاة الكبرى .

واستَبَنْتُ ، وتيقَّنَ ، واستيقنَ ، فالميِّتُ والنائم في هذا واحدٌ ، ويدلُّ عليه قوله ﴿ فَيُمْسِكُ الَّتي قَضَى عَلَيْهَا المَوْتَ ، ويُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ .

٣٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لاَيَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

قال **قتادة** : قالوا إنما عبدناها حتَّى تشفَعَ لنا[١] .

ثم قال جل وعز : ﴿ أَوَلَوْ كَانُوا لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٤٣] .

قال **سيبويه** : هذا باب الواو ، إذا دخلت عليها ألفُ الاستفهام ، وذلك قولُك : أفلانٌ عند فلان ؟ فيقول : أهو ممَّنْ يكونُ عند فلان ؟

قال **أبو العباس**[٢] : هذا على الاسترشاد ، أو على الإنكار ، وما جاء منه في القرآن فمعناه الإنكار[٣] ، والتقريرُ ، ووقوعُ الشيء .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/١٠ وهو أن المراد بها ، شفاعة الآلهة من الأصنام ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٧/٧ وقال ابن جزي في التسهيل ٤٢٦/٣ : الشفعاء : هم الأصنام ، وغيرها لقولهم ﴿ هؤلاء شفعاؤنا عند الله ﴾ وقال القرطبي ٢٦٣/١٥ : المعنى : لم يتفكروا ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء ، قل لهم يا محمد : أتتخذونهم شفعاء ، وإن كانوا لا يملكون شيئاً من الشفاعة ولا يعقلون لأنها جمادات » . ؟! .

(٢) هو الإمام المبرِّد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

(٣) أي هو استفهام يراد به الإنكار ، والمعنى : أيشفعون لهم ، وهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟!

٤٠ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً .. ﴾ [آية ٤٤] .

كما قال تعالى ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إلاَّ بإِذْنِهِ ﴾[١] .

٤١ ـ وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [آية ٤٥] .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قَتادةَ قال : ﴿ اشمأَزَّتْ ﴾ : استكبرتْ ، وكَفَرتْ[٢] .

ورَوَى ابنُ أبي نَجيحٍ عن مجاهِدٍ قال : انقبضَتْ[٣] .

قال أبو جعفر : يُقال : اشمأَزَّ من كذا : إذا نَفَر منه[٤] .

ويُروى أنهم كانوا إذا سمعوا من يقول : « لا إله إلا اللَّه وحده » نفروا ، وقالوا : لِمَ تُذْكر آلهتُنا[٥] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٢٥٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٠/٢٤ ولفظه : قال قتادة : ﴿ اشمأزت ﴾ أي نفرت قلوبهم ، واستكبرت . وذكره في الدر المنثور ٣٣٠/٥ والقرطبي ٢٦٤/١٥ عن قتادة قال : نفرتْ ، واستكبرت ، وكفرت . اهـ.

(٣) الأثر ذكره الطبري ١٠/٢٤ وابن كثير ٩٣/٧ والدر المنثور ٣٣٠/٥ ، وهذا القول عن مجاهد أظهر وهو قول المبرِّد ، لأن معنى الاشمئزاز : النفور والانقباض ، والمعنى : انقبضت قلوبهم من شدة الكراهة ، فهم يكرهون توحيد الله ، ويحبون الإشراك .

(٤) في المعجم الوسيط : شَمَزَت نفسه : نفرت من الشيء تكرهه ، واشمأزَّ بالأمر : ضاق به ونفر منه كراهةً . اهـ.

(٥) هذا مثل قوله تعالى في سورة الصافات ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ﴾ .

٤٢ ـ وقولـه جل وعـز ﴿ وَبَـدَا لَهُـمْ مِنَ اللَّـهِ مَا لَمْ يَكُونُـوا يَحْتَسِبُـونَ ﴾ [آية ٤٧] .

يُروى أنهم عملوا أعمالاً ، توهَّموا أنها تنفعهم ، فلم تنفعهـم ، لأنهم كانوا مشركين(١) .

٤٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ فَإِذَا مَسَّ الإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَـا ، ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـاهُ نِعْمَةً مِنَّا .. ﴾ [آية ٤٩] .

قال مجاهد : ﴿ خَوَّلْنَاهُ ﴾ : أعطينـاه .

قال أبو جعفر : يُقال : خوَّلتُه كذا أي أعطيتُـه إيَّـاهُ ، تفضلاً من غير جزاء(٢) .

٤٤ ـ وقوله جل وعـز ﴿ قَالَ إِنَّمَـا أُوْتِيتُـهُ عَلَـى عِلْـمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَـةٌ وَلَكِـنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٤٩] .

قال مجاهد : ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ أي على شرفٍ(٣) .

وقال قتادة : أي على خيرٍ عندي(٤) .

---

(١) الأثر ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٨/٧ وقريب منه قول السدي : ظنوا أن أعمالهم حسنات ، تنجيهم من عذاب الله ، فبدت لهم سيئات ، لأنهم كانوا مشركين .

(٢) في المعجم الوسيط : خوَّله الشيء : أعطاه إياه متفضلاً . اهـ.

(٣) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه الطبري ١٢/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٥ .

(٤) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ١٨٨/٧ قال : أي على خير علِمَهُ الله عندي ، وذكره الطبري ١٢/٢٤ والقرطبي ٢٦٦/١٥ وفي المخطوطة « على خُبْر عندي » وهو تصحيف ، والصواب ما أثبتناه من أقوال المفسرين ، وتأوله المصنِّف بأن المعنى على علم بالكسب ، وهو =

قال أبو جعفر : المعنى : إن لي علماً بالكسب ، إما بتجارةٍ ، أو غيرها[1] ، فقد علمتُ أني أُوْتَى هذا .

ومن أحسن ما قيل فيه : أن المعنى : قد علمتُ إذا أوتيتُ هذا في الدنيا ، أنَّ لي عند اللَّهِ منزلةً ، فردَّ اللَّه جلَّ وعزَّ ذا عليه ، فقال : ﴿ **أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ** .. ﴾[2] الآية .

فعرَّف اللَّهُ جلَّ وعزَّ ، أنه ليس يُعْطِي المالَ كلَّ من له منزلة .

٤٥ ــ **ثم قال جل وعز ﴿ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ .. ﴾** [آية ٤٩] .

أي بل العطِيَّةُ فتنةٌ[3] ، يُمتحنُ بها العبدُ ، ليظهر منه أيشكر أم يكفر ؟

= صحيح من حيث المعنى ، ولكنه ليس قول قتادة ، وإنما قول قتادة : على خير علمه الله عندي ، والله أعلم .

(١) هذا الوجه من التفسير ذكره ابن جزي في التسهيل ٤٢٧/٣ حيث قال : والآية تحتمل وجهين : أحدهما ــ وهو الأظهر ــ أن يريد على علم مني بالمنافع والمكاسب ، والآخر على علم الله باستحقاقي لذلك . اهـ.

(٢) سورة القصص آية رقم ٧٨ .

(٣) أعاد الضمير هنا بالتأنيث ﴿ بل هي فتنة ﴾ لأن المراد بها النعمة أو العطية ، كما قال المصنف ، وقبل ذلك أتى بالضمير مذكراً ﴿ إنما أوتيته على علم ﴾ لأنه أراد به الإنعام ، وهو مذكَّر ، قال الفراء في معانيه ٤٢٠/٢ : خرجت هي بالتأنيث لتأنيث الفتنة ، ولو قيل : ﴿ بل هو فتنة ﴾ لكان صواباً ، ومثله كثير في القرآن . اهـ.

٤٦ ـ وقوله جل وعزَّ : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٥٣] .

رَوَى مجاهدٌ عن ابنِ عباسٍ قال : نزلت في « وحشي » قاتل حمزة ، على حمزة السَّلامُ ، إلى تمام ثلاث آيات ، وكان النبيُّ ﷺ لا يُطيق أن ينظر إليه ، فظنَّ أن اللَّهَ جلَّ وعزَّ لم يقبل منه إسلامه ، فنزلت هذه الآيات الثلاث[1] .

ورَوَى إبراهيم التيميُّ عن ابن عباس أنه كان يقرأ ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعَاً لِمَنْ يَشَاءُ ﴾[2] .

وقال : نزلت في قاتل حمزة وذويه ، كذا قال .

---

(١) الأثر ذكره الطبري في تفسيره من رواية عطاء بن يسار ١٤/٢٤ ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣٣٠/٥ عن ابن عباس قال : « بعث رسول الله ﷺ إلى « وحشي بن حرب » قاتل حمزة يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه يا محمد : كيف تدعوني وأنت تزعم أنَّ من قَتل ، أو أشرك ، أو زنى ، يلْقَ أثاماً ، يُضاعف له العذاب يوم القيامة ؟ وأنا صنعت ذلك ، فهل تجد لي من رخصة ؟ فأنزل الله ﴿ إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً ﴾ فقال وحشي : هذا شرط شديد ، فلعلِّي لا أقدر على هذا ؟! فأنزل الله ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فقال : وحشي : هذا بعد مشيئته فلا أدري أيغفر لي أم لا ؟ فهل غير هذا ؟ فأنزل الله ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله .. ﴾ الآية فقال وحشي : هذا نعم ، فأسلم » وذكره القرطبي بنحوه في تفسيره ٢٦٨/١٥ .

(٢) هذه القراءة شاذة ، وليست من القراءات السبع المعتدِّ بها ، بل هي محمولة على التفسير ، كما نبَّه على ذلك أهل التفسير والقراءات ، والإمام النحاس في إعراب القرآن ٨٢٤/٢ .

قال أبو جعفر : وكذلك يُرْوَى أنه في مصحفِ ابنِ مسعود .

ومعنى ﴿ لا تَقْنَطُوا ﴾ : لا تيأسوا .

قال قتادة : ﴿ وأنِيبُوا إلَى رَبِّكُمْ ﴾ أي أقبلوا واعملُوا له[1] .

٤٧ ـ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيكُمُ العَذَابُ بَغتَةً .. ﴾ [آية ٥٥] .

وكلُّه حسنٌ ، ففي هذا أقوال :

أ ـ منها أنَّ اللَّهَ جلَّ وعزَّ ، قد أباح الانتصارَ ـ بعد الظُّلْمِ ـ والعَفْوَ ، والعفوُ أحسنُ[2] .

ب ـ ومنها أن اللَّهَ جلَّ وعزَّ ، قد أخبر عن قومٍ أنهم أطاعوا ، وعن قوم أنهم عَصَوْا ، فأمر أن نتَّبعَ الطَّاعةَ .

جـ ـ ومنها أنه الناسخ[3] .

د ـ ومنها أن يكون المعنى : الحسنُ مِمَّا أُنزل إليكم[4] .

(١) الأثر ذكره الطبري ٢٤/١٧ عن قتادة والسدي ، وكذلك صاحب الدر .

(٢) هذا قول لبعض المفسرين في توجيه الآية ، أن الله أباح الانتصار للمظلوم من الظالم فقال ﴿ ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ﴾ وذكر بعده أن العفو أفضل فقال ﴿ ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور ﴾ سورة الشورى .

(٣) هذا القول محمول على أن المفاضلة من حيث النفع والمصلحة ، كقوله تعالى ﴿ ما ننسخ من آية أو نُنْسها نأت بخير منها أو مثلها .. ﴾ الآية .

(٤) لعل هذا القول أظهر الأقوال ، وهو أن المراد اتباع القرآن ، الذي أنزل إلينا ، وما تضمنه من =

و ﴿ بَغْتَةً ﴾ فُجاءةً .

٤٨ ـ وقوله جل وعز ﴿ أَنْ تَقُولَ نفسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ .. ﴾ [آية ٥٦] .

المعنى : افعلوا هذا خوفَ أن تقول نفسٌ ، وكراهة أن تقول نفسٌ ياحسرتا[١] .

والحسرةُ : الندامةُ ، أي يلحق الإنسانَ ما يصير معه حسيراً ، أي معيباً ، وحرفُ النداء يدلُّ على أنه شيءٌ لازمٌ ، أي يا حسرةُ هذا وقتُكِ ، وهذا مذهب سيبويه[٢] .

قال مجاهد : ﴿ **فِي جَنْبِ اللَّهِ** ﴾ أي في أمر الله[٣] .

قال أبو جعفر : **المعنى** : في جنب أمرِ اللَّهِ ، على التمثيل[٤] .

= الهداية والإرشاد ، والمعنى : اتَّبعوا القرآن ، فإنه أحسن الكلام ، وأحسن البيان ، وفي التمسك به سعادة الإنسان ، وليس المعنى أن بعض القرآن أحسن من بعض ، لأنه حسنٌ كله ، وهذا ما رجحه الطبري وغيره .

(١) أشار المصنف إلى أن الجملة في موضع نصب مفعول لأجله تقديره : كراهة أن تقول نفس .

(٢) نداء الحسرة لا يتأتى ، وهو من أساليب العرب في التشخيص ، فإنهم يصوِّرون الحسرة بصورة شخص ، وينادونه ليحضر لإنقاذه ، والألف في ﴿ حسرتا ﴾ بدل ياء الإضافة ، والمعنى كما قال سيبويه : يا حسرتي احضري فهذا وقتك ، وانظر تفسير ابن الجوزي ١٩٢/٧ .

(٣) ﴿ في جنب الله ﴾ أصله من الجنب بمعنى الجانب ، ثم استعير للأمر والحق ، أي يا حسرتا على ما فرطت في حقِّ الله ، وفي أمر طاعته ، وانظر الطبري ١٩/٢٤ .

(٤) قال الراغب : أصل الجنب الجارحة ، ثم يستعار للناحية والجهة ، كعادتهم في استعارة سائر الجوارح كاليمين ، والشمال ، والمراد هنا : الجهة مجازاً ، أي في جنب طاعة الله ، أو في حقه =

أي على الطريق الذي يؤدي إلى الحقِّ ، وهو الإيمانُ .

٤٩ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾ [آية ٥٩] .

﴿ بَلَى ﴾ في كلام العرب ، إنما يقع بعد النفي ، وليس في الكلام نفيٌ ، ولكنْ فيه معناه ، لأن معنى ﴿ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي ﴾ : ما هداني اللهُ(١) .

وروَى الرَّبيعُ بنُ أنسٍ ، عن أمِّ سَلَمة ، أن النبيَّ ﷺ قرأ ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْكِ آياتِي ، فَكَذَّبْتِ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتِ ، وَكُنْتِ مِنَ الكَافِرِينَ ﴾(٢) .

وقراءةُ الأعمش ﴿ بَلَى قَدْ جَاءَتْهُ آيَاتِي ﴾ وهذا يدلُّ على التذكير .

= تعالى . اهـ. قال الألوسي : وهذا كقول البريري من شعراء الحماسة :

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ في جَنْبِ عَاشِقٍ لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

(١) لا يشترط في « بلى » أن يتقدم قبلها النفيُ صريحاً ، بل يكفي ما يدل عليه معنى النفي . فإن قوله ﴿ لو أن الله هداني ﴾ معناه : ما هداني الله ، قال الزجاج ٤/٣٥٩ ﴿ بلى ﴾ جواب النفي ، وليس في الكلام لفظ النفي ، ولكن معناه : وكأن هذا القائل قال . ما هُديت ، فقيل : بلى قد بُيِّن لك طريق الهدى ، فلو أردت أن تؤمن لأمكنك ذلك . اهـ.

(٢) قال الواحدي : القراءة المشهورة على التذكير ﴿ بلى قد جاءتكَ ﴾ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى ، فخوطب المذكر . اهـ. وقراءة التأنيث ﴿ قد جاءتكِ ﴾ جائزة لغة ، ولكنها ليست من القراءات السبع ، لأن النفس تؤنث ، فجاز مجيئها على التأنيث ، قال أبو عبيد : لو صحَّ هذا عن النبي ﷺ لكان حجة ، ولكنه ليس بمسند . اهـ. التفسير الكبير للرازي ٧/٢٧ .

والرَّبيعُ بنُ أنسٍ لم يلحق « أمَّ سَلَمة » إلاَّ أن القراءة جائزةٌ ، لأنَّ النفس تقع للمذكَّرِ والمؤنث .

وقد أنكرَ هذه القراءةَ بعضهُم ، وقال : يجبُ إذا كَسَرَ التَّاءَ أن يقول : وكنتِ من الكوافر ، أو من الكافرات[1] .

قال أبو جعفر : وهذا لا يلزمُ ، أَلَا ترى أن قبلَهُ ﴿ **أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ** ﴾ ثم قال ﴿ **وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ** ﴾ ولم يقل : من السَّوَاخر ، ولا منَ السَّاخِرَاتِ !!

والتقديرُ في العربية على كسر التاء : واستكبرتِ ، وكنتِ من الجميع الساخرين ، أو من النَّاسِ السَّاخرينَ ، أو من القومِ السَّاخرين ، و« قومٌ » يقع للرجالِ والنساء ، إذا اجتمعوا ، وللرجال مفردين ، كما قال [الشاعر] :

وَمَا أَدْرِي وَسَوفَ إِخَالُ أَدْرِي
أَقَومٌ آلُ حِصْنٍ أَمْ نِسَاءُ[2]

---

(١) قال الإمام ابن جرير ٢١/٢٤ : قرأه القراء في جميع الأمصار على التذكير ، وهي القراءة التي لا أستجيز خلافها لإجماع القراء عليها ، وقد رُوي بالكسر على وجه الخطاب للنفس ، كأنه قال : أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرَّطت في جنب الله ، بلى قد جاءتك أيتها النفس آياتي فكذَّبتِ بها . اهـ.

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمى ، من قصيدة له مطلعها « عَفَا من آل فاطمةَ الجِوَاءُ » وهو في ديوانه ص ٧٣ وفي شواهد المغني للسيوطي ١٣٠/١ وفي أمالي ابن الشجري ٢٣٨/١ .

٥٠ ــ **وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ .. ﴾** [آية ٦١] .

أي بنجائهم من النَّارِ .

ويُقرأ ﴿ بِمَفَازَاتِهِمْ ﴾[١] والتوحيدُ أجوُد[٢] ، لأن مفازة بمعنى الفوز .

٥١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾** [آية ٦٣] .

رَوَى سعيدٌ عن قتادة قال ﴿ مقاليد ﴾ : أي مفاتيح[٣] .

قال أبو جعفر : ومعنى له مفاتح السمواتِ والأرض ، هو خالقُ ما فيهما ، ومفتاح بابه بيده عز وجل ، ثم قال : **﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا**

---

(١) هذه من القراءات السبع ، قرأ حمزة ، والكسائي ، بالجمع ﴿ بمفازاتهم ﴾ وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وحفص عن عاصم ﴿ بمفازتهم ﴾ بالإفراد ، وانظر النشر ٣٦٣/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٣ .

(٢) إنما كانت قراءة الإفراد ﴿ بمفازتهم ﴾ أجود وهي قراءة الجمهور ، لأنها جاءت مصدراً بمعنى الفوز ، والتقدير : وينجِّيهم الله بسبب سعادتهم ، وفوزهم برضوان الله ، قال ابن كثير ١٠٢/٧ : أي ينجِّيهم بما سبق لهم من السعادة ، والفوز عند الله . اهـ .

(٣) الأثر في الطبري ٢٣/٢٤ قال الأزهري في تهذيب اللغة : ﴿ له مقاليد ﴾ أي مفاتيح السموات والأرض ، والإقليد : المفتاح بلغة أهل اليمن ، وقال الليث : المِقْلَاد : الخزانة ، والمقاليد : الخزائن . اهـ . وكذلك قال الجوهري : الإقليد : المفتاح ، والمِقْلد : مفتاح ، كالمِنْجل ، والجمع المقاليد . اهـ . والمعنى : أن بيده جل وعلا مفاتيح خزائن كل الأشياء في السموات والأرض ، لا يملك أمرها ، ولا يتصرَّف فيها غيره ، لأنه مالك الملك .

بِآيَاتِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ ﴾ أي من زَعَم أن غيره خلق شيئاً من هذا ، فقد خَسِر وكَفَر[1] .

٥٢ ــ **ثم أخبر أنه إنما ينبغي أن يُعْبد وحدَه ، فقال بعد البراهين :**

﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الجَاهِلُونَ** ﴾ ؟ [آية ٦٤] .

أي أفغيرَ اللَّهِ أعبدُ في أمركم[2] ؟ .

هذا قولُ سيبويه .

٥٣ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال أبو جعفر : أبو عُبيدةَ يذهبُ إلى أن المعنى : وما عرفوا اللَّهَ حقَّ معرفته[3] .

وفي معناه قولٌ آخر ، وهو أن يكون التقديرُ : وما قدروا نِعَمَ

---

(١) قال ابن كثير ١٠٢/٧ : ﴿ والذين كفروا بآيات الله ﴾ أي بحججه وبراهينه ﴿ أولئك هم الخاسرون ﴾ حيث خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة .

(٢) قال القرطبي ٢٧٦/١٥ : دَعَوْا النبي ﷺ إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام ، وقالوا : هو دين آبائك ، فنزلت . ومعنى الآية : قل يا محمد أتأمرونني أن أعبد غير الله ، بعد سطوع الآيات ، والدلائل على وحدانيته ، يا أيها الجاهلون ؟

(٣) هذا القول ذكره أبو عبيدة في كتابه « مجاز القرآن » ٢٠٠/١ وله وجه عند علماء التفسير ، فقد ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٤٣٩/٧ فقال ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته ، وما قدروه في أنفسهم حق تقديره ، إذ أشركوا معه غيره ، وساووا بينه وبين الخشب والحجر في العبادة . اهـ.

اللهِ[1] ، ثم حُذِفَ ، كما قال سبحانه ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٥٤ ــ **ثم قال جلّ وعز : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَومَ القِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ .. ﴾** [آية ٦٧] .

قال الضحاك : هذا كله في يمينه[2] .

قال أبو جعفر : معنى **﴿ والأرضُ جَمِيعَاً قبضتُه يوم القيامة ﴾** أي يملكها ، كما تقول : هذا في قبضتي[3] .

قال محمد بن يزيد : معنى **﴿ بيمينه ﴾** بقوّته ، وأنشد :

إِذَا مَا رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ
تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ باليَمِينِ[4]

أي بالقوة .

---

(١) على هذا القول يكون من باب « المجاز المرسل » بتقدير حذف المضاف كما في قوله سبحانه ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهل القرية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن الضحاك ٢٦/٢٤ وروى عن ابن عباس قوله : إنما يستعين بشماله المشغولة بيمينه ، وإنما الأرض والسموات كلها بيمينه ، وليس في شماله شيء ، وقال الحسن : كأنها جوزة بقضِّها وقضيضها .

(٣) حمل الإمام أبو جعفر النحاس الآية على المعنى المجازي ، أي هي في ملكه وتصرفه ، والتخصيص بيوم القيامة لأنه ليس له تعالى في ذلك اليوم منازع ﴿ والأمر يومئذ لله ﴾ وقال ابن كثير ١٠٤/٧ : والطريق في هذه الآية وفي أمثالها مذهب السلف ، وهو إمرارها كما جاءت . من غير تكييف ولا تحريف . اهـ.

أقول : ومذهب السلف أصح وأقوم وأسلم .

(٤) البيت للشماخ كما في ديوانه ٣٣٦ وفي المحتسب لابن جني ٢٣٤/٢ وأسرار البلاغة للجرجاني ص ٤٠٤ .

٥٥ ـــ **وقوله جلّ وعز : ﴿ وَنُفِخَ في الصُّورِ .. ﴾** [آية ٦٨] .

في معناه قولان :

أحدهما : أنه رُوي عن النبي ﷺ أنه سُئِل عن الصُّورِ ، فقال : هو قَرْنٌ يُنْفَخُ فيه[1] .

ورَوَى مَعْمرٌ عن قتادَة في قوله ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ قال : في صُوَرِ النَّاس أجمعين[2] .

قال أبو جعفر : هذا ليس بمعروف ، والمستعملُ في جمع صُورةٍ صُوَرٌ ، ولم يقرأ أحدٌ « وَنُفِخَ في الصُّوَرِ »[3] .

٥٦ ـــ **ثم قال تعالى ﴿ فَصَعِقَ مَنْ في السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ .. ﴾** [آية ٦٨] .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٤٤ وقال الترمذي : حديث حسن ، والدارمي في الرقاق ، وأحمد في المسند ١٢٦/٢ بلفظ « أن أعرابياً سأل رسول الله ﷺ عن الصور فقال : قَرْنٌ يُنْفخ فيه » وانظر الدر المنثور ٣٣٧/٥ .

(٢) حكاه الطبري في تفسير سورة الأنعام بصيغة التضعيف فقال ٢٤١/٧ : وقيل : الصُّور في هذا الموضع جمع صورة ، ينفخ فيها روحها فتحيا .. ثم قال : والصواب أن الصور قرنٌ ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام ..

(٣) ما قاله المصنف هو الصحيح ، أن الصُّوْرَ هو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل ، ولو كان المراد به النفخ في صُوَر بني آدم حتى تعود لهم الروح لقال : ونُفِخ في الصُّوَر ، ولم يأت في اللغة العربية صُور جمع صُوَر ، وقراءة قتادة وزيد بن علي ﴿ ونفخ في الصُّوَر ﴾ من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٥٩/٢ .

رَوَى سعيدٌ عن قَتادةَ ﴿ فَصَعِقَ ﴾ : فمات[1] .

ورَوَى عاصمٌ عن عيسى المدني قال : سمعتُ عليَّ بن حسين ، يسأل كعب الأحبار ، عن قوله تعالى ﴿ **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ فقال كعبٌ : « جبرائيل » و« ميكائيل » و« اسرافيل » مَلَكُ الموت ، وحَمَلَةُ العرش ، ثم يميتُهم اللهُ بعدُ[2] .

ورَوَى محمدُ بنُ إسحقَ ، عن يَزيدَ الرَّقَاشِي[3] ، عن أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ **فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شَاءَ اللَّهُ** ﴾ قال : (جبرائيل ، وميكائيل ،

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٢٩ وهذا الذي رُوي عن قتادة ، متفقٌ مع اللغة ، فإن الصَّعق معناه : الموت ، قال في المصباح : صَعِقَ صَعْقاً من باب تَعِبَ : مات ، وصَعِقَ : غُشي عليه لصوت سَمِعَه ، والصعقة الأُولى : النفخة . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٢٩ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣٨/٥ ونسبه إلى السُّدي ، ولم يُذكر في الروايتين حملة العرش ، وإنما اقتصر فيهما على « جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وملك الموت » .

(٣) يزيد الرَّقاشي : هو يزيد بن أبان الرَّقاشي ، أبو عمرو البصري ، زاهد واعظ ، ولكنه ضعيف ، متروك الحديث ، قال ابن حبان : كان من خيار عباد الله ، لكنه غفل عن حفظ الحديث شغلاً بالعبادة ، وانظر ترجمته في التهذيب ٣١٠/١١ . وذكره الطبري عن أنس عن النبي ﷺ قال : « قرأ رسول الله ﷺ ﴿ ونفخ في الصور .. ﴾ الآية فقيل : من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله ؟ قال : جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، فإذا قبض أرواح الخلائق . قال : يا مَلَك الموت من بقي ؟ ــ وهو أعلم ــ قال يقول : سبحانك تباركت ربِّي ذا الجلال والإكرام : بقي جبريل ، وميكائيل ، وملك الموت ، قال : يا مَلك الموت خذ نفس ميكائيل ، فيقع كالطود العظيم .. » الحديث ، الطبري ٢٤/٢٩ .

وحملةُ العرش ، ومَلَكُ الموت ، وإسرافيل)[1] .

وفي هذا الحديث : أن آخرهم موتاً جبرائيلُ ﷺ .

وقـال سعيـد بن جبير : ﴿ إلاَّ مَنْ شَاءَ اللّـهُ ﴾ : هم الشهداءُ ، متقلِّدي السُّيوفِ عند العرشِ .

قال أبو جعفر : وهذا ليس بناقضٍ للأول .

وقد رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ : (يُنْفخ في الصُّور ، فأكون أول من قَامَ ، فإذا موسى ﷺ ، فلا أدري أقـامَ قبلي ، أم هو ممن استثنى الله)[2] .

٥٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾** [آية ٦٨] .

رَوَى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال : (إنَّ بين النفختَيْـنِ أربعين)[3] ..

---

(١) حديث أنس رواه ابن مردويه والبيهقي في البعث عن أنس مرفوعاً كما في الدر المنثور ٣٣٧/٥ وذكره

(٢) الأثر عن سعيد بن جبير أخرجه أبو يعلى ، والدارقطني ، والحاكم ، وصحَّحه عن أبي هريرة مرفوعاً قال : « هم الشهداء مقلَّدون بأسيافهم ، حول عرشه ، تتلقاهم الملائكة يوم القيامة إلى المحشر ، بنجائب من ياقوت .. » الحديث ، وانظر الدر المنثور ٣٣٦/٥ .

(٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في الخصومات ١٥٨/٣ ومسلم رقم ٢٣٧٣ والترمذي رقم ٣٢٤٥ عن أبي هريرة قال : قال رجل من اليهود بسوق المدينة « والذي اصطفى موسى على البشر » فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه ، وقال : أتقول هذا وفينا رسول الله ؟ فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال : يُنفخ في الصور فأكون أول من يرفع رأسه .. » إلى تمام الحديث .

قال الحسن : لا أدري ، أهي أربعون سنة ، أم أربعون شهراً ، أم أربعون ليلةً ، أم أربعون ساعة[1] ؟ .

٥٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا .. ﴾** [آية ٦٩] .

يُبيِّنُ هذا ، الحديثُ المرفوعُ عن النبي ﷺ ، من طُرقٍ كثيرةٍ صحاح[2] : (تنظرون إلى الله جلَّ وعزَّ ، لا تُضَامون في رؤيته) .

وهو يُروى على أربعة أوجه « لا تُضَامُونَ » و« لا تُضَارُونَ » ولا « تُضَارُّونَ » و« لا تُضَامُّون » .

فمعنى (تُضَامُونَ) : لا يلحقكم ضيمٌ ، كما يلحق في الدنيا في النظر إلى الملوك .

و (لا تُضَارُونَ) : لا يلحقكم ضيرٌ .

و (لا تُضَامُّون) : لا ينضمّ بعضكم إلى بعض ليسأله أن يريه .

(١) حديث « إن بين النفختين أربعين » أخرجه البخاري ١٥٨/٦ ومسلم رقم ٢٩٥٥ وتتمته قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوماً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون شهراً ؟ قال : أَبَيْتُ ، قالوا : أربعون عاماً ؟ قال : أَبَيْتُ .. » الحديث ، وانظر جامع الأصول ٤٢١/١٠ .

(٢) أشار المصنف إلى ما رواه البخاري ٣٥٨/١٣ ومسلم برقم ١٨٣ والنسائي ١١٢/٨ بلفظ (إنكم سترون ربكم عياناً ، كما ترون هذا القمر ليلة البدر ، لا تضامُّون في رؤيته ..) الحديث ، وانظر جامع الأصول لابن الأثير ٤٤٧/١٠ والروايات المتعددة فيه ، وفي رواية للبخاري (هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ؟) .

و(لا تُضَارُّون) : لا يخالف بعضكم بعضاً ، يُقال : ضاررتُه مضارَّة وضِرَاراً : أي خالفتُه(١) .

٥٩ ــ وقوله جل وعز ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً ، حَتَّى إِذَا جَاءُوْهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ [آية ٧٣] .

الكوفيون يدهبون إلى أن الواو زائدة(٢) .

وهذا خطأٌ عند البصريِّين ، لأن الواو تفيدُ معنى العطف ، ولا يجوز أن تُزاد .

---

(١) خلاصة القول أن لفظة « تُضَامُّون » وردت في الصحيح بالتشديد ، والتخفيف ، كما وردت لفظة « تُضَارُّون » وردت كذلك بالتشديد والتخفيف .

(٢) على هذا القول يكون الجواب محذوفاً أي حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها سَعِدوا ، قال القرطبي ١٥/٢٨٥ : وحذف الجواب بليغ في كلام العرب ، كما قال امرؤ القيس : « فلو أنها نفس تموت جميعةً » أي لكان أروح .

أقول : وأحسن ما قيل في هذه الآية ، أن الواو ليست زائدة ، وإنما هي واو الحال ، بتقدير « قد » أي جاءوها وقد فتحت لهم أبوابها ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ جنات عدن مفتَّحةً لهم الأبواب ﴾ وهذا من الله سبحانه زيادة لهم في الإكرام والاحترام ، كأن خزنة الجنة فتحوا أبوابها ، ووقفوا منتظرين لهم ، كما يفتح الخدم باب المنزل للضيف المدعو للضيافة قبل قدومه ، ويقفون بانتظاره تكريماً وإجلالاً ، بخلاف أهل النار فإنهم تُفتح لهم أبواب جهنم بغتةً وفجأة ، زيادة في الإفزاع والتهويل ، وجهنم تشبه السجون ، والجنة تشبه القصور ، وقد عرف الناس أن أبواب السجون لا تزال مغلقة ، حتى يأتي أصحاب الجرائم الذين يُسجنون فيها ، فتفتح لهم ليدخلوها ، فإذا دخلوها أُغلقت عليهم ، فهذا هو السر والحكمة في عدم ذكر الواو في خبر جهنم ، وذكرها في خبر الجنة ﴿ حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها ﴾ اللهم افتح علينا فتوح العارفين ، وعرفنا أسرار كتابك يا رب العالمين .

قال محمد بن يزيد[1] : المعنى : حتى إذا جاءوها ، وفُتحت أبوابُها ، سَعِدُوا .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُم طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾** [آية ٧٣] .

قال أبو إسحاق[2] : المعنى : طبتم فادخلوها خالدين دخلوا ، وحُذِف هذا لعلمِ السامع .

وقيل : معنى ﴿ **طِبْتُمْ** ﴾ طبتم في الدنيا[3] .

ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (يغتسلون من نهرٍ في الجنة ويشربون منه ، فلا يبقى في أجوافهم خَبَثٌ ولا غلٌّ إلاَّ خرج)[4] .

---

(١) هو الإمام المبرِّد إمام العربية ، وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

(٣) هذا القول هو الأظهر أي طبتم من دنس المعاصي والآثام ، وهو قول مجاهد ، والجملة في موضع التعليل ، كأنه يقول : كنتم طيبين في الدنيا ، فادخلوا الجنة خالدين ، قال ابن كثير : أي طابت أعمالكم وأقوالكم ، وطاب سعيكم ، فطاب جزاؤكم . اهـ .

(٤) هذا الأثر أخرجه الطبري في تفسيره ٢٤/٣٥ وذكره ابن الجوزي عن علي بنحوه ، حيث قال ٧/٢٠١ : « إنهم إذا انتهوا إلى باب الجنة ، وجدوا عند بابها شجرة ، يخرج من تحت ساقها عينان ، فيشربون من إحداهما ، فلا يبقى في بطونهم أذى ، ولا قذى إلَّا خرج ، ويغتسلون من الأخرى فلا تغبرُّ جلودهم ، ولا تشعث أشعارهم أبداً ، وتقول لهم الملائكة ﴿ طبتم فادخلوها خالدين ﴾ .

٦١ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ .. ﴾ [آية ٧٤] .

قال قتادة : يعني أرضَ الجنة[٢] .

٦٢ ـــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ ﴾ [آية ٧٥] .

فختم بالحمد ، كما بدأ به[٣] .

* * *

« انتهت سورة الزمر »

(١) الأثر أخرجه الطبري ٣٧/٢٤ والقرطبي ٢٨٧/١٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٤٤٣/٧ وهذا قول أكثر المفسرين ، لقوله تعالى بعده ﴿ نتبوأ من الجنة حيث نشاء ﴾ وقيل : إنها أرض الدنيا ، قال أبو حيان : وهو بعيد .

(٢) أي بدأ القرآن بالحمد ﴿ الحمد لله رب العالمين ﴾ وختم هنا بالحمد ﴿ وقيل الحمد لله رب العالمين ﴾ .

تفسير سورة غافر

مكية وآياتها ٨٥ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافر وهي مكية[1]

١ ـــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حمٓ . تَنْزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللهِ العَزِيزِ العَلِيمِ ﴾ [آية ١ و ٢] .

رَوَى معمرٌ عن قتادة قال : ﴿ حمٓ ﴾ اسمٌ من أسماء القرآن[2] .

وقيل : معنى ﴿ حمٓ ﴾ : حُمَّ الأَمْرُ[3] .

وفي رواية عكرمةَ عن ابنِ عباسٍ قال : ﴿ الرٓ ﴾ و ﴿ حمٓ ﴾ و ﴿ نونْ ﴾ حروف الرَّحمنِ جَلَّ وعزَّ ، مقطَّعة[4] .

---

(١) السورة مكية باتفاق ، قال في البحر ٤٤٦/٧ : الحواميم سبعٌ مكيات بإجماع . اهـ.وتسمى سورة المؤمن ، وغافر ، وسورة الطَّول .

(٢) الأثر في الطبري ٣٩/٢٤ والقرطبي ٢٨٩/١٥ وزاد المسير ٢٠٦/٧ .

(٣) حكاه الزجاج عن بعض المفسرين كما في تفسير ابن الجوزي ٢٠٦/٧ ، ورُوي عن الضحاك والكسائي : معناه قُضِيَ ما هو كائن .

(٤) الحاء : افتتاح اسم الله جل وعلا « حميد ، وحليم ، وحكيم » والميم : افتتاح اسمه « مجيد ، ومنَّان » وهذا ذكره القرطبي ٢٨٩/١٥ عن عطاء الخراساني ، وهو أيضاً من رواية عكرمة عن ابن عباس ، والأظهر ما عليه أهل التحقيق ، أن هذه الحروف المقطعة ، للتنبيه على إعجاز القرآن ، وأنه منظوم من أمثال هذه الحروف الهجائية ، وانظر الجزء الأول ص ٧٧ من هذا التفسير .

وقرأ عيسى بن عمر ﴿ حَامِيمَ تَنْزِيلَ ﴾[1] والمعنى على قراءته : أُتْلُ حاميمَ ، ولم يصرفه لأنه جعله اسماً للسُّورةِ .

ويجوز أن يكون فُتِحَ لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ .

والمعنى : هذا تنزيل الكتابِ ، من اللهِ العزيزِ العليمِ .

٢ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وقَابِلِ التَّوْبِ ﴾ [آية ٣] .

ويجوز أن يكون التَّوْبُ جمع توبة ، كما قال :

« فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهُبُّ سَاعَا »[2] .

ويجوز أن يكونَ التَّوْبُ : بمعنى : التوبة[3] .

٣ ـــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ شَدِيدُ العِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ﴾ [آية ٣] .

---

(١) ذكرها ابن الجوزي ٧/٢٠٩ والقرطبي ١٥/٢٩٠ والبحر المحيط ٧/٤٤٦ وليست من القراءات السبع .

(٢) هذا شطر بيت للقُطَامي ، وهو في ديوانه ص ٣٤ من قصيدة مطلعها : قفي قبل التفرق يا ضُبَاعا .. وتمامه :

وكنَّا كالحَرِيقِ أصَابَ غَابَاً   فَيَخْبُو سَاعَةً وَيَهُبُّ سَاعَا

وفي تفسير الألوسي ٢٤/٤٢ : ﴿ التَّوبُ ﴾ يحتمل أن يكون مصدراً ، كالأوب بمعنى الرجوع ، ويحتمل أن يكون اسم جمع لتوبةٍ ، كتمرٍ ، وتمرةٍ . اهـ.

(٣) هذا هو الأظهر قال الراغب : التَّوب ترك الذنب على أجمل الوجوه . والندم على ما فرط منه ، والعزم على ترك المعاودة . اهـ.

روى ابنُ أبي نجيح ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ قال : ذي الغِنَى[1] .

وروى سعيدٌ عن قَتادة قال : ذي النِّعمةِ[2] .

قال أبو جعفر : الطَّوْلُ في اللُّغةِ : الفضلُ ، والاقتدارُ ، يُقال : لفلانٍ على فُلانٍ طَوْلٌ ، واللَّهمَّ طُلْ علينا برحمتك .

وروى علي بن أبي طَلْحَةَ عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ذِي الطَّوْلِ ﴾ قال : ذي السَّعَة والغِنَى[3] .

٤ ـ وقولُه جل وعز : ﴿ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ ﴾ [آية ٤] .

قال قتادة : أي فلا يَغْرُرْك إقبالُهم وإدبارُهم ، وتصرُّفهم في أسفارهم[4] .

قال أبو جعفر : مثلُه قوله جلَّ وعز ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ . مَتَاعٌ قَلِيلٌ ﴾[5] .

(١ ـ ٣) هذه الآثار كلها ذكرها الطبري ٤١/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٤٥/٥ والقرطبي ٢٩١/١٥ قال ابن جرير ﴿ ذي الطَّول ﴾ أي ذي الفضل والنعم ، المبسوطة على من شاء من خلقه ، ثم ذكر الآثار . وقال الراغب في المفردات : الطَّول : خُصَّ به الفَضل والمنُّ . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٤٢/٢٤ وهو في الدر المنثور ٣٤٦/٥ والمخاطب في الآية مكلَّف عاقل ، أي لا تغترَّ أيها العاقل ، بما هم فيه من التصرف والتقلب في هذه الدنيا ، بالأسفار والتجارات ، والمساكن والمزارع ، والبسطة والغنى ، فإنما هو متاع قليل ، وظل زائل ، ونعيم فانٍ ، والآية تسلية للنبي عليه السلام ، ووعيد وتهديد للكفرة المجرمين .

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٩٦ .

والمعنى : لا يغرنَّك سلامتُهم ، وأَنَاةُ اللهِ لهم ، فإن عاقِبَتَهم مذمومةٌ ، ومصيرَهُمْ إلى النَّارِ .

٥ ــ ثم بيَّن أن ذلك كان سبيلَ من قَبْلَهُم فقال : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ والأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ .. ﴾ [آية ٥] .

وهم : ثمود ، وعادٌ ، وقومُ لوط ، ومن كان مثلهم .

٦ ــ وقوله جلَّ وعز : ﴿ وهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ .. ﴾ [آية ٥] .

روى معمرٌ عن قَتادة قال : ليأخذوه فيقتلوه[1] .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن هذا قوله تعالى ﴿ فَأَخَذْتُهُمْ ﴾ أي أهلكتُهم ، ويُقال : للأسير : أَخِيذٌ[2] .

٧ ــ وقوله جلَّ وعزَّ : ﴿ وكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [آية ٦] .

أي بقوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الجِنَّةِ والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٢٤ والألوسي ٤٤/٢٤ وأبو حيان في البحر ٤٤٩/٧ وهو قول لابن عباس ، والمراد بالأخذ هنا : الإهلاك والقتل ، أي حرصت أمة على قتل نبيها ، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ فأخذتهم فكيف كان عقابِ ﴾ أي فأهلكتهم ودمرتهم ، فكيف كان عقابي لهم ؟

(٢) قال في المصباح : أخذته مثل أسرته وزناً ومعنى ، فهو أخيذٌ أي أسير ، فعيل بمعنى مفعول . اهـ.

(٣) سورة السجدة آية رقم ١٣ .

قال **قتادة** : حقَّ عليهم العذابُ بكفرهم(١) .

٨ ــ **ثم أخبر أنَّ الملائكة إنما يستغفرون للمؤمنين فقال : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ العَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ ، يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ ، وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وعِلْماً ، فَاغْفِرِ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ، وَقِهِمْ عَذَابَ الجَحِيمِ ﴾** [آية ٧] .

روى معمر عن قتادة : ﴿ فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ ﴾ قال : تابوا من الشرك ، واتَّبعوا طاعَتَك(٢) .

٩ ــ **ثم قال جلَّ وعز : ﴿ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ .. ﴾** [آية ٨] .

يُروى أن عمرَ بن الخطاب قال لكعب الأحبار : ما جَنَّاتُ عَدْنٍ ؟ قال : قصورٌ من ذَهَبٍ في الجنَّةِ ، يدخلُها النَّبيُّون ، والصِّدِّيقون ، والشهداءُ ، وأئمةُ العَدْلِ(٣) .

قال أبو جعفر : العَدْنُ في اللُّغة : الإقامةُ ، وقد عَدَنَ

(١ ــ ٢) ذكرهما الطبري عن قتادة ٢٤/٤٤ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٧ ، والأولى أن تكون الآية على العموم ، أي تابوا من الذنوب مطلقاً ، وأقلعوا عما كانوا فيه ، واتَّبعوا سبيل الحق والهدى والرَّشاد .

(٣) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٧ والقرطبي في جامع الأحكام ١٥/٢٩٥ قال الطبري ٢٤/٤٥ : ومعنى ﴿ جنات عدن ﴾ أي بساتين إقامة ، من يدخلها لا يخرج منها .

بالمكان : أقام به[1] .

١٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ .. ﴾** [آية ٩] .

﴿ وقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ﴾ قال قتادة : أي العذابَ **﴿ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ﴾** قال : العذاب[2] .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إذْ تُدْعَوْنَ إلَى الإيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴾** [آية ١٠] .

في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ ، وقد بيَّنهُ أهلُ التفسير[3] .

قال الحسن : يُعْطَون كتابَهُمْ ، فإذا نظروا في سيئاتهم ، مَقَتُوا أنفسَهم ، فيُنَادون : لَمَقْتُ اللهِ إيَّاكُم في الدنيا ، إذْ تُدْعون إلى الإيمان

---

(١) قال في المصباح المنير : عَدَنَ بالمكان عَدْناً ، وعُدُوناً : أقام ، ومنه ﴿ جنات عدن ﴾ أي جنات إقامة .

(٢) الأثر ذكره الطبري ٢٤/٤٦ والقرطبي ١٥/٢٩٦ ولفظه ﴿ وقهم السيئات ﴾ قال قتادة : أي وقهم ما يسوءهم ، وقيل : قهم عذاب السيئات . اهـ. ومراد المصنف أنه تكرر في الآية لفظ ﴿ السيئات ﴾ والمراد به العذاب ، كما قال سبحانه ﴿ فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز ﴾ .

(٣) توضيحه كما ذكره المفسرون : أن الكفار لما أُدخلوا النار ، ورأوا أعمالهم القبيحة ، مَقَتوا أنفسهم ــ أي أبغضوها أشد البغض ــ فنادتهم الزبانية على جهة التوبيخ والتقريع : لمقْتُ الله إياكم في الدنيا على جرائمكم الشنيعة ، أكبر من مقتكم أنفسكم اليوم ، بعد أن شاهدتهم العذاب !! والكلام كما نبه المصنف فيه تقديم وتأخير ، وأصل الكلام : لمقتُ الله لكم في الدنيا ، إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون ، أكبر من مقتكم لأنفسكم اليوم ، والله أعلم .

فتكفرون ، أكبرُ من مقتِكُم أنفسَكم اليومَ[1] .

وقال مجاهد : : إذا عاينوا أعمـالهم السيِّئة ، مَقَتُـوا أنفسَهــم ، فنُـودوا : لمَقْتُ اللهِ لكـم إذْ تُدعـون إلى الإيمانِ ، أكبـرُ من مقتكــم أنفسكم ، إذْ عاينتم النَّارَ[2] .

١٢ ــ **وقولـه جلَّ وعـزَّ : ﴿ قَالُـوا رَبَّنَـا أَمَتَّنَـا اثْنَتَيْـنِ وَأَحْيَيْتَنَـا اثْنَتَيْـنِ .. ﴾** [آية ١١] .

روى أبـو إسحـاق ، عن أبي الأحـوص[3] ، عن ابـن مسعـود قال : هي مثل قوله تعالى **﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُـمْ ، ثُـمَّ يُمِيتُكُـمْ ثُـمَّ يُحْيِيكُمْ ﴾**[4] .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا في **﴿ أَمَتَّنَا اثْنَتَيْـنِ ﴾** خلقتنـا أمواتاً ، أي نُطَفاً ، ثم أَحْيَيْتَنَا ، ثمَّ أمتَّنَا ، ثم أَحْيَيْتَنَا للبعث[5] .

---

(١) ذكر هذا الأثر السيوطي في الدر المنثور ٣٤٧/٥ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٩٧/١٥ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٦/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٥٧٤/٥ .

(٣) أبو الأحوص هو : عوف بن مالك بن نضلة الجشمي الكوفي تابعي ثقة ، قال ابن معين : ثقة ، وذكره ابن حبـان في الثقـات ، قتلـه الخوارج أيـام الحجـاج ، وانظـر ترجمتـه في تهذيب التهذيب ١٦٩/٨ .

(٤) سورة البقرة آية رقم ٢٨ وأولها ﴿ كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ﴾ الآية . وهـذه الرواية عن ابن مسعود هي قول الجمهور ، وقد رُويت عن ابن عباس ، وقتـادة ، والضحـاك ، كما ذكـره الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، قالوا : كانـوا أمواتـاً في أصلاب آبائهم ، ثم أحياهـم الله ، ثم أماتهم الموتة التي لا بد منها في الدنيا ، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان ، وموتتـان . اهـ .

(٥) هذا القول محكي عن السدي كما رواه عنه المفسرون ، وقريب منه قول ابن زيد : خلقهم من ظهـر =

وقيل : إحدى الحياتَيْنِ ، وإحدى المَوْتَتَيْنِ : الإحياءُ في القبرِ ، ثم الموتُ ، وأنهم لم يعنوا حياتهم في الآخرة[6] .

١٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ ﴾ [آية ١٤] .

أي كذَّبتم ﴿ وإنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا ﴾ أي تصدِّقوا .

١٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ .. ﴾ [آية ١٥] .

رَوى عكرمة عن ابن عباس قال : ﴿ الرُّوحُ ﴾ : النبوَّةُ[1] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : ﴿ الرُّوحُ ﴾ : الوحيُ[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة ﴿ يلقي الرُّوحَ ﴾ قال : الوحيُ ،

= آدم ، حيث أخذ عليهم الميثاق ، ثم أماتهم ، ثم خلقهم في الأرحام ، ثم أماتهم ، ثم أحياهم يوم القيامة ، قال الحافظ ابن كثير ١٢٣/٧ : وهذان القولان عن السدي ، وابن زيد ، ضعيفان ، لأنه يلزمهما ثلاث إحياءات ، وثلاث إماتات ، والصحيح قول ابن مسعود ، وابن عباس ، ومن تابعهما . اهـ.

(١) الأثر أخرجه الطبري ٥٠/٢٤ عن السدي ، وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٠/٧ عن ابن عباس .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٢٩٩/١٥ وابن الجوزي ٢١٠/٧ والطبري ٤٩/٢٤ وجمعهما القرطبي فقال : أي الوحي ، والنبوة ، وسمَّى ذلك روحاً ، لأن الناس يحيون به من موت الكفر ، كما تحيا الأبدان بالأرواح . اهـ.

والرحمةُ[1] .

قال أبو جعفر : يلقي الوحيَ على من يختصُّ من عباده ، وسُمِّي الوحيُ روحاً ، لأنَّ النَّاسَ يَحْيَوْنَ به ، أي يهتدون ، والمهتدي حيٌّ ، والضالُّ ميِّتٌ ، على التمثيل ، ومنه يُقال لمن لم يَفْقَه : إنما أنتَ مَيِّتٌ ، وقال الله تعالى ﴿ **فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى** ﴾[2] .

١٥ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ** .. ﴾ [آية ١٦] .

أي لينذرَ الَّذي يُوحَى إليه .

ويجوز أن يكون المعنى : لينذر اللهُ يومَ التَّلاقِ[3] .

قال قتادة : أي يوم يتلاقى أهلُ السَّماءِ ، وأهلُ الأرض ، ويلتقي الأولون والآخرون[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٤٩ وفي الدر المنثور ٥/٣٤٨ وزاد المسير ٧/٢١٠ قال الحافظ ابن كثير : وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يُنَزِّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾ وكقوله ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ .

(٢) سورة الروم آية رقم ٥٢ وتمامها ﴿ فإنك لا تُسمع الموتى ولا تُسمع الصُمَّ الدعاء إذا ولَّوْا مدبرين ﴾ .

(٣) القول الأول هو الأظهر ، أي ليخوِّف الرسول الموحَى إليه عذاب يوم عصيب ، هو يوم القيامة ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، والألوسي ، والقول بأن الضمير عائد إلى الله قول مرجوح ، والله أعلم . .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وابن الجوزي ، وغيرهم ، وقيل : يلتقي فيه الظالم والمظلوم ، على صعيد واحد .

﴿ يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ﴾ **قال قتادة** : أي لا يسترهم جبلٌ ، ولا شيء[1] .

١٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ لَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ، لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ﴾** [آية ١٦] .

أي يقال هذا[2] .

روى أبو وائل[3] ، عن عبد الله بن مسعودٍ قال : (يُحْشَرُ النَّاسُ على أرضٍ بيضاءَ ، مثل الفِضَّةِ ، لم يُعصَ اللهُ جلَّ وعز عليها قطُّ ، فأوَّلُ ما يُقَال : ﴿ **لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ** ﴾ ثم أوَّلُ ما يُنظر من الخصومات في الدِّمَاءِ ، فيُحضر القاتلُ والمقتول ، فيقولُ : سَلْ هذا لِمَ قَتَلَنِي ؟ فإن قال : قتلتُه لتكون العِزَّةُ لفلانٍ ، قيل للمقتولِ : اقتُلْه كما قتَلَكَ ، وكذلك إن قَتَل جماعةً ، أُذِيقَ القتلَ ،

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٤/٥١ قال ابن كثير ٧/١٢٥ أي هم ظاهرون بادون ، لا شيء يكنُّهم ، ولا يظللهم ، ولا يسترهم . اهـ.وقال القرطبي ١٥/٣٠٠ : لا يسترهم شيء لأن الأرض يومئذ قاع صفصف ﴿ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ﴾ . اهـ.

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ لمن الملك اليوم ﴾ مفعول لفعل محذوف ، أي يُقال لمن الملك اليوم ؟ وذلك عند فناء الخلق ، قال الحسن : هو تعالى السائل ، وهو المجيب ، لأنه يقول ذلك حين لا أحد يجيبه ، فيجيب نفسه سبحانه بقوله ﴿ لله الواحد القهار ﴾ انظر القرطبي ١٥/٣٠٠ .

(٣) أبو وائل هو : شقيق بن سلمة الأسدي ، الكوفي ، تابعي ثقة ، قال ابن معين : ثقة لا يسأل عن مثله ، مات سنة ٨٢هـ وانظر ترجمته في تهذيب التهذيب ٤/٣٦١ .

كما أذاقهم في الدنيا ، قال ﴿ لَا ظُلْمَ اليَوْمَ إنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَاب ﴾)[١] .

١٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال **مجاهد وقتادة** : أي القيامة[٢] .

قال **الكسائي** : يُقال : أَزِفَ الشيءُ يَأْزَفُ : أي [دَنَا ، وَاقْتَرَبَ][٣] .

قال **أبو جعفر** : قيل للقيامةِ الآزفةُ : لقربها ، وإن بَعُدت عن النَّاسِ ، ومنه يُقال : أَزِفَ رَحِيلُ فلانٍ .

١٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِذِ القُلُوبُ لَدَى الحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ .. ﴾ [آية ١٨] .

قال **قتادة** : شَخَصتْ من صدورهم فنَشِبَتْ في حُلوقهم ، فلم

---

(١) أخرج هذا الأثر القرطبي في جامع الأحكام ١٥/٣٠٠ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٤٨ ونسبه إلى عبد بن حميد .

(٢) هذا قول الجمهور أن الآزفة اسم من أسماء القيامة ، سميت بذلك لاقترابها ، كما قال سبحانه ﴿ أَزِفَت الآزفة ﴾ أي قربت القيامة ، وقال قطرب : ﴿ الآزفة ﴾ يوم حضور المنية ، وهو قول مرجوح .

(٣) سقط من المخطوطة هذه الجملة [دنا واقترب] وهي ضرورية ، لأنها من تمام الكلام ، وهي شرح لكلمة أزف ، وقد وضحَّ الإمام النحاس معنى ﴿ الآزفة ﴾ وسبب التسمية بعده .

تخرجْ ، ولم ترجعْ[1] .

وقال غيره : تزحْزَحتْ قلوبُهم من الفَزَع ، فلم تخرج فيستريحوا ، ولم ترْجِع[2] .

ثم قال تعالى : ﴿ **كَاظِمِينَ** ﴾ : أي مغتاظين ، ولا شيءَ يُزِيلُ غيظَهُمْ ، يُقال : كَظَمَ البعيرُ بجِرَّته[3] : إذا ردَّدها في حلقه ، وكَظَمَ غيظَه : إذا حَبَسَه .

١٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ مَا لِلْظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ [آية ١٨] .

أي ليس لهم شفيع مُطَاعٌ .

قال الحسن : استكْثِروا من الأصدقاءِ المؤمنينَ ، فإن الرجلَ منهم يَشْفعُ في قريبه ، وصديقه ، فإذا رأى الكفَّارُ ذلكَ قالوا ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شافِعِينَ. وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾[4] .

٢٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [آية ١٩] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان ٢٤/٥٢ والقرطبي في جامع الأحكام ١٥/٣٠٢ .

(٢) هذا على التمثيل ، أي تكاد قلوبهم لشدة الخوف والجزع تبلغ الحناجر ، وهي مكان الحلقوم .

(٣) في الصحاح ٥/٢٠٢٢ كظم غيظه كظماً : اجترعه ، وكظم البعير كظوماً : إذا أمسك عن الجرَّة ــ يعني الاجترار ــ فهو كاظم . اهـ.

(٤) الآية من سورة الشعراء رقم ١٠١ والأثر أخرجه الطبري ١٩/٨٩ عن قتادة بنحوه ، ونصُّه : يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع ، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع . اهـ.

قال ابن عباس : هو الرجلُ ينظر إلى المرأةِ ، فإذا نظر إليه أصحابُه غضَّ بَصَرَه ، فإذا رأى منهم غفلةً تدسَّسَ ، فإذا نَظَروا إليه غضَّ بصرَه ، وقد عَلِمَ اللهُ جلَّ وعزَّ منه أنَّ بِوُدِّهِ أن لو نظر إلى عورتها[1] .

وقال جريرُ بنُ عبدِ الله : (سألتُ رسولَ اللهِ ﷺ عن نظر الفُجَاءَةِ ، فأمرني أن أغضَّ بصري)[2] .

٢١ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وآثَاراً فِي الأَرْضِ** .. ﴾ [آية ٢١] .

قال مجاهد : هو مشيُهم وتأثيرُهم في الأرض[3] .

٢٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ** ﴾ [آية ٢٣] .

﴿ **بِآيَاتِنَا** ﴾ أي بالعلامات التي تدلُّ على رسالته ، نحو

---

(١) الأثر أخرجه ابن الجوزي ٢١٣/٧ والقرطبي ٣٠٣/١٥ وفي الدر المنثور ٣٤٩/٥ وذكره ابن كثير ١٢٧/٧ عن ابن عباس ولفظه : « هو الرجل يدخل على أهل البيت بيتهم ، وفيهم المرأة الحسناء ، أو تمرُّ به المرأة الحسناء ، فإذا غفلوا لحظ إليها ، فإذا فطنوا غضَّ ، فإذا غفلوا لحظ ، فإذا فطنوا غضَّ ، وقد اطَّلع الله من قلبه ، أنَّه ودَّ لو اطَّلع على فرجها » .

(٢) الحديث أخرجه مسلم رقم ٢١٥٩ في الآداب ، وأبو داود في كتاب النكاح رقم ٢١٤٨ والترمذي في الأدب رقم ٢٧٧٠ وأحمد في المسند ٣٥٨/٤ ولفظه : (سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفُجَاءَة ، فأمرني أن أصرف بصري) .

(٣) قال الحافظ ابن كثير ١٢٧/٧ : أي أثروا في الأرض من البنايات ، والمعالم ، ما لا يقدر عليه هؤلاء ، المكذبون برسالتك ، كما قال تعالى ﴿ وأثاروا الأرض وعمروها أكثر ممَّا عمروها ﴾ ومع هذه القوة العظيمة أخذهم الله بذنوبهم . اهـ.

العصا ، وما أشبَهَهَا .

﴿ وسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾أي : وحجَّةٍ مبيِّنة .

٢٣ ــ **ثم أعلمَ جلَّ وعز أنهم رَدُّوا الآيَاتِ** ، التي يعجزُ عنها المخلوقون ، بأنْ قالوا : سَاحرٌ كذَّاب ﴿ **فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[آية ٢٤] .

٢٤ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ** .. ﴾[آية ٢٥] .

روى مَعْمرٌ عن قتادة قال : هذا بعد القتلِ الأوَّل[1] .

٢٥ ــ **ومعنى** : ﴿ **إنِّي أَخَافُ أنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَادَ** ﴾[آية ٢٦] .

قال أبو جعفر : أخافُ أن يكون أحدُ الأمرينِ : إمَّا أن يُذهبَ دينكم البتَّة ، وإمَّا أن يستميلَ فيفسد عليكم ويحاربكم !! .

ويُقرأُ ﴿ **وأَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الفَسَاد** ﴾[2] أي أخاف

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٠/٥ عن قتادة ، والقرطبي في جامع الأحكام ٣٠٥/١٥ والطبري ٥٦/٢٤ وابن الجوزي ١٢٨/٧ قال : « وهذا أمر ثانٍ من فرعون ، بقتل ذكور بني إسرائيل ، أما الأول فكان لأجل الاحتراز من وجود موسى ، وأمَّا الأمر الثاني فلإذلال هذا الشعب وإهانته ، وتقليل عدده ، ولكي يتشاءموا بموسى عليه السلام كما أخبر عنهم القرآن ﴿ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا ﴾ !

(٢) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ وأن يُظْهِر ﴾ بغير ألف قبل الواو ، وقرأ عاصم ، وحمزة ، والكسائي ﴿ أو أن يُظْهِر ﴾ بألف قبل الواو ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٥/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٦٩ .

الأمرين جميعاً .

٢٦ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إيمَانَهُ .. ﴾** [آية ٢٨] .

يجوز أن يكون المعنى : وقال رجلٌ مؤمنٌ ، يكتمُ إيمانه من آلِ فرعونَ ، على التقديم والتأخير .

ويجوز أن يكون المعنى : وقال رجل مؤمنٌ من آلِ فرعون ، يكتم إيمانه ﴿ **أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللهُ** ﴾(١) ؟ أي لأن يقول .

﴿ **وَإِنْ يَكُ كَاذِباً فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ** ﴾ أي لا يضرُّكم منه شيء .

٢٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ يَكُ صَادِقاً يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ .. ﴾** [آية ٢٨] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ ، لأنَّ كلَّ ما وَعَدَ بِهِ نبيٌّ كَانَ(٢) ، فهذا موضع « كلٍّ » ؟ .

---

(١) القول الأول ضعيف ، والثاني هو الأظهر ، فإن قوله ﴿ من آل فرعون ﴾ صفة لـ « مؤمن » والمعنى وقال رجل مؤمن من جماعة فرعون ، يُخفي إيمانه عن قومه : أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟ .. إلخ. وقد كان هذا الرجل « قبطياً » ولم يكن إسرائيلياً ، وهو قول السدي ، واختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وأبو حيان في البحر المحيط ، لأنه لم يكن لأحدٍ من بني إسرائيل ، أن يتجاسر عند فرعون ، بمثل ما تكلم به هذا الرجل ، قال ابن كثير ١٢٩/٧ : ولو كان إسرائيلياً لأوشك أن يُعاجل له بالعقوبة ، لأنه منهم . اهـ.

(٢) هذا من الأسلوب الحكيم في المداراة ، ودفع سَفَه السفهاء ، فإنه أراد أن يتظاهر أمام فرعون ، بعدم الوثوق بكل ما جاء به موسى ، فقال ﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ ليهضمه بعض حقه ، ويريهم أنه مجرد ناصح أمين لهم .

ففيها أجوبة :

أ ــ منها أن « بعضاً » بمعنى « كلٍّ » وهذا مذهب أبي عُبيدة ، وأنشد :

« أَوْ يَرْتَبِطْ بَعْضَ النُّفُوسِ حِمَامُهَا »[1]

وهذا قول مرغوبٌ عنه ، لأَنَّ فيه بطلانَ البَيَانِ .

ب ــ قال أبو إسحاق : في هذا إلزامُ الحُجَّةُ للمناظِرِ[2] ، أن يُقال : أرأيتَ إن أصابك بعضُ ما أَعِدُك ، أليسَ فيهِ هلاكُكَ ؟ .

فالمعنى : إن لم يصبكم إلَّا بعضُ ما وعدكم موسى ، هلكتُمْ ، قال : ومثلُه قولُ الشاعر :

قَدْ يُدْرِكُ المُتَأَنِّي بَعْضَ حَاجَتِهِ
وَقَدْ يَكُونُ مَعَ المُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ[3]

---

(١) هذا شطر بيت للبيد بن ربيعة من معلقته وهو في ديوانه ص ٣١٣ بلفظ : « أو يعتلق بعض النفوس حِمامها » وتمامه :

تَرَّاكُ أمكنةٍ إذَا لَمْ أَرْضَهَا أو يرتبطْ بعضَ النفوسِ حِمَامها

وهو في مجاز القرآن ٢/٢٠٥ والقرطبي ١٥/٣٠٧ والبحر المحيط ٧/٤٦١ واستشهد به ابن منظور في لسان العرب ٧/١١٩ .

(٢) انظر معاني الزجاج ٤/٣٧٢ قال : إنما ذكر البعض ليوجب له الكل ، لأن البعض هو الكل ، قال الألوسي في روح المعاني ٢٤/٦٤ وذهب الزجاج إلى أن « بعض » في الآية ﴿ يصبكم بعض الذي يعدكم ﴾ على ظاهره ، والمراد إلزام الحُجَّة .. إلخ. والأظهر أنه إنما قال ﴿ بعض ﴾ ولم يقل « كل » مع أن الذي يصيبهم هو كل ما وعدهم به موسى عليه السلام ، ليلاطفهم في الكلام ، ويبعد عن نفسه التعصُّب لموسى ، ويظهر النصيحة لفرعون وقومه ، رجاء إجابتهم للحق .

(٣) البيت لعُمير بن شُيَيم القَطامي كما في ديوانه ص ٢٥ وهو في البحر ٧/٤٦١ والقرطبي ١٥/٣٠٧=

أي أقلُّ أحوالِ المتأنِّي ، أن يُدْرِكَ بعضَ حاجتِهِ .

جـ ــ **وقيل** : ليس في قوله ﴿ **يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ** ﴾ نفيٌ للكل[١] .

د ــ **وقيل** : الأنبياء صلى الله عليهم يدعون على قومهم ، فيقولون : اللهم اخسف بهم ، اللهمَّ أهلكهم ، في أنواعٍ من الدُّعاءِ ، فيصيبُهم بعضُ ذلك .

هـ ــ **وفي الآية جوابٌ خامس** : وهو أن موسى ﷺ وَعَدَهم بعذاب الدنيا معجَّلاً إن كفروا ، وبعذاب الآخرة ، وإنما يلحقُهم في الدنيا ما وعدَهُم به فيها ، وعذابُ الآخرة مؤخَّرٌ ، فعلى هذا يصيبهم بعضُ الَّذي يعِدُهُمْ[٢] .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ** ﴾ [آية ٢٨] .

= وروح المعاني ٢٤/٦٤ وقد ورد في القرطبي والبحر المحيط وروح المعاني أنه « عمرو القطامي » وهو خطأ وصوابه أنه « عمير بن شييم القطامي » .

(١) هذا قول أبي عبيدة أن المراد بالبعض الكل كما حكاه عنه الألوسي وصاحب البحر ، والمعنى على قوله : يصبكم كل الذي يعدكم به .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٢١٨ وحكاه عن الماوردي ، واختاره ابن كثير ، وغيره من المفسرين ، قالوا : إن موسى وعدهم إن كفروا بعذاب الدنيا ، وبعذاب الآخرة ، فالمعنى يصبكم العذاب العاجل ، وهو بعض ما يعدكم من العذاب ، ويصيرون بعد ذلك إلى النار .

أي كافرٌ(١) .

وقال قتادة : أي أسرف على نفسه بالشِّرْكِ(٢) .

وقال السدي : وهو صاحبُ الدَّمِ(٣) .

٢٩ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **قَالَ فِرْعَونُ ما أُرِيكُمْ إلَّا مَا أَرَى ، ومَا أَهْدِيكُمْ إلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ [آية ٢٩] .

رُوي عن معاذِ بنِ جَبَلٍ أنه قرأ ﴿ **سَبِيلَ الرَّشَّادِ** ﴾ بتشديد الشِّينِ(٤) ، وقال : سبيلُ اللهِ جلَّ وعزَّ .

قال أبو جعفر : وهذا عند أكثر أهل اللغة العربية لحنٌ ، لأنه

---

(١) هذا قول قتادة كما حكاه الطبري في تفسيره ٥٩/٢٤ وابن الجوزي في زاد المسير ٢١٩/٧ وهو تفسير للفظ ﴿ مسرف ﴾ أي أسرف في كفره وضلاله .

(٢) سبق تخريج الأثر عن قتادة في الطبري ، وتفسير ابن الجوزي .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٥٩/٢٤ وابن الجوزي ٢١٩/٧ وعزاه إلى مجاهد ، وهو في البحر المحيط ٤٦١/٧ .

أقول : وهذا القول أظهر ، والمعنى : إن الله لا يهدي من كان مسرفاً في القتل وسفك الدماء ، كذاب في ادعاء الربوبية .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٤١/٢ قال : وهي من قولهم : رَشِدَ يَرْشَدُ ، كعَلَّام من عَلِم يَعْلَم ، أو من رَشِدَ يَرْشُد ، كعبَّاد ، من عَبَدَ يَعبُد ، وليس من أرْشَدَ يرشِدُ ، لأن فعَّالاً المأخوذ من أفعل لم يأت إلا في أحرف محفوظة ، ذكرها ابن جني . اهـ . وفي البحر ٤٦٢/٧ : وقال أبو حاتم : كان معاذ بن جبل يفسِّرها ﴿ وما أهديكم إلا سبيل الرشَّاد ﴾ أي سبيل الله ، واستبعد ابن عطية هذه القراءة عن معاذ ، فقال : ويبعد عندي على معاذ رضي الله عنه تفسيرها بذلك ، وهل كان فرعون إلا يدَّعي أنه إله ، فكيف يقول : وما أهديكم إلا سبيل الله ؟ وانظر تفصيل البحث في روح المعاني ٦٦/٢٤ .

إنما يُقَال : أَرْشَدَ يُرْشِدُ ، ولا يكون « فَعَّـالٌ » من « أَفْعَـلَ » إنما يكـون من الثلاثي ، وإن أردتَ التكثير من الرباعي ، قلتَ : « مِفْعَالٌ »(1) .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكـونَ ﴿ رَشَّادٌ ﴾ بمعنـى يُرْشِدُ ، لا على أنه مشتقٌّ منه ، ولكن كما يُقـال : لأَّآلٌ من اللُّؤْلـؤِ ، فهـو بمعنـاه ، وليس جارياً عليه .

ويجوز أن يكـــون رَشَّادٌ من رَشَـد ، يَرْشُدُ أي صاحب رشاد ، كما قال :

« كِلِينِي لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ »(2)

٣٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ ﴾ [آية ٣٠] .

قال قتادة : هم قومُ نوحٍ ، وعادٍ ، وثمود(3) .

---

(1) صيغة المبالغة من الفعـل الثـلاثي تأتي على وزن « فعَّـال » ومن الرباعي تأتي على وزن « مفعال » كما وضَّح المصنف ، تقول : ضَرَبَ فهو ضرَّاب ، وسفك فهو سفَّاك ، وأكرم فهو مكرام .. إلخ.

(2) هذا صدر بيت للنابغة الذبياني يمدح عمرو بن الحارث ، وهو في ديوانه ص ٤٠ وكتـاب سيبويـه ٢٠٧/٢ ومطلع القصيدة :

كلينـــــي لهم يا أميمـــــــة ناصب وليـــل أقاسيـــه بطـــيء الكـــواكب

والشاهد فيه « ناصب » بمعنى متعب ، وفعلـه أنصب ، فهـو من الـوصف الـذي لم يجر على فعله ، وجاء على معنى ذي نصب .

(3) قال الـطبري ٥٩/٢٤ : ﴿ مثـل يوم الأحـزاب ﴾ الذيـن تحزَّبـوا على رسل الله « نـوح ، وهـود ، وصالح » فأهلكهم الله بتجرئهم عليهم . اهـ. وقال القرطبي ٣١٠/١٥ : يعني أيام العذاب التي عُذِّب فيها المتحزبون على الأنبياء .

٣١ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴾ [آية ٣٢] .

وقرأ الضحاك : ﴿ يَوْمَ التَّنَادِّ ﴾ بتشديد الدال(١) .

قال أهل العربية : هذا لحنٌ ، لأنه من ندَّ ، يَنِدُّ : إذا مَرَّ على وجهه هارباً ، كما قال الشاعر :

وَبَرْكٍ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي
نَوَادِيَهَا أَسْعَى بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ(٢)

قال : ولا معنى لهذا في القيامة .

قال أبو جعفر : هذا غلَطٌ ، والقراءةُ به حسنةٌ ، رَوَى صفوانُ بن عَمْرٍو ، عن عبد الله بن خالد ، قال : (يظهر للنَّاسِ يومَ القيامَةِ

= أقول : ومما يؤيد قول قتادة قوله تعالى بعدها ﴿ مثل دأب قوم نوح ، وعاد ، وثمود ﴾ فهو توضيح وبيان للأحزاب .

(١) هذه من القراءات الشاذة ، كما ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٤٣ وذكر أنها قراءة ابن عباس ، والضحاك ، والكلبي ، وعلى هذه القراءة يكون ﴿ التنادّ ﴾ من ندَّ يندُّ إذا هرب ، وعلى القراءة المشهورة وهي قراءة الجمهور يكون مصدر تنادى القوم أي نادى بعضهم بعضاً ، والمصدر « التنادي » حذفت منه الياء مراعاة لرءوس الآيات ، وسمي يوم القيامة « يوم التناد » لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة ، أو يتصايحون بالويل والثبور ، أو لتنادي أهل الجنة وأهل النار ، كما قال سبحانه ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار .. ﴾ الآية .

(٢) البيت لطرفة بن العبد كما في ديوانه ص ٥٣ وقد ورد فيه (أمشي) بدل أسعى ، وفي اللسان مادة ندى والقرطبي ١٥/٣١١ .

عُنُقٌ من نَارٍ ، فيولُّون هاربين منها ، حتى تُحيط بهم ، فإذا أحاطت بهم ، قالوا : أين المفرُّ ؟ ثم أخَذُوا في البكاء حتى تنفد الدموع ، فيكون دماً ، ثم تَشخصُ أبصارُ الكفار ، فذلك قوله تعالى ﴿ **مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ** ﴾)[1] .

ويُروى : أنه إذا أُمِر بهم إلى النَّار ، وَلَّوْا هاربين منها[2] .

ولو لم يكن في الاحتجاج بالقراءة إلَّا قوله تعالى ﴿ **يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ** ﴾[3] لكفَى .

فأما معنى التخفيف : فقال قتادة في قوله ﴿ **إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ** ﴾ .

قال : يوم يُنَادَى كلُّ قومٍ بأعمالهم ، ويُنَادِي أهلُ الجنةِ أهلَ النَّارِ[4] .

وقال عبد الله بن خالد : (إذا حُشر الناسُ يوم القيامة ، نادى

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٤٣ والرواية التي ذكرها المصنف ، هي في تفسير الطبري ٦١/٢٤ والدر المنثور ٣٥٠/٥ وتفسير القرطبي ٣١١/١٥ .

(٢) انظر ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٠/٧ .

(٣) هذه الآية مما يؤيد وجه القراءة بالتشديد ﴿ يوم التناد ﴾ أي يوم الهرب ، فإن قوله تعالى ﴿ يوم تُولُّون مدبرين ﴾ كأنه توضيح وتفسير ، لهول ذلك اليوم العصيب .

(٤) كما ورد في سورة الأعراف ﴿ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً .. ﴾ الآية وكذلك أهل النار ينادون أهل الجنة مستغيثين بهم ، كما قال سبحانه : ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء .. ﴾ فلهذا سمي يوم التناد .

بعضهم بعضاً ، حتى يظهر لهم عُنُق من النار ، فيولُّون هاربين) .

٣٢ ـ ثم قال تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ .. ﴾ [آية ٣٣] .

قال قتادة : أي من ناصر[١] .

٣٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بالبَيِّنَاتِ[٢] .. ﴾ [آية ٣٤] .

أي من قبل موسى ﴿ بالبَيِّنَاتِ ﴾ أي بالآياتِ المعجزات .

﴿ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ، حَتَّى إذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولاً ﴾ [آية ٣٤] .

أي ظننتم أن الحجة لا تقام عليكم بعده ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ أي مثل هذا الضلال ، يضلُّ الله من هو مسرفٌ مرتاب[٣] . .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٦٢/٢٤ وفي البحر ٤٦٤/٧ ولفظه : وقال قتادة : ﴿ ما لكم من الله من عاصم ﴾ أي مانع يمنعكم منها أو ناصر ، وكذلك في تفسير الألوسي ٦٧/٢٤ وابن كثير ١٣٣/٧ .

(٢) الخطاب لآل فرعون ، وهم الأقباط ، والمراد بيوسف هو « يوسف الصِّديق بن يعقوب » عليهما السلام ، وليس كما زعم البعض أنه رسول آخر يسمى « يوسف » أرسل إلى القبط ، وقد نصَّ جمهور المفسرين على أنه « يوسف بن يعقوب » وانظر الطبري ٦٣/٢٤ وتفسير ابن الجوزي ٢٢١/٧ .

(٣) قال القرطبي ٣١٣/١٥ : ﴿ مسرفٌ ﴾ أي مشرك ﴿ مرتاب ﴾ شاك في وحدانية الله تعالى . اهـ.

٣٤ ـ ثم قال جلّ وعز : ﴿ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ .. ﴾ [آية ٣٥] .

على البدل مِنْ ﴿ مَنْ ﴾[1] .

ومعنى ﴿ كَبُرَ مَقْتاً ﴾ : كَبُر الجِدالُ مقتاً[2] .

٣٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ[3] ﴾ [آية ٣٥] .

وفي قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ عَلَى قَلْبِ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾[4] .

ومعنى هذه القراءة كمعنى الأولى ، كما يُقال : أنا أكلِّمُ فلاناً ، يومَ كلِّ جمعة ، وكلَّ يومٍ جمعةٍ .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٤/٤ فهو تفسير للمسرف المرتاب ، في قوله تعالى ﴿ يُضِلُّ الله من هو مسرف مرتاب ﴾ فيكون ﴿ الذين يجادلون ﴾ بدلاً منه ، والمعنى ﴿ كذلك يُضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ وهم الذين يجادلون في آيات الله ، فالذين منصوب على البدل . قال القرطبي ٣١٣/١٥ : ويجوز أن يكون رفعاً على معنى : هم الذين يجادلون ، أو على الابتداء والخبر قوله تعالى ﴿ كَبُرَ مقتاً ﴾ . اهـ.

(٢) المقتُ : شدة البغض ، كما قاله أهل اللغة .

(٣) هذه قراءة أبي عمرو ، وقرأها بالتنوين ﴿ كل قلبٍ متكبرٍ ﴾ وقرأ الباقون بالإضافة ﴿ يطبع على كلِّ قلبِ متكبرٍ ﴾ والقراءتان سبعيتان ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٧٠ والنشر في القراءات العشر ٣٦٥/٢ .

(٤) قراءة ابن مسعود بتقديم القلب ﴿ على قلب كل متكبر جبار ﴾ ليست من القراءات السبع ، وانظر الطبري ٦٤/٢٤ .

فأما التنوينُ فإنه يُقال : قلبٌ متكبِّرٌ ، أي صاحبُه متكبِّرٌ .

٣٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ فِرْعَونُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً .. ﴾ [آية ٣٦] .

أي قصراً ، وكل بناءٍ عظيم صَرْحٌ(١) .

﴿ لَعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴾ [آية ٣٦] .

قال قتادة : أي الأبواب(٢) .

والسببُ في اللغة : ما يؤدِّي إلى الشيء ، فالمعنى : لعلِّي أبلغُ ما يؤدِّي إلى السَّمواتِ .

٣٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصَدَّ عِنِ السَّبِيلِ .. ﴾ [آية ٣٧] .

ويُقرأ ﴿ وصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ وهو اختيار أبي عُبيدٍ(٣) .

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ٣٨١/١ : الصَّرح : القصر ، وكل بناء عال : صرحٌ ، والجمع : الصُّروح . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٦٥/٢٤ وذكر عن ابن عباس أنها منزل السماء ، ثم قال : وقد بيَّنا فيما مضى قبل أن السبب هو : كلُّ ما تسبب به إلى الوصول إلى ما يُطلب ، من حبلٍ ، وسُلَّم ، وطريق ، وغير ذلك . اهـ.

(٣) هو القاسم بن سلَّام الخزاعي ، من كبار علماء الحديث والأدب ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ وله غريب الحديث ، وغريب القرآن ، وانظر ترجمته في شذرات الذهب ٥٤/٢ وتهذيب التهذيب ٣١٥/٨ .

ورُوي عن ابن أبي إسحاق ﴿ وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : وأحسنها ﴿ وصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ كما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﴾[2] .

وقولُ أبي عُبيد في اختياره ليس بشيء ، لأن من قَرَأَهُ بالضمِّ ، فالمعنى عنده — على ما ذكر أبو حاتم — : وصَدَّهُ الشَّيْطَانُ عن السَّبيلِ ، كما قال ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾[3] المستقيمة .

٣٨ — ثم قال جلا وعزَّ : ﴿ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ [آية ٣٧] .

قال مجاهد وقتادة : أي في خَسَار[4] .

قال أبو جعفر : من هذا قولُه جلَّ وعزَّ ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴾ .

---

(١) هذه قراءة ابن كثير ، ونافع ، بالبناء على المعلوم ﴿ وصَدَّ عن السبيل ﴾ أي وصد فرعون عن سبيل الله ، والقراءة الأولى بالبناء على المجهول ﴿ وصُدَّ عن السبيل ﴾ قراءة حمزة ، وعاصم ، والكسائي ، وكلاهما من القراءات السبع ، والمعنى : صدَّه الشيطان عن طريق الهدى والحق ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٧١ والنشر ٢/٣٦٥ .

(٢) سورة محمد ﷺ آية رقم ١ وتمامها ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضلَّ أعمالهم ﴾ .

(٣) سورة النمل آية رقم ٢٤ .

(٤) أخرج هذا الأثر الطبري ٢٤/٦٦ وذكر نحوه عن ابن عباس قال ﴿ في تباب ﴾ أي في خسران ، وقال القرطبي ١٥/٣١٥ : في خسران وضلال ، وقال في البحر ٧/٤٦٦ : التباب : الخسران ، خسر ملكه في الدنيا فيها بالغرق ، وفي الآخرة بخلود النار . اهـ. قال الجوهري : التَّباب : الخسران والهلاك تقول : تبَّت يداه تبًّا أي ألزمه الله هلاكاً وخسراناً . اهـ. الصحاح مادة تبب .

وقوله ﴿ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾[1] .

٣٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال **قتادة** : يعني شِركاً[2] .

٤٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ .. ﴾ [آية ٤١] .

قال **مجاهد** : إلى الإيمان بالله عز وجل[3] .

٤١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الآخِرَةِ ﴾ [آية ٤٣] .

قال **مجاهد** : يعني الأوثان[4] .

---

(١) سورة هود آية رقم ١٠١ والمعنى : ما زادوهم غير تخسير ، وتدمير ، وهلاك ، كما قاله الطبري .

(٢) تفسير السيئة بالشرك ذكره الطبري ٢٤/٦٧ عن قتادة ، وهو خلاف الظاهر ، والأرجح ما ذهب إليه الجمهور أن السيئة هي المعصية أيًّا كانت ، لأن الله تعالى قال ﴿ فلا يُجزى إلَّا مثلها ﴾ ولا مثل للإشراك بالله فالآية على العموم ، أي من عمل في الدنيا سيئة فلا يعاقب في الآخرة إلا بمقدارها ، دون زيادة ، وهذا ما رجحه الطبري والجمهور .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٢٤/٦٨ والسيوطي في الدر المنثور ٥/٣٥١ وهو الراجح لأن الإيمان سبب النجاة .

(٤) الأثر في الطبري ٢٤/٦٩ والدر المنثور ٥/٣٥١ والمعنى أن ما تدعونني إليه من الأصنام ليس له استجابة دعوة أصلاً .

قال أبو جعفر : قال الخليل : معنى ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ حقاً ، وقد جرم الشيءُ : أي حقَّ وأنشدَ :

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عُيَيْنَةَ طَعْنَةً
جَرَمَتْ فَزَارَةَ بَعْدَهَا أنْ يَغْضَبُوا[(1)]

قال أبو جعفر : فأمَّا دخول « لا » على « جَرَمَ » فلتدلَّ على أنه جواب لكلامٍ ، وأنه ليس مستأنفاً .

فالمعنى : وجب بطلانُ ما تدعونني إليه ، أي ليس له استجابةُ دعوةٍ تنفعُ .

٤٢ ـــ وقوله : ﴿ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ [آية ٤٣] .

قال عبد الله بن مسعود : هم السفَّاكون للدِّماءِ ، وكذلك قال

---

(١) البيت لأبي أسماء بن الضُّريبة ، كما في لسان العرب لابن منظور ، والصحاح للجوهري وهو في معاني القرآن للزجاج ٣٧٦/٤ قال الفراء : (لا جرم) ، هي كلمة كانت في الأصل بمنزلة « لا بد » و « لا محالة » كثرت حتى تحولت إلى معنى القسم ، وصارت بمنزلة حقاً . اهـ. وقال في اللسان ﴿ لا جرم ﴾ أي لا بدَّ ولا محالة ، وقيل : معناه حقاً ، واستشهد بالبيت : ولقد طعنتُ .. إلخ. ثم قال : أي حقَّت لها الغضب ، وقيل معناه : كسبتها الغضب ، قال سيبويه : فأما قوله تعالى ﴿ لا جرم أنَّ لهم النار ﴾ فمعناها لقد حقَّ أن لهم النار ، وقول المفسرين معناها حقاً أن لهم النار ، يدلك أنها بمنزلة هذا الفعل ، والعرب تقول : لا جرم لآتينك ، فتراها بمنزلة اليمين ، وكذلك فسرها المفسرون : حقاً إنهم في الآخرة هم الأخسرون ، وأصلها من جرمت أي كسبت الذنب . اهـ. اللسان مادة جرم .

عطاءٌ ، ومجاهد[1] .

٤٣ ـــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا .. ﴾** [آية ٤٥] .

قال قتادة : كان رجلاً من القبط ، فنجَّاه الله مع بني إسرائيل[2] .

٤٤ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا .. ﴾** [آية ٤٦] .

يقال : كيف يعرضون عليها غدواً وعشياً وهم من أهلها ؟ .

فالجواب عن هذا ما قاله عبد الله بن مسعود ، قال : أرواحُ آل فرعونَ في أجواف طيرٍ سود ، تُعرضُ كلَّ يومٍ على النار مرتين ، يقال : هذه داركم[3] .

---

(١) فسر ابن مسعود ومجاهد ﴿ المسرفين ﴾ هنا بالسفاكين للدماء بدون حق ، وفسره قتادة بأنهم المشركون فإن الإشراك إسراف في الضلالة ، وعن عكرمة أنهم الجبارون المتكبرون ، والعموم أولى كما ذهب إليه الطبري .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٧٠/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥١/٥ وهو الصحيح أنه كان من القبط ، من جماعة فرعون ، ولم يكن من بني إسرائيل ، كما ذهب إليه البعض ، ومما يدل على أنه من الأقباط : قوله تعالى فيما تقدم ﴿ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ﴾ فالنصُّ صريح في أنه لم يكن إسرائيلياً ، وقد ردَّ ابن جرير على من زعم أنه إسرائيلي ، بالحجة والبرهان .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن السدي ٧١/٢٤ ولفظه : « قال بلغني أن أرواح قوم فرعون في أجواف طير سود ، تُعرض على النار غدواً وعشياً حتى تقوم الساعة » وذكره ابن كثير عن ابن مسعود ١٣٧/٧ بلفظ « إن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر ، تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا ، وإن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود ، تغدو على جهنم وتروح عليها ، فذلك عرضها » وذكر نحوه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٨/٧ عن ابن مسعود .

وروى **شعبةُ عن يعلى بن عطاء قال** : سمعتُ ميمون بنَ ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح يُنادي : أصبحنا والحمدُ للهِ ، وعُرِض آلُ فرعون على النار ، وإذا أمسى نادى : أمسينا والحمدُ للهِ ، وعُرض آل فرعون على النَّار ، فلا يسمع أبا هريرةَ أحدٌ ، إلَّا تعوَّذَ باللهِ من النَّارِ[1] .

وقال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا** ﴾ قال : من أيام الدنيا[2] .

قال الفراء : ليس في القيامة غدوٌّ ولا عشيٌّ ، ولكنْ مقدارُ ذلك[3] .

قال أبو جعفر : التفسير على خلاف ما قال الفراء ، وذلك أن التفسير ، على أنَّ هذا العرض ، إنما هو في أيَّام الدنيا[4] .

---

(١) هذا الأثر أخرجه ابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن أبي هريرة ، وذكره القرطبي ٣١٩/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٥٢/٥ بنحوه أن أبا هريرة كان له صرختان في كل يوم غدوة وعشية ، كان يقول أول النهار : « ذهب الليل وجاء النهار ، وعُرض آل فرعون على النار ، فلا يسمع أحد صوته ، إلا استعاذ بالله من النار .. » . اهـ.

(٢) الأثر في تفسير الطبري ٧٢/٢٤ والقرطبي ٣١٩/١٥ والدر المنثور ٣٥٢/٥ ولفظه قال : « ما كانت الدنيا تُعرض أرواحهم » أي ما دامت الدنيا باقية فإن أرواحهم تعرض للعذاب .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٩/٣ .

(٤) ما ذهب إليه الفراء ، أن الغدوَّ والعشي في الآخرة ، قول ضعيف ، والصحيح ما ذهب إليه المصنف أنه في البرزخ ، وهو قول أكثر المفسرين ، إذ ليس في الآخرة إلا العذاب الدائم ، ولا يُراد بالنار نار الآخرة ، إنما هي نار البرزخ «عذاب القبر» بدليل قوله تعالى بعدها ﴿ ويوم تقوم =

والمعنى أيضاً : بيِّنٌ أنه على ذلك ، لأنَّه قال جلَّ وعز ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعَشِيًّا ﴾ ثم دلَّ على أن هذا قبل يوم القيامة ، بقوله ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ العَذَابِ ﴾ فدلَّ على أنَّ الأوَّل ، بمنزلة عذاب القبر .

٤٥ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ** ﴾ [آية ٥١] .

قال معمرٌ عن قتادة : الملائكةُ(١) .

قال أبو جعفر : واحدهم شاهدٌ ، كما يُقال : صاحبٌ ، وأصْحَابٌ .

ويجوز أن يكون : جمع شهيد ، كشريف ، وأشراف .

= الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾ وهذه الآية من أدلة أهل السنة على عذاب القبر ، كما قال الحافظ ابن كثير ١٣٦/٧ : وهذه الآية أصل كبير ، في استدلال أهل السنة ، على عذاب البرزخ في القبور ، وهي قوله ﴿ النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ﴾ فالآية دلت على عذاب الكفار في البرزخ .. إلخ. وكذلك قال ابن الجوزي في زاد المسير ٢٢٩/٧ : وهذه الآية تدل على عذاب القبر . اهـ.

أقول : ومما يؤكد ذلك ويؤيده ما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة » وانظر كلام الحافظ ابن كثير في هذا الموضوع ، ففيه شفاء الغليل .

(١) هذا الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧٥/٢٤ عن مجاهد أيضاً ، واختار العموم أن الأشهاد هم الملائكة ، والأنبياء ، والمؤمنون ، وهكذا ذكر القرطبي ٣٢٢/١٥ وهو الأولى والأظهر ، وهو مروي عن زيد بن أسلم .

٤٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنْ فِي صُدُورِهِمْ إلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ .. ﴾ [آية ٥٦] .

مثل قوله ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾(١) المعنى : ما هم ببالغي إرادتهم فيه ، لأن الكِبْرَ شيءٌ قَدْ أَتَوْه ، فهذا لا يُشْكِل .

وقد قيل : الكِبْرُ هَهنا : العلوُّ على النبيِّ ﷺ ، وذلك إرادتُهم ولم يبلغوه ، فأمَّا إرادتُهم في الأول : فالجدال في آيات الله جلَّ وعز ، حتى يُبطلوها ، ولم يبلغوا ذلك .

وقيل : إنما يُراد بذا « اليهودُ » تكبَّروا ، وتوقَّفوا ، وقالوا حتى يخرج الدجَّالُ ، ونكون معه ، فأعلمَ اللهُ جلَّ وعزَّ أن هذه الفرقة من اليهود ، لا تلحق الدجَّال(٢) ، واستشهد صاحبُ هذا القول بقوله ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ ﴾(٣) .

---

(١) أي هو على حذف مضاف لأن الكبر حاصل فيهم ، ويصبح المعنى : ما هم بواصلين إلى مرادهم من إطفاء نور الله .

(٢) هذا مروي عن أبي العالية ، أخرجه عبد بن حميد ، وابن أبي حاتم عنه بسند صحيح ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٥٣/٥ والشوكاني في فتح القدير ٤٩٩/٤ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٢٥/١٥ قال والمعنى : إن تَعَظَّمُوا عن اتباع محمد ــ يعني اليهود ــ وقالوا إنَّ الدَّجَّال سيخرج عن قريب ، فيردُّ الملك إلينا ، وتسير معه الأنهار ، فذلك كبر لا يبلغونه ، فنزلت فيهم الآية ، قاله أبو العالية وغيره . اهـ.

(٣) أي فاستعذ بالله من فتنة الدجال ، على قول من قال : إن الآية نزلت في اليهود ، وعلى القول الآخر من شرِّ الكفار .

٤٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [آية ٦٠] .

رَوى يُسَيْعٌ الكِنْدِيُّ[١] عن النعمان بن بشير ، عن النبي ﷺ قال : الدعاءُ هو العبادةُ ، وتلا رسول الله ﷺ ﴿ وقال ربُّكُم ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، إنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٢] .

قال أبو عُبيدة : ﴿ دَاخِرِينَ ﴾ : صاغرين[٣] .

٤٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إِذِ الأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلَ يَسْحَبُونَ ﴾ [آية ٧١] .

وقُرِئ ﴿ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾[٤] .

---

(١) يُسَيْع الكِندي هو « يُسيع بن معدان الحضرمي » الكندي الكوفي ، ويقال فيه « أُسيع » ثقة روى عن علي ، والنعمان بن بشير ، وثَّقه النسائي ، وابن حبان ، وانظر تهذيب التهذيب ٣٨٠/١١ والجرح والتعديل للرازي ٣١٣/٩ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير رقم ٣٢٤٧ وقال : حديث حسن صحيح ، وأبو داود في الصلاة رقم ١٤٧٩ وابن ماجه رقم ٣٨٢٨ والحاكم وصححه .

(٣) بهذا فسره المفسرون قال الطبري ١١٦/١٤ ﴿ داخرون ﴾ صاغرون ، يقال : دَخَرَ يَدْخَرُ دُخُوراً : إذا ذلَّ وخضع ، وكذلك أهل اللغة ، قال الجوهري : الدُّخور : الصَّغار والذل ، يقال : دخر الرجل ، فهو داخر ، أي ذل . اهـ.

(٤) قراءة الجمهور بالضم ﴿ والسَّلاسلُ ﴾ فعلى هذا تكون عطفاً على الأغلال ، والمعنى حين تُجعل الأغلال والسلاسل في أعناقهم ، ويُسحبون بها ، وأما قراءة الفتح ﴿ والسلاسل يَسْحَبون ﴾ فهي من القراءات الشاذة كما في المحتسب ٢٤٤/٢ والمعنى : الأغلال في أعناقهم ، وهم يسحبون =

وفي قراءة أبيٍّ ﴿ بِالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ ﴾ .

وأجازَ الفراء : ﴿ وَالسَّلَاسِلِ يُسْحَبُونَ ﴾[1] .

قال أبو جعفر : من قرأ **﴿ والسَّلَاسلَ يَسْحَبُونَ ﴾** فالمعنى عنده : يسحبونَ السَّلاسلَ ، وهي قراءة ابن عباس ، قال : وذلك أشدُّ عليهم ، يُكلَّفون أن يَسْحَبُوهَا ولا يُطِيقونَ[2] .

ومَنْ قَرَأَ ﴿ والسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴾ فالتَّمامُ عنده **﴿ والسَّلَاسِلُ ﴾** ثم ابتدأ فقال **﴿ يُسْحَبُونَ فِي الحَمِيمِ ﴾** .

قال الفرَّاء : والسَّلاسِلِ بالخفضِ[3] ، محمولٌ على المعنى ، لأن المعنى : أعناقُهم في الأغلالِ والسَّلاسِلِ ، كما حُمِلَ على المعنى قوله :

= سلاسلهم في جهنم ، وهي قراءة ابن مسعود وابن عباس ، وقراءة أبيٍّ ﴿ بالسلاسل ﴾ ليست أيضاً من القراءات السبع .

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٢٥ .

(٢) انظر الطبري ٢٤/٨٤ والقرطبي ١٥/٣٣٢ وتفسير ابن الجوزي ٧/٢٣٦ وهي قراءة شاذة كما بينا .

(٣) قراءة الجر ﴿ والسلاسلِ ﴾ ليست من القراءات الواردة ، وإنما هي جائزة لغة ، فهي محمولة على المعنى ، أي أعناقهم في الأغلال والسلاسل ، والأصل في القراءات الوارد عن رسول الله ﷺ ، وقد ردَّ ابن الأنباري قراءة الخفض ، فقال : والخفض على هذا المعنى ، غير جائز ، لأنك إذا قلت : زيد في الدار ، لم يحسن أن تُضمر « في » فتقول : زيد الدار ، ولكن الخفض جائز على معنى : إذ أعناقهم في الأغلال والسلاسل . اهـ. القرطبي ١٥/٣٣٢ .

قَدْ سَالَـمَ الحَيَّـــاتُ مِنْــهُ القَدَمَـــا
الأُفْعُـوَانَ والشُّجَـــاعَ الشَّجْعَمَــــا[1]

٤٩ ــ **ثم قال جل وعز :** ﴿ **ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ** ﴾ [آية ٧٢] .

قال مجاهد : أي تُوقد بهم النار[2] .

قال أبو جعفر : يُقال : سَجَرْتُ الشَّيءَ : أي ملأتُه ، ومنه ﴿ **وَالبَحْرِ المَسْجُورِ** ﴾[3] .

فالمعنى على هذا : تُملأُ بِهِمُ النَّارُ ، وقال الشاعر يصفُ وَعْلاً :

إذَا شَاءَ طَالَـــعَ مَسْجُـــورَةً
تَرَى حَوْلَهَـــا النَّبْـعَ والسَّاسَمَــا[4]

---

(١) البيت من أرجوزة لأبي حيان الفَقْعسي ، استشهد به الفراء في معاني القرآن ٣/١١ ولسان العرب مادة شجع ، ومعنى « الشجاع » الحية و « الشجعما » الضخم ، وانظر الطبري ٢٤/٨٤ والقرطبي ١٥/٣٣٢ .

(٢) الأثر ذكره في البحر ٧/٤٧٤ عن مجاهد قال : ﴿ يُسجرون ﴾ يُطرحون فيها ، فيكونوا وقودا لها ، وكذلك في الطبري ٢٤/٨٤ .

(٣) سورة الطور آية رقم ٦ والمعنى : والبحر الموقد ناراً ، ومعنى السجر : الإيقاد ، فما ذهب إليه مجاهد أظهر ، قال في لسان العرب (والبحر المسجور) جاء في التفسير أن البحر يسجر فيكون نار جهنم ، وكان علي يقول : المسجور بالنار ، وأما من قال إنه بمعنى المملوء فقد قال ابن سيده في قوله تعالى ﴿ وإذا البحار سُجِّرت ﴾ من قال ملئت فلا وجه له ، إلا أن تكون ملئت ناراً . اهـ. لسان العرب .

(٤) البيت للنمر بن تولب كما في اللسان مادة (سسم) وقد أورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن =

أي عيناً مملوءةً .

٥٠ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ .. ﴾ [آية ٧٥] .

بيَّن هَذَا بقوله سبحانه ﴿ فَرِحُوا بمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ ﴾[1] .

٥١ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ [آية ٧٥] .

قال **مجاهد** : أي تبطرون وتأشرون[2] .

٥٢ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ اللهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا ، وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ [آية ٧٩] .

أي الإبل[3] .

قال قتادة في قوله تعالى ﴿ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي

= ١٥/٣٣٣ بلفظ « النبع والسمسما » ولم يعزه وهو تصحيف ، وما أثبتناه من المخطوطة هو الصحيح ، كما في لسان العرب .

(١) سورة غافر آية رقم ٨٣ والمراد بالفرح في الآية : فرح البطر ، والاستكبار عن الخضوع للحق .

(٢) الأثر في الطبري ٢٤/٨٥ والبحر المحيط ٧/٤٧٥ والقرطبي ١٥/٣٣٣ عن مجاهد ، قال الطبري : والمرح : هو الأشر والبطر . اهـ. ومنه قوله تعالى ﴿ لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ﴾ فهو فرح الفخر والخيلاء ، لا فرح السرور بالنعمة ، والشكر عليها .

(٣) هذا قول الزجاج في معانيه ٤ /٣٧٨ قال : الأنعام ههنا الإبل ، واختار الطبري العموم ، فقال : هي الإبل ، والبقر ، والغنم ، والخيل . قال في البحر ٧/٤٧٨ ويضعف قول من أدرج فيها الخيل والبغال والحمير وغير ذلك مما ينتفع به من البهائم ، وقول من خصَّها بالإبل وهو الزجاج .

صُدُورِكُمْ ﴾ : الرحلةُ من بلدٍ إلى بلد[1] .

وقال مجاهد : أيَّ حاجةٍ كانت[2] .

٥٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ العِلْمِ .. ﴾ [آية ٨٣] .

أي رضوا به .

قال مجاهد : قالوا : نحنُ أعلـمُ منكـم ، لن نُبْعثَ ، ولـن نَحْيـا بعد المَوتِ[3] .

قال مجاهـد : ﴿ وَحَـاقَ بِهِـمْ مَا كَانُـوا بِهِ يَسْتَهْزِئُــونَ ﴾ [آيــة ٨٣] .

أي ما جاءت به الرسلُ الحقُّ[4] .

(١ ــ ٢) الأثران عن مجاهد وقتادة أخرجهما الطبري ٨٧/٢٤ والشوكاني في فتح القدير ٥٠٧/٤ وقـول مجاهد أظهر ، فإن المراد من الآية : بلوغ الأسفار الطويلة ، وحمل الأثقال إلى البـلاد الشاسعـة ، وقضاء فريضة الحج ، والغزو ، وغير ذلك من المنافع الدينية والدنيوية .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن مجاهد ٨٩/٢٤ والقرطبـي ٣٣٦/١٥ وابـن الجوزي ٢٣٨/٧ ، ومـا ذُكـر عن مجاهد هو من بعض ضلالهم ، فقد اعتقد السفهاء أن عندهـم علمـاً يستغنـون به عن علـم الأنبياء ، وزعموا أن علومهم العقلية أعلى من علوم الرسل ، فلذلك استكبروا عن اتباعهم .

(٤) أي نزل بالكفـار عقـاب استهزائهـم ، بما جاءهـم به الـرسل الكـرام ، فإن ما جاء به الـرسل هو الهدى والحق .

٥٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا ، سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ .. ﴾ [آية ٨٥] .

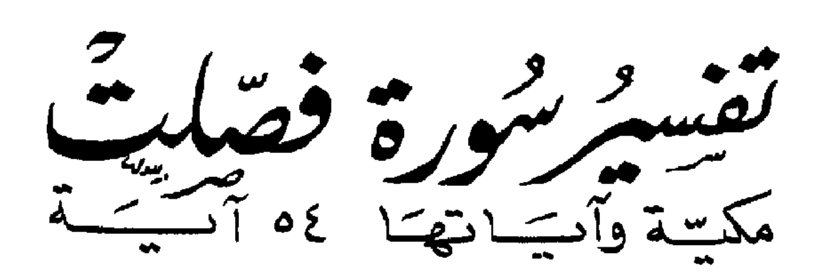
قال قتادة : أي إنهم إذا رأوا العذاب آمنوا ، فلم ينفعهم إيمانهم .

٥٥ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الكَافِرُونَ ﴾ [آية ٨٥] .

وقد كانوا قبلَ ذَلكَ خاسرين ، لأنه تبيَّن خسرانهم ، بأن لحقهم العذابُ ، ولم يُقبل إيمانُهم .

* * *

« انتهت سورة غافر »


تفسير سورة فصلت
مكية وآياتها ٥٤ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فصلت وهي مكية[1]

١ ـــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حمٓ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [آية ١ و ٢] .

الخبرُ عند البصريِّن[1] ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ [آية ٣] .

وقال بعض الكوفيِّن : هَذَا كِتَابٌ .

﴿ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ : أي أنزلت متفرقةً .

وقال الحسن : فصِّلَت بالوعيد[2] .

وقال مجاهد : ﴿ فُصِّلَتْ ﴾ : فُسِّرتْ[3] .

وقال قتادة : بُيِّن حلالُها وحرامُها ، والطاعةُ والمعصيةُ[4] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٧٩/٤ ونقله في البحر ٤٨٣/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٤٠/٧ وهو مذهب البصريين ، وقول الأخفش ، وعلى قولهم يكون المبتدأ قوله تعالى ﴿ تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ والخبر ﴿ كتاب فصِّلت آياته ﴾ وسوَّغ الابتداء به وهو نكرة ﴿ تنزيل ﴾ وصفه بقوله ﴿ من الرحمن الرحيم ﴾ وعند الكوفيين ، هو خبر لمبتدأ محذوف ، أي هذا تنزيل ، وهذا كتاب ، وانظر القرطبي ٣٣٧/١٥ .

(٢ ـــ ٤) الآثار عن الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، ذكرت كلها في البحر المحيط ٤٨٣/٧ وفي تفسير القرطبي ٣٣٧/١٥ وفتح القدير للشوكاني ٥٠٥/٤ وأجمع هذه الأقوال أن معنى ﴿ فُصِّلت آياته ﴾ أي بُيِّنت معانيه ، ووُضِّحت أحكامه ، بطريق القصص ، والمواعظ ، والأحكام . والأمثال ، والوعد ، والوعيد ، فهو في غاية البيان والكمال .

٢ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٣] .

﴿ قُرْآناً عَرَبِيًّا ﴾ أي في حال الاجتماع .

﴿ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ أي لمن يعلم العربية .

﴿ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾ نعتٌ للقرآن(١) .

٣ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ .. ﴾ [آية ٥] .

أي في أغطيةٍ(٢) ، أي ليست تَعِي ما تقولُ .

والوَقْرُ : الصَّمَمُ(٣) .

٤ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ [آية ٥] .

﴿ حِجَابٌ ﴾ أي حاجزٌ .

---

(١) أشار المصنف رحمه الله إلى أن ﴿ قرآناً عربياً ﴾ منصوب على الحال ، أي حال كونه قرآناً عربياً ، واضحاً جلياً ، مبشراً لهم ومنذراً ، فيكون ﴿ بشيراً ونذيراً ﴾ صفة للقرآن ، وقوله : « لمن يعلم العربية » تفسير لقوله تعالى ﴿ لقوم يعلمون ﴾ وهو الأصحُّ من الأقوال كما قال الطبري : لقوم يعلمون اللسان العربي ، وقال الشوكاني : أي يعلمون معانيه ويفهمونها ، وهم أهل اللسان العربي . اهـ. قال القرطبي : والسورة نزلت تقريعاً وتوبيخاً لقريش في بيان إعجاز القرآن .

(٢) « أكنَّة » جمع كنان وهو الغطاء ، قال في المصباح : الكنان : الغطاء وزناً ومعنى ، والجمع أكنة مثل أغطية . اهـ.

(٣) أصل الوقر : الثقل يقال : وقرت الأذن وقراً : ثقل سمعها ، والمعنى : في آذاننا ثقلٌ وصمم يمنعنا من فهم ما تقول .

وهو يزيد على معنى ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ لأن معنى ﴿ قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ ﴾ أي ليس نجيبُكَ إلى شيءٍ ممَّا تدعونا إليه[1] .

ثم قال ﴿ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴾ أي فاعمل في هلاكنا ، فإنَّا عاملون على مثل ذلك[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : فاعمل بدينك ، فإننا عاملون بديننا .

٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ . الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾ [آية ٧] .

قيل : أي لا يؤمنون[3] .

---

(١) الآية وردت بطريق الاستعارة ، فقد كانت حواسهم سليمة « القلوب ، والأسماع ، والأبصار » ليس عليها شيء مما يقولون من الأغطية والحُجب ، ولكنهم لتعاميهم عن الحق . واستثقالهم لكلام الرحمن ، كأن قلوبهم مغطاة في غلاف ، وكأن أسماعهم بها صمم ، وكأن بينهم وبين الرسول حجاب ، فهم لا يفهمون ما يُتلى عليهم من آيات الذكر الحكيم ، قال الشوكاني في فتح القدير ٥٠٦/٤ : وهذه تمثيلات لنبوِّ قلوبهم عن إدراك الحق ، ومجِّ أسماعهم له ، وامتناع المواصلة بينهم وبين رسول الله ﷺ .

(٢) هذا قول الكلبي كما حكاه القرطبي والشوكاني عنه ٥٠٦/٤ والقول الثاني هو الأظهر والأرجح أي اعمل على طريقتك ونحن على طريقتنا ، لا نتابعك ولا نسالمك ، واستمرَّ على دينك فإنّا مستمرون على ديننا ، وهو اختيار ابن كثير .

(٣) هذا القول منسوب إلى ابن عباس كما حكاه الطبري ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، فالمراد عنده تزكية النفس من الشرك ، لا زكاة المال ، قال الطبري ٩٢/٢٤ قال ابن عباس « هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله » فالمراد بالزكاة زكاة الأنفس وتطهيرها » ، والأكثرون على أن المراد بها الزكاة الشرعية وهو قول قتادة ، قال الحافظ ابن كثير ١٥٧/٧ : « وقال قتادة : يمنعون زكاة أموالهم ، وهذا هو الظاهر عند كثير من المفسرين ، واختاره ابن جرير ، وفيه نظر ، لأن إيجاب الزكاة إنما كان في السنة الثانية من الهجرة ، وهذه الآية مكية ، اللهم إلا أن يُقال : إن أصل =

وقال قتادة : الزكاةُ فطرةُ الإسلام ، فمن أدَّاها بَرِئَ ونَجَا ، ومن لم يؤدِّها هَلَكَ .

٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾** [آية ٨] .

قال مجاهد : أي غير محسوبٍ .

قال أبو جعفر : يُقالُ : مَنَنْتُ الشيءَ فهو مَمْنُونٌ ، ومنينٌ ، إذا قطعته ، كما قال :

فَتَرَى خَلْفَهَا مِنَ الرَّجْعِ والوَقْـ
ـعِ مَنِيناً كَأَنَّهُ أَهْبَاءُ[1]

يعني بالمنينِ : الغبارُ المنقطعُ ، الضعيفُ .

ويجوز أن يكون الممنون : يُمَنُّ بِهِ .

٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾** [آية ٩] .

= الزكاة « الصدقة » كان مأموراً به في ابتداء البعثة كقوله تعالى ﴿ وآتوا حقَّه يوم حصاده ﴾ فأما الزكاة ذات المقادير ، فإنما بُيِّن أمرها بالمدينة ، ويكون هذا جمعاً بين القولين » . اهـ. وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ١٩/٤ .

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته التي مطلعها « آذنتنا ببينها أسماءُ » انظر المعلقات العشر للشنقيطي ص ١٣٦ و « أهباء » بفتح الهمزة جمع هبوة وهي الغبار ، وروي بالكسر على المصدرية « إهباء » .

روى **سفيان** ، عن أبي سعيدَ ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، وابن أبي ذيب عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن عبد الله بن سَلَام[1] قالا ــ وهذا معنى قولهما ــ ابتدأ الله جلَّ وعز بخلقِ الأرضين يوم الأحد ، فخلق سبع أرضينَ في يومِ الأحدِ ، ويوم الاثنين .

ثم ﴿ **جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾ أرسَى الجبالَ ، وشقَّ الأنهارَ ، وغرسَ الأشجارَ ، وجعل المنافع في يومين ، يوم الثلاثاء ، ويوم الأربعاء .

﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ** ﴾ فخلقها سبعَ سمواتٍ في يوم الخميس ، ويوم الجمعة .

قال ابن عباس : ولذلك سميت « يوم الجمعة » لأنه اجتمع فيها الخلقُ[2] .

---

(١) هو رئيس أحبار اليهود ، أسلم رضي الله عنه عند هجرته ﷺ للمدينة وكان اسمه في الجاهلية « الحصين » فسمَّاه رسول الله ﷺ حين أسلم عبد الله . وفيه نزل ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم .. ﴾ وهو الذي شهد له رسول الله ﷺ بالجنة ، كما في صحيح البخاري عن سعد قال : (ما سمعت رسول الله يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام) ، انظر ترجمته في أسد الغابة ٣/٢٦٤ .

(٢) هذا الأثر أخرجه أبو الشيخ عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه كما ذكره السيوطي في الدر المنثور ٥/٣٦١ وفيه تفصيل لقوله تعالى ﴿ خلق السموات والأرض في ستة أيام ﴾ ففصَّل هنا ما أجمله هناك ، فذكر أنه خلق الأرض أولاً في يومين لأنها كالأساس ، والأساس يُبدأ به أولاً ، ثم بعده بالسقف فخلق السماء ثانياً في يومين ، وهي تمام أربعة أيام ، ثم دَحَا الأرض فأرسى فيها الجبال ، وشقَّ الأنهار ، وأخرج الزروع والثمار في يومين ، فتمَّ خلق السموات والأرض في ستة =

قال عبد الله بن سلام : قضاهـنَّ سبـع سمواتٍ في آخـر ساعـةٍ من يوم الجمعة ، ثم خَلَق فيها آدم على عَجَـل[1] ، وهـي الساعـةُ التـي تقومُ فيها القيامةُ .

قال أبو جعفـر : معنـى ﴿ **وَبَـارَكَ فِيهَـا** ﴾ على قولهمـا : شقَّ أنهارها ، وغرسَ أشجارَهَا .

وقيل : معنى ﴿ **بَارَكَ فِيهَا** ﴾ : أكثرَ فيها من الأقواتِ[2] .

وقيل : معناه كما يُقال : باركتُ عليه أي قلتُ بورك فيك .

٨ ـــ **قال عكرمة : في قوله تعالى :** ﴿ **وقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾ [آية ١٠] .

جعل اليماني باليمن ، والسَّابريَّ بسابور[3] .

= أيام ، ولو شاء لخلقهن بلمح البصر ، ولكنـه تعـالى أراد أن يعلِّـم العبـاد الحلـم والأنـاة ، وهـذا ملخص قول ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وعلماء السلف .

(١) أشار إلى قوله تعالى ﴿ خُلِقَ الإنسان من عَجَل سأريكم آياتي فلا تستعجلـون ﴾ والمراد بالإنسان آدم عليه السلام .

(٢) قال ابن كثير ٤/١٠١ ﴿ وبارك فيها ﴾ أي جعلها مباركة ، قابلة للخير والبذر والغراس ﴿ وقـدَّر فيها أقواتها ﴾ وهو ما يحتاج إليه أهلها من الأرزاق والبقاع التي تغرس وتـزرع ، يعنـي يوم الثلاثـاء والأربعاء ، فهما مع اليومين السابقين أربعة . اهـ.

(٣) « سَابُـور » بلـدة بفـارس ، بينها وبين شيراز خمسة وعشرون فرسخاً ، تنسب إلى سابـور أحـــد الأكاسرة ، كذا في معجـم البلـدان ٣/١٦٧ وهـذا الأثـر عن عكرمـة ذكـره الـــطبري ٢٤/٩٦ والقرطبي ١٥/٣٤٢ وهو قول الضحـاك ، ونصُّه قال عكرمـة ، والضحـاك : معنـى ﴿ قدَّر فيها أقواتها ﴾ أي أرزاق أهلها ، وما يصلح لمعايشهم من التجارات ، والأشجـار والمنافـع ، فجعـل في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرى ، ليعيش بعضهـم من بعض بالتجارة والأسفار من بلـد إلى بلـد . اهـ. وهذا ما اختاره ابن جرير ، وابن كثير ، وصاحب البحر المحيط .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : جعل فيها ما يُتَعَايَشُ به ، ويُتَّجرُ فيه .

وقيل : ﴿ **أَقْوَاتَهَا** ﴾ ما يُتقوَّت ويُؤْكَل .

وقول ابن عباس ، وابن سلام يحتمل المعنيين ، والله أعلم .

٩ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ** ﴾ [آية ١٠] .

المعنى : في تتمة أربعة أيام[١] .

﴿ **سَوَاءً** ﴾ أي استوت استواءً .

وقال الفراء : هو متعلق بقوله ﴿ **وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا** ﴾ سواءً[٢] .

وقرأ الحسن : ﴿ **سَوَاءٍ** ﴾[٣] بالخفض ، أي في أربعة أيامٍ ، مستويةٍ ، تامةٍ .

وبالإسناد الأول عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **لِلسَّائِلِينَ** ﴾ قال : مَنْ سألك فقال لك : في كَمْ خَلَقَ اللهُ السَّمواتِ والأرض ؟ فقلْ

---

(١) هذا قول الزجاج كما في البحر ٤٨٥/٧ قال : وهذا كما تقول : بنيتُ جدار بيتي في يوم ، وأكملتُ جميعه في يومين أي بالأول ، وقال الطبري ٩٧/٢٤ : لما ورد في الخبر أنه تعالى فرغ من خلق الأرض وجميع أسبابها ومنافعها ، من الأشجار ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والخراب ، في أربعة أيام ، أولهن يوم الأحد ، وآخرهن يوم الأربعاء . اهـ.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ١٣/٣ .

(٣) قرأ الجمهور ﴿ سواءً ﴾ بالنصب على الحال ، وقرأ أبو جعفر بالرفع ، أي هي سواءٌ ، وقرأ الحسن ويعقوب بالجر نعتاً لأربعة أيام ، وانظر النشر ٣٦٦/٢ والبحر ٤٨٦/٧ .

له : في هذا[1] .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا القول : جواباً للسَّائلينَ .

وفيه قول آخر : وهو أن المعنى : وقدَّرَ فيها أقواتها للسائلين أي للمحتاجين ، أي لمن سأل ، لأن الناس يسألون أقواتهم ، وهذا مذهب ابن زيد[2] ، قال : قدَّر ذلك على قَدْرِ مسائلهم ، علم ذلك .

١٠ ــ **وقوله عز وجل : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ .. ﴾** [آية ١١] .

دلَّ على أن خلق السَّماء بعد خلقِ الأرضِ ، وقد قال في موضع آخر ﴿ **وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا** ﴾ ؟ .

ففي هذا أجوبة :

رَوى هارونُ بنُ عَنْتَرَةَ ، عن أبيه[3] ، عن ابن عباس قال : خلق اللهُ الأرضَ أوَّلَ ، ثم خَلَقَ السَّماء ، ثم دَحَا الأرضَ والماءَ بعد

(١) هذا قول قتادة والسدي كما ذكره ابن كثير والطبري ٢٤/٩٧ قال الطبري ﴿ سواءً للسائلين ﴾ أي لمن سأل عن مبلغ الأجل ، الذي خلق الله فيه الأرض ، وجعل فيها الرواسي والبركة ، وقدر فيها الأقوات ، وجده كما أخبر الله أربعة أيام ، لا يزدن على ذلك ولا ينقصن . اهـ.

(٢) قول ابن زيد ذكره الطبري ٢٤/٩٧ وابن كثير ٧/١٥٥ وصاحب البحر المحيط ٧/٤٨٦ وقول ابن عباس والسدي أظهر ، لأن السؤال للسائلين عن مقدار الخلق ، لا للطالبين للقوت والرزق .

(٣) هارون بن عنترة وكنيته « أبو عمرو » بن عبد الرحمن الشيباني بن أبي وكيع الكوفي توفي سنة ١٤٢هـ ذكره ابن حبان في الثقات ، قال أحمد بن معين ثقة ، وانظر تهذيب التهذيب ١١/٩ .

ذلك ، قال : « دَحَا » أي بسط[1] .

وقيل : **المعنى** : ثم أخبـرُكم بهذا ، كما قال جلَّ وعـزَّ ﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾ وهو في القرآن كثير[2] .

وقيل : ﴿ **ثُمَّ** ﴾ ههنا بمعنى الواو ، وهذا لا يصحُّ ولا يجوز .

والجوابان حسنان جيِّدان .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾** [آية ١١] .

في هذا أجوبة :

(١) أشار المصنف إلى الجمع بين تعارض النصوص في الظاهر ، فإن قوله تعالى ﴿ أأنتم أشد خلقاً أم السماء بناها .. ﴾ ثم قال ﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ يدلُّ على أن الأرض خُلقت بعد السماء ، وفي سورة السجدة ﴿ قُلْ أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين .. ﴾ وبعد أن فصَّل خلق الأرض قال ﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ وهذا يدلُّ على أن السماء خلقت بعد الأرض ، فظاهر النصوص التعارض ، وقد أشكل هذا على بعض التابعين ، حتى سأل ابن عباس كما في صحيح البخاري ١٥٩/٦ فأزال له الإشكال بقوله : خلق الله الأرض في يومين ، ثم خلق السماء في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض فأخرج منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجماد والآكام ، وما بينهما في يومين آخرين ، فخلقت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين . ثم قال للسائل : فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلاً من عند الله عز وجل » . اهـ. وخلاصة القول أن الأرض خلقت قبل السماء ثم دحيت بعد خلقها . وانظر تفسير ابن كثير ١٥٤/٧ والتسهيل لعلوم التنزيل ٢٠/٤ .

(٢) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ ليست « ثم » للتراخي الزماني ، بل هي لترتيب الأخبار ، فكأنه قال : خلقت كذا ثم أخبركم بهذا ، وله شواهد كثيرة في القرآن الكريم .

أ ـــ منها أن اللهَ جل وعزَّ ، جعل فيهما ما يُميزان ، ويُجيبان عما قيل لهما .

ب ـــ **وقال محمد بن يزيد** : هذا إخبارٌ عن الهيئة ، أي صارتا في هيئة من قال ، أي هو كما قال : « امتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي »[(١)] .

أي حسبي ، أي صار في هيئة من يقول .

وقيل : أخبرنا اللهُ عز وجل بما نعرفُ ، من سرعة الإجابة ، وقد علمنا أنه ليس شيء أسرعَ ، من أن يُقَالَ للإنسان : افْعَلْ ، فيقولُ : قد فعلتُ .

فأخبر اللهُ جلَّ وعزَّ ، عن إجابة السموات والأرض ، إلى أمره جلَّ وعزَّ .

فأمَّا قوله تعالى ﴿ **طَائِعِينَ** ﴾ ولم يقل : « طائعات » فقال فيه الفراء معناه : أتينا بمن فينا طائِعِينَ [(٢)] .

---

(١) من المعلوم أن الحوض لا يتكلم وإنما هو من باب التمثيل كأنه بلسان الحال يقول : قد امتلأت فكفاني ، وهذا قول بعض المفسرين ، وهو مثل قول بعضهم : قال الحائط للمسمار لم تشقني ؟ قال : سل من يدقُّني ، وذهب البعض إلى أن الله خلق للسموات والأرض قدرة على الكلام ، فقالتا على الحقيقة ﴿ أتينا طائعين ﴾ وهذا غير مستحيل على قدرة الله جل وعلا .

(٢) عبارة الفراء في معاني القرآن ١٣/٣ : لم يقل « طائعتين » ولا « طائعاتٍ » لأنه ذُهِبَ به إلى السموات ومن فيهنّ ، وقد يجوز أن تقولا ـــ وإن كانتا اثنتين ـــ أتينا طائعين ، فيكونان كالرجال لما تكلَّمتا . اهـ.

قال أبو جعفر : الأحسن في هذا ــ وهو مذهبُ جلَّة النحويِّين ــ أنه جل وعز ، لمَّا أخبر عنها بأفعال ما يَعْقِلُ ، جاء فيها بما يكون لمن يعقل ، كما في قوله تعالى ﴿ **والشَّمْسَ والقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** ﴾[1] .

فأما الكسائي فأجاز في كل شيء ، أن يُجمع بالواو والنون ، والياء والنون ، وهذا لا يُعرَّجُ عليه .

١٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ .. ﴾** [آية ١٢] .

﴿ **فَقَضَاهُنَّ** ﴾ أي أحكمهنَّ ، كما قال الشاعر :

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا
دَاوُدُ ، أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ تُبَّعُ[2]

١٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا .. ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٤ والشاهد فيها أن الكواكب ، والشمس ، والقمر ، لا عقل لها ، ولمَّا أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة ، والسجود ، وهما من أفعال من يعقل ، أخبر عنها بخبر من يعقل فقال ﴿ ساجدين ﴾ قال القرطبي : والعرب تجمع ما لا يعقل جمع من يعقل إذا أنزلوه منزلته . اهـ .

(٢) البيت لابن أبي ذؤيب الهُذلي في شرح أشعار الهذليين ٣٩/١ وهو من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن ١٤٣/٢ وذكره القرطبي ٣٤٥/١٥ والطبري ٦٧/٢٢ والشاهد « قضاهما » أي فرغ من عملهما ، والصَّنَعُ بفتحتين : الحاذق . أي كأنهما من صنع داود عليه السلام أو من صنع تُبَّع ملك اليمن العظيم .

رَوى ابن أبي نجيح[1] عن مجاهد قال : ما أَمَرَ ، وما أراده[2] .

وروى سعيدٌ عن قتادة قال : خلقَ شمسَها ، وقمرَها ، ونجومَها ، وأفلاكَها[3] .

قال أبو جعفر : القولان متقاربان ، وكأنَّ المعنى ـــ والله أعلم ـــ وأوحى في كلِّ سماءٍ إلى الملائكة ، بما أراد من أمْرِهَا .

١٤ ـــ ثم قال جل وعزَّ : ﴿ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً .. ﴾ [آية ١٢] .

أي وحفظناها حفظاً[4] من الشياطين بالكواكب .

والمعنى : أئنكم لتكفرون بمن هذه قدرتُه ، وتجعلون له أمثالاً

---

(١) « ابن أبي نجيح » هو عبد الله بن يسار مولى ابن عمر كما في تقريب التهذيب ٥٢٩/٢ وقال الرازي في الجرح والتعديل ٢٠٣/٥ : عبد الله بن أبي نجيح ، واسم أبي نجيح يسار ، مولى الأخنس الثقفي ، قال يحيى بن معين : ابن أبي نجيح ثقة ، وقال أبو زرعة : « عبد الله بن أبي نجيح » مكيٌّ ثقة . اهـ. من كتاب الجرح والتعديل للرازي .

(٢) عبارة الطبري ٩٩/٢٤ وعن مجاهد ﴿ وأوحى في كل سماء أمرها ﴾ قال : ما أمر الله به وأراده ، وبنحوه في تفسير ابن الجوزي ٢٤٦/٧ .

(٣) الطبري ٩٩/٢٤ والقرطبي ٣٤٥/١٥ وذكر أنه قول السدي أيضاً وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما ، ولفظه قال قتادة والسدي : خلق فيها شمسها ، وقمرها ، ونجومها ، وأفلاكها ، وخلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي فيها من البحار ، وجبال البرد ، والثلوج . اهـ. وفي التسهيل : أي أوحى إلى سكانها من الملائكة وإليها نفسها ما شاء من الأمور .

(٤) قوله ﴿ وحِفْظاً ﴾ مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره : وحفظناها حفظاً كما أشار المصنف ، ويجوز أن يكون مفعولاً لأجله أي من أجل الحفظ من الشياطين ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٢١/٤ .

ممَّا تنحتون بأيديكم[1] ؟

١٥ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمُودَ .. ﴾ [آية ١٣] .

أي فإن أعرضوا عن التوحيد ، وما جئتَ به ﴿ فَقُلْ أَنْذَرتكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمُودَ ﴾ أي أنذرتكم أن ينزل بكم عذابٌ ، كما نَزَلَ بهم .

﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ﴾ يعني من جاء قبلهم ، كما قال تعالى ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[2] .

ثم قال ﴿ ومِنْ خَلْفِهِمْ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : أن المعنى : ومن بعد كونهم[3] .

---

(١) الآيات سيقت للتوبيخ والتشنيع على المشركين ، الذين جحدوا وحدانيته رب العالمين ، وأشركوا معه غيره من الأوثان والأصنام ، وكأنها تقول : كيف تكفرون بمن أوجد العالم ، علويَّه وسفليَّه ، وهو الإله العليُّ الشأن ، الذي خلق الكون بما فيه من شموس وأقمار ، وبحار وأنهار ، وسموات وأرضين ، وزيَّن السماء بالنجوم الزاهرة ، فكيف يجوز جعل الأصنام الخسيسة التي لا تسمع ولا تنفع ، شركاء مع الله في الإلهية والمعبودية ؟ أفليس لكم عقول تدركون بها فساد هذا الرأي ؟!

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣ .

(٣) الضمير على القول الأول ﴿ من بين أيديهم ومن خلفهم ﴾ يعود على المشركين ، أي إن الرسل جاءوهم في الزمن المتقدم ، والزمن المتأخر ، ولم تنقطع رسالة المرسلين ، لا في السابق ولا في اللاحق ، قال ابن عطية : المعنى : إن الرسل جاءوهم في الزمان المتقدم ، واتصلت إنذاراتهم إلى زمن عاد وثمود حتى قامت الحجة عليهم ﴿ من بين أيديهم ﴾ ثم جاءتهم رسل آخرون عند اكتمال أعمارهم فذلك قوله ﴿ ومن خلفهم ﴾ . اهـ . وهذا هو الأظهر وهو قول ابن عباس واختيار ابن جرير الطبري .

والقول الآخر : أن يكون الضمير يعودُ على الرُّسُل[1] .

١٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً .. ﴾ [آية ١٦] .

روى ابنُ أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ قال : شديدة السَّموم[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة قال : باردة[3] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أبينُ ، وكذا قال عطاء ، لأن ﴿ صَرْصَراً ﴾ مأخوذ من صِرٍّ ، والصِّرُّ في كلام العرب : البردُ ، كما قال الشاعر :

لَهَا غُدُرٌ كَقُرُونِ النِّسَا
ءِ رُكِّبْنَ فِي يَوْمِ رِيحٍ وَصِرٍّ[4]

وليس القولان بمتناقضَيْنِ ، لأنه يُروى أنها كانت ريحاً باردة ،

---

(١) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٣/١٣ حيث قال : الهاء والميم في قوله ﴿ خلفهم ﴾ للرسل أي أتت الرسل آباءهم ، من كان قبلهم ، وجاءتهم أنفسهم رسل من بعد أولئك الرسل . اهـ.

(٢ ــ ٣) الأثران عن مجاهد وقتادة ذكرهما الطبري في تفسيره ٢٤/١٠٢ والقرطبي ١٥/٣٤٧ قال ابن كثير ٧/١٥٨ : والحق أنها متصفة بجميع ذلك ، فإنها كانت ريحاً شديدة قوية ، شديدة البرد ، ذات صوت مزعج . اهـ. وقال الفراء في معاني القرآن ٣/١٣ : كانت باردة ، تحرق كما تحرق النار .

(٤) البيت لامرىء القيس كما في ديوانه ص ٨١ و « غُدُر » جمع غديرة ، وهي ذؤابة الشعر ، أو شعر بالناصية ، وقد جاء في المخطوطة « غُذَرٌ » بالذال المعجمة ، وهو تصحيف ، وكذلك في القرطبي ١٥/٣٤٧ والشاعر يصف فرسه بأن لها ذوائب فيها شعرات كثيرة منتشرة ، ذاهبة هنا وهناك ، كأن الريح لعب بها في يوم بارد .

تُحرق كما تُحرق النار .

وقــد قال أبــو عبيــدة : ﴿ صَرْصَرٌ ﴾ شديــدةُ الصَّوتِ عاصف[1] .

وقد رُوي عن مجاهد : شديدة الشؤم[2] .

١٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ .. ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد : أي مشائيم .

وقال قتادة : مشئوماتٍ ، نَكِدات[3] .

١٨ ــ وقوله جل وعـز : ﴿ وَأَمَّـا ثَمُـودُ فَهَدَيْنَاهُـمْ فَاسْتَحَبُّـوا العَمَـى عَلَـى الهُدَى .. ﴾ [آية ١٧] .

---

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١٩٦/٢ واستشهد بقول ابن ميادة :

أَشَاقَكَ المَنْــــزِلُ وَالمَـــــحْضَرُ　　　أَوْدَتْ بِهِ رَيْدَانَـــــــــــةٌ صَرْصَرُ

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن مجاهد كما في الدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/٥ وهذا القول في الحقيقة تفسير لقوله « نحساتٍ » وليس تفسيراً لـ « صرصر » فلم يرد في لغة العرب أن « صرصراً » بمعنى المشئوم وإنما قال أهل اللغة : ريح صِرٌّ وصَرْصَرٌ أي شديدة البرد ، وقيل : شدَّة الصوت كذا في اللسان ، وقال الأزهري (ريح صرصر) أي شديـــدة البرد جداً ، وريح صِرٌّ أي فيها تصويت وحركة .. إلخ. ولعل التبس على الراوي عن مجاهد ، ففهم من كلامه في تفسير قوله ﴿ في أيام نحسات ﴾ أي مشئومات شديدة الشؤم ، أن هذا تفسير لقوله « صرصر » والله أعلم .

(٣) قول مجاهد وقتادة ذكرهما اهل التفسير ، ومؤداهما واحد ، أنها أيام مشئومات غير مباركات ويؤيده قوله تعالى ﴿ في يوم نحس مستمر ﴾ من النحس وهو ضدُّ السعد ، استمر عليهم نحسه ودماره ، لأنه اتصل عذابهم الأخروي بالعذاب الدنيوي كما قال الحافظ ابن كثير ١٠٢/٤ .

روى **عليٌّ بن أبي طَلْحَة عن ابن عباسٍ قال** : بيَّنَّا لهم[1] .

قال أبو جعفر : بيَّنَّا لهم الخيرَ ، والشَّرَّ ، قال سبحانه ﴿ **إنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ . إمَّا شَاكِراً وإمَّا كَفُوراً** ﴾[2] وكما قال تعالى ﴿ **وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ** ﴾[3] .

قال علي بن أبي طالب : الخيرُ ، والشرُّ .

و ﴿ **الهُونُ** ﴾ : الهَوانُ[4] .

١٩ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوْزَعُونَ** ﴾ [آية ١٩] .

قال أبو الأحوص[5] **وأبو رُزينٍ ، ومجاهدٌ ، وقتادةُ** : أي يُحبس أوَّلُهم على آخرهم[6] .

---

(١) هذه هداية دلالة وبيان ، لا هداية إرشاد للإيمان ، فهي كما قال ابن عباس ﴿ فهديناهم ﴾ أي دللناهم وبينا لهم طريق الخير والشر ، ولو كانت هداية إيمان لما كفروا بالرحمن قال في التسهيل ٢٢/٤ ﴿ وأما ثمود فهديناهم ﴾ أي بيّنا لهم فهو بمعنى البيان لا بمعنى الإرشاد . اهـ.

(٢) سورة الدهر آية رقم ٣ .

(٣) سورة البلد آية رقم ١٠ .

(٤) قال في الصحاح : الهَوْن : السكينة والوقار ، والهُونُ بالضم : الهوانُ والذلُّ ، وأهانه : استخف به ، والاسم الهَوَان . اهـ.

(٥) أبو الأحوص : هو « عوف بن مالك الجُشمي » كوفي ثقة من الطبقة الثالثة ، انظر ترجمته في تقريب التهذيب ٩٠/٢ وتهذيب التهذيب ١٦٩/٨ .

(٦) الطبري ١٠٦/٢٤ والقرطبي ٣٥٠/١٥ قال الفراء في معاني القرآن ١٥/٣ : « يُوزَعون » من وَزَعتُ ومعنى وزعتُه : حبستُه وكففته ، وجاء في التفسير : يُحبس أولهم على آخرهم حتى يدخلوا النار . اهـ. وكذلك قال ابن كثير : تجمع الزبانية أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا .

قال أبو الأحوص : فإذا تكاملت العِدَّةُ ، بُدِئ بالأكابر فالأكابر جُرْماً .

قال أبو جعفر : يُقال : وَزَعَه ، يَزِعُه ، وَيَزَعُه : إذا كفَّه ، ومنه « لَمَا يَزَعُ السُّلطانُ ، أكثر مما يَزَعُ القرآن »(١) ومنه « لَا بُدَّ للنَّاسِ من وَزَعَةٍ »(٢).

٢٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إذَا مَا جَاءُوها شهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ ، وأَبْصَارُهُم ، وجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

قال الفراء : الجِلْدُ ههنا ــ واللهُ أعلمُ ــ الذَّكَرُ ، كُنِّي عنه(٣) ، كما قال تعالى ﴿ **أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ** ﴾ والغائطُ : الصَّحْرَاءُ .

قال أبو جعفر : وقال غيرهُ : هو الجِلْدُ بعينِهِ .

وروى أبو الأحوص ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : يجادل المنافقُ عِند الميزان ، ويَدْفع الحقَّ ، ويدَّعِي الباطلَ ، فيختَمُ على فيه ، ثم

(١) هذا مما اشتهر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه من كلامه : « إن الله لَيَزَع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن » أي يكفُّ ويمنع .

(٢) هذا من الأقوال المأثورة عن الحسن البصري ، فقد قال : « لا بد للناس من وازع » أي سلطان يكفُّهم ، ذكره الجوهري في الصحاح .

(٣) ذكره الفراء في معاني القرآن ١٦/٣ ونقله الطبري عن بعضهم واستبعده ، لأنه خلاف المشهور الأغلب ، وانظر جامع البيان ١٠٦/٢٤ .

تُسْتَنْطَقُ جوارحُهُ ، فتشهد عليه ، ثم يُطْلَق عنه فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسُحْقاً ، إنما كُنتُ أجادلُ عنكنَّ[1] .

٢١ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ وقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ .. ﴾** [آية ٢١] .

هذا تمامُ الكلام .

٢٢ ــ **ثم قال : ﴿ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾** [آية ٢١] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ قال : تَتَّقُونَ[2] .

---

(١) هذا الأثر عن ابن مسعود ورد في حديث أخرجه مسلم عن أنس بن مالك ٢٢٨٠/٤ ولفظه : (قال كنا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال : هل تدرون ممَّ أضحك ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم ، قال : من مخاطبة العبد ربه ، يقول يا ربِّ : ألم تُجِرْني من الظلم ؟ قال يقول : بلى ، قال فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني ، قال فيقول : كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً ، وبالكرام الكاتبين شهوداً ، قال : فيُختم على فيه فيقال لأركانه ــ يعني جوارحه ــ انطقي ، فتنطق بأعماله ، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلام ، فيقول : بُعْداً لكُنَّ سُحْقاً ، فعنكنَّ كنتُ أناضلُ) أي أدافع وأجادل . وفي حديث أبي هريرة برواية مسلم أيضاً : « ثم يُقال : الآن نبعث شاهدنا عليك ، ويتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد عليَّ ؟ فيُختم على فيه ، ويُقال لفخذه ولحمه وعظامه : انطقي ، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله ، وذلك ليُعذر من نفسه ، وذلك المنافق الذي سخط الله عليه » وانظر القرطبي ٣٥٠/١٥ وتفسير ابن الجوزي ٢٥٠/٧ .

(٢) الأثر في الطبري ١٠٨/٢٤ والقرطبي ٣٥٢/١٥ قال : و ﴿ تستترون ﴾ أي تستخفون في قول أكثر العلماء ، أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم ، حذراً من شهادة الجوارح عليكم . اهـ. قال البيضاوي ومعنى الآية : كنتم تستترون عن الناس مخافة الفضيحة ، وما ظننتم أن أعضاءكم تشهد عليكم فما استخفيتم منها . اهـ.

قال أبو جعفر : **المعنى** : وما كنتم تستترون ، من أن يشهدَ عليكم سمعكُمْ .

قال عبد الله بن مسعودٍ : كنتُ مستتراً بأستار الكعبة ، فجاء ثقفيٌّ وقرشيَّان ، كثيرٌ شحمُ بطونهم ، قليلٌ فقهُ قلوبهم ، فتحدثوا بينهم بحديث ، فقال أحدهم : أترى اللهُ يسمعُ ما نقولُ ؟ فقال الآخرانِ : يسمعنا إذا جهرنا ، ولا يسمعنا إذا خافتنا ، وقال الآخر : إن كان يسمعنا إذا جهرنا ، فهو يسمعنا إذا خافتنا(١) .

٢٣ ــ فأنزل الله جلَّ وعزَّ : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ ، وَلَا أَبْصَارُكُمْ ، وَلَا جُلُودُكُمْ .. ﴾ إلى قوله **﴿ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾** [آية ٢٢ إلى ٢٤] .

وروى بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿ أنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ .. ﴾ قال : (تُدْعَونَ يوم القيامة ، مُفَدَّمةً أفواهُكُمْ

(١) الحديث من رواية ابن مسعود أخرجه البخاري ١٦١/٦ ومسلم ١٢١/٨ والترمذي ٣٥٠/٥ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٣٨١/١ وأورده الطبري ١٠٩/٢٤ والواحدي في أسباب النزول ص ٢١٣ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وابن الجوزي ٢٥٠/٧ وذكر ابن الجوزي عن ابن عباس قال : كان الكفار يقولون : إن الله لا يعلم ما في أنفسنا ، ولكنه يعلم ما يظهر ، فنزلت الآية .

بِفدَام[1] ، فأوَّل مَا يُبينُ عن الإنسان ، فخذُه وكفُّهُ)[2] .

٢٤ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾** [آية ٢٣] .

أي حين ظننتم أنه لا يسمعكم .

وفي الحديث عن النبي ﷺ قال الله (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ..)[3] ومعنى ﴿ **أرداكم** ﴾ : أهلكَكُمْ[4] .

٢٥ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ ، وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ المُعْتَبِينَ ﴾** [آية ٢٤] .

---

(١) قال في الوسيط : الفِدَام ما يوضع على الفم سِدَاداً له ، وكذلك في لسان العرب مادة (فَدَمَ) .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٤٤٧/٤ بلفظ (تأتون يوم القيامة ، وعلى أفواهكم الفِدَام ، وأوَّل ما يُعرب عن أحدكم فخذه ..) الحديث ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، والنسائي ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في البعث ، عن معاوية بن حَيدة ، وفيه زيادة (وأول ما يُعرب عن أحدكم فخذُه ، وكفُّه) وتلا رسول الله ﴿ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ﴾ .

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التوحيد ١٤٨/٩ ولفظه (أنا عند ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي ..) الحديث ، وأخرجه مسلم في التوبة رقم ٢٦٧٥ والترمذي في الزهد رقم ٢٣٨٨ وقال : حديث حسن صحيح ، وأحمد في المسند ٢١٠/٣ .

(٤) قال أهل اللغة ﴿ أَرْدَاكم ﴾ أي أهلككم ، من الرَّدى بمعنى الهلاك ، وانظر اللسان ، والصحاح ، والمصباح .

والنَّارُ مثوى لهم صبروا أو لم يصبروا ؟ ففي هذا جوابان :

أحدهما أن المعنى : فإن يصبروا في الدنيا ، على أعمال أهل النار ، كما قال سبحانه ﴿ **فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ** ﴾[1] فالنَّارُ مثوىً لهم ﴿ **وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا** ﴾ في النَّارِ .

وقيل : ﴿ **وَإِنْ يَسْتَعتِبُوا** ﴾ في الدنيا ، وهم مقيمون على كفرهم .

والجوابُ الآخرُ : فإن يصبروا في النَّار أو يجزعوا ، فالنَّارُ مثوىً لهم[2] ، ويكون قوله ﴿ **وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا** ﴾ يدلُّ على الجَزَعِ ، لأن المُسْتَعْتِبَ جَزِعٌ .

٢٦ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ ، فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ..** ﴾ [آية ٢٥] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٥ وتمامها ﴿ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة . فما أصبرهم على النار ﴾ ؟!

(٢) في الكلام حذف تقديره : فإن يصبروا أو لا يصبروا ، فالنار مثوى لهم ، كقوله تعالى ﴿ اصْبِروا أو لا تَصْبِروا سوَاءٌ عَلَيكم ﴾ والأسلوب ورد مَورد التهكُّم ، ومعنى الآية : إن يصبروا على العذاب ـ ولا يُنتج الصبر لهم فَرَجاً وخلاصاً ـ فالنار مسكنهم ومنزلهم ، لا محيص لهم عنها ولا محيد ، وإن يطلبوا إرضاء الله فما هم من المقبولين المرضيِّ عنهم ، قال القرطبي : العُتْبى : رجوع المعتوب عليه إلى ما يُرضي العاتب ، تقول : استعتبته فأعتبَني أي استرضيته فأرضاني ، ومنه قول النابغة :

فإنْ أَكُ مَظْلوماً فَعَبْدٌ ظَلَمْتَهُ ... وإنْ تكُ ذَا عُتْبَى فَمِثْلُكَ يُعْتِبُ

قال **مجاهد** : يعني الشياطين[1] .

قال **أبو جعفر** : معنى قيَّضْتُ له كذا : سبَّبْتُه له ، من حيثُ لا يحتسبُ .

٢٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾** [آية ٢٥] .

أي ما يعملونه من المعاصي **﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾** : وما عزموا على أن يعملوه .

٢٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَـٰذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ .. ﴾** [آية ٢٦] .

وقرأ عيسى ، وابن أبي إسحاق ﴿ والْغُوا ﴾ بضم الغين[2] .

حكى الكسائي : لَغَا يَلْغُو ، وعلى هذا **﴿ وَالْغُوا فِيهِ ﴾** .

وحَكَى : لغا يَلْغَى ، ولَغِيَ يَلْغَى ، والمصدرُ على هذا مقصورٌ .

روى داودُ بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال :

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١١/٢٤ والقرطبي ٣٥٤/١٥ والدر المنثور ٣٦٢/٥ عن مجاهد ، و ﴿ قرناء ﴾ جمع قرين ، وهو الصاحب الملازم ، والمراد بهم قرناء السوء ، من الجن والإنس قال النقاش أي هيأنا هم شياطين ، وسلطنا عليهم قرناء ، يزينون لهم المعاصي ، وهؤلاء القرناء من الجن والشياطين ، ومن الإنس أيضاً . اهـ. القرطبي ٣٥٤/١٥ .

(٢) عدَّها أبو الفتح ابن جني في المحتسب ٢٤٦/٢ من القراءات الشاذة ، وقراءة الجمهور ﴿ والْغَوْا فيه ﴾ بسكون الواو ، قال ابن جني : اللغْوُ : اختلاط القول في تداخله ، يُقال : لَغَا يَلْغُو فهو لَاغٍ ، ومنه حديث (من قال في الجمعة صَهْ فقد لغا) . اهـ. وقراءة الجمهور من لَغِيَ ، يَلْغَى ، أو لَغَوْتُ ، اَلْغُو ، والْغَى ، أفاده الهروي ، أي فيجيء الأمر « الْغَوْا » بالسكون .

كان النبي ﷺ بمكة إذا قرأ رفع صوته ، فتطردُ قريشٌ عنه النَّاسَ ، ويقولون : ﴿ لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ وإذا خافتَ بقراءته لم يُسمع من يريد ، فأنزل الله جل وعز ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ، وابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴾[1] .

وروى ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ قال : بالمكَاءِ ، والتصفيق ، والتخليط على رسول الله ﷺ إذا قرأ ، كانت قريش تفعله[2] .

قال أبو جعفر : اللَّغوُ في اللغة : ما لا يُعْرَفُ له حقيقة ، ولا يحصل معناه ، فمعنى ﴿ وَالْغَوْا فِيهِ ﴾ : أي عارضوه باللَّغْوِ[3] .

٢٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الخُلْدِ .. ﴾ [آية ٣٨] .

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ١١٠ والأثر أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري بنحوه ١١٢/٢٤ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٢/٥ بلفظه ، وروى أيضاً عن ابن عباس ﴿ والْغَوْا فيه ﴾ قال بالتصفير ، والتخليط عليه في المنطق .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١١٢/٢٤ وابن كثير ١٦٣/٧ والقرطبي في جامع الأحكام ٣٥٦/١٥ .

(٣) أحسن ما قيل في تفسير الآية قول الضحاك : أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول ، وارفعوا أصواتكم بالصياح ، حتى لا يسمعه أحد .

أقول : وهذا مما يدلُّ بوضوح على تأثير القرآن الكريم على نفوس المشركين ، فكانوا يتوقَّوْن هذا التأثير في نفوس المستمعين ، بإحداث الضجيج والصفير ، ورفع الأصوات عند تلاوة القرآن ، فذمَّهم الله على هذا الصنيع ، وتوعَّدهم بالعذاب الشديد بقوله ﴿ فلنذيقنَّ الذين كفروا عذاباً شديداً ، ولنجزينهم أسوء الذي كانوا يعملون ﴾ .

المعنى : ذلك العذابُ الشديدُ ، جزاءُ أعداءِ اللهِ ، ثم بيَّن الجزاء فقال : ﴿ **النَّارُ لهم فيها دَارُ الخُلْدِ** ﴾ .

والنَّـارُ هي دارُ الخُلْـدِ ، والعـربُ تفعـل هذا على التوكيـد[1] كما قال :

أَخُــو رَغَائِبَ يُعْطِيهَــا وَيُسْأَلُهَــا
يَأْبَى الظُّلَامَةَ مِنْهُ النَّوْفَلُ الزُّفَرُ[2]

وهُـوَ هُوَ ، كما يُقـال لك : في هذا المنـزل دارٌ واسعـةٌ ، وهـو الدَّارُ .

ولا يجوز عنـد الكوفـيين ، حتـى يُخالـفَ لفـظُ الثـاني لفـظَ الأول ، لا تقول على قولهم : في هَذَا المنزلِ منزلٌ حسنٌ ، على أن الثاني الأول ، وهو عند البصريين كلُّه جيِّدٌ .

وفي قراءة عبد الله بن مسعـود ﴿ **ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ النَّارُ دَارُ الخُلْدِ** ﴾[3] .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٨٥/٤ أنها جاءت على التوكيد ، قال : النار هي الدار ، ولكنه كما تقول : لك في هذه الدار دار السرور ، وأنت تعني الدار بعينها . اهـ. وكذلك قال الفراء ١٧/٣ هي النار بعينها اختلف لفظاهما .

(٢) البيت لأعشى باهلة ، من مرثيته في أخيه لأمه وهو في ديوانه ص ٢٧٦ التي مطلعها « هاج الفؤاد على عرفانه الذكر » . وذكره في خزانة الأدب ١٨٥/١ وفي الأصمعيات ص ٨٩ وجمهرة أشعار العرب ، واستشهد به ابن الجوزي في زاد المسير ٢٥٣/٧ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة ذكرها الطبري ١١٣/٢٤ وذكرها القرطبي ونسبها إلى ابن عباس ٣٥٦/١٥ قال : وترجم بالدار عن النار . اهـ. أي النار هي دار الخلد .
أقول : ليست هذه القراءة من القراءات السبع المشهورة بل هي شاذة .

٣٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا .. ﴾** [آية ٢٩] .

قال حَبَّةُ العُرَنِيُّ ، وعُقْبَةُ الفَزَارِيُّ سُئل عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام عن قوله جلَّ وعز ﴿ **أَرِنا اللَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الجِنِّ والإِنْسِ** ﴾ فقال : هما إبليسُ الأبالسة ، وابنُ آدَمَ الَّذي قَتَلَ أخاهُ ، وكذلكَ رُوي عن ابن مسعودٍ ، وابن عباس(١) .

٣١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا .. ﴾** [آية ٣٠] .

قال مجاهد وإبراهيمُ : قالوا « لا إله إلَّا اللهُ » ثم استقاموا .

رُوِي عن أبي بكر الصِّدِّيق أنه قال لهم : ما معنى ﴿ **ثم استقاموا** ﴾ ؟ فقالوا : لم يعصُوا الله ، فقال : لقد صعَّبتُم الأمرَ ، إنما هو استقاموا ، على ألَّا يُشركوا باللهِ شيئاً(٢) .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٣/٢٤ وابن كثير ١٦٣/٧ والقرطبي ٣٥٧/١٥ قال القرطبي : ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع « ما من مسلم يُقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم الأوَّل كفلٌ من ذنبه ، لأنه أول من سنَّ القتل » أخرجه الترمذي . وقال الفراء في معاني القرآن ١٨/٣ يقال : إن الذي أضلهم من الجن إبليس ، ومن الإنس قابيل الذي قتل أخاه ، فهو أول من سنَّ الضلالة من الإنس .

(٢) الأثر في الطبري ١١٤/٢٤ وابن كثير ١٦٤/٧ ولفظه قال : لقد حملتموها على غير المحمل ، قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، فلم يلتفتوا إلى إله غيره ، وذكره القرطبي ٣٥٨/١٥ وفي البحر ٤٩٦/٧ قال الصدِّيق : استقاموا على التوحيد ولم يضطرب إيمانهم . اهـ.

وقال مجاهد وإبراهيم : ﴿ ثُمَّ استقاموا ﴾ : لم يُشركوا[1] .

وقال الزهري : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه **﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾** على طاعةِ اللهِ عزَّ وجل ، ولم يَروغُوا رَوَغانَ الثَّعْلَبِ[2] .

وروى معمرٌ عن قتادة ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ قال : على طاعةِ اللهِ[3] .

قال أبو جعفر في الحديث عن النبي ﷺ : (استقيموا ولَنْ تُحْصُوا)[4] أي استقيموا على أمر الله وطاعتِهِ .

٣٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا .. ﴾ [آية ٣٠] .

قال مجاهد : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِم المَلَائِكَةُ ﴾ عند الموت ، أن لا تخافوا ولا تحزنوا[5] .

(١ ــ ٣) هذه الآثار عن السلف كلها مذكورة في كتب التفسير ، الطبري ٢٤/١١٥ وابن كثير ٧/١٦٥ والبحر المحيط ٧/٤٩٦ وأجمعها أن المراد : استقاموا على شريعة الله ودينه ، في عقيدتهم وسلوكهم ، وأخلاقهم ، وأفعالهم ، وأقوالهم ، فكانوا مؤمنين حقاً ، مسلمين صدقاً ، وهذا ما اختاره الإمام القرطبي ، وهو الأظهر والأرجح ، والله أعلم .

(٤) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه رقم ٢٧٤ في الطهارة ، وأحمد في المسند ٥/٢٨٢ ولفظه (استقيموا ولن تُحصوا ــ أي لن تطيقوا بلوغ الكمال ــ واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة ، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) ، ورواه مالك في الموطأ في كتاب الطهارة من حديث ثوبان رقم ٣٦ .

(٥) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٢٤/١١٦ وابن كثير ٧/١٦٥ والقرطبي ١٥/٣٥٨ وهو قول السدي ، وابن عباس ، وابن أسلم ، وقال قتادة ومقاتل : تتنزل عليهم الملائكة عند قيامهم من =

رَوَى سفيانُ عن زيدِ بنِ أسلَمَ قال : لا تخافوا ما أمامكم من العذاب ، ولا تحزنوا على ما خلفَكُمْ من عيالكم ، وضيعتكم ، فقد خُلِقتُمْ فيها بخير .

وفي قراءة ابن مسعود : ﴿ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلَائِكَةُ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[١] .

قال زيدُ بنُ أسلم : يُقال لهم هذا عند الموت[٢] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً .. ﴾ [آية ٣٣] .

في معناه ثلاثة أقوال :

فمذهب الحسن : أنها عامةٌ لجميع المؤمنين[٣] .

= قبورهم ، وروي عن زيد بن أسلم أن الملائكة يبشرونه عند موته ، وفي قبره ، وحين يُبعث ، قال ابن كثير : وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً ، وهذا كما جاء في حديث البراء (إن الملائكة تقول لروح المؤمن عند الاحتضار : اخرجي أيتها الروح الطيبة ، في الجسد الطيب ، الذي كنت تعمرينه ، أخرجي إلى رَوْح وريحان ، وربٍّ غير غضبان) . اهـ.

(١) قراءة ابن مسعود (لا تخافوا ولا تحزنوا) بإسقاط « أن » على الحكاية أي تتنزل عليهم الملائكة قائلين لا تخافوا .. إلخ. وهذه القراءة ليست من السبع ، وقد ذكرها الطبري ١١٦/٢٤ وفي البحر ٤٩٦/٧ والفراء في معاني القرآن ١٨/٣ .

(٢) انظر جامع البيان للطبري ١١٦/٢٤ والدر المنثور للسيوطي ٣٦٣/٥ .

(٣) قول الحسن أن الآية عامة في كل من دعا إلى الله ، من أحسن الأقوال وأرجحها ، لأن لفظ ﴿ ممن دعا إلى الله ﴾ يدل على العموم ، قال الحافظ ابن كثير ١٦٨/٧ :وهذه الآية عامة في كل من دعا إلى خير ، وهو في نفسه مهتد ، ورسول الله ﷺ ــ بلا شك ــ أولى الناس بذلك ، كما قال السدي ، ومحمد بن سيرين . اهـ. وهذا القول رجحه الجمهور .

وروى هشيمٌ عن عوف عن ابن سيرين في قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ ﴾ قال : ذلك النبيُّ ﷺ ، أي دعا إلى توحيد الله(١) .

وقال محمد بنُ نافع قالت عائشة : نزلت في المؤذِّنين(٢) ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ .

وقال أبو الزَّاهرية(٣) : قالت عائشة : إني لأرجو أن يكون المؤذنون هم الذين قال الله فيهم ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً ﴾ .

٣٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

﴿ لا ﴾ زائدة(٤) للتوكيد .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١٨/٢٤ وعزاه إلى السدي ، وابن زيد ، وذكره القرطبي ٣٦٠/١٥ وابن كثير ١٦٨/٧ .

(٢) قول عائشة إن الآية نزلت في المؤذِّنين قول مرجوح ، ذكره ابن كثير ١٦٨/٧ والقرطبي ٣٦٠/١٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٦٤/٥ ولفظه : عن عائشة رضي الله عنها قالت : ما أرى هذه الآية نزلت إلا في المؤذنين ﴿ ومن أحسن قولاً .. ﴾ ولعلها ذهبت إلى هذا لِمَا بلغها ما روي في صحيح مسلم (المؤذِّنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة) قال ابن كثير : والصحيح أن الآية عامة في المؤذنين وغيرهم .

(٣) أبو الزاهرية هو « حُدير بن كُريب الحضرمي » ثقة صدوق ، من الطبقة الثالثة توفي سنة ١٢٩ كذا في تهذيب التهذيب ٢١٨/٢ .

(٤) مراده « لا » الثانية ، وهذا قول الفراء كما ذكره القرطبي ٣٦١/١٥ عنه ، قال الفراء : « لا » =

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ .. ﴾ [آية ٣٤] .

قال عطاء ومجاهد : تقول إذا لقيتَهُ : سَلَامٌ عليكم .

ويُروى عن ابن عباس في قوله ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ قال : هما الرجلانِ متقاولان ، فيقولُ أحدُهُما لصاحبه : يا صاحبَ كذا وكذا ، فيقول له الآخر : إن كنتَ صادقاً عليَّ ، فغفرَ اللهُ لي ، وإن كنت كاذباً ، فغفرَ اللهُ لك[1] .

وحدثنا **بكرُ بن سهل** ، **قال حدثنا أبو صالح** ، عن معاوية عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباسٍ **﴿ ادْفَعْ بالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾** قال :

« أمر اللهُ جلَّ وعزَّ المؤمنين بالصبرِ عند الغضبِ ، والحلم والعفو عند الإساءةِ ، فإذا فعلُوا ذلكَ ، عصمهُم اللهُ من الشيطانِ ، وخَضَعَ لهم عدوُّهم كأنه ولي حميمٌ »[2] .

= صلة أي ولا تستوي الحسنة والسيئة ، وأنشد :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسولُ اللهِ فِعْلَهُمُ ... والطَّيِّبَانِ أَبو بكرٍ وَلَا عُمَرُ

أراد أبو بكر وعمر . اهـ.

(١) رواه ابن المنذر عن أنس كما في الدر المنثور ٣٦٥/٥ وذكره القرطبي عن ابن عباس ٣٦١/١٥ وقد دعت الآية إلى الدفع بالتي هي أحسن ومثاله : رجل أساء إليك فالحسنة أن تعفو عنه ، والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٤ والقرطبي ٣٦٢/١٥ والبحر المحيط ٤٩٨/٧ وهو قول بديع فيه نور من مشكاة النبوة .

٣٦ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ، وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [آية ٣٥] .

قال يقول : الَّذينَ أعدَّ اللهُ لهم الجنَّةَ .

رَوَى مَعْمَرٌ عن قتادة ﴿ كأنه وَليٌّ حَمِيمٌ ﴾ قال : قريب(١) .

٣٧ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا ﴾ [آية ٣٥] .

أي وما يُلَقَّى هذه الفعلة ، إلا الذين يكظمون الغيظ ، ﴿ ومَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ أي من الخير .

ورَوى مَعْمرٌ عن قتادة قال : الحظُّ العظيمُ : الجنَّةُ(٢) .

٣٨ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ .. ﴾ [آية ٣٦] .

---

(١) الأثر في الطبري ١١٩/٢٤ قال الحافظ ابن كثير ١٦٩/٧ ﴿ كأنه ولي حميم ﴾ أي إذا أحسنت إلى من أساء إليك ، قادته تلك الحسنة إلى مصافاتك. ومحبتك، والحنوُّ عليك ، حتى يصير كأنه ولي حميم لك أي قريب إليك من الشفقة . اهـ. قال ابن عطية : دخلت « كأن » المفيدة للتشبيه ، لأن العدو لا يعود ولياً حميماً بالإحسان ، وإنما يحسن ظاهره فيشبه بذلك الولي الحميم .

(٢) الأثر ذكره الطبري ١٢٠/٢٤ والألوسي ١٢٤/٢٤ والبحر المحيط ٤٩٨/٧ وعبارته : ذو حظ عظيم من ثواب الآخرة قاله قتادة ، وقال الشوكاني ٥١٦/٤ (ذو حظ عظيم) قال قتادة : الحظ العظيم الجنة أي ما يُلقَّاها إلا من وجبت له الجنة .

أي إن عَرَضَ لك الشَّيطانُ ليصدَّكَ عن الحِلْم ، فاستعِذ باللهِ منه ، واحْلَمْ[1] .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والقَمَرُ ، لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ ، واسْجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ .. ﴾**

[آية ٣٧] .

أي ومن علاماته ، التي تدلُّ على قدرته ، ووحدانيته ﴿ **اللَّيْلُ والنَّهَارُ والشَّمْسُ والقمرُ ، لا تسجدُوا للشَّمْسِ ولا للقمرِ واسجُدُوا للهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ** ﴾ .

ويجوز أن يكون المعنى : واسجدوا لله الذي خلق الليلَ والنَّهارَ ، والشمس والقمر[2] .

ويجوز أن يكون المضمر يعود على الشمس والقمر ، لأن الاثنين جميعٌ .

---

(١) قوله ﴿ وإمَّا يَنْزَغَنَّكَ ﴾ أصل النَّزغ : النَّخْسُ ثم استعير للإغراء بالفساد قال في اللسان : والنزغ الكلام الذي يُغْري بين الناس ، يقال : نزغ الشيطان بينهم أي أفسد وأغوى ، والمراد بالآية وساوسه ونخسه في القلب بما يسوِّل للإنسان من المعاصي . اهـ. والمعنى على هذا : إن وسوس إليك الشيطان بترك الدفع بالتي هي أحسن ، وأراد أن يحملك على البطش والانتقام ، فاستعذ بالله من كيده وشره .

(٢) الأظهر ــ والله أعلم ــ أن الضمير في قوله تعالى ﴿ خلقهنَّ ﴾ يعود على الشمس والقمر ، والليل والنهار ، لا على الشمس والقمر فقط ، فإنه بعيد ، وهذا ما رجحه الفراء حيث قال في معانيه ١٨/٣ : ﴿ خلقهن ﴾ أي خلق الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وتأنيثهن في قوله « خلقهن » لأن كل ذكر من غير الناس ، فهو في جمعه مؤنث . اهـ.

ويجوز أن يكون يعود على معنى الآيات .

٤٠ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ [آية ٣٨] .

أي فإن استكبروا عن أن يوحِّدوا الله ، ويتَّبعُوكَ ﴿ فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أي فالملائكةُ الَّذينَ عند ربِّكَ ﴿ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴾ أي لا يَمَلُّونَ .

٤١ ــ ثم زادهم في الدلالة فقال جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً .. ﴾ [آية ٣٩] .

قال قتادة : أي غبراء ، متهشِّمة[1] .

٤٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾ [آية ٣٩] .

قال مجاهد : ﴿ اهْتَزَّتْ ﴾ أي بالنَّباتِ .

قال أبو جعفر : يُقال : اهتزَّ الإنسانُ أي تحرَّكَ ، ومنه قوله :

---

(١) الأثر في الطبري ١٢٢/٢٤ وابن الجوزي ٢٦٠/٧/٧ قال القرطبي ٣٦٥/١٥ : ﴿ إنك ترى الأرض خاشعة ﴾ أي يابسة مجدبة ، وقال ابن كثير ١٧١/٧ : ﴿ خاشعة ﴾ أي هامدة لا نبات فيها ، بل هي ميتة قال في البحر المحيط ٤٩٩/٧ : استعير الخشوع لها والتذلل لما ظهر بها من القحط ، وعدم النبات ، وسوء العيش عنها ، بخلاف أن تكون معشبة ، وفيها أشجار مزهرة ومثمرة ، فذلك هو حياتها . اهـ.

تَرَاهُ كَنَصْلِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى
إذَا لَمْ تَجِدْ عِندَ امْرِئِ السَّوْءِ مَطْمَعاً[1]

ثم قال : ﴿ وَرَبَتْ ﴾ قال مجاهد : أي ارتفعت ، لتنبتَ[2] .

قال أبو جعفر : قرأ أبو جعفر « يَزِيد بن القَعْقَاع » وخالد ﴿ وَرَبَأَتْ ﴾ معناه : عَظُمت ، من الرَّبيئةِ[3] .

٤٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال مجاهد : المكاءُ وما ذُكر معه[4] .

وقال قتادة : الإلحادُ : التكذيبُ[5] .

قال أبو جعفر : أصلُ الإلحاد العدولُ عن الشيء ، والميلُ عنه ، ومنه اللَّحدُ لأنه جانب القبر .

---

(١) البيت ذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ٣٦٥/١٥ والقائل متمم بن نويرة اليربوعي يرثي أخاه مالكاً ، وانظر العقد الفريد ٢٦٣/٣ ، وجمهرة أشعار العرب ٢٩٢ ، وفيها (أغر) بدل (تراه) .

(٢) عبارة مجاهد كما في الطبري ١٢٢/٢٤ (وربَتْ) قال : ارتفعت قبل أن تنبت ، وقال ابن كثير : أي أخرجت من جميع ألوان الزروع والثمار .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٤٧/٢ وقراءة الجمهور ﴿ وَرَبَتْ ﴾ .

(٤) الأثر في الطبري ١٢٣/٢٤ ويُراد بالمكاء : الصفير ، كقوله تعالى ﴿ إلَّا مكاءً وتَصْدية ﴾ .

(٥) الأثر في الطبري ١٢٣/٢٤ والبحر المحيط ٥٠٠/٧ ورُوي عن ابن عباس أن الإلحاد : وضع الكلام على غير مواضعه .

فمعنى ألحد في آيات الله : مالَ عن الحقِّ فيها أي جعلها على غير معناها[1] .

٤٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ﴾** [آية ٤٠] .

﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ ﴾ أبو جهل بن هشام **﴿ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾** عمَّارُ بن ياسر[2] .

ثم قال ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ : وقد بيِّن جل وعزَّ ذلك .

قال مجاهد : هذا على الوعيد[3] .

٤٥ ــ **وقولـه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ .. ﴾** [آية ٤١] .

---

(١) ما ذكره المصنف عن الإلحاد في الآيات يتفق مع قول أهل التفسير ، فقد قال البيضاوي ﴿يُلحدون في آياتنا﴾ أي يميلون عن الاستقامة في آياتنا ، بالطعن والتحريف ، والتأويل الباطل ، واللغو فيها . اهـ. الفتوحات الإلهية ٤/٤٥ .

(٢) هذا قول عكرمة كما في تفسير ابن الجوزي ٢٦١/٧ وقد ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/٥ فقال ما نصه : أخرج ابن عساكر عن عكرمة في قوله تعالى : ﴿ أفمن يلقى في النار خيرٌ أم من يأتي آمناً يوم القيامة ﴾ ؟ نزلت في عمَّار بن ياسر وفي أبي جهل . اهـ.
أقول : والأظهر أن الآية على العموم والمعنى : هل من يُطرح في جهنم وهو الكافر أفضل أم من يكون في الجنة آمناً من عذاب الله وهو المؤمن ؟ وهو اختيار الطبري وابن كثير .

(٣) هذا هو الصحيح أن قوله تعالى ﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ ليس أمراً على الإباحة أن يعمل الإنسان ما يشاء ، بل هو تهديد ووعيد ، كما تقول لخادمك : اعمل ما شئت فسترى العاقبة ، وهذا معنى قول الطبري : هذا وعيد لهم من الله خرج مخرج الأمر ، وقال الزجاج : لفظه لفظ الأمر ومعناه الوعيد . اهـ. تفسير الشوكاني ٥١٩/٤ .

قال قتادة : أي بالقرآن[١] .

قال أبو جعفر : وفي الخبر قولان :

أحدهما : أن المعنى : إنَّ الذين كفروا بالذِّكر لمَّا جاءهم ، أولئك يُنادون من مكانٍ بعيد .

والقولُ الآخر : أن الخبر محذوفٌ ، أي : هلكُوا .

وهذا القولُ الاختيارُ عند النحويِّين جميعاً ، فيما علمتُ[٢] .

وقوله ﴿ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴾ : أي قاهرٌ لا يقدِرُ أحدٌ أن يأتي بِمِثْلِهِ .

٤٦ ــ **وقولُه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ .. ﴾** [آية ٤٢] .

في معناه أقوال :

أ ــ **فمن أحسنها أن المعنى** : لا يأتيه الشيطانُ من بين يديه ،

(١) الطبري ١٢٤/٢٤ وابن كثير ١٧١/٧ والمعنى : كفروا بالقرآن ويدل عليه قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ وهذا باتفاق المفسرين .

(٢) هذا هو الأصح والأرجح عند المفسرين أن الخبر محذوف لتهويل الأمر ، كأنه قيل : إن الذين كذبوا بالقرآن ، حين جاءهم به محمد من عند الله ، سيجازون بكفرهم جزاءً لا يكاد يُوصف ، لشدة بشاعته وفظاعته ، وهذا رأي أكثر المفسرين ، واختار صاحب البحر المحيط ٥٠٠/٧ أن الخبر مذكور وهو ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ﴾ حُذف منه العائد ، والأول أظهر وأشهر .

فينتقص منه ، ولا من خلفه فيزيد فيه .

قال مجاهد : ﴿ **الباطلُ** ﴾ : الشَّيْطان[1] .

وقال الحسن : حفظ اللهُ القرآنَ من الشيطان ، فلا يقدر أن يزيد فيه ، ولا ينقص منه ، قال الحسن ﴿ **إنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾[2] .

وَرَوى مَعْمرٌ عن قَتَادَة في قوله تعالى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ قال : لا يقدِرُ الشيطانُ أن يُبطِلَ منه حقًّا ، ولا يُحقَّ فيه باطلاً[3] .

قال أبو جعفر : معنى « يُحقُّ فيه باطلاً » يزيد فيه باطلاً ، فيصير حقاً ، فهذا قولٌ .

ب ــ **وقيل** : معنى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ : لا يُبطله كتابٌ قبله ، ولا يأتي بعده كتابٌ فيبطله ، وهذا قولُ الفَرَّاءِ ، أي لا

---

(١) الأثر أخرجه الطبري وعزاه إلى قتادة ١٢٥/٢٤ وابن الجوزي عن مجاهد ٢٦٢/٧ والقرطبي ٣٦٧/١٥ .

(٢) هذا قول مجاهد وقتادة ، كما في الدر المنثور ٣٦٧/٥ وزاد المسير ٣٦٢/٧ .

(٣) سورة الحجر آية رقم ٩ والأثر أخرجه الطبري ١٢٥/٢٤ والشوكاني ٥١٩/٤ قال ابن كثير ١٧١/٧ : أي ليس للبطلان إليه سبيل ، لأنه منزل من رب العالمين . اهـ. وهذا القول أظهر ، فإن هذا القرآن لا يتطرَّق إليه الباطل من جهة من الجهات ، ولا مجال للطعن فيه ، قال في البحر : وهذا تمثيل أي لا يجد الطعن سبيلاً إليه ، من جهة من الجهات ، وأما ما ظهر من بعض الحمقى ، من الطعن فيه ــ على زعمهم ــ ومن تأويل بعضهم له كالباطنية ، فقد ردَّ عليهم علماء الإسلام ، وأظهروا حماقاتهم . اهـ. البحر ٥١٠/٧ .

يوجد فيه باطلٌ من إحدى الجهتين[1] .

جـ ـــ **وقيل** : معنى ﴿ **لَا يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ : من قبل أن يتمَّ نزولُه ﴿ **وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ من بعد تمام نزوله[2] .

ويكون أيضاً ﴿ **مِنْ بَيْنَ يَدَيْهِ** ﴾ بعد نزوله كله ﴿ **وَمِنْ خَلْفِهِ** ﴾ قبل تمامه[3] .

د ـــ **وقيل** : **المعنى** : لا يأتيه الباطلُ قبلَ أن ينزِلَ ، لأن الأنبياء وقد بشَّرت به ، فلم يقدر الشَّيطانُ على أن يَدْحَضَ ذلكَ ، ولا من خلفِهِ بعد أن أُنْزِلَ[4] .

هـ ـــ **وقيل** : معنى ﴿ **مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** ﴾ على التكثير ، أي لا يأتيه الباطلُ البَتَّة[5] .

٤٧ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ** .. ﴾ [آية ٤٣] .

قال أبو صالح[6] : أي من الأذى[7] .

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ١٩/٣ .

(٢ ـــ ٥) هذه الأقوال التي ذكرها المصنِّف ، كلها وجوه تحتملها الآية الكريمة ، في تفسير قوله تعالى ﴿ من بين يديه ولا من خلفه ﴾ ولكن أظهرها ما ذكرناه عن المفسرين وما قاله الإمام الطبري أن المعنى : لا يستطيع ذو باطل بكيده تغيير القرآن ، وتبديل شيء من معانيه ـــ وهو الإتيان من بين يديه ـــ ولا إلحاق ما ليس منه فيه ـــ وهو الإتيان من خلفه ـــ .

(٦) « أبو صالح » هو مولى أما هانئ اسمه « باذام » ويقال « باذان » تابعي شهير ، قال ابن الأثير في أسد الغابة ١٧٠/٦ : أورده الحسن بن سفيان في الصحابة ، وأورد له حديثاً قال فيه أخرجه =

وقوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ ﴾ أي لمن آمن بك .

﴿ وذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أي لمن كذَّبك .

٤٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ .. ﴾ [آية ٤٤] .

أي بُيِّنَتْ[١] .

قال أبو جعفر : أصلُ هذا أنَّ التفصيلَ لا يكون إلَّا للعرب ، وهم أصحابُ البيان .

٤٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ ؟ [آية ٤٤] .

قال سعيدُ بنُ جبير : أي أقرآنٌ أعجميٌّ ، ونبيٌّ عربيٌّ[٢] ؟

قال قتادة : أي لو جعلنا القرآن أعجمياً ، لأنكروا ذلك ،

= أبو نعيم وأبو موسى .. إلخ. قال ابن حجر في الإصابة ٢٢٣/٧ : أبو صالح مولى أم هانئ تابعي شهير ، وهِمَ بعض الرواة فذكره في الصحابة . اهـ. وانظر تهذيب التهذيب ٤١٦/١ .

(٧) قال في التسهيل ٢٦/٤ : المعنى ما يقول لك الكفار من التكذيب والأذى إلا كما قال المتقدمون لرسلهم ، فالمراد تسلية النبي ﷺ بالتأسي بهم .

(١) عبارة القرطبي ٣٦٨/١٥ : ﴿ لولا فُصِّلت آياته ﴾ أي بُيِّنت بلغتنا ، فإننا عرب لا نفهم الأعجمية ، فبيَّن تعالى أنه أنزله بلسانهم ليتقرر به معنى الإعجاز ، إذ هم أعلم الناس بأنواع الكلام نظماً ونثراً ، وإذا عجزوا عن معارضته كان من أدل الدليل على أنه من عند الله . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٤ عن سعيد بن جبير وابن كثير ١٧٢/٧ والاستفهام هنا للإنكار أي كيف يكون النبي عربياً وينزل عليه قرآن أعجمي ؟!

وقالوا : أعربٌ مخاطبونَ بالعَجَميَّةِ ؟ فكان ذلك أشدَّ لتكذيبهم[1] .

وقرأ ابن عباس ، والحسنُ ، وأبو الأسود : ﴿ **أَعْجَمِيٌّ** ﴾ بغير استفهام ، والعين ساكنةٌ[2] .

والمعنى على هذه القراءة : لولا فُصِّلتْ آياته ، فكان منها أعجميٌّ تفهمه العَجَمُ ، وعربيٌّ تفهمه العربُ ؟ .

ويكون ﴿ **أَعْجَمِيٌّ** ﴾ بدلاً من ﴿ **آيَاتِهِ** ﴾ .

وحُكي أنه قُرِئ ﴿ **أَعَجَمِيٌّ** ﴾ ؟ على أن الأصلَ عَجَمِيٌّ ، دخلت عليه ألف الاستفهام .

---

(١) الأثر أخرجه ابن كثير ١٧٢/٧ وعزاه إلى ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والسدي وغيرهم ، وذكره ابن الجوزي ٢٦٣/٧ ولم يذكر قائله ، وذكر نحوه أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٢/٧ .

(٢) هذه القراءة ذكرها ابن جني في المحتسب من الشواذ ٢٤٧/٢ وانظر الطبري ١٢٧/٢٤ والقرطبي ٣٦٩/١٥ وابن كثير ١٧٢/٧ .

أقول : والقول الأول أظهر وأشهر ، فإنهم لم يقترحوا أن ينزل القرآن بلغة العجم ، وإنما أنكروا أن ينزل القرآن بلسان أعجمي على نبي عربي ، أو ينزل عليهم بلسان لا يعرفونه ولا يتقنونه والآية وردت مورد الفرض ﴿ ولو جعلناه قرآناً أعجمياً ﴾ قال الفخر الرازي ١٣٣/٢٧ : نقلوا في سبب النزول أن الكفار لأجل التعنت قالوا : لولا نزل القرآن بلغة العجم ؟ فنزلت .. ثم قال : والحقُّ عندي أن هذه السورة من أولها إلى آخرها كلام واحد ، فقد حكى الله عنهم ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنَّة مما تدعونا إليه ﴾ وهذا الكلام متعلق به ، والتقدير : إنا لو أنزلنا هذا القرآن بلغة العجم ، لكان لهم أن يقولوا : كيف أرسلت الكلام العجمي ، إلى القوم العرب .. إلخ.

قال أبو جعفر : قال أبو إسحاق[1] : الأعجميُّ : الذي لا يُفصح ، كان من العرب أو من العجم ، والعجميُّ : الذي ليس من العرب ، كان فَصِيحاً ، أو غير فصيحٍ .

قال أبو جعفر : والقراءةُ الأخرى بعيدةٌ ، لأنَّهم قد أجمعوا على قوله : ﴿ **وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآناً أَعْجَمِيًّا** ﴾! .

٥٠ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** .. ﴾ [آية ٤٤] .

﴿ **وَقْرٌ** ﴾ : أي صممٌ على التمثيل[2] ، وهو عليهم عَمًى .

قال قتادة : القرآنُ[3] .

وقيل : الوقرُ عليهم عمًى[4] .

(١) هو الإمام الزجاج اللغوي الشهير المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ وانظر كتابه معاني القرآن ٣٨٩/٤ .

(٢) أي هم في ترك القبول بمنزلة من في أذنه صمم ، وعلى عينيه غشاوة ، لا يبصر بسببها الأشياء ، فهم كالصمِّ العمي ، فالآية وردت مورد التمثيل .

(٣) الأثر في الطبري ١٢٨/٢٤ عن قتادة قال : عَمُوا وصَمُّوا عن القرآن ، فلا ينتفعون به ، قال ابن كثير ١٧٢/٧ : ﴿ وهو عليهم عَمًى ﴾ أي لا يهتدون إلى ما فيه من البيان ، وقال صاحب البحر المحيط ٥٠٢/٧ : أخبر تعالى أن القرآن عليهم عَمًى ، يمنعهم من إبصار حكمته ، والنظر في معانيه ، والتقرير لآياته .

(٤) هذا القول ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٣/٧ عن بعضهم وهو بعيد ، فإن الضمير يعود على القرآن لا على الوقر ، والقول الأول هو الأظهر ويؤيده قوله تعالى ﴿ وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ .

وقرأ ابن عباس ، ومعاوية ، وعمرُو بن العاص ﴿ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمِيَ ﴾ على أنه فعل ماضٍ .

وحُكِي ﴿ وهُوَ عَلَيْهِمْ عَمٍ ﴾[1] .

٥١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ [آية ٤٤] .

حَكَى أهلُ اللغةِ أنه يُقالُ للذي يَفْهم : أنت تسمع من قريب ويُقال للذي لا يَفْهمُ : أنتَ تُنَادَى من مكانٍ بعيد .

أي كأنه يُنَادَى ، من موضع بعيد منه ، فهو لا يسمع النِّداء ، ولا يفهمُهُ[2] .

ومذهب الضحاك : أنهم يُنادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم ، من مكانٍ بعيد ، ليكون ذلك أشدَّ عليهم في الفضيحة والتوبيخ[3] .

٥٢ ــ ومعنى قوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ٤٥] .

(١) قراءة « عَمٍ » و « عَمِي » ذكرها المفسرون : الطبري ١٢٨/٢٤ وفي البحر المحيط ٥٠٢/٧ والفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ ولكنها ليست من القراءات السبع ، قال الطبري : والصواب من القراءة عندنا ما عليه قرَّاء الأمصار ﴿ وهو عليهم عمىً ﴾ .

(٢) هكذا ذكره الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وفي البحر المحيط ٥٠٣/٧ ونقل عن علي ومجاهد أنه استعارة لقلة فهمهم ، شبَّههم بالرجل يُنادى من بُعْدٍ ، فيسمع الصوت ولا يفهم تفاصيله ولا معانيه ، وهو قول أهل اللغة . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٢٩/٢٤ والقرطبي ٣٧٠/١٥ وفي البحر المحيط ٥٠٣/٧ ولفظه : قال الضحاك : ينادون لكفرهم وقبح أعمالهم ، بأقبح أسمائهم من بُعْدٍ ، حتى يسمع ذلك أهل الموقف ، فيعظم السمعة عليهم ويحل المصاب . اهـ.

أنهم قد أُخِّروا إلى مدَّةٍ يعلمها اللهُ ، وأنه لا يعاجلُهُمْ بالهلاَكِ .

٥٣ ــ **وقوله جلَّ وعز : ﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ، وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا .. ﴾** [آية ٤٧] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال : حين تَطْلُع(١) .

وقال غيره : هي الطَّلعة تخرج من قشرها(٢) .

قال أبو جعفر : القول الأول أعمُّ ، أي وما تخرج من ثمرةٍ من غلافِها ، الذي كانت فيه ، وذلك أوَّلُ ما تطلعُ ، وغلافُ كل شيءٍ : كُمُّه .

٥٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي .. ﴾** [آية ٤٧] .

أي على زعمكم(٣) .

﴿ قَالُوا آذَنَّاكَ ﴾ هذا من قول الآلِهةِ ، أي أعْلَمْنَاكَ(٤) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١ وفي الدر المنثور ٣٦٧/٥ والمراد منه أن الثمار عندما تخرج من غلافها ووعائها ، فهذا معنى خروجها من أكمامها .

(٢) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وقول مجاهد أظهر كما ذكر المصنف ، وهو قول أبي عبيدة أيضاً من علماء اللغة ، فقد قال : أكمامها أوعيتها وهو ما كانت فيه الثمرة واحدها كِمٌّ ، وكُمَّة ، ذكره الرازي في التفسير الكبير ١٣٦/٢٧ وهو ما رجحه الإمام النحاس والطبري .

(٣) هذا فيه تقريع وتهكم بهم ، أي أين شركائي الذي زعمتم أنهم آلهة معي ؟ ادعوهم لينقذوكم !!

(٤) ما ذكره المصنف أنه قول الآلهة هو قول الفراء في معاني القرآن ٢٠/٣ وهو خلاف الظاهر فإن الضمائر متناسقة من البداية إلى النهاية ، فالخطاب مع المشركين ، والجواب أتى منهم ، والمعنى : يقول المشركون ﴿ آذَنَّاك ﴾ أي أعلمناك وأخبرناك الآن بالحقيقة ، ما منا من يشهد بأن لك =

يُقـال : آذنتُـه فَأَذِن ، أي أعلمتُـه فعَلِـمَ ، والأَصلُ في هذا من الأُذُنِ ، أي أوقعتُه في أُذُنِهِ ، ومنه :

« آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ »[1]

ومنه قوله جل وعز ﴿ وِمنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُـونَ هُوَ أُذُنٌ ﴾[2] أي اعملوا ما شئتم ، ثم اعتذِرُوا منه ، فإنه يعـذُرُكم ، ويقبـلُ ما تُعْلِمونه بِهِ . ومنه الأذان ، إنما هو إعلامٌ بالصَّلاةِ .

ثم قال تعالى ﴿ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴾ أي ما منَّا من شـهـد أنَّ لك شريكاً .

٥٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴾** [آية ٤٧] .

﴿ وَظَنُّـوا ﴾ أي وأيقنوا[3] .

٥٦ ــ **وقوله جل وعـز : ﴿ لَا يَسْأَمُ الإِنْسَانُ مِنْ دُعَـاءِ الخَيْـرِ ، وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ ﴾** [آية ٤٩] .

= شريكـاً ، أعلنـوا إيمانهم وتوحيدهـم وتبرءوا من الأصنـام في وقت لا ينفـع فيـه الإيمان ، وهـذا ما رجحه الطبري وابن كثير وجمهور المفسرين .

(١) هذا شطر بيت للحارث بن حلزة من معلَّقته ، وتمامه :

آذنتنـــا بِبَيْنِهَـــا أَسْمَـــاءُ ... ربَّ ثَاوٍ يُمَـــلُّ منه الثَّـــوَاءُ

ذكره القرطبي ١٥/٣٧١ وفي البحر المحيط ٧/٥٠٤ واللسان مادة (أذن) .

(٢) سورة التوبة آية رقم ٦١ .

(٣) «ظنَّ» تأتي بمعنى الشك، وبمعنى اليقين كما في هذه الآية ، وكما في قوله تعالى ﴿ إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه ﴾ أي أيقنت ، فتنبه له فإنه دقيق .

أي لا يَمَلُّ من أن يصيبَهُ الخَيْر .

وفي قراءة عبد الله ﴿ مِنْ دُعَاءٍ بالخَيْرِ ﴾[١] .

﴿ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ ﴾ أي إن مسَّه شيءٌ يسيرٌ من الشَّرِّ ، يَئِسَ وقَنِطَ .

٥٧ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً .. ﴾** [آية ٥٠] .

قال مجاهد : أي بعملي ، وأنا حقيقٌ بهذا[٢] .

وهذا يُراد به الكافر[٣] ، ألا تَرَى أنَّ بعدَهُ **﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً ﴾** ؟ .

وقوله تعالى ﴿ وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي ﴾ أي على قولك .

---

(١) ذكر هذه القراءة أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٤/٧ وهي ليست من القراءات السبع ، فتنبه والله يرعاك .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٣/٢٥ والشوكاني ٥٢٢/٤ قال : المعنى : هذا شيء أستحقه على الله ، لرضاه بعملي ، ظنَّ أن تلك النعمة وصلت إليه باستحقاقه لها ، ولم يعلم أن الله يبتلي عباده بالخير والشر ليتبين له الشاكر من الجاحد .

(٣) هذا قول السدي كما في الطبري ٢/٢٥ وفتح القدير ٥٢٢٥/٤ قال في التسهيل : ﴿ لا يسأم الإنسان من دعاء الخير ﴾ أي لا يمَلُّ من الدعاء بالمال والعافية وشبهه ذلك ، نزلت الآية في « الوليد بن المغيرة » وقيل : في غيره من الكفار ، واللفظ أعم من ذلك . اهـ. وقال الشوكاني : الإنسان هنا يراد به الكافر ، وهو قول السدي ، فقيل هو الوليد بن المغيرة ، وقيل : أمية بن خلف ، والأولى حمل الآية على العموم ، باعتبار الغالب ، فلا يُنافيه خروج مُخلَّص العباد . اهـ. فتح القدير ٥٢٢/٤ .

٥٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ .. ﴾ [آية ٥١] .

أي تباعَدَ ، ولم يَدْعُنا .

وقرأ أبو جعفر « يزيد بن القعقاع »[1] ﴿ أَعْرَضَ وَنَاءَ بِجَانِبِهِ ﴾ الألف قبل الهمزة .

فيجوز أن يكون معناه من « نَاءَ » : إذا نهض .

ويجوز أن يكون على قلب الهمز بمعنى الأول .

٥٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وإذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ [آية ٥١] .

أي كبير .

يقال : له دعاءٌ عريض وطويلٌ ، بمعنًى واحد .

٦٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ .. ﴾ [آية ٥٣] .

أي في آفاق الدنيا ، وتقلُّب أحوالها ﴿ وفِي أَنْفُسِهِمْ ﴾ مثل ذلك[2] .

---

(١) هذه رواية ابن ذكوان عن ابن عامر ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٥٧ .

(٢) قال القرطبي : المراد ما في أنفسهم من لطائف الصنعة ، وبديع الحكمة ، حتى سبيل الغائط والبول ، فإن الإنسان يأكل ويشرب من مكان واحد ، ويتميز ذلك من مكانين ، ومن بديع =

قال مجاهد : ﴿ في الآفَاقِ ﴾ فتحُ القُرى ﴿ وفي أنفسهم ﴾ فتح مكة[1] .

٦١ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [آية ٥٣] .

= صنع الله وحكمته في عينيه اللتين هما قطرة ماء ، ينظر بهما من الأرض إلى السماء مسيرة خمسمائة عام ، وفي أذنيه اللتين يفرِّق بهما بين الأصوات المختلفة ، وغير ذلك من بديع حكمة الله !!

(١) الأثر أخرجه الطبري عن السدي ٢٥/٥ واختاره ، وذكره ابن كثير عن مجاهد والحسن والسدي ١٧٥/٧ وابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٧/٧ والرازي في التفسير الكبير ١٣٩/٢٧ ورجح الرازي القول الأول وهو قول ابن زيد ، ونحن ننقل طرفاً منه لحسن عرضه ، وجمال تصويره ، فقد قال الإمام الفخر ، في الآية قولان :

الأول : أن المراد بآيات الآفاق الآيات الفلكية ، وآيات الليل والنهار ، والأضواء والظلمات ، وعالم العناصر الأربعة ، وآيات العالم العلوي والسفلي ، وآيات المواليد الثلاثة ، وقد أكثر الله منها في القرآن . وقوله تعالى ﴿ وفي أنفسهم ﴾ المراد منها الدلائل المأخوذة من كيفية تكون الأجنة في ظلمات الأرحام ، وحدوث الأعضاء العجيبة ، والتركيبات الغريبة ، كما قال سبحانه ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ يعني نُريهم من هذه الدلائل ، مرة بعد أخرى ، حتى تزول عن قلوبهم الشبهات ، ويؤمنوا بوجود الإله القادر الحكيم .

الثاني : أن المراد بآيات الآفاق فتح البلاد المحيطة بمكة ، وبآيات الأنفس فتح مكة لقوله تعالى ﴿ سنريهم ﴾ يسين الاستقبال لأنه يقتضي أنه ما أطلعهم على تلك الآيات إلى الآن ، وسيطلعهم عليها بعد ذلك .

والقول الأول أرجح ، لأن القوم وإن كانوا قد رأوا هذه الأشياء ، إلا أن العجائب التي أودعها الله تعالى في هذه الأشياء ، مما لا نهاية لها ، فهو يطلعهم على تركيب تلك العجائب ، زماناً فزماناً ، ومثاله بنية الإنسان ، شاهدها كل أحد ، إلا أن العجائب التي أبدعها الله في تركيب هذه البدن كثيرة ، وأكثر الناس لا يعرفونها ، فكلما ازداد الإنسان وقوفاً على تلك العجائب ازداد إيماناً ومعرفة .

المعنى : أولم يكفهم بربِّك ، أي أولم يكفهمْ ربُّكَ ، بما دلَّهم به على توحيد الله جل وعز ، ممَّا فيه كفايةٌ لهم ، لأنه على كلِّ شيءٍ شهيدٌ[1] ؟

ويجوز أن يكون المعنى : أنه له على كل شيءٍ شاهد ، بأنه مُحْدِثٌ ، وإذا شهده جَازَى عليه .

٦٢ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ** .. ﴾ [آية ٥٤] .

أي في شكٍّ .

وقرأ الحسن : ﴿ **فِي مُرْيَةٍ** ﴾[2] .

﴿ **أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ** ﴾ أي قد أحاط بعلم الغيب ، والشهادة جلَّ وعزَّ .

* * *

« انتهت سورة السجدة »

---

(١) هذا قول الزجاج كما حكاه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦٨/٧ قال والمعنى : أولم يكفهم شهادة ربك . اهـ. وتوضيحاً للمعنى نقول : أولم يكفهم برهاناً على صدقك يا محمد ، أن ربك شاهد على كل شيء ، لا تخفى عليه خافية ، وأنه شاهد لك بصدق دعوى النبوة ؟

(٢) هذه قراءة السلمي والحسن ﴿ في مُرْية ﴾ بضم الميم ، كما في البحر المحيط ٥٠٩/٧ قال في الصحاح : والمِرْية : الشك ، وقد تضم ، وقرىء بهما . اهـ.

تفسير سورة الشورى

مَكية وآياتها ٥٣ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشورى وهي مكية[1]

١ ــ من ذلك قوله جلَّ وعزَّ : ﴿ حمٓ . عسٓقٓ ﴾ [آية ١] .

وفي قراءة ابن مسعود ، وابن عبَّاس ﴿ حمٓ . سقٓ ﴾[2] .

قال ابن عباس : وكان عليٌّ عليه السلام ، يعرفُ الفتنَ بها[3] .

وروى مَعْمَر عن قتادة في قوله تعالى ﴿ حمٓ . عسٓقٓ ﴾ قال : اسمٌ من أسماء القرآن .

---

(١) السورة تسمى « سورة الشورى » في المشهور وتسمى « سورة حمٓ عسٓقٓ » وآياتها ثلاث وخمسون آية ، وهي مكية كما قال المصنفُ .

(٢) هذه القراءة بحذف « عين » من القراءات الشاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٤٩ عن إسماعيل عن الأعمش عن ابن مسعود ، وذكرها الطبري عن ابن عباس ٢٥/٦ .

(٣) ذكر ابن جرير الطبري عند تفسير هذه الآية حديثاً عجيباً غريباً ، خلاصته أن رجلاً سأل ابن عباس عن تفسير قوله تعالى ﴿ حمٓ عسٓقٓ ﴾ فأعرض عنه ، فكرَّر عليه السؤال ثلاثاً ، وابن عباس يعرض عنه ، وكان في مجلسه « حذيفة بن اليمان » فقال حذيفة : أنا أعرف لم كرهها ؟ نزلتْ في رجل من أهل بيته ، يُقال له « عبد الإله » يبني مدينة على نهر من أنهار المشرق ، تُبنى عليه مدينتان ، يشقُّ النهر بينهما شقاً ــ إشارة إلى مدينة بغداد ــ ثم يخسف الله بها في آخر الزمان .. فـ ﴿ عسٓقٓ ﴾ يعنى عزيمة من الله ، وفتنة ، وقضاء سيكون ، وواقع بهاتين المدينتين .. إلخ. وذكره ابن كثير ٧/١٧٧ وقال : حديث غريب منكر . اهـ. والصحيح أن هذه الحروف المقطعة وأمثالها للتنبيه على إعجاز القرآن لا لبيان الفتن والكوارث .

٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يُوْحِي إِلَيْكَ وإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ [آية ٣] .

المعنى : يوحي إليك وإلى الذين من قبلك ، كذلك الوحي الذي تقدَّم ، أو كحروف المعجم .

وقيل : إنه لم ينزل كتابٌ إلَّا وفيه ﴿ حمٓ . عسٓقٓ ﴾ .

فالمعنى على هذا : كذلك الذي أُنْزِل من هذه السورة .

وهذا مذهب الفراء[١] .

قال : ويُقرأ ﴿ كَذَلِكَ يُوحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾[٢] .

قال أبو جعفر : يجوزُ على هذه القراءة ، أن يكون هذا التمام ، ثم ابتدأ فقال : ﴿ اللهُ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾ على أن العزيز الحكيم خبرٌ ، أو صفةٌ ، والخبرُ ﴿ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ .

وكذلك يكون على قراءة من قرأ ﴿ نُوْحِي ﴾ بالنون ، ويجوز على قراءة من قرأ ﴿ يُوْحَى ﴾ أن يكون المعنى : يوحي اللهُ ، وأنشد سيبويه :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٢١ ولفظه : كذلك أوحيتُ إلى كل نبيٍّ ، كما أوحيتُ إلى محمد ﷺ .

(٢) قراءة « يُوحَى » بالبناء للمجهول قراءة ابن كثير وحده بفتح الحاء ، وقرأ الباقون بكسر الحاء ﴿ يُوحِي ﴾ وكلاهما من السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٠ .

لِيُبْكَ يَزِيدُ ضَارِعٌ لِخُصُومَةٍ
وَأَشْعَثُ مِمَّنْ طَوَّحَتْهُ الطَّوَائِحُ[1]

فقال : لِيُبْكَ يزيدُ ، ثم بيَّنَ من ينبغي أن يبكيَهُ ، فالمعنى : يبكيه ضَارِعٌ .

٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرْنَ[2] مِنْ فَوْقِهِنَّ .. ﴾** [آية ٥] .

أي يَنْشَقِقْنَ من أعلاهنَّ ، عقوبةً .

وقال قتادة : لجلالِةِ اللهِ ، وعظمتِهِ[3] .

قال أبو جعفر : وقيل : أي من فوق الأمم المخالفة[4] .

---

(١) البيت من شواهد سيبويه ص ٧٦ الشاهد الخامس والأربعون ، وذكر أنه للحارث بن نَهيك ، والصحيح أنه لنهشل بن حَري كما في خزانة الأدب ١٥٢/١ وروي فيه الشطر الثاني « ومختبطٌ ممَّا تُطِيحُ الطوائح » وانظر معجم الشواهد العربية ٨٣/١ وكذلك هو في كتاب سيبويه .

(٢) هذه من القراءات السبع ، وهي قراءة أبي عمرو ، عن عاصم ﴿ يَنْفَطِرْنَ ﴾ بالنون من الانفطار ، وقرأ الباقون ﴿ يَتَفَطَّرْنَ ﴾ أي يتشقَّقْنَ ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٠ والنشر ٣٦٧/٢ .

(٣) الأثر عن قتادة ذكره الطبري ٧/٢٥ وابن كثير ١٧٩/٧ وابن الجوزي ٢٧٢/٧ وهذا القول قول ابن عباس ، والضحاك ، والسدي كما في ابن كثير ، وهو الأرجح لقوله تعالى قبله ﴿ وهو العلي العظيم ﴾ والمعنى : تكاد السمواتُ يتشقَّقْن من عظمة الله وجلاله ، ومن رفيع شأنه وسلطانه .

(٤) هذا قول الأخفش الصغير « علي بن سليمان » أن الضمير ﴿ من فوقهن ﴾ راجع إلى الكفار ، قال الشوكاني : وهذا بعيد جداً ، وذكره في البحر ٥٠٨/٧ .

ويُقرأ : ﴿ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ ﴾[1] أي من عظمة مَنْ فَوْقَهنَّ[2] .

٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ والمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ .. ﴾** [آية ٥] .

وفي الأرض المؤمن ، والكافر[3] !!

فروى مَعْمَرٌ عن قَتَادَة قال : ﴿ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الأَرْضِ ﴾ من المؤمنين[4] .

قال أبو جعفر : ويُبيِّن هذا قوله جل وعلا **﴿ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾**[5] وقال في الكفار **﴿ أُوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللهِ ، والمَلَائِكَةِ ، والنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾**[6] .

---

(١) هذه قراءة الجمهور ــ كما أسلفنا ــ وكان ينبغي أن تقدم على القراءة الأولى ﴿ ينفطرن ﴾ لأنها الأصل ، وأما بالنون فهي قراءة أبي عمرو ، وانظر النشر ٢/٣٧٦ .

(٢) هذا هو الصحيح من الأقوال أي يتفطَّرنَ من عظمة الله ، ويكون في الآية حذف ، تقديره : من عظمة الخالق الذي فوقهن .

(٣) هذا تنبيه من المصنف للرد على إشكال يحدث ، وهو : كيف يستغفرون لمن في الأرض ، وفيها المؤمن والكافر ؟ وقد أجاب أنه من قبيل العامِّ ، الذي يُراد به الخاص ، أي يستغفرون للمؤمنين الذين هم في الأرض ، كما في سورة المؤمن التي استشهد بها .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٨ وأبو حيان في البحر المحيط ٧/٥٠٨ .

(٥) سورة المؤمن آية رقم ٧ وأولها : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ، ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ .

(٦) سورة البقرة آية رقم ١٦ فالكفار ليس لهم من الملائكة استغفار ، بل لهم اللعنة وسوء الدار ، وبهذا جمع المصنف بين الآيتين .

٥ ـ وقوله جل وعز : ﴿ لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ، وتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ .. ﴾ [آية ٧] .

روى أشْعَثُ عن الحسن قال : ﴿ أُمَّ القُرَى ﴾ : مكَّةُ .

قال أبو جعفر : وإنما قيل لها « أُمُّ القُرى » لأنها أوَّل ما عُظِّم من خَلْقِ اللهِ عزَّ وجل[1] . أو لأنها أول ما وُضع ، كما قال جل وعز ﴿ إنَّ أوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ .. ﴾[2] .

وفي الحديث : (إنَّ الأَرْضَ منها دُحِيَتْ)[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى : لتنذر أهل أمِّ القرى[4] ، وتنذر من حَوْلَها .

---

(١) الأثر في الطبري ٨/٢٥ والبحر المحيط ٥٠٩/٧ وإنما سميت « أم القرى » لأنها أصل البلاد ، وأشرفِ جميع البلاد ، فهي كالأم لسائر المدن والبلدان ، والعرب تسمي أصل كل شيء أمه ، حتى يقولون : هذه من أمهات القصائد ، وهذه أم الكتب ، وانظر التفسير الكبير للرازي ١٤٧/٢٧ ففيه كلام نفيس .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٩٦ والمراد بالآية إن أول بيت بُني للعبادة ، لا لسكنى الناس ، فالمسجد الحرام أول المساجد على وجه الأرض .

(٣) هذا جزء من حديث أخرجه الطبراني ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن عبد الله بن عمرو ، ولفظه (خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة وكانت الأرض تحته كأنها حشفة ، فدُحيت الأرض من تحته) وانظر الدر المنثور ٥٢/٢ والطبري ٨/٤ .

(٤) البلدة لا تُنْذَر ، إنما ينذر أهلُها ، فهو على حذف مضاف ، أي لتنذر أهل مكة ، ويدل عليه العطفُ ﴿ ومَن حولها ﴾ يعني وتنذر من حولها من الناس .

﴿ **وَتُنْذِرَ يَوْمَ الجَمْعِ** ﴾ أي يوم يُبْعثُ الناسُ جميعاً[١] .

المعنى : وتنذرهم بيوم القيامة ، ثم حُذف المفعول والباء ، كما قال تعالى ﴿ **لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ** .. ﴾[٢] .

٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ **فَاطِرُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً ، وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً** .. ﴾ [آية ١١] .

﴿ **جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً** ﴾ أي إناثاً ﴿ **وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً ، يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ** ﴾ .

قال مجاهد : نَسْلاً من بعد نَسْلٍ ، من النَّاس ، والأنعام[٣] .

قال قتادة : ﴿ **يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ** ﴾ : يُعيِّشكم فيه[٤] .

قال أبو جعفر : المعنى أنَّه لمَّا قال ﴿ **جَعَلَ** ﴾ دلَّ على الجَعْلِ ، كما يُقال : من كذب كان شرًّا له .

أي يخلقكم ويُكثِّركم في الجَعْلِ .

---

(١) سمِّي يوم الجمع ، لأن الله يجمع فيه الأولين والآخرين ، وأهل السموات والأرضين ، وهو يوم القيامة .

(٢) سورة الكهف آية رقم ٢ .

(٣) ذكره الطبري عن مجاهد ١١/٢٥ وابن كثير ١٨٢/٧ والشوكاني في فتح القدير ٥٢٧/٤ ومعنى الآية : أوجد لكم بقدرته من جنسكم نساء من الآدميات ، وخلق لكم كذلك من الأنعام أصنافاً ذكوراً وإناثاً ، نسلاً بعد نسل ، وجيلاً بعد جيل .

(٤) الطبري ١٢/٢٥ والدر المنثور ٣/٦ وزاد الميسر ٢٧٦/٧ وعزاه إلى مقاتل ، والمعنى على هذا القول كما وضحه الطبري : يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها فيما خلق لكم من أنواع الأنعام .

وقال الفراء : ﴿ فِيهِ ﴾ : بمعنى به[1] ، والله أعلم .

وقال القتبيّ[2] : ﴿ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ﴾ في الزَّوج .

قال أبو جعفر : كأنَّ المعنى عنده : يخلقكم في بطونِ الإناث ، ويكون ﴿ فيه ﴾ في الرَّحِم ، وهذا خطأ ؛ لأن الرَّحِم مؤنثةٌ ، ولم يَجْرِ لها ذِكْرٌ[3] .

٧ ــ **وقوله جلَّ وعز** : ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [آية ١١] .

الكاف زائدة للتوكيد ، وأنشدَ سيبويه :

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٢٢/٣ وهذا على القول بأن المراد بقوله ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ يُعيِّشكم بما خلق لكم ، فكان سياق الآية أن يقال « يذرؤكم به » بدل « يذرؤكم فيه » وقد أجاب الفراء بأن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض ، كما قال سبحانه ﴿ ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا ﴾ أي نصرناه على القوم .

(٢) هو ابن قتيبة « عبد الله بن مسلم » صاحب كتاب « تأويل مشكل القرآن » والمشهور بابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ .

(٣) هذا القول فيه بعدٌ كما نبه المصنف بقوله « وهذا خطأ » لأن الضمير حينئذ يعود على غير مذكور ، والصحيح في معنى الآية أن المعنى : يخلقكم الله ويكثركم ، شيئاً بعد شيء بسببه بالتوالد ، ولولا أنه خلق الذكر والأنثى ، لَما كان هناك تناسل ولا توالد ، وهذا خلاصة قول مجاهد ، وهو ما اختاره في البحر ، والزمخشري ، والقرطبي ، والحافظ ابن كثير كما في تفسيره ١٨٢/٧ حيث قال ﴿ يذرؤكم فيه ﴾ أي يخلقكم فيه أي في ذلك الخلق على هذه الصفة ، ذكوراً وإناثاً ، خلقاً بعد خلق ، وجيلاً بعد جيل ، ونسلاً بعد نسل من الناس والأنعام .

« وَصَالِيَاتٍ كَكَمَا يُؤَثْفَيْنِ »[1] .

٨ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .. ﴾** [آية ١٢] .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : المقاليد : المفاتيح[2] .

قال أبو جعفر : والذي يملك المفاتيح يملك الخزائن .

يقال للمفتاح : إقْلِيدٌ ، وجمعُه على غير قياسٍ ، كمحاسنَ ، والواحدُ حُسْنٌ .

٩ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٣] .

قال أبو العالية : الذي وصَّى به نوحاً : الإخلاص لله ،

---

(١) هذا من شواهد سيبويه على زيادة الكاف للتأكيد ، أجرى الكاف مجرى « مثل » فأدخل عليها كافاً ثانية ، أي كمثل إثفائها ، وهذا الشطر من قصيدة لخطام المجاشعي من مشطور الرجز وأولها « حيَّ ديار الحيِّ بين السهبين » وانظر شواهد سيبويه ٣١٣/١ والصاليات : الأثافي التي توضع عليها القدور ، يقول : لم يبق إلا حجارة منصوبة كمثل الأثافي ، ومعنى الآية : ليس مثل الله شيء ، والعرب تقيم المثل مقام النفس ، فتقول : مثلي لا يُقال له هذا .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٣/٢٥ والقرطبي ٢٧٤/١٥ وقال السدي : ﴿ مقاليد ﴾ : خزائن ، قال النحاس : ومن ملك الخزائن ملك المفاتيح . قال في المصباح : والإقليد : المفتاح لغة يمانية ، وقيل : معرب ، والمقاليد : الخزائن اهـ.

وعبادتُه لا شريك له[1] .

وقال مجاهد : وصَّى نوحاً ، ووصَّاكَ ، ووصَّى الأنبياء كلهم ، ديناً واحداً[2] .

وقال الحَكَمُ : جاء نوحٌ بالشريعة بتحريم الأُمهاتِ ، والبناتِ ، والأخواتِ[3] .

وقال قتادة : جاء نوحٌ بالشريعة ، بتحليل الحلال ، وتحريم الحرام[4] .

قال أبو جعفر : قول أبي العالية : ومجاهد ، بيِّنٌ ، لأنَّ الإسلامَ والإخلاصَ ، دينُ جميع الأنبياء ، والشَّرائِعُ مختلفةٌ[5] .

(١ ــ ٤) هذة الآثار عن أبي العالية ، ومجاهد ، وقتادة ذكرها أبو حيان في البحر ٥١٢/٧ والسيوطي في الدر ٤/٦ والقرطبي ١١/١٦ والطبري ١٥/٢٥ والراجح من هذة الأقوال قول مجاهد وعبارته في تفسيره ٥٧٤/٢ : وأوصاك به يا محمد ، وأنبياءه كلهم بالإسلام ، ديناً واحداً ، وهو اختيار ابن كثير ، فقد قال : ﴿ شرع لكم من الدين ما وصَّى به نوحاً ﴾ الدين الذي جاءت به الرسل كلهم ، هو : عبادة الله وحده ، لا شريك له ، كما قال سبحانه ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ وفي الحديث (نحن معاشر الأنبياء أولاد علَّات ديننا واحد ﴾ أي القدر المشترك بينهم ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وإن اختلفت شرائعهم . اهـ.

(٥) مما يدل على أن المراد بالدين في الآية ، الإيمان بالله وتوحيده ، وطاعته وعبادته ، أن هذا مما لا يختلف في جميع الأديان ، أما الحلال والحرام ، فيختلف من أمة لأمة ، كما قال سبحانه ﴿ لكل جعلنا منكم شرعةً ومنهاجاً ﴾ فالدين واحد ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ والشرائع مختلفة ، فقول مجاهد هو الصواب ، والله أعلم .

١٠ ــ **قوله جل وعز : ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ ، ومُوسَى ، وعِيسَى ، أنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ، وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .. ﴾** [آية ١٣] .

قال أبو العالية : ﴿ وَلَا تَتَفرَّقُوا ﴾ أي لا تتعادوا ، وكونوا إخواناً(١) .

قال قتادة : فأخبرَ أن الهَلَكَة في التفرق ، وأنَّ الأُلفة في الاجتماع(٢) .

١١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْه .. ﴾** [آية ١٣] .

قال قتادة : أَكْبَرُوا واشتدَّ عليهم شهادة « أن لا إلهَ إلا الله وحده » وضاق بها إبليسُ وجنودُه ، فأبى الله جلَّ وعزَّ إلَّا أن يَنْصُرها ويُفْلِجها ، ويُظهرها على من ناوأها(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥/١٥ وذكره ابن كثير ١٨٣/٧ فقال : وصى الله تعالى جميع الأنبياء ، بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٢٥/١٥ وأخرجه ابن المنذر ، وعبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ، ولفظه كما في الدر ٤/٦ : قال قتادة : « اعلموا أن الفرقة هلكة ، وأن الجماعة ثقة » فالمراد بالتفرق : الاختلاف والتنازع في أصول الدين فإنه مهلكة ، وأما الاختلاف في الفروع ، فهذا تيسير من الله ورحمة ، وللقاضي أبي بكر بن العربي كلام نفيس في هذا الموضوع انظره في القرطبي ١٦/١٠ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١٥ والقرطبي ١٦/١١ والدر المنثور ٤/٦ ومعنى الآية : عظم وشق على المشركين ، ما تدعوهم إليه يا محمد ، من كلمة التوحيد ، وترك عبادة الأوثان ، وهو =

١٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ [آية ١٣] .

قال أبو العالية : يُخَلِّصه من الشِّرك ، ولا يكون الاجتباءُ إلَّا من الشِّرْكِ[1] .

وقال مجاهد : ﴿ يَجْتَبِي ﴾ : يُخَلِّصُ[2] .

١٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ١٤] .

المعنى : وما تفرَّقوا إلَّا من أجل البغي ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ القرآنُ ، والدَّلَالَاتُ ، على صِحَّةِ نُبوَّةِ محمدٍ عليه السلام[3] .

= خلاصة قول الطبري ، وابن كثير ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ﴾ وقوله سبحانه ﴿ إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ .

(١ ـ ٢) الأثران ذكرهما السيوطي في الدر ٦/٤ وجاء في تفسير مجاهد ٢/٥٧٤ : يستخلص لنفسه من يشاء والعبارة أظهر مما في المخطوطة : يخلِّص ، والله أعلم . قال القرطبي ١٦/١٢ ﴿ يجتبي إليه ﴾ أي يختار ، والاجتباء الاختيار ، أي يختار للتوحيد من يشاء ﴿ ويهدي إليه من ينيب ﴾ أي يستخلص لدينه من رجع إليه ، وقال ابن كثير ٧/١٨٣ : أي هو الذي يُقدِّر الهداية لمن يستحقها ، ويكتب الضلالة على من آثرها على طريق الرشد . اهـ. وهذا يؤيد أن الاجتباء ليس هنا للنبوة ، وإنما للهداية والإيمان .

(٣) الضمير في قوله تعالى ﴿ وما تفرقوا ﴾ اختلف المفسرون فيه ، فروي عن ابن عباس أن المراد به قريش ، وهو ظاهر كلام المصنف وصنيعه ، لأنه فسر العلم بالقرآن ، الدالّ على صحة نبوته عليه السلام ، والراجح أن المراد به أهل الأديان المختلفة من اليهود ، والنصارى والمشركين ، =

١٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ .. ﴾ [آية ١٤] .

قال **مجاهد** : أُخِّروا إلى يوم القيامة(١) .

١٥ ـ وقوله جل وعز : ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ .. ﴾ [آية ١٥] .

مؤخَّرٌ يُنْوَى به التَّقْدِيمُ .

والمعنى : كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ، فلذلك فادْعُ واستقمْ كما أُمرتَ .

﴿ فَلِذَلِكَ ﴾ أي فإلى ذلك ، أي فإلى إقامةِ الدِّينِ(٢) ، كما قال :

= وغيرهم ، وهو قول لابن عباس أيضاً ، ويؤيده قوله تعالى ﴿ وما تفرق الذين أوتُوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البيِّنة ﴾ فالمشركون قالوا : لم خُصَّ محمد بالنبوة دوننا ؟ واليهود والنصارى حسدوه ، فأنكروا رسالته ، والجميع ظلموا وبغوا طلباً للرياسة ، فلم يكن تفرقهم لقصورالبيان ، بل للبغي والعدوان .

(١) قول مجاهد تفسير للأجل المسمى في الآية ، والمراد بالكلمة وعده تعالى بتأخير العقاب ، إلى يوم الحساب ، كما قال سبحانه ﴿ وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ وهو قول جمهورالمفسرين .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٣٩٦/٤ رجحه المصنف ، وهو أن اللام في قوله ﴿ فلذلك ﴾ بمعنى « إلى » ويصبح المعنى : فإلى ذلك الدين القيم الذي شرعه الله ، ووصى به أنبياءه ورسله ، فادع الناس ، واستقم على شريعة الله ، ولا تبال بمن ناوءك وعاداك ، وهو اختيار الطبري ، وابن =

« أَوْحَى لَهَا القَرَارَ فَاسْتَقَرَّتِ »[1]

أي أوحى إليها .

١٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ .. ﴾ [آية ١٦] .

قال مجاهد : أي من بعد ما أسلم النَّاسُ .

قال : وهؤلاء قومٌ توهَّموا أنَّ الجاهليَّة تعودُ .

وقال قتادة : الَّذين حاجُوا في اللهِ من بعد ما استُجيبَ له : اليهودُ والنَّصارى ، قالوا : نبيُّنا قبلَ نبيِّكم ، ودينُنا قبلَ دينكم ، ونحنُ

= كثير ، وقوله « مؤخر يُنْوى به التقديم » يريد أن المعنى : استقم يا محمد كما أمرك الله ، وادع إلى الدين الحق الذي وصَّاك به ، ووصى به المرسلين ، فالاستقامة أولا ثم الدعوة ثانياً . وذهب آخرون إلى أن اللام للتعليل ، وهي باقية على حالها ، والمعنى : فلأجل ذلك التفرق والاختلاف ، الذي حدث لأهل الكتاب ، أمرناك يا محمد أن تلزم النهج القويم ، وهو الاستقامة على دين الله ، والدعوة إلى الائتلاف ، وعدم الاختلاف والاتفاق على الملة الحنيفية ، وعدم اتباع أهوائهم المختلفة الباطلة .. إلخ. واختارة الألوسي ، وابن جزي ، والرازي ، ولعل هذا القول أوضح . وهو ما رجحناه في صفوة التفاسير ، وانظر التفسير الكبير للرازي ١٥٨/٢٧ .

(١) هذا عجز بيت للعجاج من قصيدته التي مطلعها :

الحمدُ للهِ الذي استَقَلَّتِ ... بإذْنِهِ السماءُ واطْمَأَنَّتِ

وتمام شطر الرجز :

بإذْنِهِ الأَرْضُ ومَا أَقَلَّتِ ... وَحَى لَهَا القَرَارُ فَاسْتَقَرَّتِ

وانظر ديوان العجاج ص ٢٦٦ وتهذيب اللغة ٢٩٦/٥ والمعنى : أوحى الله إليها أن استقرِّي فاستقرت .

خيرٌ منكم(١) .

١٧ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ اللهُ الَّـذي أنْـزَلَ الكِتَـابَ بِالحَـقِّ وَالمِيـزَانَ ﴾ [آية ١٧] .

قال قتادة : الميزانُ : العَدْلُ(٢) .

١٨ ــ ثم قالَ جل وعز : ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [آية ١٧] .

﴿ لَعَلَّ السَّاعَةَ ﴾ أي البعثَ قريبٌ(٣) .

أو لعلَّ مجيءَ السَّاعَةِ قريبٌ .

١٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يَسْتَعْجِلُ بِهَـا الَّذيـنَ لَا يُؤْمِنُـونَ بِهَـا ، والَّذِيـنَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الحَقُّ .. ﴾ [آية ١٨] .

أي يقولون متى تكون ؟ على وجه التكذيب بها(٤) .

(١ ــ ٢) هذه الآثار عن مجاهد ، وقتادة ، ذكرها الطبري ٢٥/١٩ والقرطبي ١٦/١٤ وفي البحر ٧/٥١٣ قال الألوسي ٢٥/٢٥ : قال ابن عباس ومجاهد ، نزلت في طائفة من بني إسرائيل همت برد الناس عن الإسلام وإضلالهم ، فقالوا : كتابنا قبل كتابكم ، ونبينا قبل نبيكم ، فديننا أفضل من دينكم ، ونحن أولى منكم ﴿ من بعد ما استجيب له ﴾ أي من بعدما استجاب الناس لله ، ودخلوا في دينه ﴿ حجتهم داحضة ﴾ أي باطلة زائلة . اهـ.

(٣) أشار المصنف إلى أنه جاء لفظ « قريب » بالتذكير ولم يقل قريبة ، لأن تأنيث الساعة غير حقيقي ، لأنها كالوقت ، وهذا قول الزجاج ، ويكون المعنى : لعل البعث قريب ، أو على تقدير حذف مضاف أي لعل مجيء الساعة قريب . اهـ. وانظر البحر المحيط ٧/٥١٣ والقرطبي ١٦/١٥ والتسهيل لعلوم التنزيل ٤/٣٣ .

(٤) أي يطلبون تعجيلها استهزاءً بها ، وسخرية وتعجيزاً للمؤمنين ، كقوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ليس له دافع ﴾ وقوله ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده .. ﴾ الآية .

﴿ والَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا ﴾ أي خائفون ، لأنهم قد أيقنوا بكونها .

﴿ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ ﴾ أي يجادلون فيها[1] ، ليشكّكوا المؤمنين .

﴿ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴾ لأنهم لو أفكروا[2] ، لعلموا أن الذي أنشأهم ، وخلقهم أوَّل مرَّةٍ ، قادرٌ على أن يبعثهم[3] .

٢٠ ـ وقوله جل وعز : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ .. ﴾ [آية ٢٠] .

الحَرْثُ[4] : العملُ ، ومنه قول عبد الله بن عمر : « احرث لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »[5] ومنه

---

(١) ﴿ يمارون ﴾ من المراء وهو المجادلة ، قال في المصباح : ماريته ، أُماريه مِرَاء ومُمَارَاةً إذا جادلته ، وكذلك هو في الصحاح للجوهري .

(٢) في القاموس : الفكر . إعمال النظر في الشيء ، يقال : فكّر فيه ، وأفكر ، وفكر ، وتفكر . اهـ. ومراد المصنف لو تفكروا لعلموا . إلخ.

(٣) عبارة القرطبي ١٦/١٦ : لو تفكروا لعلموا أن الذي أنشأهم من تراب ، ثم من نطفة ، إلى أن بلغو ما بلغوا ، قادر على أن يبعثهم ، وهي أوضح .

(٤) الحرث هنا يراد به : العمل ، والسعيُ ، قال ابن قتيبة ﴿ حرث الآخرة ﴾ أي عمل الآخرة يقال : فلان يحرث للدنيا أي يعمل لها ويجمع المال ، فالمعنى : من كان يريد بعمله الآخرة نضاعف له الحسنات . اهـ. انظر تفسير ابن الجوزي ٢٨١/٧ .

(٥) الحديث ذكره القرطبي في تفسيره بهذا اللفظ ١٨/١٦ عن عبد الله بن عمر بن الخطاب وقد اشتهر بلفظ « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً .. » إلخ. وأخرج له البيهقي في السنن بلفظ =

سُمِّي الرجل حارثاً .

والمعنى : من كان يريد بعمله الآخرة ﴿ **نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ** ﴾ أي : نوفِّقْهُ ونضاعف له الحسنات .

وقوله جلَّ وعز ﴿ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا .. ﴾ [آية ٢٠] :

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **منها أن المعنى** : نؤته منها ما نريد ، كما قال سبحانه ﴿ **مَنْ كَانَ يُرِيدُ العَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ..** ﴾[1] .

ب ــ **ومنها أن يكون المعنى** : ندفع عنه من آفات الدنيا[2] .

والقول الثالث أن المعنى : من كان يفعل الخير ، ليُثْنى عليه ، تركناه وذلك ، ولم يكن له في الآخرة نصيبٌ[3] .

= (اعمل عمل امرئ يظنُّ أن لن يموت أبداً ، واحذر فعل امرئ يخشى أن يموت غداً) ذكره السيوطي في الجامع الصغير ، ورمز لضعفه ، وانظر فيض القدير ٢/١٢ .

(١) سورة الإسراء آية رقم ١٨ وغرض المصنف من الاستشهاد بالآية أن يقول إن قوله تعالى ﴿ نؤته منها ﴾ مقيد بالمشيئة ، وليس مطلقاً ، وهذا قول لابن عباس ، وقتادة ، أن الآية مقيدة وليست مطلقة ، كما حكاه عنهما الطبري ، وقال في التسهيل ٤/٣٤ : نؤته منها ما قُدِّر وقُسِم له . اهـ.

(٢) هذا المعنى بعيد ، ولم أره في مشاهير كتب المفسرين ، لأن الله تعالى يقول ﴿ نؤته منها ﴾ أي نعطه ما قسمناه له منها من الرزق .

(٣) هذا قول لبعض المفسرين ، ويشهد له ما رواه أحمد ، والحاكم وصحّحه (بشِّر هذة الأمة بالسَّناء والرفعة ، والنصر والتمكين في الأرض ، ما لم يطلبوا الدنيا بعمل الآخرة ، فمن عمل منهم عمل =

٢١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ .. ﴾ [آية ٢٢] .

أي من جزاء ما كسبوا وهو العذاب(١) ، وهو واقعٌ بهم .

٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى .. ﴾ [آية ٢٣] .

في معناها أربعة أقوال :

١ ــ **رَوَى قَزَعَة بن سُوَيْد** ، عن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ : قُلْ لا أسألكم على ما أتيتكم به أجراً ، إلَّا أن تتودَّدوا لله ، وتتقرَّبوا إليه بطاعته(٢) .

وروى منصور وعوف عن الحسن ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً

= الآخرة للدنيا ، لم يكن له في الآخرة من نصيب) وأحسن ما قيل في تفسير هذه الآية قول ابن عباس : من كان يؤثر دنياه على آخرته ، لم يجعل الله له نصيباً في الآخرة إلا النار ، ولم يزدد بذلك من الدنيا شيئاً ، إلا رزقاً فُرِغ منه وقسم له وهو قول قتادة أيضاً ، وانظر الطبري ٢١/٢٥ والدر ٥/٦ والشوكاني ٥٣٦/٤ .

(١) يريد أنه على حذف مضاف أي من عذاب ما كسبوا ، وهو في الطبري ٢٢/٢٥: ﴿ مشفقين مما كسبوا ﴾ أي خائفين من عقاب الله على ما كسبوا في الدنيا من أعمالهم الخبيثة ﴿ وهو واقع بهم ﴾ أي وعذاب الله نازل بهم ، وهم ذائقوه لا محالة . اهـ. وكذلك قال ابن كثير .

(٢) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن ابن عباس ٢٥/٢٥ والقرطبي ٢٢/١٦ وقريب منه قول الحسن : هو التقرب إلى الله ، والتودُّد إليه بالعمل الصالح ، وقد ورد في المخطوطة « إلا أن توادُّوا وتقربوا إليه بطاعته » وفيه تصحيف ونقص ، وصوابه ما أثبتناه « إلا أن تتودَّدوا لله عز وجل وتقربوا إليه بطاعته » كما في الطبري ، والقرطبي ، والله واعلم .

إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ قال : تتودَّدون إلى الله جل وعز ، وتتقرَّبون منه بطاعته[1] ، فهذا قولٌ .

٢ ـــ **وقال الشعبي ، ومجاهدٌ ، وعكرمةُ ، وقتادةُ** : المعنى : قل لا أسألكم عليه أجراً ، إلَّا أن تَودُّوني لقرابتي منكم ، فتحفظوني ولا تكذِّبوني[2] .

قال عكرمة : وكانت قريشٌ تَصِلُ أرحامَها ، فلما بُعِثَ النبيُّ ﷺ قَطَعَتْهُ ، فقال : صِلُوني كما كنتم تفعلون[3] .

قال أبو جعفر : والمعنى على هذا : قل لا أسألكم عليه أجراً ، لكنْ أذكِّرُكمْ قرابتي ، على أنه استثناء ليس من الأول[4] ، فهذان قولان .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٢٦ والقرطبي ١٦/٢٢ والسيوطي في الدر ٦/٧ وهو كالقول الأول ، ولهذا عدهما المصنف قولاً واحداً .

(٢) هذا قول الجمهور وهو أقوى الأقوال وأظهرها . والمعنى : لا أسألكم على تبليغ الرسالة أجراً ، إلا أن تودُّوني لأجل القرابة ، التي بيني وبينكم ، ولا تؤذوني ، فالمقصد من الآية استعطاف قريش ، فإنه لم يكن فيهم بطن إلا وبينه وبين النبي ﷺ قرابة ، وهذا رأي ابن عباس واختيار الطبري ، وابن كثير .

(٣) الأثر ذكره الطبري بنحوه ٢٥/٢٤ والقرطبي ١٦/٢١ وفي المخطوطة « قطعت » وصوابه ما أثبتناه كما في القرطبي .

(٤) يعني أنه استثناء منقطع ، لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه فيصبح المعنى : لا أسألكم أجراً على نصحكم وهدايتكم ولكني أذكِّركم قرابتي ، كما قدَّره المصنف رحمه الله .

٣ ــ وقال **الضحاك** : هذه الآيةُ منسوخةٌ ، نَسَخَهَا قولـه جل وعز ﴿ **قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ** ﴾(١) فالَّذي سُئِلوه ، أن يَودُّوه بقرابتـه ، ثم ردَّه اللهُ إلى ما كان عليـه الأنبيـاء ، كما قال نوحٌ ، وهـودٌ ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً** ﴾(٢) . فهذه ثلاثة أقوال .

٤ ــ **وروى قيسٌ عن الأعمش عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال** : لَمَّا نزلت ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ قالوا يا رسول الله : من هؤلاء الذين نَوَدُّهم ؟

قال : عليٌّ ، وفاطمةُ ، وولدُها(٥) .

(١) قول الضحاك ذكره الشوكاني ٥٣٧/٤ والقرطبي ٢٢/١٦ وهذا القول ليس بقوي ، لأن مودة آل البيت ومحبتهم واجبة شرعاً وديناً لم تُنسخ ، وقد قال ﷺ « أهلُ بَيتي ، أذكِّركم اللهَ في أهل بيتي ، أذكِّركم الله في أهل بيتي » رواه مسلم وأحمد وفي الحديث الصحيح « إني تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي » أخرجه الترمذي .

(٢) نص الآية ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إن هو إلا ذكرى للعالمين ﴾ سورة الأنعام آية رقم ٩١ وهذه الآية من أمر الله لنبيه ﷺ أمر أن يقولها للمشركين ، وليست من قول نوح أو هود ، وأما قول نوح وهود فقد ورد في سورة الشعراء ونص الآية ﴿ وما أسألكم من أجر إن أجري إلَّا على رب العالمين ﴾ .

(٣) هذا الأثر عن ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه بسند ضعيف كما في الدر ٧/٦ وذكره الحافظ ابن كثير وضعفه واستبعده ، لأن الآية مكية وزواج عليٍّ بالسيدة فاطمة كان بعد الهجرة ، فكيف يقول الرسول ﷺ « فاطمة وولدُها » ولم يكن لها عند نزول الآية ذرية ولا أولاد ؟ ونحن ننقل كلام الحافظ ابن كثير في هذا الأثر فإنه نفيس فقد قال في تفسيره ١٨٩/٧ بعد ذكر الرواية : « وهذا إسناد ضعيف ، فيه مبهم لا يُعرف ، عن شيخ شيعي متخرِّق=

٢٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً .. ﴾ [آية ٢٣] .

الاقترافُ : الاكتسابُ ، وهو مأخوذٌ من قولهم : رجلٌ قَرِفَةٌ[١] إذا كان محتالاً .

٢٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ، فَإِنْ يَشَإِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ .. ﴾ [آية ٢٤] .

قال قتادة : أي إن شاء أنساك ما علَّمك[٢] .

وقيل : المعنى : إن يشأ يُزِلْ تمييزَكَ ، فاشكُرْهُ إذْ لم يَفْعَلْ[٣] .

= ــ يعني أحمق يختلق الكذب ــ وهو « حسين الأشقر » ولا يُقبل خبره في هذا المحل ، وذكر نزول هذه الآية في المدينة بعيد ، فإنها مكية ولم يكن لفاطمة إذ ذاك أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعليٍّ إلا بعد بدر ، من السنة الثانية من الهجرة .. ثم قال : والحقُّ تفسير الآية بما فسَّرها به الإمام حبر الأمة ، وترجمان القرآن « عبد الله بن عباس » كما رواه عنه البخاري : « إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة » ولا تُنكر الوصاة بأهل البيت ، والإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض ، فخراً وحسباً ونسباً .. اهـ. ابن كثير ١٨٩/٧ .

(١) قال في تاج العروس : رجلٌ قُرفَةٌ كَتُؤَدة إذا كان مكتسباً ، وقَرَف الذنب وغيره واقترفه : اكتسبه ، واقترف الذنب : أتاه وفعله ، ولهذا يقال : الاعتراف يزيل الاقتراف . اهـ. التاج مادة قرف .

(٢) الاثر أخرجه الطبري ٢٧/٢٥ عن قتادة ولفظه : إن يشأِ الله أنساك ما قد أتاك ، وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٦/٧ .

(٣) هذا المعنى ذكره الألوسي في روح المعاني ٣٥/٢٥ وعزاه إلى السمرقندي ، قال : والمعنى : إن يشأ يختم على قلبك ، كما فُعِل بهم ، فهو تسلية له عليه الصلاة والسلام ، وتذكير لإحسانه إليه ، =

وقيل : معنى ﴿ فَإِنْ يَشَأِ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ : إن يشأِ اللهُ يَرْبط على قلبك ، بالصبر على أذاهم[1] . وقولُهم : ﴿ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ تمَّ الكلام .

٢٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ويَمْحُ[2] اللهُ البَاطِلَ ، ويُحِقُّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ .. ﴾ [آية ٢٤] .

أي يمحو اللهُ الشِّرْكَ ويُزِيلُه .

= وإكرامه له ﷺ ليشكر ربه سبحانه ، ويترحم على من خُتم على قلبه . فاستحق غضب ربه .. إلخ . .

(١) الأثر ذكره في البحر عن مجاهد ٥١٧/٧ وذكرة ابن الجوزي في زاد المسير ٢٨٦/٧ وقال : هو قول مقاتل ، والزجاج .

أقول : هذا قول بعيد ، لأن الآية وردت مورد التهديد ، فالصواب فيها ما قاله قتادة ، والسدي ، وجمهور المفسرين ، في أن الآية رد على المشركين في زعمهم أن محمداً ﷺ افترى هذا القرآن ، يقول : لو افتريتَ على الله الكذبَ ، كما يزعم هؤلاء المجرمون ، لختمنا على قلبك ، فأنسيناك هذا القرآن ، وسلبناه من صدرك ، ولكنك لم تفتر على الله كذباً ، ولهذا أيّدناك وسددناك قال ابن كثير المعنى : لو افتريت عليه كذباً كما يزعم الجاهلون ، لطبع الله على قلبك ، وسلبك ما كان آتاك من القرآن ، كقوله تعالى ﴿ ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ﴾ وهكذا قال أبو السعود .

(٢) قال الطبري ٢٧/٢٥ : ﴿ ويمح الله الباطل ﴾ في موضع رفع بالابتداء ، ولكنه حذفت منه الواو في المصحف ، كما حذفت من قوله ﴿ سندع الزبانية ﴾ ومن قوله ﴿ ويدع الإنسان بالشر ﴾ وليس بجزم على العطف على ﴿ يختم ﴾ وبمثله قال الفراء في معانيه ٢٣/٣ والجمهور من المفسرين .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ..** ﴾ [آية ٢٤] .

في الحديث أن عبد الله بن مسعود سُئل عن رجل زنى بامرأة ، أيجوز له أن يتزوَّجها ؟ فقال : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ، وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ، وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾[١] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ..** ﴾ [آية ٢٦] .

﴿ **الَّذِينَ** ﴾ في موضع نصبٍ ، بمعنى : ويستجيب لِلَّذِينَ آمنوا ، كما قال سبحانه ﴿ **وَإِذَا كَالُوهُم** ﴾ أي كالوا لهم ، يُقال : استجبتُه بمعنى أجبتُهُ ، وأنشد الأصمعي :

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى
فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ[٢]

ويجوز أن يكون في موضع رفع[٣] ، ويكون ﴿ **وَيَسْتَجِيبُ**

---

(١) استدل ابن مسعود على جواز التزوج بالمرأة التى زنى بها ، بالعموم في الآية الكريمة ، حيث تناولت جميع أنواع المعاصي والموبقات ، وانظر الطبري ٢٨/٢٥ ومعاني القرآن ٢٣/٢ .

(٢) البيت لكعب بن سعد الغنوي من مرثيته لأخيه ، رواها القالي في أماليه ، وأورده الطبري في تفسيره ٢١٥/٤ والمحرر الوجيز ٤٦٧/٣ .

(٣) هذا قول للفراء كما في معاني القرآن ٢٤/٣ حيث قال : ويجوز أن يكون ﴿ الذين ﴾ في موضع رفع ، أي الذين آمنوا يستجيبون لله .. إلخ.

الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ بمعنى يُجيب الذين آمنوا ، كما قال عز وجل ﴿ **فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي** ﴾[1] .

قال محمد بن يزيد : حقيقته : فليستدعوا الإجابة ، هكذا حقيقةُ معنى « استفعل »[2] .

٢٧ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ..** ﴾ [آية ٢٧] .

روى سعيد عن قتادة قال : خيرُ الرِّزقِ ما لا يُطغي ، ولا يُلْهي[3] .

٢٨ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا ..** ﴾ [آية ٢٨] .

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٨٦ وتمامها ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ﴾ .

(٢) هذا قول للمبرد كما حكاه القرطبي في جامع الأحكام ٢٦/١٦ ومعناه : يطلب المؤمنون الإجابة من ربهم ، فاستفعل على هذا على بابه من الطلب ﴿ ويستجيب الذين آمنوا ﴾ أي يطلب الإجابة ، والقول الأول أنَّ ﴿ يستجيب ﴾ بمعنى يجيب أظهر ، وأصله : ويستجيب لهم ، حذفت منه اللام ، لقوله تعالى ﴿ ويزيدهم من فضله ﴾ أي يستجيب دعاءهم ، ويزيدهم من فضله .

(٣) هذا الأثر أخرجه الطبري ٣٠/٢٦ وابن كثير ١٩٣/٧ ولفظه : قال قتادة : كان يقال : خير العيش ما لا يلهيك ولا يطغيك ، وذكر حديث (إنما أخاف عليكم ما يخرج الله من زهرة الحياة الدنيا ..) الحديث الذي رواه الشيخان ، وانظر الدر ٨/٦ .

قال مجاهد : ﴿ مِن بَعْدِ مَا قَنطُوا ﴾ أي يئسوا .

قال أبو جعفر : يُقال : قَنَطَ ، يَقْنِطُ ، وقَنِطَ يَقْنَطُ : إذا اشتدَّ يأسه منَ الشيء[1] .

٢٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال الفراء : أراد بثَّ في الأرضِ ، دون السَّماءِ ، كما قال سبحانه ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ والمَرْجَانُ ﴾ وإنما يخرجُ من المِلْحِ[2] .

قال أبو جعفر : هذا غَلَطٌ .

روى ورقاءُ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ﴿ ومَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ قال : النَّاسُ ، والملائكةُ[3] .

---

(١) في المصباح مادة قنط : القُنُوط بالضم : الإياس من رحمة الله تعالى ، وقَنَط يَقْنِط من بابي ضَرَب ، وتَعِب وهو قانِط وقَنُوط ، وحكى الجوهري لغة ثالثة من باب قَعَدَ ـ قَنَطَ يَقْنُطُ ـ ويُعَدَّى بالهمزة . اهـ.

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٢٤/٣ وعبارته : وما بثَّ في الأرض دون السماء ، بذلك جاء في التفسير ، ومثله مما ثُنِّي ومعناه واحد ﴿ يخرجُ منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ وإنما يخرج من الملح دونَ العَذْب » . اهـ.

(٣) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٣١/٢٦ وفي البحر ٥١٨/٧ والشوكاني ٥٣٨/٤ قال الحافظ ابن كثير ١٩٤/٧ : ﴿ وما بث فيهما من دابة ﴾ هذا يشمل الملائكة ، والجن ، والإنس ، وسائر الحيوانات ، على اختلاف ألوانهم ، وأشكالهم ، ولغاتهم . اهـ. وقال الإمام الفخر في التفسير =

وهذا **قولٌ حسنٌ** ، يُقال لكل حَيٍّ : دَابَّةٌ ، من دَبَّ ، فهو دَابٌّ[1] ، والهاءُ للمبالغة ، كما يقال : رَاويةٌ ، وعَلَّامَةٌ .

ثم قال جل وعز ﴿ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ ﴾ أي على إحيائهم[2] **﴿ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴾** .

٣٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾** [آية ٣٠] .

يُقال : قد تكون المصيبةُ بغير هذا ، ففيه أجوبةٌ :

= الكبير ١٧١/٧ : فإن قيل: كيف يجوز إطلاق لفظ الدابة على الملائكة ؟ قلنا فيه وجوه :

الأول : قد يُضاف الفعل إلى جماعة ، ويكون فاعله واحداً ، كما يُقال : بنو فلان فعلوا كذا ، وإنما فعله واحد منهم .

الثاني : أن الدبيب هو الحركة ، والملائكة لهم حركة .

الثالث : لا يبعد أن يُقال : إنه تعالى خلق في السموات أنواعاً من الحيوانات ، يمشون مشي الأناسيِّ على الأرض . اهـ.

وانظر محاسن التأويل للقاسمي ٢٤٥/١٤ ففيه بحث نفيس .

(١) المراد بالدابة المعنى اللغوي لا العرفي . ففي اللغة كل شيء يدب ويتحرك ، فهو دابة قال تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وفي الأمثال « أكذبُ من دبَّ ودَرَج » أي أكذب الأحياء والأموات ، وقال الشاعر :

زعمتني شيخاً ولَسْتُ بشيخٍ ... إنَّما الشيخ من يَدِبُّ دبيباً

(٢) هذا تفسير للآية باللازم ، فإن « الجمع » يستدعي الإحياء ويستلزمه ، والأَوْلى كما قال المفسرون ، أن المراد به جمع الخلائق في القيامة ، للحساب والجزاء ، قال الطبري ٣١/٢٥ : وهو على جمع خلقه بالحشر يوم القيامة قادر ، وقال ابن كثير ١٩٤/٧ : أي يوم القيامة يجمع الأولين والآخرين وسائر الخلائق .. إلخ.

أ ـــ روى معمر عن قتـــادة عن الحسن في قولـــه تعـــالى ﴿ وَمَـــا أَصَابَكُـــمْ مِنْ مُصِيبَـــةٍ فَبِمَـــا كَسَبَتْ أَيْدِيكُـــمْ ﴾ قال : الحدود[1] .

فالمعنـى في هذا : إنَّ اللهَ جلَّ وعـزَّ جعـل الحدود ، بما يُعْمَـــلُ من المعاصي[2] .

ب ـــ وقيل : ﴿ ما ﴾ ههنا بمعنى « الذي » وهو حسنٌ .

والدليـــل على هذا ، أنَّ أهـــل المدينـــة قرءوا ﴿ بما ﴾ بغير فاءٍ[3] .

فالمعنـــى على هذا : والَّـــذي كان أصابكـــم ، بذنـــوبٍ عملتموها .

جـ ـــ وروى سفيـان عن إسماعيـل بن مسلـــمٍ عن الحسن قال قال

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٣٣ والدر المنثور ٦/١٠ والقرطبي ٦/٣٠ والبحرالمحيط ٧/٥١٩ .

(٢) مراد الحسن البصري كما وضحه الطبري ٢٥/٣٢ أن ما عُوقب به المسلـم في الدنيـا من عقوبـة ، بحدٍّ استوجبه على ذنب ، فبمـا عملـه من معصيـة الله ، ويعفـو عن كثير فلا يوجب عليكـم فيها حداً . اهـ. والحدود شرعت للطهـارة ، لتكـون كفَّـارة لما اقترف الإنسـان من الذنـوب والآثام ، حتى لا يعاقب في الآخرة ، والمراد بالمصيبة : ما يصيب الإنسان في ماله ، وولده ، وبدنـه ، من أنـواع المصائـب ، ويؤيـــده حديث (ما يصيب المؤمـــن من نَصَـبٍ ، ولا وَصَـبٍ ، ولا همٍّ ، ولا حَزَن ، إلا كفَّر الله عنه بها من خطاياه) البخاري كتاب المرض ٦/١٤٨ .

(٣) يريـد المصنـف ﴿ ما ﴾ التـي في قولـه ﴿ فبما كسبت ايديكـم ﴾ أي فبسبب الـذي كسبتـــه أيديكم ، واستدلَّ بقراءة نافع ، وابن عامر ـــ وهي قراءه سبعية ـــ بحذف الفاء ﴿ وما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨١ .

رسول الله ﷺ : (مَا مِنْ خَدْشِ عُودٍ ، وَلَا عَثْـرَةِ قَدَمٍ ، وَلَا اخْتِلَاجِ عِرْقٍ ، إلَّا بذنبٍ ، ومـا يعفـو الله عنـه أكثـرُ) ، ثم تلا ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ** ﴾[1] .

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : وما أصابكم من مصيبةٍ ، مقصودٌ بها العقوبةُ ، فبما كسبتْ أيديكم .

قال أبو جعفر : وفي الآية قول رابع ، وهو : أن كل مصيبةٍ تصيبُ ، فإنما هي من أجل ذنب ، إمَّا أن يكون الإنسانُ عَمِلَه ، وإما أن يكون تنبيهاً له ، لئلَّا يَعْمله ، وإمَّا أن يكون امتحاناً له ، ليعتبر والداه ، فقد صارتْ كلُّ مصيبةٍ على هذا من أجل الذنوب ، وصارت القراءةُ بالفاء أحسنَ ، لأنه شرطٌ وجوابُه[2] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، بلفظ : ﴿ والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ، ولا اختلاج عرق .. ﴾ الحديث . وذكره الحافظ ابن كثير في تفسيره ، عن الحسن البصري مرفوعاً ١٩٥/٧ وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد أنه من رواية ابن المنذر ، والبيهقي في شعب الإيمان ، عن قتادة مرفوعاً ، وانظر تفسير القرطبي ٣١/١٦ .

(٢) هذا القول مروي عن عكرمة ، نقله عنه القرطبي ٣١/١٦ . قال عكرمة : « ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب ، لم يكن الله ليغفره له إلا بها ، أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلَّا بها .. » ثم روى أن رجلاً قال لموسى : سلِ الله لي في حاجة يقضيها لي ، هو أعلم بها ، ففعل موسى . فلمَّا نزل إذا هو بالرجل قد مزَّق السَّبع لحمه ، وقتله ، فقال موسى : ما بال هذا يا ربِّ ؟ فقال الله تبارك وتعالى سألني درجة ، علمت أنه لا يبلغها بعمله ، فأصبته بما ترى لأجعلها وسيلة له في نيل تلك الدرجة . اهـ.

٣١ ـ وقولـه جلَّ وعـز : ﴿ ومِنْ آيَاتِهِ الجَوَارِ فِي البَحْرِ كالأَعْلَامِ ﴾ [آية ٣٢] .

قال مجاهد : الجواري : السُّفُنُ ، والأعلامُ : الجبالُ(١) .

٣٢ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ .. ﴾ [آية ٣٣] .

أي سواكن .

٣٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴾ [آية ٣٤] .

قال مجاهد : ﴿ يُوبِقْهُنَّ ﴾ يُهْلِكْهُنَّ(٢) .

قال أبو جعفر : يُقال : أَوْبَقَتْهُ ذنوبُهُ : أي أهلَكَتْهُ .

قال قتادة : ﴿ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا ﴾ يهلك من فيهن بذنوبهم(٣) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥/٣٣ والدر المنثور ٦/١٠ وهذا قول الحسن ، والسدي ، والضحاك ، وقد اتفق عليه المفسرون .

(٢) قال في المصباح : وَبَقَ يَبِقُ وُبُوقاً : هَلَكَ ، ويتعدى بالهمزة فيقال : أوبَقْتُه ، والموبقاتُ : المعاصي لأنهن مهلكات . اهـ. والأثر أخرجه الطبري ٢٥/٣٤ والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٠ .

(٣) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦/١٠ ولفظه قال قتادة : ﴿ أو يوبقهن بما كسبوا ﴾ قال : بذنوب أهلها . فمعنى قول قتادة الكلام فيه حذف ، أي يوبق أهلهن بما كسبوا من الذنوب =

قال أبو جعفر : تقديره مثل ﴿ واسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾[1] .

٣٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ والَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ ، والفَوَاحِشَ .. ﴾ [آية ٣٧] .

رُوي عن ابن عباس : ﴿ كَبَائِرُ الإِثْمِ ﴾ : الشِّرْكُ[2] .

ويُقرأ ﴿ كَبِيرَ الإِثْمِ ﴾[3] .

قال الحسن : الكبائرُ : كلُّ ما وَعَدَ اللهُ جلَّ وعزَّ عليه النَّارَ[4] .

وقيل : الكبائرُ : كلُّ ما وَعَدَ اللهُ عليهِ النَّارَ ، وأجمع المسلمون على أنَّه من الكبائر !! فقد أجمعوا على أنَّ الخمر من الكبائر .

= فهو مثل ﴿ واسأل القرية ﴾ أي أهل القرية ، وإنما احتيج إلى التقدير ، لأن الكسب لا يُنسب إلى السفر ، وإنما ينسب لأهلها وركّابها .

(١) سورة يوسف آية رقم ٨٢ .

(٢) الأثر ذكره القرطبي ٣٥/١٦ عن ابن عباس، والألوسي ٤٦/٢٥ والفراء في معانيه ٢٥/٣ ولفظه : وفُسِّر عن ابن عباس أن كبير الإثم هو الشرك ، فهذا موافق لمن قرأ ﴿ كبير الإثم ﴾ ـ بالتوحيد ـ يعني بالإفراد ، وقال الفخر الرازي ١٧٦/٢٧ : وهو عندي بعيد ، لأن شرط الإيمان مذكور أولاً ، وهو يغني عن عدم الشرك . اهـ.

(٣) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وهي من القراءات السبع ، وقرأ الجمهور بصيغة الجمع ﴿ كبائر الإثم ﴾ وانظر السبع لابن مجاهد ص ٥٨١ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٤٢/٥ عن الحسن ، وسعيد بن جبير قالا : كل ذنب نسبه الله إلى النار : فهو من الكبائر .

حدثنا بكرُ بنُ سهلٍ ، قال حدثنا أبو صالح ، عن معاوية بن صالح ، عن عليِّ بنِ أبي طلحة ، عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ** ﴾ : « الإشراكُ ، واليأسُ من رَوْحِ اللهِ ، والأَمْنُ لِمَكْرِ اللهِ »(١) .

ومنها عقوق الوالدين ، وقتلُ النفس التي حرَّم اللهُ ، وقذفُ المحصناتِ ، وأكلُ مالِ اليتيم ، والفِرارُ من الزَّحفِ ، وأكلُ الرِّبا ، والسِّحْرُ(٢) ، والزنى ، واليمينُ الغموسُ الفاجرةُ ، والغلولُ ، ومنعُ الزكاة المفروضة ، وشهادةُ الزُّور ، وكتمانُ الشهادة ، وشربُ الخمر ، وتركُ الصلاة متعمداً ، أو شيءٍ مما افترض اللهُ ، ونقضُ العهدِ ، وقطيعةُ الرَّحم .

---

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٥/٤٠ وروى عنه بسنده أنه سئل عن الكبائر أسبعٌ هي ؟ قال : هي إلى السبعين أقرب ، وروى أيضاً عن سعيد بن جبير أن رجلاً قال لابن عباس : كم الكبائر ؟ أسبعٌ هي ؟ قال : إلى سبعمائة أقرب منها إلى سبع ، غير أنه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع إصرار . اهـ.

(٢) أشار المصنف بذكر هذه الذنوب إلى ما أخرجه البخاري ومسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال (اجتنبوا السبع الموبقات : قالوا وما هنَّ يا رسول الله ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحق ، وأكلُ الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات) وهذه أمهات الكبائر ، وليست هي كل الكبائر ، قال القرطبي ١٦/٣٥ : ﴿ والفواحش ﴾ داخلة في الكبائر ، ولكنها تكون أفحش وأشنع ، كالقتل بالنسبة إلى الجرح ، والزنى بالنسبة إلى المراودة ، وقيل : الفواحش والكبائر بمعنى واحد ، أي يجتنبون المعاصي ، لأنها كبائر وفواحش . اهـ.

٣٥ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ وأَمْرُهُـمْ شُورَى بَيْنَهُـمْ ، ومِمَّـا رَزَقْنَاهُـمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [آية ٣٨] .

أي يتشاورون(١) .

٣٦ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ والَّذيـنَ إذَا أَصَابَهُـمُ البَغْـيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾ [آية ٣٩] .

روى منصور عن إبـراهيم : كانـوا يكرهـون أن يُذِلُّـوا أنفسهم ، فيجترىء عليهم الفُسَّاقُ(٢) .

٣٧ ــ ثم قال جل وعـز : ﴿ وَجَـزَاءُ سَيِّئَـةٍ سَيِّئَـةٌ مِثْلُهَـا .. ﴾ [آية ٤٠] .

قال ابن أبي نجيـح : إذا قال : أَخْـزَاه الله ، قال له : أَخْـزَاهُ الله .

---

(١) قال ابن قتيبه ﴿ وأمرهم شورى ﴾ أي يتشاورون فيه بينهم ، وهكـذا قال الـطبري ٢٥/٣٧ : إذا حَزَبهم أمر تشاوروا بينهم . وقال الزجاج ٤/٤٠١ أي لا ينفردون برأي حتى يجتمعوا عليه ، وقـال الـرازي ٢٧/١٧٧ : كان إذا وقعـت بينهم واقعـة اجتمعـوا وتشاوروا . فأثنـى الله عليهم . وعـن الحسن البصري : ما تشاور قوم إلا هُدوا لأرشد أمورهم . اهـ. التفسر الكبير .

(٢) هذا الأثر رواه عبد بن حميـد ، عن منصور ، عن إبـراهيم النخعـي ، كما في الـدر المنثور ٦/١٠ وغرض الآية الثناء عليهم بأنهم يأبون الـذلَّ ، فإذا بغـى عليهم باغ ، ردُّوا عن أنفسهـم العـدوان ، إظهـاراً لعـزة المؤمـن ، وردعـاً للظـالم المعتـدي ، قال الـطبري ٢٥/٣٧ في روايتـه عن السـدي : ينتصرون ممن بغى عليهم ، من غير أن يعتدوا ، واختار هذا القول .

قال أبو جعفر : الأُولَى سيِّئةٌ في اللفظِ والمعنى ، والثانية سَيِّئةٌ في اللفظ ، وليست في المعنى سيِّئةً ، ولا الذي عملها مسيءٌ ، وسُمِّيتْ سيِّئةً لازدواجِ الكلامِ ، ليُعلَمَ أنها جزاءٌ على الأُولى[1] .

٣٨ ــ **وقوله جل وعزَّ : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَـٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾** [آية ٤١] .

قال قتادة : هذا في القصاص ، فأمَّا من ظَلَمك ، فلا يحلُّ لك أن تظلِمه[2] .

قال الحسن : ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ هذا إذا لم يكن ظلمُه لا يَصْلُح[3] .

أي هذا فيما أباح الله الانتصارَ منه .

---

(١) توضيح هذا المعنى : أن دفع الأذى والعدوان لا يسمَّى سيئة ، بل هو إحسان ، لأن كفَّ الظالم عن ظلمه ، ومقابلة الجناية بما يماثلها دفع للعدوان ، ولكنها لما كانت في مقابلة السيئة ــ وهي تسوء من تقع عليه ــ سميت سيئة ، مشابهة لها في اللفظ ، دون المعنى ، وهذا ما يسمى في علم البلاغة « المشاكلة » وهي الاتفاق في اللفظ ، مع الاختلاف في المعنى ، كما قال الشاعر :

قالوا اقترحْ شيئاً نُجِدْ لكَ طبخَهُ ... قلتُ اطبخُوا لي جُبَّةً وقَميصاً

(٢) الأثر أخرجه ابن الجوزي في زاد المسير ٢٩٣/٧ والقرطبي في جامع أحكام القرآن ٤٠/١٦ .

(٣) أشار الحسن البصري إلى أن دفع الإساءة يجب أن يكون فيما أذن الله به ، فلا يجوز إذا كذب عليك إنسان أن تكذب على لسانه ، وإذا قدفه بالزنى لا يجوز أن يقذفه بالزنى ، وإذا سرق منه أن يسرق هو منه ، وإنما يجوز في المباح ، والله أعلم .

وقد روى يونس عن الحسن في قوله ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ ﴾ قال : إذا لُعِنَ لَعَنَ ، وإذا سُبَّ سَبَّ[1] ، ما لم يكن حَدًّا ، أو كلمةً لا تصلُحُ .

٣٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ ، يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ .. ﴾ [آية ٤٥] .

أي ينظرون إلى النَّارِ[2] .

قال مجاهد : ﴿ خَفِيٍّ ﴾ أي ذليل[3] .

قال أبو جعفر : وقيل : ينظرون بقلوبهم ، لأنهم يُحْشَرون عُمياً[4] .

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٣٨ والقرطبي ١٦/٤٠ عن مجاهد ، والسدي ، قال الطبري في روايته عن السدي : « إذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها ، من غير أن تعتدي ، وقال مجاهد : إذا قال : أخزاه الله ، أو لعنه الله يقول مثله ، ولا يقابل القذف بقذف ، ولا الكذب بالكذب . اهـ.

(٢) لم يسبق ذكر النار في الآية ولكنه مفهوم من السياق ، لأن ما قبله يدل عليه وهو قوله تعالى ﴿ لما رأوا العذاب ﴾ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٤٢ وهو قول ابن عباس ، وذكره ابن كثير ٧/٢٠١ عن مجاهد .

(٤) هذا قول الزجاج في معانيه ٤/٤٠٢ وذكره الفراء في معاني القرآن ٣/٢٦ قال : نظروا إلى النار بقلوبهم ، ولم يروها بأعينهم ، لأنهم يحشرون عمياً ، والأظهر ما قاله مجاهد وابن عباس أنهم ينظرون بطرف ذابل ذليل ، وأظهر منه ما روي عن قتادة أن المعنى : أنهم يسارقون النظر إلى النار .

٤٠ ـ **وقول جل وعز** : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ القِيَامَةِ .. ﴾ [آية ٤٥] .

قال قتادة : خسروا أهليهم الَّذين في الجنة ، أُعِدُّوا لهم لو أطاعوا[١] .

وقيل : لمَّا كان المؤمنون ، يُلْحقُ بهم أهلُوهم في الجنة ، وكان الكفَّار لا يجتمعون معهم في خيرٍ ، كانوا قد خسروهم ، قال الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[٢] .

٤١ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ [آية ٤٧] .

قال مجاهد : ﴿ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ من مَحْرزٍ ، و ﴿ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ من ناصر[٣] .

وقيل : ﴿ مِنْ مَلْجَأٍ ﴾ من مَخْلصٍ من عذاب الله . .

﴿ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴾ أي لا تقدرون أن تنكروا الذنوب ،

---

(١) قال ابن كثير ٢٠١/٧ : فرق بينهم وبين أصحابهم ، وأحبابهم ، وأهاليهم ، وقراباتهم ، فخسروهم . اهـ.

(٢) تفضلاً منه تعالى ، يُلحق بهم أبناءهم ، وذريتهم ، وإن لم يعلموا بعملهم ﴿ ذرياتهم ﴾ قراءة ابن عامر ، والجمهور ﴿ ذريتهم ﴾ وكلا القراءتين سبعية .

(٣) ﴿ ملجأ ﴾ أي مكان وحصن تلجأون إليه ، و ﴿ نكير ﴾ أي ناصر ينصركم من عذاب الله ، قاله مجاهد كما في الطبري ٤٣/٢٥ .

التي توقفون عليها[1] .

٤٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً ، وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإنَاثاً ، ويَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً ﴾ [آية ٥٠] .

قال عبيدة ، وأبو مالك ، والحسن ، ومجاهد ، والضحاك ــ والمقصود لفظُ عَبيدة[2] ــ أي : يهبُ لمن يشاء ذكوراً يولَدون له ، ولا يُولَد له إناث ، ويَهَبُ لمن يشاء إناثاً يولدون له ، ولا يُوْلَد له ذكرٌ ﴿ **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإنَاثاً** ﴾ يُولَد له ذكورٌ ، ويُولَد له إناثٌ .

قال عَبيدة : ﴿ **وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً** ﴾ لا يُولد له[3] .

قال أبو جعفر : يقال لكل اثنين مقترنَيْن : زوجان ، كلٌّ واحدٍ منهما زوجٌ .. من ذلك الرجلُ والمرأةُ ، والخُفَّانِ ، والنَّعلان ، فمعنى ﴿ **يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وإنَاثاً** ﴾ : يقرنهم ، أي يقرن لهم[4] ، كما قال

---

(١) فسر المصنف ﴿ نكير ﴾ بمعنى الإنكار أي لا تقدرون على إنكار شيء من الذنوب ، واختاره في البحر ٥٢٥/٧ وما ذهب إليه هو قول الزجاج في معانيه ٤٠٢/٤ .

(٢) قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٥٤٧/١ : « عبيدة بن عمرو السلماني » أبو عمرو ، تابعي كبير مخضرم ، ثقة ، ثبت ، مات سنة ٧٢هـ .

(٣) الأثر ذكره الطبري عن قتادة ، والسدي ، وانظر جامع البيان ٤٤/٢٥ .

(٤) ليس معنى ﴿ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ﴾ أنه يزوج الذكر بالأنثى ، وإنما معنى الآية أنه تعالى يجعلهم إن شاء من النوعين ، فيجمع للإنسان بين البنين والبنات ، وهذا معنى قول المصنف : يقرن لهم ، أي يجمع لهم بين الذكور والإناث ، قال مجاهد : هو أن تلد المرأة غلاماً ، ثم تلد=

﴿ وَالقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾[1] .

ويُقال : زوَّجتُ إبلي صغيرَها وكبيرَها ،أي قرنتُ صغيرَها مع كبيرها .

ويُقال : رجلٌ عقيمٌ : لا يولدُ له ، وامرأةٌ عقيم : لا تلدُ ، وريحٌ عقيم[2] : لا تأتي بمطرٍ ولا خير .

٤٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللهُ إلَّا وَحْياً ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوْحِيَ بِإذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [آية ٥١] .

في المعنى قولان :

أ ــ فالذي عليه أهلُ التفسير ، ما قاله مجاهد ، قال : ﴿ **إلَّا وَحْياً** ﴾ أن يَنْفُثَ في قلبه[3] .

= جارية ، ثم تلد غلاماً وهكذا . قال العتيبي : التزويج ههنا : هو الجمع بين البنين والبنات ، تقول العرب : زوجت إبلي إذا جمعت بين الكبار والصغار . قال بعض المفسرين : نزلت هذه الآية في الأنبياء عليهم السلام ، فشعيب ولوط كان لهما إناث دون ذكور ، وإبراهيم كان له ذكور دون إناث ، ومحمد ﷺ جمع الله له بين الذكور والإناث ، ويحيى كان عقيماً ، قال في التسهيل : والظاهر أن الآيه على العموم .

(١) سورة يس آية رقم ٣٩ وتتمة الآية ﴿ حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ والشاهد في الآية ﴿ قدرناه منازل ﴾ أي قدرنا له منازل .

(٢) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ أي الرياح المدمرة ، التي لا خير فيها ولا بركة ، لأنها لا تلقح سحاباً ولا شجراً .

(٣) هذا مثل ما جاء في صحيح ابن حبان عن رسول الله ﷺ أنه قال (إن روح القدس نفث في روعي ، أن نفساً لن تموت ، حتى تستكمل رزقها وأجلها ، فاتقوا الله ، وأجملوا في الطلب) .

﴿ **أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ** ﴾ كما كلَّمَ موسَى صلى الله عليه وسلم[(١)]﴿ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾ كما أرسلَ جبريلَ عليه السلام إلى النبي ﷺ ، وإلى أشباهه .

والقول الآخر : أن معنى ﴿ **إِلَّا وَحْياً** ﴾ كما أُوحي إلى الأنبياء صلى الله عليهم بإرسال جبريل صلى الله عليه ﴿ **أو من وراء حجاب** ﴾ كما كلَّم موسى ﷺ ﴿ **أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً** ﴾ إلى الناس عامةً[(٢)] .

ويُقرأ ﴿ **أَوْ يُرْسِلُ رَسُولاً فَيوحِي بِإِذْنِه** ﴾[(٣)] وهذا في موضع الحال ، أي الذي يقوم مقام الكلام ما ذُكر .

ويجوز أن يكون مقطوعاً من الأول .

---

(١) هذا خصوصية لنبي الله الكريم « موسى بن عمران » فقد كلمه الله بلا واسطة ، كما قال سبحانه ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ ولهذا سمي « موسى الكليم » ولما سأل الرؤية بعد التكليم حجب عنها ، قال ابن كثير ٢٠٤/٧ وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجابر بن عبد الله (ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب ، وإنه كلم أباك كفاحاً ـــ أي مواجهة دون حجاب ولا رسول ـــ فقال يا عبد :تمنَّ عليَّ ..) الحديث ، ولكن هذا في عالم البرزخ ، لا في الدار الدنيا اهـ.

(٢) القول الأول هو الأظهر والأشهر وهو قول جمهور المفسرين : الطبري ، وابن الجوزي ، والقرطبي ، وابن كثير ، والألوسي .. قال ابن كثير ٢٠٤/٧ ﴿ أو يرسل رسولاً ﴾ كما ينزل جبريل وغيره من الملائكة ، على الأنبياء عليهم السلام .. إلخ. وهو مذهب الجمهور .

(٣) قراءة الرفع ﴿ أو يرسلُ رسولاً فيوحي ﴾ بالرفع في كل من ﴿ يرسل ﴾ و ﴿ يوحي ﴾ هي قراءة نافع ، وابن عامر ، وهي من القرءات السبع ، على تقدير أو هو يرسل ، ويوحي ، وقرأ الجمهور بالنصب ﴿ أو يرسلَ رسولاً فيوحي ﴾ عطف على ﴿ وحياً ﴾ قال الفراء : والنصب أجود . وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٢ .

٤٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا .. ﴾** [آية ٥٢] .

قال ابن عباس : النُّبُوَّةُ(١) .

قال أبو جعفر : أي وكذلك أوحينا إليك ، ما تحيا به النفوسُ ، أي ما تهتدي به .

وقال قتادة والحَسَنُ : ﴿ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ﴾ أي رحمةً من عندنا(٢) .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [آية ٥٢] .

أي بما أوحينا إليك(٣) .

وقال مُعَلَّى(٤) : سمعتُ حَوْشَباً يقرأ **﴿ وَإِنَّكَ لَتُهْدَى إِلَى**

---

(١) الأثر أخرجه في البحر عن ابن عباس ٥٢٧/٧ والقرطبي ٥٤/١٦ ونقل ابن الجوزي ٢٩٨/٧ عن ابن عباس ﴿ روحاً من أمرنا ﴾ أنه القرآن ، واختاره الطبري ، وابن كثير ، وأكثر من المفسرين ، قال القرطبي ٥٥/١٦ : قال الضحاك : هو القرآن ، وهو قول مالك بن دينار ، وسماه روحاً ، لأن فيه حياة من موت الجهل ، وجعله من أمره بمعنى أنزله كما يشاء من النظم المعجز ، والتأليف العجيب ، وكان مالك بن دينار يقول : يا أهل القرآن ماذا زرع القرآن في قلوبكم ؟ فإن القرآن ربيع القلوب ، كما أن الغيث ربيع الأرض . اهـ.

(٢) الأثر في الطبري ٤٦/٢٥ والقرطبي ٥٤/١٦ وابن الجوزي ٢٩٨/٧ والبحر المحيط ٥٢٧/٧ .

(٣) الهداية هنا بمعنى : الدلالة والإرشاد ، أي وإنك يا محمد لترشد وتدل ، بما أوحاه إليك ، إلى دين قيِّم مستقيم ، هو الإسلام .

(٤) هو مُعَلَّى بن أسد العَمِّي ، أبو الهيثم البصري ، الحافظ ، قال العجلي : ثقة كيِّس ، وذكره ابن =

صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[1] .

وفي قراءة أُبَيٍّ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَدْعُو إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : وهذا لا يُقْرَأ به ، لأنـه مخالـفٌ للسَّواد ، وإنما يُحْملُ ما كان مثلُه ، على أنه من قائلِهِ ، على جهـة التـفسير ، كما قال سفيان في قوله جل وعـزَّ : **﴿ وإنَّكَ لَتهْـدِي إلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيـمٍ ﴾** أي لتدعـــو .

وروى مَعْمَرٌ عن قتـادة في قولـه تعـالى ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْـدِي إِلَـى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ قال : لكُلِّ قَوْمٍ هادٍ[3] .

* * *

« انتهت سورة الشورى »

= حبان في الثقات ، توفي سنة ٢١٨هـ وانظر ترجمتـه في التهذيب ٢٣٦/١٠ و « حوشب » هو حوشب بن مسلم الثقفي من كبار أصحاب الحسن ، ثقة ، وانظر ترجمته في التهذيب ٦٦/٣ .

(١) هذه قراءة عاصم الجحدري ، وحوشب ﴿ وإنك لتُهْـدى ﴾ بالبنـاء للمجهـول ، أي وأنك يا محمـد ليهديك الله إلى طريـــق الهدى والإيمان ، وقـــراءة الجمهـــور ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ أي وإنك لتهدي بذلك النـور ، من شاء الله هدايتـه ، وقـد ذُكـرت القـراءة الأولى في البحر المحيط ٥٢٨/٧ والقرطبي ٦٠/١٦ وروح المعاني ٦٠/٢٥ .

(٢) قراءة أبيٍّ محمولة على جهـة التـفسير كما قال المصنـف ، وليست من القـراءات السبـع ، ومـراده بمخالفة السواد أنها قراءة غير القراء المشهورين المعتمدين ، وهم القراء السبعة ، ولهذا لا يُعوَّل على هذه القراءة ، وانظر القرطبي ٦٠/١٦ .

(٣) الأثر أخرجه عبد بن حُميد عن قتادة ، كما في الدر المنثور للسيوطي ١٣/٦ قال ﴿ وإنك لتهدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ قال الله تعالى ﴿ ولكل قوم هادٍ ﴾ قال : داع يدعـو إلى الله تعـــالى ، وأخرجه ابن جرير في تفسيره ٤٧/٢٥ والقرطبي ٦٠/١٦ والمراد أن كل أمـة من أمم الأرض ، قد بعث الله لها داعياً يرشدها إلى الله .

تفسير سورة الزخرف

مكية وآياتها ٨٩ آيـة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف وهي مكية

١ ــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ حمٓ . وَالكِتَابِ المُبِينِ ﴾ [آية ١ و ٢] .

أي أبان الهُدَى من الضَّلَالةِ ، والحقَّ مِن الباطِلِ .

ويكون ﴿ المبينُ ﴾ : البَيِّنُ(١) .

٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٣] .

أي بيَّنَّاه(٢) .

---

(١) سُمِّي القرآن بالمبين بمعنى البيِّن الواضح الجلي ، المظهر طريق الهدى من طريق الضلال ، قال في المصباح : بانَ الأمرُ فهو بيِّنٌ ، وأبانَ ، واستبان ، وتبيَّن كلها بمعنى الوضوح والانكشاف . اهـ. مادة بان .

(٢) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٠٤/٤ والأَوْلَى ما قاله الطبري ٤٧/٢٥ وابن كثير ٢٠٥/٧ ﴿ إنَّا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ أي أنزلناه بلسان العرب ، فصيحاً واضحاً ، وهو قول السدي ، وسعيد ابن جبير ، وقال مجاهد ﴿ إنَّا جعلناه ﴾ أي قلناه ، وإنما فسَّر السلف الآية بهذا ، لئلا يوهم أن القرآن مخلوق ، فقد رَوَى في الدر المنثور ١٣/٦ عن طاووس قال : جاء رجل ابن عباس فقال : يا ابن عباس : أخبرني عن القرآن : أكلام الله أم خلقٌ من خلق الله ؟ قال : بل كلام الله ، أوَما سمعت الله يقول ﴿ وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجِرْهُ حتى يسمع كلام الله ﴾ ؟ فقال الرجل : أفرأيت قوله ﴿ إنا جعلناه قرآناً عربياً ﴾ ؟ قال : كتبه الله في اللوح المحفوظ بالعربية ، أما سمعت الله يقول ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ ؟!

٣ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [آية ٤] .

روى مَعْمَرٌ عن قَتادَة قال : ﴿ فِي أُمِّ الكِتَابِ ﴾ قال : في أصل الكتاب ، وجملته عندنا[١] .

قال أبو جعفر : ونظير هذا على قول قتادة ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ مَجِيدٌ . فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ ﴾[٢] .

وقيل : ﴿ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ ﴾ : يعني ما قُدِّرَ من الخير والشرِّ[٣] ﴿ لَعَلِيٌّ ﴾ : لقاهر ، لا يقدر أحدٌ أن يدفعه ﴿ حَكِيمٌ ﴾ : مُحْكَمٌ .

٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ ﴾ [آية ٥] .

رَوى إسماعيلُ عن أبي صالح ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ ﴾ ؟

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٤٨ والدر المنثور ٦/١٣ وبهذا القول قال الزجاج ﴿ في أم الكتاب ﴾ أي في أصل الكتاب ، وأصل كل شيء : أمُّه ، والقرآن مثبتٌ عند الله في اللوح المحفوظ . اهـ. زاد المسير ٧/٣٠٢ وهو اختيار الطبري ، وابن كثير .

(٢) سورة البروج آية رقم ٢٢ .

(٣) هذا قول ابن جريج كما في القرطبي ١٦/٦٢ فقد قال : (وإنه) أي أعمال الخلق ، من إيمانٍ وكفر ، وطاعة ومعصية .. إلخ. والقول الأول بأن الضمير يعود على القرآن ، أظهر وأشبه والمعنى : وإن هذا القرآن في اللوح المحفوظ ، عندنا لرفيع الشأن ، عظيم القدر ، ذو حكمة بالغة ، ومكانة فائقة ، محكم بريء من اللبس والزيغ ، وانظر ابن كثير ٧/٢٠٥ .

قال : العذابُ[1] .

وروى ابنُ أبي نجيح عن مجاهد قال : أَتُكَذِّبُونَ بالقرآنِ ، ولا تُعَاقبونَ[2] ؟

قال أبو جعفر : المعنى على هذين القولين : أفنضرب عنكم ذكر العذاب .

ومذهب قتادة أن المعنى : أفنهملكم ، ولا نأمركم ، ولا ننهاكم[3] ؟

قال أبو جعفر : يقال : ضربت عنه ، وأضربتُ أي تركته .

ثم قال جلَّ وعز ﴿ صَفْحاً ﴾ أي إعراضاً .

يجوز أن يكون المعنى : أفنصفح عنكم صفحاً[4] ، كما يُقال : هو يَدَعُه تركاً .

---

(١) ذكره الطبري ٤٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٠٣/٧ ونسبه إلى مجاهد والسدي ، وهو قول مرجوح ، والراجح قول قتادة وابن زيد ، والمعنى : أفنمسك عن إنزال القرآن ونعرض عنكم من أجل أنكم لا تؤمنون ؟

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٤٩/٢٥ والقرطبي ٦٢/١٦ والبحر المحيط ٦/٨ وعبارته : ألَّا نعاقبكم بالتكذيب ، وعبارة الطبري : تكذّبون بالقرآن ثم لا تُعَاقبون عليه ؟ وكذلك هو في الدر المنثور ١٣/٦ .

(٣) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٢/١٦ ولفظه وقال قتادة : أفنهلككم ولا نأمركم ولا ننهاكم ؟ وبنحوه قال السدي : أفنترككم سُدى فلا نأمركم ولا ننهاكم ؟ وذكره في البحر . والطبري بنحوه .

(٤) على هذا التأويل يكون إعراب ﴿ صَفْحاً ﴾ منصوب على أنه مفعول مطلق ، لفعل محذوف من غير فعله أي أفنصفح عنكم الذكر صفحاً ، لأن معنى ﴿ أفنضرب ﴾ أفنصفح ونعفو ؟

ويجوز أن يكون المعنى : أفنضرب عنكم الذكر صافِحين ، كما يُقال : جاء فلانٌ مَشْياً .

ومعنى صفحتُ عنه : أعرضت عنه أي ولَّيْتُه صفحةَ عُنُقي ، قال الشاعر :

صَفُوحاً فَمَا تَلْقَاكَ إلَّا بَخِيلَةً
فَمَنْ مَلَّ مِنْهَا ذَلِكَ الوَصْلَ مَلَّتِ[1]

٥ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **أَنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ** ﴾ [آية ٥] .

قال قتادة : أي مشركين[2] .

قال أبو جعفر : المعنى لأن كنتم ، إذا فتحتَ ﴿ **أَنْ** ﴾ وبذلك قرأ الحسن ، وأبو عمرٍو ، وابن كثير .

وقرأ أهل المدينة ، وأهلُ الكوفةِ بالكسر ، وهو عند قوم من

---

(١) البيت لكُثَيِّر عزَّة وقد ذكره في غريب القرآن ص ٣٩٥ وتاج العروس ولسان العرب مادة صفح بلفظ « إلَّا بخيلةٍ » بدل « بخيلةً » وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٦٣/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٢/٧ والبحر المحيط ٦/٨ بلفظ « بخيلة » والشاعر يصف امرأة أعرضت عنه وصدَّت ، فهي بخيلة بالوصال والكلام .

(٢) الطبري ٤٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٠٣/٧ والقرطبي ٦٣/١٦ وخلاصة المعنى : أنترك تذكيركم إعراضاً عنكم ونعتبركم كالبهائم فلا نعظكم بالقرآن ، من أجل أنكم مسرفون في الكفر والعصيان ؟ لا ، بل نذكِّركم ، ونعظكم حتى لا تبقى لكم حجة .

أهل اللغة لحنٌ ، منهم أبو حاتم(١) ، وإنما صار عندهم لحناً(٢) ، لأنهم إنما وُبِّخُوا على شيءٍ قد ثبت وكان ، فهذا موضع « أَنْ » مفتوحة ، كما قال سبحانه ﴿ **عَبَسَ وَتَوَلَّى . أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى** ﴾ .

قال أبو جعفر : وهذا عند الخليل ، وسيبويه ، والكسائي ، والقُرَّاء جيِّدٌ .

قال سيبويه : سألتُ الخليل عن قوله ــ يعني الفرزدق ــ :

أَتَغْضَبُ إنْ أُذْنَا قُتَيْبَةَ حُزَّتَا
جِهَاراً وَلَمْ تَغْضَبْ لَقَتْلِ ابنِ خَازِمِ(٣)

فقال : هي « إنْ » مكسورة ، لأنه قبيح أن يُفصل بين « أَنْ » والفعل .

قال أبو جعفر : وهذا شيءٌ قد مَضَى .

---

(١) « أبو حاتم » هو سهل بن محمد السجستاني ، النحوي ، اللغوي ، المقرئ المتوفى سنة ٢٥٥هـ أخذ عنه المبرِّد ، وابن دريد ، وقد تقدمت ترجمته ٩١/١ .

(٢) لا يقال : إن كسر الهمزة في قوله تعالى ﴿ إن كنتم قوماً مسرفين ﴾ لحنٌ ، لأنها قراءة من القراءات السبع ، وهي قراءة حمزة ، ونافع ، والكسائي ، وقرأ ابن كثير ، وعاصم ، وأبو عمرو ، وابن عامر ﴿ أن كنتم ﴾ فكلاهما قراءة واردة عن رسول الله ﷺ بالسند الصحيح ، وطالما لها وجهٌ في اللغة ، فلا يُقال عنها : إنها لحن ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٤ .

(٣) البيت من شواهد المغني ٨٦/١ وفي جامع البيان للطبري ٥٠/٢٥ ومعاني القرآن للفراء ٢٧/٣ وقد ورد فيه وفي الطبري البيت بلفظ « أتجزع » وفي الطبري « ابن حازم » وصوابه بمعجمتين « ابن خازم » .

قال أبو إسحاق[1] : وهذا يكون بمعنى الحال ، إذا كان في الكلام معنى التوبيخ والتقرير ، أي أهذه حالك ؟[2].

قال أبو جعفر : فَعَلى هذا قولُه ﴿ **إنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ** ﴾[3] .

٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فأهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشاً ، وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [آية ٨] .

قال مجاهد : أي سنة الأولين[4] :

قال قتادة : أي عقوبة الأولين .

وقوله جلَّ وعز : ﴿ **وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً** ﴾ أي طُرُقاً[5] .

٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا** ﴾ [آية ١٢] .

أي الأصناف كلَّها[6] .

---

(١) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ١/٧٤ .

(٢) أي يحمل على هذا المعنى ، أي على وجه الاستقبال كما قال الزجاج ٤/٤٠٥ من كسرها فعلى معنى الاستقبال ، على معنى إن تكونوا مسرفين نضرب عنكم الذكر ؟

(٣ ــ ٤) انظر الآثار في الطبري ٢٥/٥١ والقرطبي ١٦/٦٤ والبحر المحيط ٨/٦ .

(٥) في المصباح : السبيلُ : الطريقُ ، يذكَّر ويؤنث ، والجمع على التذكير : سُبُل . اهـ. ومما جاء مؤنثاً قوله تعالى ﴿ قل هذه سبيلي ﴾ ومما ورد مذكَّراً قوله تعالى ﴿ وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً ﴾ .

(٦) هذا قول سعيد بن جبير كما في القرطبي ١٦/٦٥ وقال الحسن : الشتاء والصيف ، والليل والنهار ، والسموات والأرض ، والشمس والقمر ، والجنة والنار .. إلخ. والأولى أن يُقال : خلق =

٨ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴾ [آية ١٢] .

قال مجاهد : الأباعرُ ، والخيلُ ، والبغالُ ، والحميرُ(١) .

٩ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ [آية ١٤] .

أي على ظهور هذا الجنس(٢) .

﴿ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ أي تقولوا : الحَمدُ لله .

كما روى أبو إسحاق ، عن عليِّ بن ربيعةَ قال : رأيتُ عليَّ بن أبي طالب صلوات الله عليه(٣) جعل رِجْلَهُ في الرِّكاب ، فقال ﴿ بِسْمِ اللهِ ﴾ فلما استوى راكباً قال ﴿ الحمدُ لله ﴾ ثم قال ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ اللَّهُمَّ لا إله إلا

= جميع الأصناف من الإنسان ، والحيوان ، والنبات ، وغير ذلك ، فإنه عام يشمل الجميع . وانظر تفسير ابن كثير ٢٠٧/٧ .

(١) هذا تفسير للأنعام ، والأباعر جمع بعير ، يقال في جمعه أباعر . وأبعرة . وبُعْران . كذا في المصباح ، والبعير يطلق على الذكر وعلى الأنثى . والجمل على الذكر فقط ، والناقة على الأنثى فقط ، قال الطبري : الأنعام هي البهائم .

(٢) لم يقل : لتستووا على ظهورها ، وإنما قال ﴿ على ظهوره ﴾ لأن الضمير عائد على « ما » كأنه قال : على ظهور ما تركبون . اهـ. البحر المحيط ٧/٨ .

(٣) لا ينبغي أن يُقال عن عليٍّ « صلوات الله عليه » لأن هذا خاص بالأنبياء ، وإنما يُقال : رضي الله عنه ، كما يُقال لسائر الصحابة الكرام .

أنتَ ، قد عملتُ سوءً ، فاغفر لي ، إنه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت » ثم قال : رأيتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كفِعْلِي[1] .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد : من ركبَ ولم يقل : ﴿ **سبحان الذي سخَّر لنا هذا وما كنَّا له مُقْرِنين** ﴾ قال له الشيطانُ : تغنَّهْ ، فإن لم يُحسن ، قال له : تَمَنَّهْ[2] .

قال قتادة : ﴿ **مُقْرِنِينَ** ﴾ أي في القوة[3] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٩٧/١ وذكره ابن كثير في تفسيره ٢٠٧/٧ وزاد فيه (ثم ضحك ، فقلت له : من أيِّ شيءٍ ضحكت يا أمير المؤمنين ؟ فقال : رأيتُ رسول الله ﷺ صنعَ كما صنعت ثم ضحك . فقلتُ : ممَّ ضحكتَ يا رسول الله ؟ فقال : يعجبُ الربُّ من عبده إذا قال : ربِّ اغفر لي ، ويقول : علم عبدي أنه لا يغفر الذنوبَ غيري) وذكر الحديث بكماله في الدر المنثور ١٤/٦ وزاد أنه أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي ، والحاكم ، وصححه ، والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) الأثر ذكره القرطبي في جامع الأحكام عن مجاهد ٦٨/١٦ ومعنى « تغنَّهْ » أي غنِّ ، ومعنى « تمنَّه » أي اكذب ، يريد أن يشغله عن ذكر الله ، بالغناء تارة ، وبأحاديث الكذب مرة أخرى ، ومنه قول عثمان رضي الله عنه : ما تغنيت ولا تمنيت ولا شربت خمراً في جاهلية ولا إسلام . قال القرطبي : علَّمنا الله سبحانه ما نقول إذا ركبنا الدواب ، وعرَّفنا في آية أخرى على لسان نوح عليه السلام ما نقول إذا ركبنا السفن ، وهو قوله تعالى ﴿ وقال اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها ﴾ فكم من راكب دابة عثرت به فألقته على وجهه ، أو طاح من ظهرها فهلك ، وكم من سفينة غرقت ، فلما كان الركوب مباشرة سبب من أسباب التلف . أُمرَ ألا ينسى ذكر الله ، بقلبه ولسانه ، حتى يكون مستعداً للقاء الله .. . اهـ. بشيء من الاختصار .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٥٥/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٤/٦ ولفظه ﴿ وما كنا له مقرنين ﴾ لا في الأيدي ، ولا في القوة ، أي ما كنا نقدر عليه ، لولا تسهيل الله .

قال أبو جعفر : حَكَى أهلُ اللُّغَةِ أنه يُقال : أقرنَ له : إذا أطاقه ، وأنشدوا :

رَكِبْتُمْ صَعْبَتِي أَشَرَاً وَحَيْناً
وَلَسْتُمْ لِلْصِّعَابِ بِمُقْرِنِينَا[1]

وحقيقةُ : أقْرَنْتُ له : صرتُ له قِرْناً ، يُقال : هو قِرْنُه في القتال ، وهو على قَرْنِهِ ، أي مثله في السنِّ[2] .

١٠ ــ ثم قال تعالى : ﴿ **وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ** ﴾ [آية ١٤] .

أي إنَّا لمبعوثون[3] .

١١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ **وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءً إِنَّ الإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ** ﴾ [آية ١٥] .

---

(١) البيت للكميت استشهد به أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٢/٢ على أن معنى مقرن : ضابط ومطيق ، وذكره القرطبي ٦٦/١٦ بلفظ « أشراً وحَيْفاً » أي بطراً وجوراً ومعنى « حَيْناً » أي هلاكاً كما في اللسان ، وأورد العجز دون الصدر ابن حجر في فتح الباري ٤٣٧/٨ .

(٢) قال الجوهري في الصحاح : أقرن له : أي أطاقه وقَوِيَ عليه ، قال الله تعالى ﴿ وما كنَّا له مقرنين ﴾ أي مطيقين ، وفي المصباح أقرنتُ الشيء إقراناً : أطقته وقويتُ عليه . وهذا المعنى مرويٌّ عن ابن عباس ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد ، كما حكاه ابن كثير ٢٠٧/٧ قال « مقرنين » أي مطيقين ، قال المفسرون : وما كنا قادرين ولا مطيقين لركوبه لولا تسخيره تعالى لنا .

(٣) عبارة الطبري أوضح حيث قال ٥٥/٢٥ ﴿ وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ أي : وإنا إلى ربنا من بعد مماتنا لصائرون إليه راجعون .

قال قتادة : ﴿ جُزْءً ﴾ : أي عِدْلاً[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى على قولهم أنهم عبدوا الملائكة ، فجعلوا للهِ جلَّ وعزَّ شِبْهاً ومِثْلاً .

وقال عطاء : ﴿ جُزْءً ﴾ : أي نصيباً وشِرْكاً[4] .

قال أبو جعفر : وهذا أبينُ كما يُقال : هذا جزءُ فلانٍ ، وقيل لهم هذا ، لأنهم جعلوا الملائكة بناتِ اللهِ ، هذا قول مجاهد .

ومعنى ﴿ وَجَعَلُوا ﴾ : قالوا هذا ووصفوه[5] .

١٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ [آية ١٨] .

---

(١) الطبري عن قتادة ٢٥/٥٦ والقرطبي ١٦/٦٩ والبحر المحيط ٨/٨ ولفظه وقال قتادة : « جُزْءً » أي نِدًّا وذلك هو الأصنام .

(٢) الطبري ٢٥/٥٥ وعزاه إلى مجاهد والسدي ولفظه : جعلوا لله وَلَداً وبناتٍ من الملائكة ، واختاره الطبري ورجحه ابن كثير لقوله تعالى بعده ﴿ أم اتخذ مما يَخلق بنات ﴾ ؟ قال ابن كثير ٧/٢٠٩ : وكذلك جعل المشركون له من قسميْ البنات والبنين ، أخسَّهما وأردأهما وهو البنات كما قال سبحانه ﴿ ألكم الذكر وله الأنثى ﴾ ؟ وقال ههنا ﴿ أم اتخذ ممَّا يخلق بنات وأصفاكم بالبنين ﴾ ؟ وهذا إنكار عليهم غاية الإنكار ، ثم ذكر تعالى تمام الإنكار فقال : ﴿ وإذا بُشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً ظلَّ وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾ . اهـ. فما رجحه المصنف من قول عطاء ومجاهد هو الأظهر والله أعلم .

(٣) أي وصفوه بصفات المخلوقين ، فزعموا أن الملائكة بنات الله ، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

قال ابن عباس : يعني النِّساءَ ، جُعِلَ زِيُّهُنَّ غيرَ زَيِّ الرِّجَال[1] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون المعنى : أَوَمَنْ يُنَشَّأُ في الحِليةِ يجعلون لله جلَّ وعزَّ نصيباً ؟ .

ويجوز أن يكون : في موضع رفع[2] .

١٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَهُوَ فِي الخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴾ [آية ١٨] .

قال قتادة : قلَّ ما تكلَّمتِ امرأةٌ ولها حُجَّةٌ ، إلَّا جعلتها عليها[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/٥٧ والقرطبي ١٦/٧١ عن ابن عباس ، وقال الحافظ ابن كثير ٧/٢١٠ ﴿ أو من ينشأ في الحلية ﴾ أي المرأة ناقصة يكمِّل نقصها بلبس الحليِّ ، منذ تكون طفلة ، وإذا خاصمت فلا عبارة لها ، بل هي عاجزة عيِيَّة ، أو من تكون هكذا تنسب إلى جناب الله عز وجل ؟ فالأنثى ناقصة الظاهر والباطن ، في الصورة والمعنى ، فيكمَّل نقص ظاهرها بلبس الحلي ، وما في معناه :

وما الحَلْيُ إلَّا زِينَةٌ مِنْ نَقِيصَةٍ ... يُتَمِّمُ مِنْ حُسْنٍ إِذَا الحُسْنُ قَصَّرا
وَأَمَّا إِذَا كَانَ الجَمَالُ مُوَفَّراً ... كَحُسْنِكَ ، لَمْ يَحْتَجْ إِلَى أَنْ يُزَوَّرَا

(٢) هذا قول الفراء كما في معانيه ٣/٢٩ قال : فإن شئت جعلتَ « مَنْ » في موضع رفع على الاستئناف ، وإن شئت نصبتَها على إضمار فعل « يجعلون » . اهـ.

أقول : على الرفع يكون الكلام على الابتداء ، والخبر مضمرٌ تقديره : أو من كان على هذه الحالة يستحقُّ العبادة ؟ وعلى النصب يكون التقدير : وجعلوا لله من يُنشَّأ في الحلية .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٥/٥٧ والقرطبي ١٦/٧٢ والسيوطي في الدر المنثور ٦/١٥ .

١٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً .. ﴾** [آية ١٩] .

﴿ **جَعَلُوا** ﴾ هنا بمعنى : وصَفُوا ، وهذا من وجوه « جَعَلَ » التي ذكرها الخليل ، وسيبويه ، كما تقول : جعلتُ فلاناً أعلمَ النَّاسِ أي وصفته بهذا[١] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾** [آية ٢٠] .

هذه آيةٌ مشكلةٌ ، وقد تكلَّم فيها العلماءُ .

أ ــ **فمن أحسن ما قالوا أنَّ قوله عز وجل ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾** مردودٌ إلى قوله **﴿ وَجَعَلُوا المَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثاً ﴾** .

فالمعنى : إن الله جلَّ وعز لم يَرُدَّ عليهم قولهم **﴿ لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾** وإنما المعنى : ما لهم بقولهم : الملائكةُ بناتُ اللهِ من علمٍ ، وما بعده يدلُّ على أن المعنى على هذا ، لأن بعده **﴿ أَمْ**

---

(١) هذا قول الزجاج كما قال في لسان العرب ﴿ وجعلوا الملائكة ﴾ قال الزجاج : الجعلُ هنا بمعنى القول ، والحكم على الشيء ، كما تقول : قد جعلتُ زيداً أعلمَ النَّاس أي قد وصفتُه بذلك وحكمتُ به . اهـ. وانظر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٦/٧ ومعاني الزجاج ٤٠٧/٤ .

آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً مِنْ قَبْلِهِ ﴾ أي أم أنزلنا عليهم كتاباً فيه هذا[1] ؟

ب ــ **وفي الآية قول آخر** ، وهو أنَّ معنى ﴿ **مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ** ﴾ مَا لهم عذرٌ في هذا ، لأنهم رأوا أن ذلك عذرٌ لهم ، فردَّ الله ذلك عليهم[2] ، فالردُّ محمولٌ على المعنى ، وقوله ﴿ **أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَاباً** ﴾[3] .

١٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ .. ﴾ [آية ٢٢] .

(١) توضيح هذا أن الله تعالى حكى عن كفار العرب ثلاثة أقوال شنيعة :
الأول : أنهم نسبوا إلى الله النسل والذرية .
الثاني : أنهم نسبوا إليه ــ تقدست أسماؤه ــ البنات دون البنين .
الثالث : أنهم حكموا على الملائكة الأبرار الأطهار أنهم إناث ، دون دليل ولا برهان .
فكذَّبهم القرآن ورد عليهم ذلك السفه والبهتان فقال ﴿ أَشَهِدُوا خلقهم ستُكْتب شهادتهم ويُسألون ﴾ ؟ ثم زادوا في الضلال والجهل ، فزعموا أن ذلك برضى الله ، فقالوا على سبيل السخرية والاستهزاء كما حكاه القرآن ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ﴾ أي ما عبدنا هؤلاء الملائكة ولا تلك الأوثان ، ولما كانت عبادتنا واقعة بمشيئة الله فهو راض بها .. إلخ. فردَّ الله عليهم بقوله ﴿ ما لهم بذلك من علم إن هم لا يخرصون ﴾ أي ليس عندهم حجة ولا برهان ، بهذا الزعم الكاذب ، وإنما هم يكذبون على الله ، ويتقوَّلون عليه . اهـ.

(٢) احتج المشركون بحجة واهية ، وهي أنهم قالوا : إنما عبدنا الملائكة واتخذناهم إناثاً ، برضى الله عز وجل ، ولو لم يكن الله راضياً عن عبادتها ، لعجَّل لنا العقوبة .. إلخ. فجعلوا إمهال الله ، وإحسانه إليهم ، وهم يعبدون غيره ، دليلاً على رضاه ، فردَّ الله عليهم بقوله ﴿ ما لهم بذلك من علم ﴾ الآية .

(٣) أي هذه الآية أيضاً تدل على الردِّ فإن قوله تعالى ﴿ أم آتيناهم كتاباً ﴾ سخريةٌ بهم ، لأنه لم ينزل عليهم كتاب بما يزعمون ، فليس لهم إذاً مستند من عقل أو نقل .

وقرأ **مجاهد** ، وعمر بن عبد العزيز ﴿ **عَلَى إِمَّةٍ** ﴾[1] .

قال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد .

قال أبو جعفر : المعروفُ في اللغة ، أن « الإمّة » بالكسر : الطريقة من الدين والمذهب ، كما قال :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً
وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهُوَ طَائِعُ[2]

والأُمَّةُ : السُّنَّةُ والمِلَّةُ[3] ، وقد يكون لها غير هذا المعنى ، وقد تكون الإِمَّةُ بمعنى المُلْكِ ، والتَّمام كما قال :

ثُمَّ بَعْدَ الفَلَاحِ والمُلْكِ والإِمَّـــةِ وَارَتْهُمُوا هُنَاكَ القُبُورُ[4]

---

(١) هذا خلاف لغوي في كسر الهمزة وضمِّها في (أمة) قال الشوكاني ٥٥١/٤ : قرأ الجمهور ﴿ أُمة ﴾ بضم الهمزة ، وقرأ مجاهد وقتادة بكسرها .

(٢) البيت للنابغة الذبياني في ديوانه ص ٣٥٠ وهو في الصحاح ، واللسان مادة « أمم » وفي الدر المنثور ١٥/٦ وتفسير القرطبي ٧٥/١٦ وفتح القدير ٥٥١/٤ للشوكاني .

(٣) قال الجوهري : والأُمَّة الجماعة ، والطريقة والدين يقال : فلان لا أُمَّة له ، أي لا دين ولا نِحْلة له ، وقوله تعالى ﴿ كنتم خير أُمَّةٍ ﴾ أي خير أهل دين ، والإمَّة بالكسر : النعمة ، وهي لغة في الأُمَّة ، وهي الطريقة والدين . اهـ. من الصحاح .

(٤) البيت لعدي بن زيد العبادي في ديوانه ص ٨٩ وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ٣٠/٣ واللسان مادة (أمم) والطبري ٦٠/٢٥ والقرطبي ٧٤/١٦ والشوكاني ٥٥٢/٤ قال الفراء : وكأنَّ « الإمَّة » الطريقة من أممتُ القوم ، فإن العرب تقول : ما أحسنَ إمَّته ، وعِمته ، وجلسته — أي إمامته — والإمَّة أيضاً الملكُ والنعيمُ ، وذكر البيت .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾ على مِلَّةٍ[1] .

١٧ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ [آية ٢٢] .

يجوز أن يكون خبراً بعد خبر[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : مهتدون على آثارهم .

١٨ ـــ ثم أخبر جلَّ وعزَّ أن الأنبياء قبله قد قيل لهم مثل هذا فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ ، إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ [آية ٢٣] .

ثم قال جل وعز : ﴿ قُلْ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ[3] .. ﴾ ؟ [آية ٢٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٦٠/٢٥ عن مجاهد وبنحوه في الدر المنثور ١٥/٦ والمراد : إنا وجدنا آباءنا على دين وملة ونحن ماشون على طريقتهم ، مهتدون بآثارهم ، قال القرطبي ﴿ وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ أي نهتدي بهم ، وفي الآية الأخرى ﴿ وإنا على آثارهم مقتدون ﴾ أي نقتدي بهم ، والمعنى واحد ، وفي الآية دليل على إبطال التقليد ، لذمهم على تقليد آبائهم ، وتركهم النظر فيما دعاهم إليه الرسول ﷺ .

(٢) أي الجملة كلها في موضع رفع ، خبر ثاني ، والخبر الأول جملة ﴿ وجدنا آباءنا على أمة ﴾ وعلى التقدير الثاني ، يكون الجار والمجرور متعلقاً بقوله ﴿ مهتدون ﴾ كما قدَّره المصنف .

(٣) القراءة التي أوردها المصنف ﴿ قل أولو جئتكم .. ﴾ على الأمر ، هي قراءة نافع ، وحمزة ، والكسائي ، وقرأ ابن عامر ، وحفص ، عن عاصم ﴿ قال أولو جئتكم ﴾ بالألف على الخبر ، وكلتا القراءتين من السبع ، وانظر النشر ٣٦٩/٢ .

المعنى : أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، أقمتُمْ على ما كان عليه آباؤكم[1] ؟

١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وإذْ قَالَ إبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾** [آية ٢٦] .

وفي قراءة ﴿ إنَّني بَرِيءٌ ﴾[2] .

وَحَكَى الفراء أنَّ قوماً يكتبون الهمزة في كل موضعٍ ألِفاً[3] .

فعلى هذا يُقرأ ﴿ **بَرِيءٌ** ﴾ وإن كان في السَّواد بالألف ، ومن قرأ ﴿ **بَرَاءٌ** ﴾ قال في الاثنين ، والجميع ، بَرَاءٌ أيضاً ، بمعنى ذَوي بَرَاءٍ .

---

(١) هذا قول الزجاج في معانيه ٤٠٨/٤ وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣٠٩/٧ قال ومعنى الكلام : قل أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم ، وإن جئتكم بأهدى منه ؟ فردُّوا على الأنبياء فقالوا ﴿ إنا بما أُرسلتم به كافرون ﴾ قال ابن الجوزي : وفي هذه الآية إبطال القول بالتقليد . اهـ.
أقول : المعنى على قراءة ﴿ قال أولو جئتكم ﴾ أي قال كل نبي لقومه ، حين أنذرهم عذاب الله ، أتقتدون بآبائكم ، ولو جئتكم بدين أهدى وأرشد مما كانوا عليه ؟ وهذا تسفيه لهم وتجهيل ، حيث يقلدون آباءهم تقليداً أعمى دون نظر في الدليل ، وبذلك أقام عليهم النبي الحجة الدامغة .

(٢) ذكره الطبري ٦٢/٢٥ أن هذه القراءة قراءة عبد الله يعني ابن مسعود ، وذكر في البحر المحيط ١١/٨ أنها قراءة الأعمش ، وهي لغة نجد .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٣٠/٣ وهو على قوله مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث ، والمفرد والجمع ، فلا يثنى ولا يُجمع ولا يؤنث ، قال في الصحاح : تبرأت من كذا وأنا منه بَرَاء ، وخلاء ، لا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر في الأصل . اهـ.

٢٠ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴾** [آية ٢٧] .

قال قتادة : أي خلقني(١) .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون استثناء من الأوَّلِ .

ويجوز أن يكون « إِلَّا » بمعنى « لَكِنْ »(٢) .

٢١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾** [آية ٢٨] .

قال مجاهد : ﴿ كَلِمَةً بَاقِيَةً ﴾ : لا إلهَ إلا اللهُ(٣) .

وقال قتادة : التوحيدُ ، والإخلاصُ في عَقِبِهِ(٤) .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٥/٦٣ والقرطبي ١٦/٧٦ .

(٢) يريد المصنف أن الاستثناء في الآية ﴿ إِلَّا الذي فَطَرني ﴾ استثناء مقطع بمعنى « لكنْ » والتقدير : إنني بريءٌ مما تعبدون ، لكن ربِّي الذي خلقني وأنشأني ، فهو الذي أعبده ، وهو الذي يرشدني ويهديني إلى الدين الحق ، والطريق المستقيم ، وهذا على أنهم ما كانوا يعبدون إلا الأوثان ، ويصحُّ أن يكون الاستثناء متصلاً إن كانوا يعبدون الله ، ويعبدون معه الأوثان ، والأظهر أنه منقطع لأن قوم إبراهيم ، ما كانوا يعرفون الله حتى يعبدوه ، وإنما كانوا عبدة الكواكب والأصنام .

(٣ ــ ٤) انظر الآثار في الطبري ٢٥/٦٣ وابن كثير ، والبحر المحيط عن مجاهد قال : الكلمة هي « لا إله إلا الله » وشهادة أن لا إله إلا الله ، لم يزل في ذريته من يقولها من بعده . اهـ . ونقله في البحر المحيط ٨/١٢ عن قتادة ومجاهد والسدي قال : الكلمة « لا إله إلا الله » وإن لم يجرِ لها ذكر لأن اللفظ يتضمنها ، وقال ابن كثير ٧/٢١٢ : أي هذه الكلمة وهي عبادة الله تعالى وحده لا شريك له ، وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي « لا إله إلا الله » أي جعلها دائمة في ذريته ، يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام ، وروي نحوه عن ابن عباس . اهـ .

وقال مجاهد : في وَلَدِهِ[١] .

قال قتادة : لا يزالُ من وَلَدِ إبراهيم ﷺ ، مَنْ يَعْبُدُ الله جلَّ وعزَّ ، إلى يوم القيامة[٢] .

وقوله جلَّ وعز ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ إلى دينك ودينِ إبراهيم صلى الله عليهما ، إذ كانوا من وَلَده .

٢٢ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ [آية ٣١] .

قال ابن عباس : القريتان : « مكَّةُ » و « الطائفُ »[٣] .

(١ ـ ٢) راجع التعليق السابق .

(٣) اتفق المفسرون على أن المراد من القريتين « مكة » و « الطائف » وهذا أمر لا خلاف فيه ، إنما الخلاف فيمَن قصدهم المشركون من العظماء ، والراجح ما قاله قتادة أنه « الوليد بن المغيرة المخزومي » من مكة لأنه كان سيداً عظيماً من سادة مكة ، و « عروة بن مسعود الثقفي » من عظماء أهل الطائف ، وعلى هذا القول أكثر المفسرين ، وهو الذي رجحه المصنف .

أقول : استبعدت قريش أن ينزل القرآن على محمد ، وهو فقير يتيم ، واقترحوا أن ينزل على أحد العظماء ، في مكة أو الطائف ، من ذوي الثروة والجاه ، ظناً منهم أن العظيم هو الذي يكون له مال وجاه ، وفاتهم أن العظمة الحقيقية هي عظمة النفس ، وصفاء الروح ، ورجاحة العقل ، ومن أعظم نفساً ، وأسمى روحاً ، وأرجح عقلاً ، من محمد بن عبد الله ، الذي فاق جميع الخلق في هذه المزايا ، صلوات الله وسلامه عليه ؟ ولهذا جاءهم الردُّ المفحم ﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾ فإذا كان أمر المعيشة وهو تافه حقير ، لم يتركه الله لأهوائهم ومشتهياتهم، فكيف يترك لهم أمر النبوة والرسالة ، وهو أمر عظيم خطير ؟ فالآية تسفيه لعقولهم وتجهيل ، إذ من غير المعقول أن يتولى الله أمر المعيشة فيقسمها بين عباده بنفسه ، ويترك أمر الرسالة والنبوة لأهوائهم الفاسدة ؟

قال قتادة : الرجلان : « أبو مسعود الثقفي » واسمه عُرْوَةُ بن مسعود ، من أهل الطائف ، و « الوليد بنُ المغيرة بن عبد الله المخزومي » من أهل مكة .

قال مجاهد : الرجلان « عُتبةُ بن ربيعةَ » من أهل مكة ، وأبو مسعود الثقفي واسمه « عُمير بن عَمْرِو بنِ مسعود » .

قال أبو جعفر : رُوي هذا عن جماعةٍ ثقاتٍ ، منهم « ابن جريج » و « ابن أبي نجيح » .

وروى ذلك عن قتادة الثقات أيضاً ، إلا أنَّ قول قتادة أشبَهُ بالصَّواب ، لأن مَعْمراً رَوى عنه أنه قال : قال الوليد بن المغيرة : لو كان ما يقول محمَّدٌ حقًّا ، أُنزِل عليَّ ، أو على أبي مسعود الثقفي[1] !!

فخبَّر قتادة بسبب نزول الآية[2] .

(١) مما يؤيد أنه « الوليد بن المغيرة » أن المشركين كانوا يقولون عنه « ريحانة قريش » وهو الذي كان صدراً مقدَّماً فيهم ، يرجعون إلى رأيه ، ويستشيرونه في كثير مما أشكل عليهم ، وكان موسعاً عليه في أمر العيش والرزق ، وفيه نزل ﴿ ذرني ومن خلقتُ وحيداً . وجعلتُ له مالاً ممدوداً . وبنين شهوداً .. ﴾ إلى قوله تقدست أسماؤه ﴿ إنه فكَّر وقدَّر . فقتل كيف قدَّر . ثم قُتل كيف قدَّر .. ﴾ الآيات .

(٢) إنما كان قول قتادة أرجح وأظهر ، لأنه تأيَّد بسبب النزول ، فقد روى المفسرون أن الوليد بن المغيرة كان يقول : « لو كان ما يقول محمد حقاً ، لنزل هذا القرآن عليَّ ، أو على عروة بن مسعود » .. إلخ. ذكره في البحر المحيط ١٣/٨ فهذا يرجح ما ذهب إليه المصنف .

قال أبو العباس[1] : التقدير في العربية : على رجلٍ من رَجُلَيْنِ من القريتين .

قال أبو جعفر : حقيقةُ التقدير في العربية : على رجلٍ من رجلَيْ القريتين ، كما قال سبحانه ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[2] .

٢٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .. ﴾** [آية ٣٢] .

أي كما قسمنا بينهم الأرزاق ، وفضَّلنا بعضهم على بعض ، كذلك فضلنا بعضهم على بعض بالاصطفاء بالرسالة .

٢٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيًّا .. ﴾** [آية ٣٢] .

أي ليكون بعضهم لبعض خَوَلاً[3] ، و « سُخْرِي » و « سِخْرِي » واحدٌ[6] .

---

(١) هو الإمام المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ وقد تقدمت ترجمته ١/٥٥ .

(٢) في الآية مجازٌ بالحذف أي على رجل من رجليْ القريتين ، فحذف المضاف « رَجُلَيْ » فصار اللفظ ﴿ على رجل من القريتين ﴾ أي على رجل عظيم كبير ، في إحدى القريتين : مكة ، أو الطائف ، واستشهد المصنف بالآية ﴿ واسألِ القرية ﴾ أي أهل القرية ففيها حذف المضاف .

(٣) خَوَلاً أي خدماً قال في المصباح : والخَوَلُ مثل الخَدَم والحَشَم وزناً ومعنى . اهـ.

(٤) يُقال في اللغة « سِخْرِياً » و « سُخْرِياً » بكسر السين وضمها ، كذا في المصباح المنير ، قال في البحر ١٣/٨ : وهو من التسخير بمعنى الاستخدام وليس من السخرية بمعنى الهزء . اهـ. والمراد من الآية أن يكون كل واحد مسخَّراً للآخر ، يخدم بعضهم بعضاً ، لينتظم أمر الحياة ، ولو كان الناس كلهم أغنياء لتعطلت مصالح العباد ، فسبحان المدبِّر الحكيم .

ثم أخبر جل وعز أن ما عنده من الرحمة خيرٌ فقال ﴿ وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آية ٣٢] .

وقرأ الحسنُ : ﴿ تَجْمَعُونَ ﴾ بالتَّاء[1] .

٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ ، وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴾ [آية ٣٣] .

في معنى الآية قولان :

قال الحسن وقتادة : لولا أن يكفر النَّاسُ جميعاً ، لفعلنا هذا[2] .

قال أبو جعفر : ومعنى هذا القول : لولا أن يميل الناس إلى الدنيا فيكفروا ، لأعطينا الكافر هذا ، لهوانِ الدنيا على الله عز وجل .

والقول الآخرُ ــ قاله الكسائي ــ قال : المعنى : لولا إرادتنا

(١) قراءة الجمهور بالياء ﴿ خيرٌ مما يجمعون ﴾ ولم أعثر على قراءة الحسن ، فيما ذكره القرَّاء والمفسرون .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٨/٢٥ وفي البحر المحيط ١٤/٨ وابن كثير ٢١٣/٧ وذكر أنه قول ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وغيرهم ، وذكره القرطبي ٨٤/١٦ ولفظه : قال الحسن : لولا أن يكفر الناس جميعاً ، بسبب ميلهم إلى الدنيا وتركهم الآخرة ، لأعطيناهم في الدنيا ما وصفناه ، لهوان الدنيا عند الله عز وجل ، قال : وعلى هذا أكثر المفسرين ابن عباس ، والسدي ، وقتادة وغيرهم . اهـ.

أن يكون في الكفار غنيٌّ وفقير ، وفي المسلمين مثل ذلك ، لأعطينا الكفَّار من الدنيا هذا ، لهَوانِهَا على الله جل وعز[1] .

قال الفراء : يجوز أن يكون معنى ﴿ **لِبُيُوتِهِمْ** ﴾ على بيوتهم .

قال أبو جعفر : روى سفيانُ عن إسماعيل عن الشَّعبيِّ ﴿ **سُقُفاً مِن فِضَّةٍ** ﴾ قال : جُزُوعاً ، ﴿ **وَمَعَارِجَ** ﴾ قال : دَرَجاً[3] ﴿ **عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ** ﴾ قال : يَصْعَدون .

---

(١) هذا القول ضعيف ، وهو قول لبعض علماء اللغة ، لم يذكره المفسرون ، والراجح القول الأول ، وهو ما قاله الجمهور ، لأن الآية وردت في معرض بيان حقارة الدنيا ، وهوانها على الله عز وجل ، ومعنى الآية كما ذكره المفسرون : ﴿ ولولا أن يكون الناس أمةً واحدة ﴾ أي لولا أن يرغب الناس في الكفر ، ويجتمعوا عليه ، إذا رأوا الكافر في سعةٍ من العيش والرزق ، ويصيروا أمة واحدة في الكفر ﴿ لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾ أي لخصصنا هذه الدنيا بالكفار ، ونعَّمناهم فيها ، فجعلنا لهم القصور الفخمة ، المزخرفة بأنواع الزينة والنقوش ، سقفها وأبوابها وسررها من الفضة والذهب ، وجعلنا لهم مصاعد ، وسلالم يرتقون ويصعدون عليها ، من الذهب والفضة ، ثم قال ﴿ ولبيوتهم أبواباً وسرراً عليها يتكئون . وزخرفاً ﴾ أي جعلنا للكفار الأَسِرَّة المزخرفة بالذهب وأنواع الياقوت وكذلك الأبواب ﴿ وإن كلُّ ذلك لما متاع الحياة الدنيا ﴾ أي وليس كل هذا النعيم إلا شيء قليل حقير بالنسبة إلى ما أعدَّه الله للمتقين الأبرار ، ولكنه تعالى رحيم بالعباد ، فلذلك أغنى بعض الكفار وأفقر بعضهم ، خشية أن يفتن المؤمنون إذا رأوا الكفار في هذا النعيم الكبير ، والرفاهية والسعادة .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٣١ .

(٣) هذا قول الجمهور أن المعارج هي الدرج ، واحدها مِعْرَاج وهو السُّلَّم ، والجميع معارج ومعاريج ، قال ابن عباس : المعارج درج يصعدون عليها إلى الغرف ، قال الشاعر : يا ربُّ ربَّ البيتِ ذي المعارج . اهـ من الطبري ٢٥/٧٠ .

وقرأ جماعة : ﴿ سَقْفاً مِنْ فِضَّةٍ ﴾[1]وأنكر هذه القراءة بعضُ أهلُ اللغة ، وقال : لو كان كذا لقال « عليه » .

قال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، لأنه يجوز أن يكون « عليها » للدَّرج[2] .

٢٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً ﴾ [آية ٣٤] .

أي من فضة ، ﴿ وَسُرُراً ﴾ أي من فضة ﴿ وَزُخْرُفاً ﴾ .

روى شعبةُ عن الحَكَم عن مُجَاهد قال : « كنتُ لا أدري ما معنى ﴿ وزخرفاً ﴾ حتى وجدته في قراءة عبد الله بن مسعود ﴿ وَذَهَباً ﴾ »[3] !!

قال أبو جعفر : في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى : وجعلنا لهم زخرفاً أي غِنىً .

---

(١) هذه قراءة ابن كثير وأبي عمرو ﴿ سَقْفاً ﴾ بالإفراد ، وقرأ الجمهور ﴿ سُقُفاً ﴾ بالجمع ، وكلا القراءتين سبعية ، ولا يعتدُّ بإنكار أهل اللغة لها ، طالما ثبتت القراءة عن رسول الله ﷺ ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٥ .

(٢) هذا هو الظاهر أن المراد بقوله ﴿ عليها يظهرون ﴾ أي على المصاعد والدرج ، يرتقون ويصعدون ، يقال : ظهرتُ على البيت ، أي علوته ، وارتقيت سطحه . اهـ. القرطبي ٨٥/١٦ .

(٣) لم ترد هذه في القراءات ــ حتى ولا في الشاذة ــ وهي محمولة على التفسير ، لأن جمهور المفسرين قالوا : الزُّخرف : الذهب ، قال الطبري ٧١/٢٥ : ﴿ وزخرفاً ﴾ أي وجعلنا مع ذلك زخرفاً وهو الذهب . اهـ.

والآخر : أنَّ المعنى : مِنْ فضةٍ ، ومن زخرفٍ ، ثم حذف « مِنْ » ونصبَ(1) .

٢٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾** [آية ٣٦] .

روى سعيد عن قتادة قال : ﴿ يَعْشُ ﴾ : يُعْرِضْ(2) .

وقال أبو عبيدة : ﴿ يَعْشُ ﴾ : تُظْلِمْ عينُه(3) .

وروى عكرمة عن ابن عباس : يَعْمَى(4) .

قال أبو جعفر : يجبُ على قولِ ابن عباس ، أن تكون القراءة ﴿ وَمَنْ يَعْشَ ﴾ بفتح الشين(5) .

---

(1) هذا الوجه أظهر وهو المختار ، قال في البحر المحيط ١٥/٨ : ويجوز أن يكون الأصل : جعلنا لهم سُقُفاً من فضة وزخرفٍ ، أي بعضها من فضةٍ ، وبعضُها من ذهب ، فنُصِب عَطْفاً على محلِّ ﴿ من فضة ﴾ قال : والزخرف : الذهب هنا . اهـ.

(٢ ــ ٤) كل هذه الآثار وردت عن السلف ، وذكرها المفسرون ، الطبري ٣١٥/٢٥ والقرطبي ٩٠/١٦ وابن الجوزي ٣١٥/٧ وقد جمع ابن كثير هذه الأقوال فقال في تفسير الآية ﴿ ومن يَعْشُ عن ذكر الرحمن ﴾ أي يتعامى ويتغافل ويُعرض ، نقيِّض له من الشياطين من يُضلُّه ، قال : والعَشَى في العين : ضعفُ بصرها ، والمراد ههنا عَشَى البصيرة . اهـ. قال الزمخشري ٤٢٠/٣ يَعْشَ بفتح الشين : إذا حصلت الآفة في عينيه ، ويعشو بضم الشين : إذا نظر نظرة الأعشى ، وليس به آفة ، فالفرق بينهما كالفرق بين قولك عَمِيَ وتعامى ، فمعنى القراءة بالضم : يتجاهل ويجحد مع معرفته بالحق ، وهو عبارة عن الغفلة وإهمال النظر . اهـ.

(5) هذه قراءة يحيى بن سلام كما في البحر المحيط ١٥/٨ وانظر زاد المسير ٣١٥/٧ والقرطبي ٨٩/١٦ وذكر أنها قراءة ابن عباس وعكرمة .

وأما قول قتادة ﴿ يَعْشُ ﴾ يُعْرِضْ ، وهو قول الفراء[1] ، فغيرُ معــــروفٍ في اللغـــةِ ، إنما يُقـــــال : عَشَا يَعْشُو : إذا مشى ببصرٍ ضعيف[2] ، قال الحطيئة :

مَتَـى تَأْتِـــهِ تَعْشُو إلَـــى ضَوْءِ نَارِهِ
تَجِدْ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَـا خَيْـرُ مَوْقِـدِ[3]

ونظير هذا : عَرَج الرجـلُ يَعْـرُجُ ، أي مشى مِشْيَـةَ الأَعْرَج .
وعَرَجَ يَعْرَجُ : صَارَ أَعْرَجَ .

وأصحُّ ما في هذا قولُ أبي عُبيــدة[4] ، قال الله جل وعــــزَّ

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٣٢ ولفظه : ﴿ ومن يَعْشُ ﴾ يريـد ومـن يُعـرِضْ عنـه ، ومـن قرأهـا ﴿ ومن يَعْشَ ﴾ يريد : يَعْمَ عنه . اهـ.

(٢) هذا قول الخليل فقد قال : العَشْوُ : هو النظر ببصر ضعيـف ، وفي المصبـاح : عَشِيَ يَعْشَى من باب تعب : ضَعُفَ بصرُه ، فهـو أعْشَى والمرأةُ عشواء ، وفي الصحـاح : الـعشا مقصورٌ مصدر الأعشى ، وهو الذي لا يبصر بالليـل ويُبصر بالنهار ، والمرأة عشواء ، وأعشاه الله فعشِيَ عَشَىً ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها ، فهي تخبط بيديها كل شيء . اهـ.

(٣) ديوان الحُطيئة ص ١٦١ وشواهـد سيبويه ص ٨٠ ومجاز القـرآن لأبي عبيـدة ٢/٢٠٤ والـلسان والصحاح ، وخزانة الأدب للبغدادي ٩/٩٠ وقد ورد فيه وفي تفسير الطبري ٢٥/٧٢ بلفظ :
مَتَــى تَأْتِـــهِ تَعْشُو إلى ضَوْءِ نَارِهِ ... تَجِــدْ حَطَبـاً جَزْلاً وَنَــاراً تَأَجَّجَــا
قال البغـدادي في الخزانــة ٩/٩٠ : ومــا أنشده الشارح مركَّبٌ من بيـــتين سهـــواً ، فصدره للحطيئة ، وعجزه لابن الحرّ . اهـ.

(٤) انظر مجاز القـرآن لأبي عُبيـدة ٢/٢٠٤ ولفظـه ﴿ ومـن يَعْشُ ﴾ تُظلـم عينُـه عنـه ، كأنَّ عليها غِشاوة .

﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي .. ﴾[1] .

وفي الحديث : أن سعيد بن المسيَّب ذهبت إحدى عينيه ، وكان يَعْشُو بالأخرى ، أي يُبصر بها بَصَراً ضعيفاً[2] .

٢٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ** ﴾ [آية ٣٦] .

قيل : جَزاءً على ما فعل[3] .

وقال سعيد الجُرَيْرِيُّ[4] في قوله تعالى ﴿ **نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً** ﴾ قال : بلغنا أنَّ الكافر إذا خرج من قبره ، سَفَع شيطانٌ بيده ، فلا يزال معه ، حتى يدخله الله عز وجل النَّارَ ، فذلك قوله جل وعز ﴿ **قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ** ﴾ ويُوكِّل بالمؤمن مَلَكٌ فلا يزال معه ، حتى يقضي الله بين الخلق ، أو يصير إلى

---

(١) سورة الكهف آية رقم ١٠١ .

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٥/٧ باللفظ نفسه ، وكذلك ذكره ابن الأثير في النهاية ٢٤٣/٣ .

(٣) هذا تعليل لتسليط الشيطان ، وليس بتفسير لقوله ﴿ نُقَيِّضْ ﴾ وقد أوضح هذا أبو حيان في البحر المحيط ١٦/٨ فقال : أي يُيَسِّر له الرحمن شيطاناً ويُعِدُّه له ، وهذا عقاب على الكفر بالختم ، وعدم الفلاح كقوله تعالى ﴿ وقيَّضنا لهم قرناء .. ﴾ الآية .

(٧) هو سعيد بن إياس الجُرَيْرِيّ بضم الجيم قال في تقريب التهذيب ٢٩١/١ هو أبو مسعود البصريّ ، ثقة من الخامسة اختلط قبل موته بثلاث سنين ، ومات سنة ١٤٤هـ .

أقول : ذكر اسمه مصحَّفاً « سعيد الجزري » في الدر المنثور للسيوطي ، وصوابه ما ذكره ابن حجر .

ما شاء الله[1] .

٢٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾** [آية ٣٧] .

أي وإن الشياطين ليصدُّون الكافر عن السبيل .

﴿ ويَحْسَبُونَ ﴾ أي ويحسب[2] الكُفَّار أنهم مهتدون .

٣٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ المَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ القَرِينُ ﴾** [آية ٣٨] .

قال قتادة : ﴿ حَتَّى إِذَا جَآءَانَا ﴾[3] قال : الكافر وقرينه جميعاً .

قال أبو جعفر : ويُقْرأ **﴿ حتى إذا جاءنا ﴾**[4] يُراد به الكافر في الظاهر ، والمعنى لهما جميعاً ، لأنه قد عُرف ذلك بما بعده ، كما قال :

---

(١) الحديث أخرجه ابن المنذر ، وعبد الرزاق ، وابن جرير في جامع البيان ٧٤/٢٥ وذكره بلفظ السيوطي في الدر المنثور ١٧/٦ والقرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٦ ومعنى سفع شيطان بيده أي أمسك وأخذ بيده ، وانظر الصحاح مادة سفع .

(٢) ورد في المخطوطة ﴿ ويحسبون ﴾ أي ويحسبون الكفَّار ، وهو خطأ من الناسخ لأن الفعل تقدم على الفاعل فيقال : ويحسب الكفار ، إلا على لغة رديئة يجمع الفعل إذا تقدم على الفاعل ، وهي لغة « أكلوني البراغيث » .

(٣ ــ ٤) قرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، بالتثنية ﴿ جاءآنا ﴾ وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ، وحفص بالإفراد ﴿ جَاءَنا ﴾ وكلا القراءتين من السبع ، كما في النشر لابن الجزري ٣٦٩/٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٨٦ والبحر المحيط ١٦/٨ .

وَعَيْنٌ لَهَا حَدْرَةٌ بَدْرَةٌ
شُقَّتْ مَآقِيهِمَا مِنْ أُخَرْ[1]

٣١ ــ وقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ [آية ٣٨] .

في معناه قولان :

أحدهما : أنه يراد « مشرق الشتاء » و « مشرق الصيف »[2] .

والآخر : أنه يُراد المشرقُ والمغرب[3] ، فجاء على كلام العرب ، لأنهم إذا اجتمع الشيئان في معنى ، غُلِّب أحدُهُما ، كما قال الشاعر :

---

(١) البيت لامرئ القيس كما في ديوانه ص ١٦٦ وذكره القرطبي في جامع الأحكام ٩٠/١٦ وهو في المنصف لابن جني ٨١/١ وأمالي ابن الشجري ١٢٢/١ والشاهد فيه أنه قال « وعينٌ » وأراد بها العينين ، ولهذا ثنَّى « مآقيهما » .

(٢) هذا قول مقاتل ، وابن المسيب ، حكاهما عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٣١٦/٧ والشوكاني في فتح القدير ٥٥٦/٤ والقول ضعيف .

(٣) هذا القول هو الأصح والأرجح ، وهو قول جمهور المفسرين : الطبري ، وابن كثير ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، والألوسي ، وغيرهم .. فالآية وردت على التغليب ، قال الفراء في معاني القرآن ٣٣/٣ : ﴿ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ ﴾ أراد المشرق والمغرب فقال : المشرقين ، وهو أشبه الوجهين بالصواب ، لأن العرب قد تجمع الاسمين على تسمية أشهرهما ، فيقال : القمران للشمس والقمر ، والعُمران لأبي بكر وعمر ، والبصرتان للكوفة والبصرة . اهـ. وهكذا ذكر الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، أن الآية من باب التغليب ، قال الحافظ ابن كثير ٢١٥/٧ : والمراد بالمشرقين هنا هو : ما بين المشرق والمغرب ، وإنما استعمل ههنا تغليباً ، كما يُقال : القمران ، والعمران ، والأبوان . اهـ.

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ
لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[1]

وأنشد أبو عُبيدة بيت جرير :

مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللهِ فِعْلَهُمُ
وَالطَّيِّبَانِ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ[2]

وأنشد سيبويه :

« قَدْنِيَ مِنْ نَصْرِ الخُبَيْبَيْنِ قَدِي »[3]

يريد « عبد الله » و « مُصْعَباً » ابنَيْ الزبير ، وإنما « أبو خُبيب » عبدُ الله .

---

(١) البيت للفرزدق كما في ديوانه ص ٥١٩ ورواه المبرد في الكامل ١/١٤٣ والطبري ٢٥/٧٤ والقرطبي ١٦/٩١ ومعاني القرآن للفراء ٣/٣٣ وتفسير ابن الجوزي ٧/٣١٦ .

(٢) في المخطوطة : « ما كان رسول الله يرضى فعلهم » والرواية بهذا الشكل خطأ ، وصوابه ما أثبتناه بتقديم « يرضى » لوزن الشعر ، فإنه من بحر البسيط ، والبيت لجرير كما في ديوانه ص ٢٠١ وقد ورد بلفظ « دينهم » بدل « فِعْلهم » وكذا ورد في جنى الجنتين للمحبي ص ٧٥ وقد ذكره القرطبي في تفسيره ١٦/٩١ وعجزُه : والعُمَران أبو بكر ولا عمر وهو بهذا اللفظ من باب التغليب ، لأنه قصد بالعُمَرَين : أبا بكر ، وعمر ، وأما على رواية المصنف ، فليس فيه تغليب ، والله أعلم .

(٣) هذا شطر من بيت لحُمَيد بن مالك الأرقط ، وتمامه « ليس الإمام بالشحيح المُلْحِد » ومعنى : قَدْني : حَسْبي ، وأراد بالخُبَيْبَيْن « عبد الله بن الزبير » لأنه كان يُكنى « أبا خُبَيْبٍ » وأخاه « مصعب بن الزبير » فأورده على التغليب ، وانظر شواهد المغني ١/٤٨٧ والقرطبي ١٦/٩١ .

وفي **الحديث** أن أصحاب الجمل ، قالوا لعلي بن أبي طالب عليه السلام : أعْطِنَا سُنَّةَ العُمَرَيْنِ ، يعنون : أبا بكر ، وعمر .

٣٢ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اليَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي العَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴾** [آية ٣٩] .

المعنى : إن الله عز وجل حَرَمَ أهل النَّارِ ، هذا المقدار من الفرح ، وهو التأسِّي ، وهو أن ذا البلاء ، إذا رأى من قد سَاوَاه في المصيبة ، سَكَّن ذلك من حزنه(١) ، كما قالت الخنساء :

فَلَوْلَا كَثْرَةُ البَاكِينَ حَوْلِي
عَلَى إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي
وَمَا يَبْكُونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ
أُعَزِّي النَّفْسَ مِنْهُ بِالتَّأَسِّي(٢)

---

(١) قال في التسهيل ٥١/٤ : « هذا كلام يُقال للكفار في الآخرة ، ومعناه أنهم لا ينفعهم اشتراكهم في العذاب ، ولا يجدون راحة التأسي ، التي يجدها المكروب في الدنيا ، إذا رأى غيره قد أصابه مثل الدي أصابه . اهـ.وكذا قال الألوسي في روح المعاني ٨٤/٢٥ .

(٢) البيتان للخنساء واسمها « تماضر بنت عمرو بن الحارث » وقد غلب عليها لقب الخنساء تشبيهاً بها بالبقرة الوحشية في جمال عينيها ، والأبيات في رثاء أخيها صخر الذي قتل يوم كلاب سنة ٦١٥م من قصيدة ذكرت في ديوانها ص ٨٤ وقبل هذين البيتين قولها :

يذكِّرني طلوعُ الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس
فلولا كثرة الباكين حولي ..

والشاهد في الأبيات أنها تعزّي نفسها بكثرة المصابين والمفجوعين الذين يبكون على إخوانهم ، ففي التعزية تسليةٌ .

٣٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُنْتَقِمُونَ ﴾ [آية ٤١] .

قال قتادة : ذهب رسول الله ﷺ وبقيت النِّقْمةُ ، وليس نبيٌّ إلَّا قد رأى النِّقْمةَ في أمَّتِهِ ، إلا محمداً ﷺ ، ولكنه أُرِيَ ما ينزل بأمَّتِه من بعده ، فما رُؤِيَ بعد ذلك ضاحكاً مُنبسطاً[١] .

٣٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُقْتَدِرُونَ ﴾ [آية ٤٢] .

قيل : المعنى : الذي وعدناهم ، ووعدناك عليهم من النَّصر[٢] .

وقيل : الذي وعدناهم يرجع إلى قوله تعالى ﴿ وَالآخِرَةُ عِنْدَ

---

(١) هذا الأثر ذكره الطبري عن قتادة ٢٥/٧٥ وابن كثير ٧/٢١٦ وفي المخطوطة « أرى النقمة » وصوابها : رأى النقمة كما في الطبري ٢٥/٧٥ وكذلك ورد في المخطوطة « ضاحكاً مستنشطاً » وهو تصحيف ، وصوابه ما أثبتناه في الدر المنثور للسيوطي ٦/١٨ ولفظه « فما رُؤي ﷺ ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله عز وجل » وانظر تفسير ابن كثير ٧/٢١٦ .

(٢) هذا هو الأظهر في معنى الآية الكريمة ، فالله عز وجل قد وعد رسوله ﷺ بالنصر ، والانتقام له من أعدائه ، وقد حقَّق له ذلك ، حيث فتح له البلاد ، وخضعت له رقاب العباد ، قال ابن عباس : قد أراه الله ذلك يوم بدر وقال ابن كثير ٧/٢١٥ : المعنى : لا بدَّ أن ننتقم منهم ونعاقبهم ، ولم يقبض الله تعالى رسوله ، حتى أقرَّ عينه من أعدائه ، وحكَّمه في نواصيهم ، هذا معنى قول السُّدِّي ، واختاره ابن جرير . اهـ.

رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] أي الذي وعدنا المتقين ، من النَّصْرِ ، وقد نُصِروا[2] .

٣٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوْحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** [آية ٤٣] .

قال قتادة : أي بالقرآن **﴿ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾** قال : على الإسلام .

﴿ وإنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قال : القرآنُ[3] .

وروى محمد بن يوسف عن سفيان ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ قال : شرفٌ لك ولقومك[4] .

٣٦ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴾** [آية ٤٤] .

---

(١) سورة الزخرف آية رقم ٣٥ .

(٢) هذا القول مرجوح ، لأن الضمير في الآية يعود على المشركين المكذبين لرسول الله عليه السلام ، لا على المؤمنين ، وهذا ما اختاره ابن جرير حيث قال ٧٦/٢٥ : وهذا في سياق خبر الله عن المشركين ، فلأن يكون ذلك تهديداً لهم ، أولى من أن يكون وعيداً لمن لم يَجْرِ له ذكراً . اهـ. وقال في البحر المحيط ١٨/٨ : أو نرينك العذاب الذي وعدناهم ، النازل بهم كيوم بدر « فإنَّا عليهم مقتدرون » أي هم في قبضتنا لا يفوتوننا ، وهذا قول الجمهور . اهـ.

(٣) الأثر في الطبري ٧٦/٢٥ والقرطبي ٩٤/١٦ وابن كثير ٢١٦/٧ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٧٦/٢٥ قال « وإنه لذكرٌ لك ولقومك » أي وإن هذا القرآن الذي أمرناك أن تستمسك به ، لشرف لك ولقومك من قريش . اهـ. وهذا قول جمهور المفسرين .

قال الفراء : أي وسوف تسألون عن الشكر عليه[1] .

٣٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾** [آية ٤٥] .

قال أبو جعفر : هذه آية مشكلةٌ ، وفي معناها قولان :

روى أبو عَوَانَةَ ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير قال : لقيَ الرُّسُلَ صلى الله عليهم ليلة أُسْرِيَ به .

فهذا قول ، ومعناه : أنه سيُسرى بك ، وتَلْقَى الرُّسُلَ فاسألهم[2] .

والقول الآخر : وهو قول « محمد بن يزيد »[3] وجماعةٍ من العلماء ، أن في هذا المعنى التوقيف والتقرير ، والتوبيخ ، والمعنى :

---

(١) نظر معاني القرآن للفراء ٣٤/٣ فقد قال والمعنى : وإنه لشرفٌ لك ولقومك ، وسوف تسألون عن الشكر عليه . اهـ. وقال القرطبي ٩٣/١٦ : يعني القرآن شرفٌ لك ، ولقومك من قريش ، إذ نزل بلغتهم ، وعلى رجلٍ منهم ، نظيره ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم ﴾ أي شرفكم ، فالقرآن نزل بلسان قريش ، وإيَّاهم خاطب ، فاحتاج أهل اللغات كلهم إلى لسانهم ، كل من آمن بذلك ، فصاروا عيالاً عليهم ، فشُرِّفوا بذلك على سائر أهل اللغات . اهـ.

(٢) ذكر هذا القول الطبري ٧٨/٢٥ وعزاه إلى ابن زيد وقال : إن الرسل جمعوا له ليلة أُسري به ببيت المقدس ، فأمَّهم وصلَّى بهم ، فقال الله له : سَلْهم ، فكان أشدَّ إيماناً بالله ، ويقيناً بما جاءه من الله أن يسألهم ، وذكره السيوطي في الدر المنثور ١٩/٦ عن سعيد بن جبير ، والألوسي في روح المعاني ٨٦/٢٥ .

(٣) هو الإمام المبرد رحمه الله من أجلَّة علماء اللغة ، وقد تقدمت ترجمته ٥٥/١ .

واسأل أمَمَ من قد أرسلنا من قبلك من رسلنا[1] كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ أي سلْ من عَبَد الملائكة ، أو قال إن الله ثالث ثلاثة ، أو عَبَدَ غير اللهِ جلَّ وعزَّ ، هل وَجَد هذا في شيءٍ من كتب الأنبياء ، مما أنزل اللهُ عليهم ؟ فإنه لا يجد في كتاب نبيٍّ ، أن الله أمر أن يُعبد غيرُه ، ففي هذا معنى التقرير ، والتوبيخ ، والتوقيف ، على أنهم قد كفروا ، وفعلوا ما لم يأمر اللهُ به ، ونظيرُه قوله تعالى ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[2] .

ويصحِّحُ هذا القول ، أن عليَّ بن الحكم ، روى عن الضَّحَّاكِ قال : وهي في قراءة عبد الله ﴿ وَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ قال : يعني أهل الكتاب[3] .

رَوى سفيانُ عن ابنِ أبي نجيح عن مجاهد قال في قراءة عبد

---

(١) على رأي الإمام المبرد ، تكون الآية مما حُذف فيه المضاف ﴿ واسأل من أرسلنا ﴾ أي اسأل أمم من أرسلنا .. إلخ. وهذا قول الفراء كما في معانيه ٣٤/٣ ولفظه : كيف أُمر أن يسأل رسلاً قد مَضَوا ؟ ففيه وجهان :

أحدهما : أن يسأل أهل التوراة والإنجيل ، فإنه إنما يخبرونه عن كتب الرسل ، التي جاءوا بها ، فكأنه سأل الأنبياء .

والثاني : قال بعضهم : إنه سَيُسْرَى بك يا محمد ، فتلقى الأنبياء ، فسلهم عن ذلك .. إلخ. ورجَّح الطبري ٧٨/٢٥ القول الأول ، وهو الأظهر .

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٩٣ .

(٣) هذه القراءة المنسوبة إلى ابن مسعود ، محمولة على التفسير ، لا على أنها قراءة ، وانظر ما قاله الحافظ ابن كثير ٢١٧/٧ .

الله ﴿ واسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ رُسُلَنَا ﴾ فهذه قراءة مفسِّرة[1] .

وقال قتادة : أي سَلْ أهل الكتاب ، أأَمَر الله إلَّا بالتوحيد ، والإخلاص[2] ؟

وزعم ابن قتيبة أن التقدير : واسأل من أرسلنا إليه من قبلك رسلاً من رسلنا ، فحذَف « إليه » لأن في الكلام دلالةً عليه ، وحذف « رسلاً » لأن ﴿ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ يدل عليه ، وزعم أن الخطاب للنبي ﷺ ، والمراد المشركون[3] .

٣٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾** [آية ٤٩] .

يُقال : كيف قالوا له ﴿ **أَيُّهَا السَّاحِرُ** ﴾ وقد قالوا ﴿ **إنَّنا**

---

(١) الطبري ٧٧/٢٥ وابن كثير ٢١٧/٧ ولفظه : « قال مجاهد : وفي قراءة ابن مسعود ﴿ واسأل الذين أرسلنا إليهم قبلك رُسلَنا ﴾ وهكذا حكاه قتادة ، والضحاك ، والسدي ، عن ابن مسعود ، وهذا كأنه تفسير لا تلاوة ، والله أعلم .

(٢) الأثر ذكره الطبري بنحوه عن قتادة ٧٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٩/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣١٩/٧ .

(٣) ذكر هذا الأثر القرطبي ٩٦/١٦ ولفظه : وقيل المعنى : واسأل أتباع من أرسلنا من قبلك من رسلنا ، فحذف المضاف ، والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته .. ثم قال : وسببُ هذا الأمر بالسؤال ، أن اليهود والمشركين قالوا للنبي ﷺ : إن ما جئت به مخالف لمن كان قبلك ، فأمره الله بسؤال الأنبياء ، على جهة التوقيف ، لا لأنه كان في شك . اهـ.

لَمُهْتَدُونَ ﴾ فيما يُستقبل[1] ؟

قيل : إنهم لمَّا قالوا له هذا ــ قبل أن يدعوه ــ عرفوه فنادوه به .

وقيل : كانوا يسمُّون العلماءَ سَحَرَة ، فالمعنى : يا أيُّها العالم[4] .

قال مجاهد : في قوله تعالى ﴿ **بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ** ﴾ مِنْ أنَّا إنْ آمَنَّا ، كَشَفَ عنا العَذَابَ[2] .

قال أبو جعفر : ويدلُّ على صحَّة هذا الجواب ، قوله تعالى ﴿ **فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ** ﴾ أي ينقضونَ العهد .

وروى سعيد عن قتادة ﴿ **إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ** ﴾ قال :

---

(١) توضيحه أن كلامهم هذا ظاهره التناقض ، فإن قولهم ﴿ يا أيها الساحر ﴾ يقتضي أنهم لا يصدِّقونه في دعوى الرسالة ، بل يكذِّبونه ، وقولهم ﴿ ادْعُ لنا ربَّك ﴾ يدلُّ على الإيمان والتصديق ، بدليل قولهم ﴿ إنَّنا لمهتدون ﴾ والجواب من ثلاثة وجوه :

الأوّل : أنهم قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والسخرية ، وهو قول الحسن البصري .

والثاني : أنهم أرادوا بقولهم ﴿ يا أيها الساحر ﴾ : يا أيها العالم ، وكان الساحر عندهم معظَّماً ، وهو قول ابن عباس واختاره الطبري ، وابن كثير ، وأكثر المفسرين ، قال ابن كثير ٢١٧/٧ : « وكان علماء زمانهم هم السحرة ، ولم يكن السحر عندهم مذموماً ، فليس هذا على سبيل الانتقاص منهم ، وإنما هو تعظيم في زعمهم » . اهـ.

والثالث : أن هذا اسم ألفوا تسمية موسى به من أول ما جاءهم به ، فخاطبوه بما تعودوا مخاطبته به ، من غير اعتقاد معناه ، وهو قول الزجاج ٤١٤/٤ .

(٢) يدل على صحة قول مجاهد ما جاء في سورة الأعراف ﴿ ولما وقع عليهم الرجزُ ، قالوا يا موسى ادْعُ لنا ربك بما عهد عندك ، لئن كشفت عَنَّا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل ﴾ فمرادهم ــ بما عهد عندك ــ أي بما أوصاك وأخبرك به ، من كشف العذاب عنا إن آمنا .

يَغْدِرون[1] .

٣٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَـذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي ؟ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ ؟**

[آية ٥١] .

قال الأخفش : في الكلام حذفٌ ، والمعنى : أفلا تُبصرون ؟ أم تبصرون ؟ كما قال :

فَيَا ظَبْيَةَ الوَعْسَاءِ بَيْنَ جُلَاجِلٍ
وَبَيْنَ النَّقَا هَلْ أَنْتِ أَمْ أُمُّ سَالِمِ[2]

أي أنت أحسنُ أمْ أُمُّ سالِم ؟

قال أبو زيد[3] : العربُ تزيد ، والمعنى : أنا خيرٌ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢/٨٠ السيوطي في الدر المنثور ١٩/٦ والأولى ما ذكره القرطبي ٩٨/١٦ أن المعنى : إذا هم ينقضون العهد ، الذي جعلوه على أنفسهم ، لأن معنى النكث في اللُّغة : النقضُ .

(٢) البيت لذي الرُّمَّة وهو في ديوانه ٧٦٧/٢ واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٩٩/١٦ وهو في شواهد سيبويه ص ١٤٢ ومعنى الوعساء : الرملة الليِّنة ، و « النقا » الكثيب من الرمل ، وجُلاجل : اسم مكان .

(٣) « أبو زيد » هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، أحد كبار أئمة الأدب واللغة المتوفى سنة ٢١٥هـ وهو من ثقات اللغويين ، قال ابن الأنباري : كان سيبويه إذا قال : سمعتُ الثِّقة ، عنى أبا زيد ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ .

(٤) أشار إلى الآية الكريمة ﴿ أما أنا خير من هذا الذي هو مهين ﴾ فعلى رأي أبي زيد تكون « أم » زائدة أي تأخير منه .

وقيل المعنى : أَبَلْ[1] ؟

قال أبو جعفر : وأحسنُ ما قيل في هذه الآية ــ قولُ الخليل وسيبويه ــ أنَّ المعنى : أفلا تبصرون ، أم أنتم بُصَرَاءُ ؟ ويكون ﴿ **أَمْ أَنَا خَيْرٌ** ﴾ بمعنى أم أنتم خيرٌ[2] ؟ لأنهم لو قالوا له : أنتَ خيرٌ ، كانوا عنده بصراء .

٤٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [آية ٥٢] .

والمهين : القليلُ من المهانة[3] .

(١) هذا قول أبي عبيدة كما في كتابه مجاز القرآن ٢/٢٠٤ قال : مجازها : بل أنا خيرٌ من هذا .. إلخ. وعلى هذا مشى أكثر المفسرين ، على أن « أم » ليست حرف عطف ، وإنما هي منقطعة بمعنى « بل » وانظر جامع الأحكام ١٦/٩٩ .

(٢) هذا ما رجحه الإمام الطبري حيث قال في جامع البيان ٢٥/٨١ : « وقد اختلف في معنى « أم » في هذا الموضع فقال بعضهم معناها : بل أنا خير ، وقالوا ذلك خبرٌ لا استفهام ، وهو قول السدي ، وقال بعضهم : هو من الاستفهام وفي الكلام محذوف تقديره : أأنا خير من هذا الذي هو مهين ؟ أم هو ؟ ثم ترك ذكر « أم هو » لما في الكلام من الدليل عليه ، قال : وهذا أولى التأويلات . اهـ. جامع البيان ٢٥/٨٢ .

(٣) في الصحاح مادة (مَهَنَ) : امتَهَنْتُ الشَّيءَ : ابتذلْتُهُ ، وأَمْهَنْتُهُ : أضعفتُه ، ورجلٌ مَهِينٌ : أي حقير . اهـ. وقال النحاس في إعراب القرآن ٣/٩٤ : وفي معنى ﴿ مهين ﴾ قولان : قيل معناه : الذي يَمْتَهِنُ نفسه في حاجاته ، ومعاشه ، ليس له من يكفيه . وقال الكسائي : المهينُ : الضعيفُ الذليلُ ، وقد مَهُنَ مهانةً ، وهذا أولاهما بالصواب .

روى سعيدٌ عن قتادة : ﴿ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ قال : عَيِيٌّ[1] .

وقيل : إنما هذا للُّثْغَةِ الَّتي كانتْ به .

٤١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِرَةٌ[2] مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴾ [آية ٥٣] .

أي فهلَّا أُلقي عليه أساورة من عند الله ، تدلُّ على أنه رسول[3] ؟!

و ﴿ أَسَاوِرَةٌ ﴾ جمع إسوارٍ ، وفي قراءة أُبيّ وعبد الله ﴿ لَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسَاوِيرُ ﴾[4] وهو بمعنى الأول .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٢/٢٥ وابن كثير ٢١٨/٧ والدر المنثور ١٩/٦ قال الحافظ ابن كثير : وهذا الذي قاله فرعون ــ لعنه الله ــ كذبٌ واختلاق ، وإنما حمله على هذا الكفر والعناد ، وهو ينظر إلى موسى عليه السلام بعينٍ كافرةٍ شقيَّة ، وقد كان موسى عليه السلام من الجلالة والعظمة ، والبهاء في صورة يبهر أبصار ذوي الألباب ، وقوله ﴿ ولا يكاد يُبين ﴾ افتراء أيضاً ، فإنه وإن كان قد أصابَ لسانه في حال صغره شيء من جهة تلك الجمرة ، فقد سأل الله عز وجل أن يُحلَّ عقدة لسانه ليفقهوا قوله ، وقد استجاب الله دعاءه ﴿ قال قد أوتيت سؤلك يا موسى ﴾ . اهـ. باختصار .

(٢) « أَسْوِرَةٌ » و « أَسَاوِرَةٌ » من القراءات السبع ، والمصنف مشى على قراءة الأكثرين ، قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٥٨٧ : « كلهم قرأ « أَسَاوِرَةٌ » بالألف ، إلَّا عاصماً في رواية حفص ، فإنه قرأ « أَسْوِرَةً » بغير ألف ، وكذا ذكر ابن الجزري في النشر ٣٦٩/٢ .

(٣) قال مجاهد : كانوا إذا سوَّدوا رجلاً عليهم سوَّروه بسوارين ، وطوَّقوه بطوق ذهب علامة على سيادته ، فلذلك قال فرعون ما قال .

(٤) قراءة ﴿ أساوير ﴾ ليست من القراءات السبع ، إنما ذكرها بعض المفسرين ، الألوسي في روح المعاني ٩١/٢٥ وغيره فهي شاذة .

﴿ أَوْ جَاءَ مَعَـهُ المَلاَئِكَـةُ مُقْتَرِنِيـنَ ﴾ قال قتـادة : أي متتابعين[1] .

وقال مجاهد : أي يمشون معه معاً[2] .

قال أبو جعفر : فاقترحوا هذا ، بعدما جاءهم ما يدلُّ على نبوَّته .

٤٢ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾** [آية ٥٤] .

أي استفزَّهم[3] .

٤٣ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾** [آية ٥٥] .

قال مجاهد وقتادة : أي أغضبونا[4] .

(١ ـ ٢) ذكرهما الطبري ٨٣/٢٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٢/٧ والأظهر قول مجاهد وقد رجحه ابن كثير فقال : أي جاءوا يكتنفونه خدمةً له ، ويشهدون بتصديقه .

(٣) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٣٥/٣ والأظهر أن المعنى استجهل قومه ، واستخف عقولهم كما ذكره القرطبيَ وابن كثير .

(٤) هذا قول جمهور المفسرين أن معنى « آسفونا » أغضبونا ، روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال : « فلما آسفونا » أي غاظونا وأغضبونا ، وروى ابن كثير ٢١٩/٧ عن الضحاك أنه قال : أغضبونا ، قال وهكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، ومحمد القرظي ، وقتادة ، والسدي . اهـ. وانظر الطبري ٨٤/٢٥ .

٤٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ ﴾ [آية ٥٦] .

قال لاحقُ بن حُمَيد : أي جعلناهم سلفاً لمن عمل بعملهم ، ومَثَلاً لمن لم يعمَل بعملهم[١] .

وقال مجاهد : هم قوم فرعونَ ، سلفٌ لكفار أمة محمد ﷺ ، قال : ﴿ وَمَثَلاً ﴾ أي عبرة[٢] .

وقال قتادة : ﴿ سلفاً ﴾ إلى النار ﴿ وَمَثلاً ﴾ أي عظة[٣] .

قُرِئَ على أبي قاسم ، قريب « أحمد بن مَنيع » عن أبي كامل الجحدري عن عبد الواحد ، عن عاصم عن أبي مجلز ﴿ **فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ** ﴾ قال : سلفاً لمن عمل بمثل عملهم ، ومثلاً لمن لم يعمل بمثل عملهم[٤] .

(١ ــ ٤) هذه الآثار كلها وردت عن السلف ، وذكرها المفسرون الطبري ٨٥/٢٥ والقرطبي ١٠٢/١٦ وابن كثير ٢١٨/٧ وأصل السَّلف : المتقدِّم من كل شيء ، ومنه قولهم « جَعَلك الله خيرَ خَلَفٍ لخير سَلَفٍ » قال في المصباح المنير : سَلَف من باب قَعَد : مضى وانقضى ، فهو سالفٌ ، والجمع سَلَف ، ثم جُمع السَّلَفُ على أسلاف مثل سببٍ وأسباب . اهـ. وعلى هذا المعنى اللغوي يكون قول مجاهد وقتادة أرجح الأقوال كما نبَّه المصنف والمعنى « وجعلناهم سَلَفاً » أي جعلنا قوم فرعون سلفاً لكفار قريش ، يتقدمونهم إلى النار ، ويتبعهم هؤلاء الفجار فيلحقونهم على آثارهم ، لأنهم اقتدوا بهم في الضلال ﴿ وَمَثَلاً للآخرينَ ﴾ أي وجعلناهم عظة وعبرةً لمن يأتي بعدهم ، وهذا ما ذهب إليه الإمام ابن جرير الطبري ٨٥/٢٥ حيث قال : والمعنى : جعلنا هؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون ، مقدِّمة يتقدمون إلى النار ، كفارَ قومك من قريش ، وكفَّارُ قومك لهم بالأثر ، وجعلناهم عبرةً وعظة ، يتعظ بهم من بعدهم من الأمم . اهـ. وكذلك قال الفخر الرازي ٢٢٠/٢٧ : أي جعلناهم متقدمين ليتَّعظ بهم الآخرون أي جعلناهم سلفاً لكفار أمة محمد عليه السلام ، وعظة لمن بقي بعدهم ، وآية وعبرة . اهـ. فما رجحه المصنف هو الصحيح .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، وأصلُ السَّلَفِ في اللغة : ما تقدَّم ، ومنه تسلَّفْتُ من فلان ، وأبينُها قولُ قتادة ، أي جعلناهم متقدِّمين في الهلاك ، وعظةً لمن يأتي بعدهم .

ويُقرأ ﴿ سُلُفاً ﴾ جمعُ سَلِيف[1] .

وقرأ حميد الأعرج فيما رُوي عنه ﴿ سُلَفاً ﴾[2] جمع سُلْفَةٍ أي فرقةٍ متقدمة .

وأبينها وأكثرها فتحُ السِّين واللَّام ، كما يُقال : فلانٌ يحبُّ السَّلَف .

٤٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ ولَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾** [آية ٥٧] .

قال مجاهد : قالوا ما ذكر محمد « عيسى » صلى الله عليهما إلَّا لننزله منزلته من النَّصَارى[3] .

---

(١) هذه قراءة حمزة ، والكسائي ، وهي من القراءات السبع كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧ جمع سليف بمعنى فريق .

(٢) هذه القراءة بضم السين وفتح اللام ﴿ سُلَفاً ﴾ جمع سُلفة بمعنى الأمة والجماعة من الناس ، وليست قراءة سبعية ، وانظر روح المعاني ٩٢/٢٥ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري في جامع البيان عن مجاهد ٨٥/٢٥ ولفظه قال « قالت قريش : إنما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى » ، وكذلك ذكره القرطبي ١٠٢/١٦ وهو قول ابن عباس أيضاً كما نقله عنه الطبري قال : يعني قريشاً لما نزلت ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جَهَنَّم ﴾ قالت له قريش : فما ابنُ مريم ؟ قال : ذاك عبد الله ورسوله ، فقالوا : والله ما يريد هذا إلا أن نتخذه رباً كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم رباً !! فأنزل الله ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ . اهـ.

وقال قتادة : لما أُنزل على النبي ﷺ ذكرُ عيسى غاظ ذلك قُريشاً ، وقالوا : لم ذكرتَ عيسى ؟ وقالوا : ما ذكره إلَّا لنستعمل فيه ما استعملتِ النَّصارى في عيسى ، فأنزل الله جلَّ وعز ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً** ﴾[1] .

وقيل : نَزَل هذا في « ابن الزِّبعري » لمَّا أنزل الله تعالى ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ** ﴾[2] قال : فالنصارى تعبد المسيح ؟؟ قال جل وعزَّ ﴿ **مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً** ﴾ أي قد علموا أنه لا يُراد بهذا المسيحُ ، وإنما يُراد بها الأصنام التي كانوا يعبدونها[3] .

---

(١) الأثر في الطبري ٨٦/٢٥ والدر المنثور ٢٠/٦ والشوكاني في الفتح ٥٦١/٤ .

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٩٨ .

(٣) ذكر هذه القصة المفسرون ، ابن كثير ٢٢٠/٧ وابن الجوزي ٣٩٢/٧ والقرطبي ١٠٣/١٦ وخلاصتها أن رسول الله ﷺ جلس ذات يوم مع أشراف قريش في المسجد الحرام ، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له « النضر بن الحارث » فأسكته رسولُ الله وأفحمه ، وتلا عليهم ﴿ إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون ﴾ فضجَّت قريشٌ وقالو : شتم محمدٌ آلهتنا ، فقال ابن الزبعري يا محمد : أهذا خاصٌّ بنا أم بكلِّ من عُبِد من دون الله ؟ قال : بل لكلِّ من عُبِد من دون الله !! فقال : قد خصمتُك وربِّ الكعبة : ألست تزعم أن الملائكة عبادٌ صالحون ؟ فنحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيراً ، والنصارى تعبد المسيح بن مريم ، فإذا كان هؤلاء جميعاً في النار ، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ، فضحك المشركون وضجُّوا وارتفعت أصواتهم ، وظنوا أنهم غلبوا الرسول فأنزل الله ﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلاً ﴾ وأنزل الله ﴿ إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون ﴾ قال القرطبي ١٠٣/١٦ : ولو تأمل ابن الزبعري الآية ما اعترض عليها لأنه قال « إنكم وما تعبدون » ولم يقل =

٤٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾** [آية ٥٨] .

روى سفيان ، وشعبةُ عن عاصم ، عن أبي رزين عن ابن عباس ﴿ إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴾ قال : يَضِجُّونَ[١] .

ويُقرأ ﴿ يَصُدُّونَ ﴾ بضم الصَّاد[٢] قال النَّخعي : أي يُعرضون .

وقال الكسائي : هما لغتان بمعنى واحد[٣] .

= ﴿ ومن تعبدون ﴾ وإنما أراد الأصنام ونحوها ، مما لا يعقل ، ولم يرد المسيح ولا الملائكة . وإن كانوا معبودين ، ولهذا قال تعالى ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قوم خصمون ﴾ أي مجادلون بالباطل . اهـ.

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ١٠/٦ وزاد نسبته إلى ابن المنذر ، وابن مردويه .

(٢) هذه قراءة نافع ، وابن عامر ، والكسائي بضم الصَّاد وهي سبعية ، وقرأ الباقون بكسر الصاد ﴿ يَصِدُّون ﴾ وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٨٧ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٦٩/٢ وزاد المسير لابن الجوزي ٣٢٤/٧ .

(٣) ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٤/٧ أن هذا قول الزجاج قال : ومعناهما جميعاً : يضجون . وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٥/٢ : من كسر الصَّاد فمعناه : يضجُّون . ومن ضمَّها فمعناه يَعْدِلون ــ يريد يعرضون ــ وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٢١٥٢٧ : ﴿ إذا قومك منه يَصِدُّون ﴾ أي إذا قريش من هذا المثل ، يرتفع لهم ضجيج وجَلَبَةٌ ، فرحاً وجدلاً وضحكاً ، بسبب ما رأوا من إسكات رسول الله ، فإنه قد جرت العادة بأن أحد الخصمين إذا انقطع ، أظهر الخصم الثاني الفرح والضجيج ، وقالوا لرسول الله ﷺ : آلهتنا عندك ليست خيراً من عيسى ، فإذا كان عيسى من حصب جهنم ، كان أمر آلهتنا أهون . اهـ.

أقول : ما سكت رسول الله ﷺ عجزاً عن الجواب ، وإنما سكت انتظاراً للوحي ، وقد نزل عليه قوله تعالى ﴿ إنَّ الذين سبقت لهم مِنَّا الحُسنى أولئك عنها مُبعَدون ﴾ فكانت الحجة الدامغة لرسول الله على المشركين .

وأنكر بعض أهل اللغة الضمَّ ، وقال : لو كانت « يَصُدُّون » لكانت « عنه » ولم تكن « منه » .

وقال أبو جعفر : وهذا لا يلزم ، لأن معنى يصُدُّون منه أي من أجله .

٤٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ؟ .. ﴾** [آية ٥٨] .

قال قتادة : [« أم هو » يعنون محمداً ﷺ][1] وفي قراءة « أُبَيٍّ »[2] **﴿ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هَذَا ﴾** يعنون محمداً ﷺ .

٤٨ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلاً .. ﴾** [آية ٥٨] .

المعنى على تفسير قتادة : إنهم قد علموا أنك لا تريد منهم ، أن يُنْزِلوك منزلة المسيح[3] .

وعلى القول الآخر : إنهم قد علموا أنه لا يُراد بقوله جل وعز

---

(١) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من جامع الأحكام للقرطبي ١٠٤/١٦ وبه يستقيم الكلام ، قال القرطبي : والقراءة تقوِّي قول قتادة .

(٢) المراد به « أُبيُّ بن كعب » رضي الله عنه ، وهو أقرأ الصحابة لكتاب الله ، كما صحَّ بذلك الحديث الشريف ، ونقل القرطبي في تفسيره أن هذه القراءة ﴿ خيرٌ أم هذا ﴾ هي قراءة ابن مسعود ، وهي ليست من القراءات السبع .

(٣) هذا القول مرجوح بل ضعيف ، لأن الآية تتحدث عن المسيح عيسى بن مريم ﴿ ولما ضُرِب ابن مريم مثلاً .. ﴾ الآية ولا تتحدث عن محمد رسول الله ﷺ ، فالصحيح قول الجمهور أن المراد به عيسى عليه السلام ، وقصة ابن الزبعري تؤيد هذا ، فالقول الذي قال عنه المصنف « وعلى القول الآخر » هو الصحيح ، والله أعلم .

﴿ **إِنَّكُـمْ وَمَـا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّـمَ** ﴾ المسيـحُ عليـه السلام ، وإنما يُراد به الأصنـامُ ، واللُّغـةُ تدلُّ على هذا ، لأن « ما » لما لا يعقـل ، فقـد عُلِـمَ أن معنـى ﴿ **وَمَـا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ** ﴾ لا يكون للمسيح .

وهـذا أصحُّ ما قيل في قولـه تعـالى ﴿ **إِنَّكُـمْ وَمَـا تَعْبُـدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** ﴾[1] .

٤٩ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [آية ٥٨] .

قال سفيان حدثني رجلٌ ، أنها نزلت في ابن الزِّبَعْرَى[2]

٥٠ ــ ثم قال جل وعـز : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْـدٌ أَنْعَمْنَـا عَلَيْـهِ وَجَعَلْنَـاهُ مَثَـلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [آية ٥٩] .

يكـون المعنـى على قول من قال : إن الآية نزلت في ابـن الزِّبَعْـرَى : إن[3] المسيـحُ إلَّا عبـدٌ أنعمنـا عليـه ، وجعلنـاه مثـلاً لبنـي

(١) انظـر سبب النـزول ص ٢٣٠ للواحـدي ، وابـن الجوزي في زاد المسير ٣٩٢/٥ والقرطبـي ٣٤٣/١١ .

(٢) هو « عبـد الله بن الزِّبَعْرَى السَّهمـي » من زعمـاء المشركين ، الـذي زعـم أنـه غلب رسول الله بالحجة حين نزلت الآية الكريمة ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصبُ جهنم﴾ فقال للرسول: خصمتك ورب الكعبة .. إلخ. وانظر القرطبي ١٠٣/١٦ .

(٣) « إنْ » هـا نافيـة بمعنـى « ما » أي ما المسيـح إلَّا عبـدٌ . لأنها اقترنت بـ« إلَّا » فتفيـد معنـى الحصر .

إسرائيل ، أي جعلناه عظةً لهم ، أي ذا عظة أي يعظهم[1] .

ويجوز أن يكون معنى ﴿ مَثَلاً ﴾ : أنه بشرٌ مثلهم ، فُضِّل عليهم .

ويجوز أن يكون المعنى على قول قتادة وعلى الآخر أيضاً : إنْ محمدٌ إلَّا عبدٌ أنعمنا عليه[2] ، وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل ، والكلامُ في « مَثَلٍ » كالكلام فيه .

٥١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾** [آية ٦٠] .

قال مجاهد : أي يعمرونها كما تعمرونها ، بدلاً منكم[3] .

---

(١) الأولى أن يُفسّر ﴿ وجعلناه مثلاً ﴾ أي آيةً وعبرة ، كما قال ابن الجوزي ، وكما فسره القرطبي حيث قال ١٦/١٠٤ : المعنى : أنعمنا عليه بالنبوة ، وجعلناه آية وعبرة ، يُستدلُّ بها على قدرة الله تعالى ، حيث خُلق من أم بغير أب » وقال الرازي ٢٧/٢٢٢ : أي صيَّرناه عبرةً عجيبة ، كالمَثَل السائر ، حيث خلقناه من غير أب ، كما خلقنا آدم وشرَّفناه بالنبوة . اهـ. وما ذكره المصنف أنه بمعنى يَعِظُهم ، ففيه نظر .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي في تفسيره ١٦/١٠٤ فقال : وقيل : المراد بالعبد المنعم عليه محمد ﷺ ، والأول أظهر .

(٣) هذا الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٢٥/٨٩ والقرطبي ١٦/١٠٥ وابن الجوزي ٧/٣٢٥ وعلى تفسير مجاهد تكون « مِنْ » في قوله ﴿ منكم ﴾ بمعنى بدل أي بدلكم ، وحروف الجرّ يحلُّ بعضها محلَّ بعض ، وينوب بعضها عن بعض كما قال الشاعر :

جَارِيَةٌ لَم تَأْكُلِ المُرَقَّقَا ... وَلَمْ تَذُقْ مِنَ البَقُولِ الفُسْتُقَا

أي بدل البقول كذا في المغني ص ٢٥٠ . قال الأزهري : و « مَنْ » قد تكون للبدل كقوله تعالى ﴿ لجعلنا منكم ﴾ يريد بدلاً منكم . اهـ.

وقال **قتادة** : أي ملائكة يخلف بعضهم بعضاً[1] .

٥٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا .. ﴾ [آية ٦١] .

روى سفيان ، عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ﴿ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾ قال : نزول عيسى[2] .

وكذلك روى سِمَاكٌ[3] عن عكرمة عن ابن عباس .

وكذلك قال مجاهد وأبو مالك .

وقد رُوي عن ابن عباس وأبي هريرة أنهما قرءَا ﴿ وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِلسَّاعَةِ ﴾[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٨٩/٢٥ والدر المنثور ٢٠/٦ وابن كثير ٢٢٢/٧ وذكر أنه قول ابن عباس وقتادة ، ورجح الطبري قول مجاهد فقال ٨٩/٢٥ : والمعنى : ولو نشاء أهلكناكم ، فأفنينا جميعكم ، وجعلنا بدلاً منكم في الأرض ملائكة ، يخلفونكم فيها يعبدونني !!

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٠/٢٥ وابن الجوزي ٣٢٥/٧ وابن كثير ٢٢٣/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٠/٦ .

(٣) « سِمَاك » بكسر أوله وتخفيف الميم قال ابن حجر في تقريب التهذيب ٣٣٢/١ : هو سِمَاك بن حرب بن أوس بن خالد الذهلي البكري الكوفي ، صدوق وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة من الرابعة توفي سنة ١٢٣هـ .

(٤) ذكر هذه القراءة الطبري ، وابن الجوزي ، وابن كثير ، والشوكاني ، وغيرهم ، ولم أرها في القراءات السبع ، قال الطبري ٩١/٢٥ : « والصواب من القراءة في ذلك : الكسرُ في العين لإجماع الحجة من القُرَّاء عليه ، وقد ذُكر أنها في قراءة أُبيٍّ « وإنه لِذِكْرٌ للساعة » فذلك مصحِّحٌ قراءة الذين قرءوا بكسر العين ﴿ وإنَّه لعِلمٌ للساعةِ ﴾ . اهـ .

قال الخليل : العَلَمُ والعلامَةُ واحدٌ .

قال أبو جعفر : ومعنى ﴿ **لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ** ﴾ : يُعْلَم بنزول عيسى ﷺ ، أن السَّاعة قد قَرُبَتْ .

وصحَّ عن النبي ﷺ أنه قال : (لينزلنَّ ابن مريم حَكَماً عَدْلاً ، فليكسرنَّ الصليبَ ، وليقتلنَّ الخنزير ..)[1] .

ويجوز أن يكون المعنى : وإن محمداً ﷺ لَعَلَمٌ لِلسَّاعة ، لأنه خاتم النبيِّين[2] ، قال الله جل وعز ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ** ﴾ .

ثم قال تعالى ﴿ **فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا** ﴾ : أي فلا تشكُّوا[3] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ١٣٥/١ وابن ماجه ٤٠١/٢ ولفظ مسلم (والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ، حَكَماً مقسطاً ..) الحديث . ولفظ ابن ماجه (لا تقوم الساعة حتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام حَكَماً مقسطاً ، وإماماً عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) . اهـ. سنن ابن ماجه رقم ٤١٢٩ الجزء الثاني ص ٤٠١ من طبعة الأعظمي .

(٢) هذا القول ضعيف ، والجمهور على أن الضمير يعود على « عيسى » عليه السلام أي وإن عيسى علامة على قرب الساعة قال الطبري ٩٠/٢٥ : والمعنى أن ظهور عيسى عَلَم يُعلم به مجيء الساعة ، لأن ظهوره من أشراطها ، ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا .. إلخ. وقال الحافظ ابن كثير ٢٢٣/٧ « وقد تواترت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ، إماماً عادلاً ، وحكماً مقسطاً » وهذا قول جمهور المفسرين .

(٣) الامتراء في اللغة : الشكُّ ، قال في المصباح المنير : امترى في أمره : شكَّ ، والاسم : المِرْية بالكسر . اهـ.

٥٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ .. ﴾ [آية ٦٣] .

روى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ قال : تبديلُ التَّوراة[١] .

٥٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا المُتَّقِينَ ﴾ [آية ٦٧] .

قال مجاهد : أصحابُ المعاصي متعادُونَ يومَ القيامةِ[٢] .

وقال الحارث : سُئِل عليُّ بنُ أبي طالب عن قوله جل وعزَّ ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾ فقال : خليلان مؤمنان ، وخليلان كافران ، ماتَ أحدُ المؤمنينَ فبُشِّرَ بالجنَّةِ ، فقال : اللهم لا تُضِلَّ خليلي ، حتى يُبَشَّر بما بُشِّرْتُ بهِ ، وتَرْضَى عنه كما رَضِيتَ

(١) الأثر عن مجاهد ذكره الطبري ٩٢/٢٥ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٢٦/٧ والقرطبي ١٠٨/١٦ وإليه جنح الزجاج ، حيث قال : المعنى : ولأُبيِّن لكم في الإنجيل بعض الذي تختلفون فيه من تبديل التوراة ، وذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٥/٢ إلى أن « بعض » في قوله تعالى ﴿ ولأبيِّن لكم بعض الذي تختلفون فيه ﴾ بمعنى الكل ، واستشهد عليه ببيت من الشعر للبيد « أو يَعْتَلِقْ بعضَ النفوسِ حِمَامُهَا » وضعَّف هذا القول الطبري ٩٢/٢٥ وقال : وقد كان بينهم اختلافٌ كثير ، في أسباب دينهم ودنياهم ، فقال لهم : أبيِّن لكم بعض ذلك ، وهو أمر دينهم دون أمر دنياهم ، ورجحه ابن كثير ٢٢٤/٧ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٩٤/٢٥ والقرطبي ١٠٩/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٢١/٦ قال الحافظ ابن كثير ٢٢٤/٧ : أي كلُّ صحابةٍ وصداقةٍ لغير الله ، فإنها تنقلب يوم القيامة إلى عداوة ، إلَّا ما كان لله عزَّ وجل ، فإنه دائم بدوامه . اهـ.

عني ، فلمَّا مات جُمع بينهما ، فقال له : جَزَاكَ اللهُ من خليلٍ ، ومن أخٍ وصاحبٍ خيراً ، فنعم الخليلُ كنتَ .

والكافران يقولُ أحدهما لصاحبه : بئس الخليلُ ، والصاحبُ كنتَ ، ثم قرأ ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[(١)] .

وقال مجاهد : قال ابن عباس : أَحِبَّ للهِ ، وأَبْغِضْ للهِ ، ووَالِ للهِ ، وعادِ للهِ ، فإنه إنما يُنَالُ ما عندَ اللهِ بهذا ، ولن يَنْفَعَ أحدٌ كثرةُ صَوْمِهِ ، وصلاتِهِ ، وحجِّه ، حتى يكون هكذا ، وقد صار النَّاسُ اليوم يُحبُّون ويبغضون للدنيا ، ولن ينفع ذلكَ أهلَهُ ، ثم قرأ ﴿ **الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ** ﴾[(٢)] .

٥٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾ [آية ٧٠] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي حاتم ، والبيهقي في شعب الإيمان ، من حديث علي بن أبي طالب ، ورواه ابن جرير الطبري في جامع البيان ٩٤/٢٥ وابن كثير ٢٢٤/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢١/٦ . وزاد نسبته إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حُميد ، وابن مردويه عن عليٍّ رضي الله عنه .

(٢) الأثر أخرج بعضه ابن جرير ٩٤/٢٥ وابن كثير ٢٢٤/٧ . ومما يؤيد هذا الأثر عن ابن عباس ، ما جاء في الحديث الصحيح (من أحبَّ لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان) أخرجه أبو داود عن أبي أمامة ، وروى الحافظ ابن عساكر عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لو أنَّ رجلين تحابَّا في الله ، أحدهما بالمشرق والآخر بالمغرب ، لجمع الله بينهما يوم القيامة . يقول : هذا الذي أحببته فيَّ) وانظر تفسير ابن كثير ٢٢٥/٧ .

قال يحيى بنُ أبي كثير سئل النبي ﷺ عن قوله تعالى ﴿ أَنْتُمْ وأَزْوَاجُكُـمْ تُحْبَـرُونَ ﴾ قال : (اللَّـذةُ : والسَّمَـاعُ بما شَـاءَ اللهُ من ذكـره)[1] .

قال قتادة : ﴿ تُحْبَرُونَ ﴾ : تُنَعَّمُونَ[2] .

٥٦ ــ **ثم قال جل وعـز : ﴿ يُطَـافُ عَلَيْهِـمْ بِصِحَـافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ .. ﴾** [آية ٧١] .

روى سعيـد عن قتـادة قال : الأكـوابُ دون الأباريـق ، قال : وَبَلَغَنِـي أنها مدوَّرةٌ ، وكـذلك هي عنـد أهـلِ اللُّغـةِ ، إلَّا أنَّهـا لا آذَانَ لها ، ولا عُرَى[3] .

٥٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾** [آية ٧٥] .

(١) أخرج هذا الأثر الطبري في سورة الروم ٢١/٢٨ وقال : هو التلذُّذ بالسمـاع ، والغنـاء ، فهـم في اللذيـذ من الأراييـح ، والعيش الهنيِّ ، فيمـا يُسَرُّون به ، ويُغْبطـون عليـــه ، والحبرة : السرور والغبطة .

(٢) الأثـر في الـطبري ٢٥/٢٨ والقرطبـــي ١٦/١١١ والشوكاني ٤/٥٦٣ قال : والأولى تفسير ذلك بالفرح والسرور ، الناشئَيْن عن الكرامة ، والنعمة . اهـ.

(٣) الأكواب جمع كوبٍ ، وهو إناء مستدير لا عُروة له ، قال الفـراء : الكـوبُ : الكـوزُ المستدير الـرأس الـذي لا أذن له ، وكـذا قال في لسان العرب ، وإنما كانت بغير عُرى ، ليشرب الشارب من أين شاء ، قال القرطبـي ١٦/١١١ : ولم يذكـر تعـالى الأطعمـة والأشربـة في قولـه ﴿ يُطَـافُ عليهم بصحاف من ذهـب وأكواب ﴾ لأنه يُعلـم أنـه لا معنـى للطـواف بالصِّحـاف والأكـواب عليهم ، من غير أن يكون فيها شيء . اهـ.

مأخوذٌ من الفَتْرَةِ ، والفُتُورِ ، والفتْرِ[1] .

والمُبْلِسُ : المتحيِّرُ ، الَّذي قد يَئِسَ من الخَيْرِ[2] .

٥٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ، قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ [آية ٧٧] .

قال مجاهد : ما كنا ندري ما معنى **﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ ﴾** حتى وجدنا في قراءة عبد الله **﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِ ﴾**[3] .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص : يُنَادُونَ مالِكاً أربعينَ سنةً ، فيجيبُهم بعدها **﴿ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾** ثم يُنَادون ربَّ العزة **﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾** فيسكت عنهم مثل عُمُرِ الدنيا ، ثم يقول : **﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾** قال : فليس بعدها

---

(١) في الصحاح ٧٧٢/٢ : الفترةُ : الإنكسار والضعفُ ، يُقال : فتر الحرُّ ، فتوراً ، وطرفٌ فاترٌ إذا لم يكن حديداً .

(٢) قال في المصباح : أبلس الرجل إبلاساً : سكت ، وأبْلَس : أَيِسَ ، والإبلاس : اليأسُ ، ومنه ﴿ فإذا هم مُبْلِسون ﴾ .

(٣) هذه من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٥٧/٢ و « مال » ترخيم « مالك » خازن النار ، قال في الألفية :

تَرْخِيماً احْذِفْ آخِرَ المُنَادَى ... كَيَاسُعَا فِيمَنْ دَعَا سُعَادَا

والأثر عن مجاهد ذكره القرطبي ١١٧/١٦ ولفظه : كنا لا ندري بالزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله : بيتٌ من ذهب ، وكنا لا ندري ﴿ ونادوا يا مالك ﴾ حتى وجدناه في قراءة عبد الله ﴿ ونادوا يا مَالِ ﴾ على الترخيم . اهـ.

إِلَّا صياحٌ كصياح الحمير ، أَوَّلُه زفيرٌ ، وآخرهُ شهيقٌ[1] .

٥٩ ــ **وقوله جل وعز :** ﴿ **أَمْ أَبْرَمُوا أَمْراً فَإِنَّا مُبْرِمُونَ** ﴾ [آية ٧٩] .

قال مجاهد : أي أم أجمعوا على كيدٍ أو شرٍّ ، فإنَّا نَكيدهم[2] .

قال الفراء : أي أم أحكموا أمراً يُنجيهم من عذابنا على قولهم ، فإنا نُعَذِّبهم[3] .

قال أبو جعفر : يقال : أَبْرَمَ الأَمْرَ : إذا بالغ في إحكامه ، وأبرم الفَاتِلُ : إذا أحكمَ الفتْلَ ، وهو الفَتْلُ الثاني ، والأول سَحِيلٌ كما قال :

« مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ »[4]

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٩٩/٢٥ وابن الجوزي ٣٣٠/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٣/٦ بنحوه ، قال ابن كثير ٢٢٧/٧ في روايته عن البخاري ١٦٣/٦ : عن صفوان بن يعلى عن أبيه قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقرأ على المنبر ﴿ ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك ﴾ . اهـ. قال ابن كثير : أي ليقبضْ أرواحنا فيريحنا مما نحن فيه ، فلما سألوا أن يموتوا أجابهم مالك ﴿ قال إنكم ماكثون ﴾ قال ابن عباس : مكث ألف سنة ثم قال : إنكم ماكثون . اهـ.
أقول : ليكون ذلك لهم أخزى وأذل .

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير ١٠٠/٢٥ وابن كثير ٢٢٧/٧ والقرطبي ١١٨/١٦ وهو أظهر الأقوال ، والمعنى : أم أحكم هؤلاء الفجار أمرهم للكيد برسول الله ؟ فإنا محكمون أمرنا في تدميرهم وإهلاكهم .

(٣) معاني القرآن للفراء ٣٨/٣ قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢٠٦/٢ ﴿ أم أبرموا ﴾ : أم أحكموا ، والإبرام الإحكام .

(٤) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى ، وتمامه كما في ديوانه ص ١٤ :
يَمِيناً لَنِعْمَ السَّيِّدَان وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ =

ومنه : رجل بَرَمٌ : إذا كان لا يدخل في الميسر ، أو كان ضيِّق الخُلُق لا يجتمع مع النَّاسِ[١] ، كما قال الشاعر :

وَلَا بَرَماً تُهْدَى النِّسَاءُ لِعِرْسِهِ
إذَا القَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعْقَعَا[٢]

و « بُرْمَة » من هذا ، سُمِّيت به ، للإلحاح عليها بالإيقاد[٣] .

٦٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ إنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ العَابِدِينَ ﴾** [آية ٨١] .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **قال مجاهد** : أي قل إن كان للرحمن ولد ــ في قولكم ــ فأنا أوَّل من عَبَده ، ووحَّده ، وكذَّبكُمْ[٤] .

= والمبرم الذي فُتل خيطاه حتى صار خيطاً واحداً ، والسَّحيلُ : خيطٌ واحد لم يضم إليه آخر ، ولم يفتل بعد .

(١) قال الجوهري : البَرَمُ : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، والجمع أبرام ، وفي المثل : « أَبَرَماً قَرُوناً » ؟ أي هو بَرَم ، ويأكل مع ذلك تمرتين ، تمرتين . اهـ. الصحاح ، وقال الأزهري : والبَرَمُ : الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ، ويأكل معهم من لحمه . اهـ. تهذيب اللغة .

(٢) البيت لمتمِّم بن نويرة اليربوعي ، ذكره الجوهري في الصحاح ، وابن منظور في لسان العرب ، مادة برم ، وفي المخطوطة ورد بلفظ « وَلَا بَرَمٍ » وصوابه ما أثبتناه كما في الصِّحاح ، واللسان .

(٣) البُرْمةُ : قِدْرٌ من حجارة ، وجمعها بُرَمٌ ، وفي حديث جابر (لا تُنْزِلُنَّ بُرْمتكم ، ولا تخبزنَّ عجينكم حتى آتي) .

(٤) ذكر هذا الأثر الطبري في جامع البيان ١٠١/٢٥ ورجحه على بقية الأقوال ، وذكره القرطبي ١١٩/١٦ وابن كثير ٢٢٩/٧ .

ب ــ **وقال الحسن** : يقول : ما كان للرحمن ولد[1] .

جـ ــ **وقيل** : هو من عَبِدَ أي أَنِفَ كما قال :

« وأَعْبَدُ أَنْ تُهْجَى تَمِيمٌ بَدَارِمِ »[2]

قال أبو جعفر : أحسنها قول مجاهد[3] ، لأنَّ « إنْ » يبعد أن تكون ههنا بمعنى « ما » لأن ذلك لا يكاد يستعملُ إلَّا وبعد « إنْ » إلَّا .

وأيضاً فإن بعدها ألفاً ، وأكثر ما يُقال ، إذا أَنِفَ الإنسانُ وغضِبَ ، وأنكر الشيء : عَبِدَ فهو عَبِدٌ[4] ، كما يُقال : حَذِرَ ، فهو حَذِرٌ .

---

(١) قولُ الحسن ذكره المفسرون : الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، وغيرهم ، وعلى هذا القول تكون « إنْ » نافية بمعنى « ما » أي : قل ما كان للرحمن ولدٌ البتَّة .. إلخ. وقد ضعَّفه المصنف لأن من شروط « إنْ » النافية أن يأتي بعدها « إلا » كقوله تعالى ﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ أي ما عليك إلا البلاغ ، وكقوله ﴿ إن كانت إلا صيحة واحدة ﴾ أي ما كانت إلا صيحة واحدة .

(٢) هذا عجز بيت للفرزدق ، وهو في اللسان والصحاح مادة عبد ، ومجاز القرآن ٢/٢٠٦ وغريب القرآن ص ٤٠١ والبحر المحيط ٨/٢٨ والقرطبي ١٦/١٢٠ وتمامه :

أولـئك قَومٌ إنْ هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ وأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُو كُلَيْباً بِدَارِمِ

(٣) هذا ما اختاره الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، قال القرطبي ١٦/١١٩ ومعنى الآية : إن ثبت لله ولدٌ فإنا أول من يعبد ولده ، ولكن يستحيل أن يكون له ولد ، وهو كما تقول لمن تناظره : إن ثبت ما قلت بالدليل فإنا أول من يعتقده ، وهذا مبالغة في الاستبعاد . اهـ. وكذلك قال الحافظ ابن كثير ٧/٢٢٧ .

(٤) يريد المصنف أنه لو كان المراد من قوله ﴿ فأنا أول العابدين ﴾ أي الآنفين عن عبادة الولد ، لكان ينبغي أن يكون اللفظ ﴿ فأنا أول العَبِدين ﴾ بغير ألف ، لأن عَبِدَ بمعنى أنف ، يأتي اسم الفاعل منه ﴿ عَبِدٌ ﴾ لذلك كان القول ضعيفاً .

وقول مجاهد بيّنٌ أي إن كان للرحمن ولدٌ ـ على زعمكم وقولكم ـ كما قال تعالى ﴿ أَيْنَ شُرَكَائِي ﴾[1] ؟ فأنا أوَّلُ من خالفكم ووحَّد الله جل وعز .

ومعنى ﴿ العابِدِينَ ﴾ كمعنى الموحِّدين ، لأنه لا يقال عابدٌ ، إلَّا لموحِّدٍ .

٦١ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الأَرْضِ إِلَهٌ وَهُوَ الحَكِيمُ العَلِيمُ ﴾ [آية ٨٤] .

قال قتادة : أي يُعبد في السَّماء ، وفي الأرض[2] .

ورُوي عن عمر ، وأُبَيٍّ ، وابن مسعود ﴿ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ اللهُ وَفِي الأَرْضِ اللهُ ﴾[3] .

---

(١) الآية في سورة القصص رقم ٦٢ وتمامها ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون ﴾ أي أين من جعلتموهم شركائي بزعمكم ؟

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٥/١٠٤ والقرطبي ١٦/١٢١ ولفظه : أي هو المستحقُّ للعبادة في السماء والأرض ، قال ابن الجوزي ٧/٢٣٣ فالإله على قول قتادة معناه : المعبود أي الله معبود في السماء ، ومعبود في الأرض ، وهو اختيار الأكثرين .

(٣) هذا القول ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٦/١٢١ وردَّه فقد قال : ورُوي أنه قرأ عمر ، وابن مسعود وغيرهما ﴿ وهو الذي في السماء الله وفي الأرض الله ﴾ قال : وهذا خلافُ المصحف . اهـ. وذكره ابن الجوزي ٧/٣٣٣ . وهذا القول محمول على أنه تفسير لا قراءة ، كما قال الحافظ ابن كثير ٧/٢٢٩ : ﴿ وهو الله في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ أي هو إلهُ مَنْ في السماء ، وإله مَنْ في الأرض ، يعبدُه أهلهما ، وكلهم خاضعون له ، أذلاء بين يديه ، وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون ﴾ أي هو المدعو « الله » في السموات والأرض . اهـ.

٦٢ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالحَقِّ .. ﴾** [آية ٨٦] .

قال قتادة : المسيحُ ، وعُزيرٌ ، قد عُبِدَا من دون اللهِ ، ولهما شفاعة(١) .

وقال مجاهد : لا يشفعُ المسيحُ ، وعُزَيْرٌ ، والملائكةُ ، إلَّا لمن شهد بالحقِّ ، قال : « لا إِلَهَ إِلَّا الله »(٢) .

قال أبو جعفر : قولُ قتادةَ أبينُ ، وقولُ مجاهد على أنه استثناء ليس من الأول(٣) .

٦٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقِيلِهِ يَا رَبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٨٨] .

(١ ــ ٢) الأثران في الطبري ١٠٥/٢٥ والقرطبي ١٢٢/١٦ وتفسير ابن الجوزي ٣٣٤/٧ ، ورجح الطبري العموم في تفسيره ، فقد قال في جامع البيان ١٠٤/٢٥ والمعنى : ولا يملك الذين يعبدهم المشركون ــ عيسى وعزير والملائكة ــ الشفاعة عند الله لأحدٍ ، إلَّا لمن شهد بالحقِّ ، فوحَّد الله وأطاعه ، وهم يعلمون حقيقة توحيده .. إلخ. وهكذا قال القرطبي ١٢٢/١٦ : أراد بالذين يدعون من دونه « عيسى وعزيراً والملائكة » والمعنى : لا يملك هؤلاء الشفاعة إلا لمن شهد بالحق ، وآمن على علم وبصيرة : وشهادة الحقِّ : « لا إله إلا الله » . اهـ.

(٣) يريد المصنف أن الاستثناء في قوله تعالى ﴿ إلَّا من شهد بالحق ﴾ استثناء منقطعٌ ، بمعنى « لَكِنْ » والمعنى : لكنْ من شهد بالحقِّ فإنه تنفع شهادته ، وتُقبل عند الله ، ذلك لأن المستثنى من غير جنس المستثنى منه ، وهذا أمارة المستثنى المنقطع .

وسنبيِّنُ معنى ﴿ وَقِيلِهِ[1] يا رَبِّ ﴾ في الإعراب إن شاء الله[2] .

٦٤ ـ وقوله جل وعز : ﴿ فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ [آية ٨٩] .

قال قتادة : في قوله ﴿ **فَاصْفَحْ عَنْهُمْ** ﴾ قيل له هذا ، ثم نُسخ بالأمر بالقتال[3] .

* * *

« انتهى تفسير سورة الزخرف »

---

(١) قوله ﴿ وقِيله يا رب ﴾ القيلُ : بمعنى القول أي وقولُ محمد يا رب إنَّ قومي هؤلاء قومٌ معاندون مكابرون ، لا يسمعون النصح ، ولا يُصدِّقون بالرسالة ، قال قتادة : هذا قول نبيكم يشكو قومه إلى ربه عز وجل .

(٢) ذكر الإمام النحاس في إعراب القرآن ١٠٤/٣ أن الضمير في ﴿ قيله ﴾ عائد على النبي ﷺ ، وفيها قراءتان : النصبُ ﴿ وقِيلَهُ ﴾ على أنه معطوف على الجملة قبله ، والمعنى : أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرَّهم ونجواهُم ، وقيلَه ؟ والثاني على أن معناه : وعنده علم الساعة ، وعلمُ قيلِهِ ، وقراءة الجر قراءة عاصم وحمزة ، وانظر الطبري ١٠٦/٢٥ وزاد المسير ٣٣٤/٧ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٧/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور عن قتادة ٢٤/٦ قال : نُسِخَ الصَّفْحُ ، والقرطبي في جامع الأحكام ١٢٤/١٦ ولفظه : قال قتادة : أُمِر بالصفح عنهم ، ثم أُمِرَ بقتالهم ، فصار الصفح منسوخاً بالسيف ، ونحوه عن ابن عباس ، ثم قال : وقيل : هي محكمة لم تُنسخ . اهـ. وقال أبو حيان في البحر المحيط ٣٠/٨ : ﴿ فاصفح عنهم ﴾ أي أعرضْ عنهم وتاركهم ﴿ وقل سلامٌ ﴾ أي الأمر سلام ﴿ فسوف يعلمون ﴾ وعيدٌ لهم وتهديد وموادعة ، وهي منسوخة بآية السيف . اهـ.

تفسير سورة الدخان

مكية وآياتها ٥٩ آيـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان وهي مكية[1]

١ ــ قوله جل وعز : ﴿ حمٓ . وَالكِتَابِ المُبِينِ . إنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ ﴾ [آية ١ ــ ٣] .

قال مجاهد وقتادة : ﴿ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ : ليلة القدر[2] .

قال أبو جعفر : في معنى هذه الآية ثلاثة أقوال :

أ ــ فمن أصحِّها ما رواه حمَّادُ بنُ زيد ، عن أيوبَ ، عن عكرمةَ ، عن ابن عباس قال : « أُنزل القرآنُ في ليلة القدر ، إلى السماء الدنيا جملةً واحدة ، ثم نَزَل به جبرائيل في عشرين سنة »[3] وهذا إسنادٌ لا يُدْفع .

---

(١) هي مكية باتفاق كما قال القرطبي ١٢٥/١٦ وسميت سورة الدخان ، لذكر آية الدخان فيها في قوله تقدست أسماؤه ﴿ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ﴾ .

(٢) الجمهور على أن الليلة المباركة هي « ليلة القدر » لقوله تعالى هنا ﴿ إنَّا أنزلناه في ليلة مباركة ﴾ وقال هناك ﴿ إنا أنزلناه في ليلة القدر ﴾ فتكون الليلة المباركة هي ليلة القدر ، لأن القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً ، وهذه الليلة المباركة من شهر رمضان لقوله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .. ﴾ الآية . قال القرطبي ١٢٦/١٦ : والليلة المباركة ليلة القدر ، ويقال : ليلة النصف من شعبان ووصفها بالبركة لما يُنزل الله فيها على عباده من البركات ، والخيرات ، والثواب ، وقال عكرمة : الليلة المباركة ههنا ليلة النصف من شعبان ، قال : والأول أصح .

(٣) الأثر أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس كذا في الدر المنثور ١٥/٦ وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٣٣٦/٧ والطبري ٢٥٨/٢٥ وأبو حيان في البحر المحيط ٣٢/٨ بنحوه ، قال : وهو قول

ب ـــ **وقيل المعنى** : إنا أنزلناه قرآناً في تفضيل ليلة القَدْرِ(١) .

وهو قوله تعالى ﴿ **لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ فهذان قولان .

جـ ـــ **وقيل المعنى** : إنَّا ابتدأنا إنزاله في ليلة القَدْر(٢) ، كما تقول : أنا أخرجُ إلى مكَّةَ غداً ، أي أنا ابتدئُ الخروجَ .

٢ ـــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ** ﴾ [آية ٤ و ٥] .

في معناه قولان متقاربان :

قال ابن عباس : يُحْكِمُ اللهُ جلَّ وعزَّ أمرَ الدنيا إلى قابل ، في ليلة القدر ، ما كان من حياةٍ ، أو موتٍ ، أو رزقٍ(٣) .

= قتادة وابن زيد والحسن ، وهذا أصح الأقوال ، قال ابن العربي : وجمهور العلماء على أنها ليلة القدر ، ومنهم من قال إنها ليلة النصف من شعبان ، وهو باطل ، لأن الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ ثم عين زمانه بقوله ﴿ في ليلة مباركة ﴾ فمن زعم أنها في غيره ، فقد أعظم الفرية على الله . اهـ. القرطبي ١٣٢٧/١٦ .

(١) لم أر هذا القول الذي ذكره المصنف لأحد من المفسرين ، وهو قول غريب .

(٢) ذكر هذا القول القرطبي في جامع الأحكام ١٢٦/١٦ وابن جزي في التسهيل لعلوم التنزيل ٦١/٤ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ١٠٨/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٢٥/٦ ، وذكره ابن كثير ٢٣٢/٧ وقال : أي في ليلة القدر يُفصل من اللوح المحفوظ إلى الكَتَبة أمرُ السَّنَة ، وما يكون فيها من الآجال ، والأرزاق ، وما يكون فيها إلى آخرها ، وهكذا رُوي عن ابن عمر ، وأبي مالك ، ومجاهد ، والضحاك ، وغير واحد من السلف . اهـ.

وقال أبو عبد الرحمن السلمي ، والحسن ، ومجاهد ، وقتادة : نحواً من هذا ، إلَّا أن مجاهداً قال : إلَّا الشَّقَاء ، والسَّعادة ، فإنهما لا يتغيَّران[1] .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ .

والمعنى عليه : أنه تُؤْمَر ــ ليلة القدر ــ الملائكة بما يكون من القَطْرِ ، والرِّزْق ، والحياةِ ، والموتِ ، إلى قابل[2] .

ومعنى « يُفْرَقُ » و « يُؤْمَر » واحدٌ ، كأنه قال : يُؤْمَرُ كلَّ أمرٍ حكيم ، أمراً من عندنا .

والقول الآخر : أنها ليلة النِّصف من شعبانَ ، يُبرمُ فيها أمرُ السَّنَةِ ، ويُنسخُ الأحياءُ من الأمواتِ ، ويُكْتبُ الحاجُّ ، فلا يُزاد فيهم ، ولا يُنْقصُ منهم أحدٌ[3] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٠٩/٢٥ والقرطبي ١٢٦/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ١٥/٦ .

(٢) هذا قول الجمهور كما بَيَّنَّا ، والمعنى: في ليلة القدر يُفصل ويُبيَّن كل أمرٍ قدَّره الله محكم ، من أرزاق العباد ، وآجالهم ، وسائر أحوالهم ، فلا يُبدَّل ولا يُغيَّر ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما : « وإنك لترى الرجل يمشي في الأسواق ، وينكِحُ النساء ، وقد وقع اسمه في الموتى » .

(٣) هذا قول عكرمة ولكنه ضعيف لا يُعوَّل عليه ، كما قال المحققون من المفسرين ، قال ابن كثير ٢٣٢/٧ « ومن قال إنها ليلة النصف من شعبان ــ كما رُوي عن عكرمة ــ فقد أبعد النُّجعة ، فإن نصَّ القرآن أنها في رمضان ، والحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : (تُقْطع الآجال من شعبان إلى شعبان ، حتى إن الرجل لينكِحُ ويُولَدُ له ، وقد أُخرج اسمه في الموتى) فهو حديث مرسل ، ومثله لا يُعارض به النصوص . اهـ

وقال غيره : ﴿ **يُفْرَقُ** ﴾ : يُقْضَى ، ويُـفَصَّل في تلك الليلـة ، إلى مثلها من السنة الأخرى .

و ﴿ **حَكِيمٌ** ﴾ بمعنى محكم .

وقيـل : إن معنـــى ﴿ **يُفْــرَقُ** ﴾ : يُفْصَلُ ، أي يُفْصَلُ بين المؤمنِ ، والكافرِ ، والمنافقِ ، فيقال للملائكة هذا ، ويعرفونه .

٣ ـــ **وقولـه جل وعـز :** ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِيـــنٍ** ﴾ [آية ١٠] .

رَوى إسرائيـلُ عن أبي إسحـاق ، عن الحارث ، عن علـيٍّ بن أبي طالب عليـــه السلام ، قال : « آيـــةُ الدخـــان لم تمضِ بعـــدُ وستكونُ ، يأتي دخانٌ يصيب المؤمنين الزُّكامَ ، ويَنْقَدُّ الكافرُ »[1] .

وروى الأعمش عن أبي الضحـى عن مسروق قال : « جلس رجـلٌ فقـال : إنَّ الدخـان لم يكـنْ ، وإنما يكـون يوم القيامـة ، يأخـذ المؤمنين منه مثلُ الزُّكام ، ويشتدُّ على الكافرين والمنافـقين ، فدخلنـا على عبد الله بن مسعود وهـو مُتَّكِـئٌ ، فحكينـا له ما قال ، فقـامَ فجـلس مغضَبَاً وقال : إذا سئل أحـدكم عمَّـا لا يعلـم فليقـل : لا علـمَ لي به ، فإن الله جلَّ وعزَّ يقول لنبيِّه ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ، وَمَا أَنَا**

---

(١) هكذا في المخطوطة « يَنْقَدُّ » والقدُّ : الشقُّ ، يُقال : قددته فانقـدَّ ، كذا في المصبـاح المنير والمراد أن الكافر يأخذه الدخان حتى ينشقَّ جوفُه ، وهذا الأثر عن علي أخرجه ابـن أبي حاتم وعبـدُ بن حميد ، ولفظه « إن الدخان لم يمض بعد ، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام ، وينفخُ الكافر حتى ينقدَّ » وانظر الدر المنثور ٢٩/٦ .

مِنَ **الْمُتَكَلِّفِينَ** ﴾ وسأخبركم عن الدخان .. إن قريشاً استعصتْ[1] على رسول الله ﷺ وكفرتْ ، فدعا الله جل وعزَّ عليها أن يُجَوِّعَها ، فأصابهَا جوعٌ شديد ، حتى كان الرجلُ يَرَى بينَ السَّماءِ والأرضِ دُخاناً ، من الجوع والحرِّ ، فقالت قريش ﴿ **رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ** ﴾ فكشفه الله عنهم فعادوا ، ثم بطش بهم البطشةَ الكبرى يومَ بدرٍ ، ولو كان الدخانُ يوم القيامةِ ، ما كُشِفَ عنهم »[2] .

٤ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴾** [آية ١٥] .

---

(١) في المخطوطة « استصعبت » وهو تصحيف ، وصوابه « استعصت » كما في رواية البخاري ١٦٤/٦ : (إن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف ..) الحديث .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ١٦٤/٦ من حديث مسروق عن عبد الله بن مسعود ، وأخرجه أحمد في المسند وأبو نعيم ، والبيهقي ، وذكره الطبري ١١٢/٢٥ وابن كثير ٢٣٢/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٨/٦ والخلاصة فإن للمفسرين رأيين في هذه الآية الكريمة :

الأول : أن الدخان قد حدث ومضى ، في عهد النبي ﷺ حين دعا على قريش فقال : اللهم اشدُدْ وطأتك على مضَرٍ ، واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف ، وكان الواحد منهم يرى بين السماء والأرض دخاناً منتشراً من شدة الجوع ، وهذا قول ابن مسعود ، ومجاهد ، والضحاك ، وغيرهم ، واستدل ابن مسعود بحديث (خمسٌ قد مضينَ : الدخانُ ، والروم ، والقمر ، والبطشة ، واللزام) .

والثاني : أن الدخان لم يأت بعد ، وهو من علامات الساعة ، وسيكون قُبيل القيامة ، يُصيب المؤمن منه مثل الزكام ، ويُنضجُ رأس الكافر ، والمنافق ، وهو قول ابن عباس ، وعلي ، وابن عمر ، وأبي هريرة ، والحسن البصري ، واختاره الحافظ ابن كثير ٢٣٣/٧ ورجحه لما رواه مسلم في صحيحه (لا تقوم الساعة حتى تَروا عشر آياتٍ : طلوعَ الشمس من مغربها ، =

يجوز أن يكون المعنى : إنكم عائدون في المعاصي .

ويجوز أن يكون بمعنى : مَيِّتين[1] .

٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى إنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴾** [آية ١٦] .

قال أُبيٌّ بن كعب ، وابن مسعود في ﴿ البطشة الكبرى ﴾ : إنها يوم بدر[2] .

وروى عوف ، وقتادة ، عن الحسن ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ البَطْشَةَ الكُبْرَى ﴾ قال : يوم القيامة[3] .

= والدخان ، والدابة ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وخروج عيسى بن مريم ، والدجّال ..) إلخ. الحديث ، ثم أورد الحافظ ابن كثير حديثاً مسنداً عن ابن عباس وقال : هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ــ حبر الأمة وترجمان القرآن ــ وهكذا قول من وافقه من الصحابة ، والتابعين ، مع الأحاديث المرفوعة من الصحاح ، والحسان التي أوردناها مما فيه مقنع ، ودلالة ظاهرة على أن الدخان من الآيات المنتظرة ، مع أنه ظاهر القرآن . اهـ. ورجح الطبري قول ابن مسعود ، وكذلك العلامة أبو السعود ، والله أعلم .

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٤١ : ﴿ إنكم عائدون ﴾ فيه قولان :

أحدهما : إنكم عائدون إلى الشرك ، قاله ابن مسعود .

والثاني : إلى عذاب الله قاله قتادة ، وكذلك روى الطبري ، وابن كثير . وقول المصنف يجوز أن يكون بمعنى ميّتين ، معناه : تموتون ثم ترجعون إلينا للحساب ، والعذاب ، وقول ابن مسعود أظهر ، قال الرازي ٢٧/٢٤٤ : المقصود التنبيه على أنهم لا يُوفون بعهدهم ، يتضرعون إلى الله وقت الشدة ، فإذا زال الخوف عادوا إلى الكفر .

(٢ ــ ٣) القولان في الطبري ٢٥/١١٧ والقرطبي ١٦/١٣٤ وتفسير ابن الجوزي ٧/٣٤٢ ، ورجح =

٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ [آية ١٧] .

روى سعيد عن قتادة قال : ابتليناهم[1] .

قال ﴿ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴾ : يعني موسى ﷺ .

قال ﴿ وأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَيَّ ﴾ : أن لا تَعْتُوا[2] .

قال : وقوله ﴿ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ أي بعذرٍ[3] مُبين .

٧ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ [آية ٢٠] .

= ابن كثير ٢٣٧/٧ القول الثاني ، فقال : والظاهر أن ذلك يوم القيامة ، وإن كان يوم بدر يوم بطشة أيضاً ، وروى عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال : قال ابن مسعود ﴿ البطشة الكبرى ﴾ يوم بدر ، وأنا أقول : هي يوم القيامة ، وقال الفخر الرازي في التفسير الكبير ٢٤٤/٢٧ : وقول ابن عباس أصح ، لأن يوم بدر لا يبلغ هذا المبلغ الذي يوصف به هذا الوصف العظيم ، ولمَّا وصف بالكُبرى وجب أن يكون أعظم أنواع البطش وذلك في القيامة .

(١) هذا قول ابن عباس والجمهور ، والمعنى : عاملناهم معاملة المختبر ، ببعثة موسى إليهم ، ليظهر المطيع من العاصي ، والبرُّ من القاجر .

(٢) أي لا تستكبروا وتتجبَّروا ، وفي المصباح : عَتَا عُتُوًّا من باب قَعَد : استكبر ، فهو عاتٍ ، وعتا الشيخ عِتياً : أسنَّ وكبِرَ . اهـ.

(٣) في المخطوطة [بعدلٍ مبين] وهو خطأ ، لأنه لا معنى له هنا ، والصواب ما أثبتناه (بعذرٍ مبين) وهو قول قتادة كما نقله عنه الطبري ١١٩/٢٥ والقرطبي ١٣٥/١٦ والشوكاني ٥٧٤/٤ قال الشوكاني : أي بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها . اهـ.

قال قتادة : بالحجارة .

قال الفراء : الرَّجْم ههنا : القتلُ[١] .

وروى إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في ﴿ وإنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ قال : أن يقولوا : ساحرٌ ، أو كاهنٌ ، أو شاعرٌ[٢] .

٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴾** [آية ٢١] .

أي دعوني كَفَافاً ، لا لي ، ولا عَلَيَّ[٣] .

٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَاتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴾** [آية ٢٤] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٥ وابن كثير ٢٣٨/٧ والقرطبي ١٣٥/١٦ قال ابن كثير : قال ابن عباس هو الرجم باللسان ، وهو الشتم ، وقال قتادة : الرجم بالحجارة .
(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٤٠/٣ فقد جاء فيه : الرجم ههنا : القتلُ .
(٣) الأثر أخرجه الطبري ١١٩/٢٥ وابن كثير ٢٣٨/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٢٩/٦ وعلى هذا يكون المراد بالرجم : الرجم بالقول ، وهو قول ابن عباس ، كما حكاه عنه الطبري .
(٤) هذا قول مقاتل كما في جامع الأحكام للقرطبي ١٣٥/١٦ ، والأظهر أن المعنى : وإن لم يصدِّقوا برسالتي فاتركوني ، وخلُّوا سبيلي ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير .

روى عكرمة عن ابن عباس قال ﴿ رَهْواً ﴾ : طريقاً(٤) .

وروى عليُّ بن الحكم عن الضحاك قال : سهلاً(٢) .

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ واتْرُكِ البَحْرَ رَهْواً ﴾ : أي ساكناً ، لا تأمُرْهُ أن يرجع إلى ما كان عليه ، حتى يحصُلَ فيه آخِرُهُمْ(٣) .

ورُوِي عن مجاهد أنه قال : ﴿ رَهْواً ﴾ : أي يابساً(٤) .

قال أبو جعفر : هذه الأقوال متقاربة ، ويُقال للساكن : رَهْوٌ ، كما قال الشاعر :

وَالخَيْلُ تَمْرغ رَهْواً فِي أَعِنَّتِهَا
كَالطَّيْرِ يَنْجُو مِنَ الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ(٥)

(١ ــ ٤) هذه الأقوال عن السلف في الطبري ١٢١/٢٥ والقرطبي ١٣٧/١٦ والدر المنثور ٢٩/٦ وأظهرها ما قاله ابن جرير ١٢١/٢٥ إن المعنى : إذا قطعتَ البحر أنتَ وأصحابُك ، فاتركه ساكناً ، على حاله التي كان عليها حين دخلته ، قال : وذلك أن الرهو في كلام العرب : السُّكون . اهـ. قال قتادة : أراد موسى أن يضرب البحر بعصاه لمَّا قطعه حتى يلتئم ، وخاف أن يتبعه فرعون ، فقيل له : لم هذا ؟ إنهم جند مغرقون في البحر ، لأنهم إذا رأوه ساكناً على حالته دخلوا فيه ، فيطبقه الله عليهم . اهـ. البحر المحيط ٣٦/٨ .

(٥) البيت للنابغة الذبياني ، وقد ورد في ديوانه ص ٢٣ بلفظ :
« وَالخَيْلُ تَمْـزَعُ غرْباً فِي أَعِنَّتِهَا كالطَّيْرِ تَنْجُو من الشُّؤْبُوبِ ذِي البَرَدِ »
ولم يرد فيه لفظ « رهو » الذي هو الشاهد في البيت ، و « تَمْـزَع » تُسرع في سيرها ، والغربُ : الحدَّة والنشاط ، وقد ذكره القرطبي في جامع الأحكام ١٣٧/١٦ والألوسي في روح المعاني ١٢٢/٢٥ والشوكاني في فتح القدير ٥٧٤/٤ بلفظ رهواً قال الجوهري في الصحاح : رَهَا =

ويُقال : جاء القوم رَهْواً على نَظْمٍ واحدٍ .

١٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾ [آية ٢٥ و ٢٦] .

قال الفراء : يُقال : المنازلُ الحسنةُ ، ويقالُ : المنابرُ[١] .

١١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ [آية ٢٩] .

رَوى المسيَّبُ بنُ رافع عن علي عليه السلام أنه قال : « يبكي على المؤمن ، البابُ الذي يَصْعَد منه عملُه ، ومُصَلَّاهُ من الأرض »[٢] .

وَرَوى سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ قال : « للمؤمنِ بابٌ يصعد منه عَملُه ، ويَنزِل منه رزقُه ، فإذا ماتَ بكى عليه ، وبكى عليه

= البحرُ : أي سكن ، وجاءت الخيل رَهْواً أي برفق وسكينة ، والرَّهو : السير السهل . اهـ. وكذا في اللسان .

(١) معاني القرآن للفراء ٤١/٣ وذكره الطبري ١٢٣/٢٥ وعزاه إلى مجاهد وابن جبير ، قال : المنابر ، والقول الأول أظهر ، وهو اختيار الجمهور ، قال ابن كثير ٢٣٨/٧ : ﴿ ومقام كريم ﴾ : هي المساكن الأنيقة ، والأماكن الحسنة . اهـ.

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٥/٧ وابن كثير ٢٤٠/٧ وأورد آثاراً كثيرة عن بكاء الأرض ، منها ما رُوي عن مجاهد أنه قال : « ما مات مؤمن إلّا بكت عليه السماء والأرض أربعين صباحاً ، فقيل له : أوَتبكي الأرض ؟ فقال : أتعجبُ ؟ وما للأرض لا تبكي على عبد كان يعمرها بالركوع والسجود ، وما للسماء لا تبكي على عبد كان لتسبيحه وتكبيره فيها دَوِيٌّ كدوي النحل ؟

الموضعُ الذي كان يُصَلِّي عليه ، ولم يكن في آل فرعونَ خيرٌ ، ولا كان لهم عملٌ صالحٌ يصعد ، قال الله تعالى ﴿ **فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ والأَرْضُ** .. ﴾[1] .

وقيل : المعنى : فما بكى عليهم أهلُ السماءِ ، وأهلُ الأرضِ ، كما قال تعالى ﴿ **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ** ﴾[2] .

قال أبو جعفر : العربُ إذا عَظَّمتْ هَلَاكَ إنسانٍ قالتْ : بكتْ عليهِ السَّمَاءُ ، وأظلمت[3] له الشَّمسُ ، على التمثيل كما قال :

(١) الحديث رواه الترمذي في التفسير ٥/٣٥٤ من حديث أنس بن مالك مرفوعاً ، ولفظُه (ما من مسلم إلَّا وله في السماء بابان : باب يصعد فيه عمله ، وباب ينزل منه رزقه ، فإذا مات بكيا عليه ، وتلا ﷺ هذه الآية) وأخرجه الطبري ٢٥/١٢٥ عن ابن عباس ، وابن كثير ٧/٢٤٠ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣٠ .

(٢) أي اسأل أهل القرية ، فهو على حذف مضاف ، وقد جعل المصنف الآية من هذا القبيل على رأي المفسرين ، وحكاه القرطبي ١٦/١٤٠ ورجَّح أنه على الحقيقة فقال : وقيل في الكلام إضمارٌ أي ما بكى عليهم أهلُ السماءِ والأرض كقوله ﴿ واسأل القرية ﴾ بل سُرُّوا بهلاكهم ، قاله الحسن ، ثم قال : والقول الأول أظهر ، أن السماء تبكي عليه ، وكذلك الأرض ، إذ لا استحالة في ذلك ، وإذا كانت السموات والأرض تُسبح ، وتسمع ، وتتكلم ، فكذلك تبكي كما جاء به الخبر . اهـ.

(٣) في المخطوطة : وأظلَّت له الشمس ، وهو خطأ وصوابه « وأظلمت » كما استشهد عليه ببيت الشعر « ليست بكاسفة .. » إلخ. قال ابن الجوزي ٧/٣٤٥ : إن العرب إذا أرادت تعظيم مهلك عظيم قال : أظلمت له الشمس ، وكسف القمر لفقده ، وبكته الريح والسماء والأرض ، يريدون المبالغة في وصف المصيبة . اهـ.

وَالشَّمْسُ طَالِعَــةً لَيْسَتْ بِكَاسِفَــةٍ ٠
تَبْكِي عَلَيْكَ نُجُـومَ اللَّيْـلِ وَالقَمَـرَا[1]

ثم قال تعالى ﴿ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ ﴾ : أي مؤخَّرِينَ .

١٢ — **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ العَـذَابِ المُهِيـنِ . مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ المُسْرِفِينَ ﴾** [آية ٣١] .

قال قتادة : كان يُذَبِّح أبناءَهُمْ ، ويَسْتَحِيي نساءَهُمْ[2] .

١٣ — **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُـمْ عَلَـى عِلْـمٍ عَلَـى العَالَمِيـنَ ﴾** [آية ٣٢] .

قال قتادة : على عَالَمِي أهلِ زمانِهم[3] .

---

(١) البيت لجرير كما في ديوانه ص ٢٣٥ يرثي أمير المؤمنين « عمر بن عبد العزيز » وذكره في البحر المحيط ٣٦/٨ والقرطبي ١٤٠/١٦ وابن الجوزي ٣٤٦/٧ ، والصحاح ، واللسان ، وفيه ما يسميه علماء البيان بالتعقيد اللفظي ، ومراده أن الشمس حال كونها طالعة ، ليست بكاسفة نجوم الليل والقمرا ، تبكي عليك ، فقدَّم « تبكي عليك » فأوهم أن « نجوم الليل » فاعل تبكي ، بينما هي منصوبة باسم الفاعل « كاسفة » أي ليست كاسفة نجوم الليل والقمرا ، وهي تبكي عليك ، فافهمه فإنه أسلوب دقيق المعنى .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ١٢٦/٢٥ وابن الجوزي ٣٤٧/٧ والقرطبي ١٤٢/١٦ وهو رأي جمهور المفسرين ، وقد جاء مفسَّراً في قوله تعالى في البقرة ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون ، يسومونكم سوء العذاب ، يُذبِّحون أبناءكم ، ويستحيون نساءكم .. ﴾ آية رقم ٤٩ .

(٣) هذا قول الجمهور أن المراد عالمي زمانهم ، بدليل قوله تعالى عن هذه الأمة المحمدية ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس .. ﴾ قال الطبري ١٢٧/٢٥ : « أي على عالمي أهل زمانهم يومئذٍ ، وذلك زمان موسى عليه السلام ، ولكل زمان عالم » . اهـ . وهكذا قال ابن كثير ، والقرطبي ، وابن الجوزي ، وغيرهم من المفسرين .

١٤ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُبِينٌ ﴾ [آية ٣٣] .

قال قتادة : أنجاهم من عدوِّهم ، وأقطعهم البحرَ ، وأنزلَ عليهم المنَّ ، والسَّلْوى[1] .

قال أبو جعفر : فالبلاءُ ههنا النعمةُ على هذا القول ، كما قال الشاعر :

« فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو »[2]

وقد يكون البلاء ههنا:العذابُ ضدُّ النعمة أي لحقهم البلاءُ لمَّا كفروا بآيات الله[3] .

---

(١) الأثر عن قتادة أخرجه الطبري ١٢٧/٢٥ وابن الجوزي ٣٤٧/٧ والقرطبي ١٤٣/١٦ والراجح العموم أن المراد بالآيات هنا المعجزات ، والحجج ، والبراهين ، وخوارق العادات وسائر الآيات الباهرة مثل فلق البحر ، وتظليل الغمام .. إلخ. وهو ما اختاره الطبري ، وغيره من المفسرين .

(٢) هذا عجز بيت لزهير بن أبي سُلمى ، كما في ديوانه ص ١٠٩ وصدره :

« رَأَى اللهُ بِالإِحْسَانِ مَا فَعَلَا بِكُمْ فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ البَلَاءِ الَّذِي يَبْلُو »

أي صنع لهما خير الصنيع الذي يبتلي به عباده ، وعلى هذا يكون البلاء بالنعمة هنا ، وهو قول الحسن ، وقتادة ، ومعنى الآية ﴿ مَا فيه بلاء مُبين ﴾ أي ما فيه نعمة ظاهرة كما قال تعالى ﴿ وليُبلي المؤمنين منه بلاء حسناً ﴾ .

(٣) هذا قول آخر ذكره الفراء في كتابه معاني القرآن ٤٢/٣ حيث قال : « بلاء مبين » يريد نعم بيِّنة ، منها إنجاؤهم من آل فرعون ، وتظليلهم بالغمام ، وإنزال المنِّ والسلوى عليهم .. إلخ. وقد قيل : إن البلاء عذاب ، وكل صوابٌ . اهـ. واختار الطبري العموم وأن الله ابتلاهم بالرخاء والشدة ، وبالخير والشر ، امتحاناً وابتلاءً ، وهو اختيار ابن كثير أيضاً ، وهو الأرجح .

١٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ إنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ . إنْ هِيَ إلَّا مَوْتَتُنَا الأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ ﴾ [آية ٣٥] .

« إن هؤلاء » يعني قريشاً « إن هي » بمعنى ما هي ، والمُنْشَرون : المبعوثون ، أنشرَ اللهُ الموتى فنشروا[١] ، كما قال الشاعر :

يَا آلَ بَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُلَيْباً
يَا آلَ بَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الفِرَارُ ؟[٢]

١٦ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَائْتُوا بِآبَائِنَا إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [آية ٣٦] .

الفرَّاء يذهب إلى أن قوله ﴿ فَائْتُوا ﴾ مخاطبةٌ للنبي ﷺ وحده على ما تستعمله العرب في مخاطبة الجليل[٣] .

(١) في المصباح : نَشَرَ الموتى نشوراً : أحياهم ، ويتعدى بالألف فيقال : أنشرهم الله ، ونشرتِ الأرض : حييت وأنبتت . اهـ.

(٢) البيت من شواهد سيبويه ص ٨٧ وهو لمهلهل بن ربيعة ، وانظر شرح سيبويه للأعلم ٣١٨/١ والخصائص لابن جني ٢٢٩/٣ وخزانة الأدب للبغدادي ٣٠٠/١ ، والشاهد فيه قوله « أنشِرُوا لي » أي أحْيوا لي .

(٣) يريد المصنف أن قوله ﴿ فأتوا بآبائنا ﴾ خطابٌ للنبي ﷺ على جهة التعظيم ، كما يُخاطب الملوك والعظماء بلفظ الجمع وانظر معاني القرآن للفراء ٤٢/٣ واستدل الفراء بقوله تعالى ﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال ربِّ ارجعونِ ﴾ وقال بعض المفسرين : الخطاب للرسول والمؤمنين على وجه التعجيز ، أي إن كنتم صادقين فأحيوا لنا آباءنا ليخبرونا بصدق ما تقولون !! وهذا هو الأظهر ، والله أعلم .

١٧ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ .. ﴾** [آية ٣٧] .

قالت عائشةُ : كان تُبَّعٌ[١] رجلاً صالحاً ، فذمَّ اللهُ قومَه ، ولم يذممْهُ .

وقال سعيد بنُ جبير : سأل ابنُ عباس كَعْباً : كيف ذكر اللهُ جل وعز قومَ تُبَّعٍ ، ولم يذكر تُبَّعاً ؟ فقال : كان تُبَّعٌ مَلِكاً من الملوكِ ، وكان قومُه كُهَّاناً ، وكان معهم قومٌ من أهل الكتاب ، فكان قومُه يكذبون على أهل الكتاب عنده ، فقال لهم جميعاً : قرِّبوا قرباناً ، فقرَّبوا فَتُقبِّل قربانُ أهلِ الكتاب ، ولم يُتقبَّلْ قربانُ قومِهِ ، فأسلم ، فلذلك ذكر اللهُ قومَهُ ، ولم يذكره[٢] .

(١) هو تُبَّع الحميري أحد ملوك ــ سبأ ــ اليمن ، ذكره الطبري ١٢٨/٢٥ وابن كثير ٢٤٢/٧ والقرطبي ١٤٥/١٦ وغيرهم من المفسرين ، وقد ذكر أنه كان ملكاً مؤمناً وقومه كفار ، وروى الطبري بسنده عن عائشة « لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً » .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣١/٦ بأوسع من هذا ، وذكر الحافظ ابن كثير ٢٤٢/٧ روايات عديدة مطوَّلة ، عن تُبَّع وقومه ، وكذلك القرطبي ، وابن الجوزي ، ثم قال ابن كثير : وقوم تُبَّع ــ وهم سبأ ــ كانوا عرباً من قحطان ، وقد كانت حِمْيَر كلَّما مَلَكَ فيهم رجل سمَّوه « تُبَّعاً » كما يُقال « كسرى » لمن مَلَكَ الفرس ، و « قيصر » لمن مَلَكَ الروم .. إلخ. وكأن تُبَّع ــ والله أعلم ــ كان كافراً ثم أسلم ، وتابع دين الكليم موسى ، على يَدَيْ من كان من أحبار اليهود ، في ذلك الزمان على الحق ، قبل بعثة المسيح عليه السلام ، وحجَّ البيتَ ، وكساه الوصائل من الحرير ، وعظَّمه وأكرمه ، ثم عاد إلى اليمن . اهـ.

١٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بالحَقِّ ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾** [آية ٣٩] .

﴿ **إِلَّا بِالحَقِّ** ﴾ أي إلّا لإقامةِ الحقِّ(١) .

١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلىً عَنْ مَوْلىً شَيْئاً وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴾** [آية ٤١] .

المَوْلَى : الوَلِيُّ ، والنَّاصِرُ ، كما قال الشاعر :

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
مَوْلَى المَخَافَةِ ، خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا(٢)

وفي الحديث عن النبي ﷺ : (مَنْ كنتُ مَوْلَاهُ ، فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ)(٣) .

(١) جعل المصنف الباء في قوله تعالى ﴿ إلا بالحق ﴾ للسببية والتعليل ، أي ما خلقناهما إلا بسبب الحقِّ ، ولإقامة الحقِّ ، وهو اختيار الطبري ، وقيل : الباء للملابسة والمعنى : ما خلقناهما إلا ملتبسين بالحق ، وهو ما رجحه الألوسي في روح المعاني .

(٢) البيت للبيد بن ربيعة كما في ديوانه ص ٣١١ يصف بقرة فقدت ولدها ، في فلاة واسعة ، وانظر الصحاح للجوهري واللسان مادة ولي .

(٣) الحديث أخرجه أحمد في المسند ٣٦٨/٤ والترمذي في المناقب رقم ٣٧١٤ وسنده صحيح ، وانظر فيض القدير للمناوي ٢١٧/٦ ومعنى الحديث : من كنتُ وليَّه وناصرَه ، فعليٌّ وليُّه وناصره ، خصَّه ﷺ بالثناء لمزيد علمه ، ودقيق فهمه واستنباطه ، وحسن سيرته ، وصفاء سريرته ، ورسوخ قدمه في الدين ، ولا يلزم من هذا تفضيله على أبي بكر ، وعمر ، رضي الله عنهما ، بل هو بيان لفضله وعلمه ، وقد رواه البزّار ، وزاد فيه قوله عليه السلام (اللهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه ، وأحِبَّ من أحبَّه ، وأبغضْ من أبغضَه ، وانصرْ من نصرَهَ ، واخذل من خذَله) .

في معناه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يكون المعنى : من كنتُ أتولَّاهُ فعليٌّ يتولَّاه .

والقول الثاني : من كان يتولَّاني تولَّاه .

والقول الثالث : أنه يُروى أن أسامةَ بن زيدٍ قال لعليٍّ عليه السلام : لستَ مولايَ إنما مولايَ رسولُ اللهِ ﷺ فقال عليه السلام : (من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه)[1] .

٢٠ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾** [آية ٤٤] .

قال شعبة : سمعتُ سليمنَ عن مجاهد قال : كان ابن عباس جالساً وفي يده مِحْجَنٌ ، والناسُ يطوفون بالبيت ، فقال رسول الله ﷺ : (يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا اللهَ ولا تَمُوتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ، فلو أنَّ قطرةً من الزقُّوم قَطَرتْ على أهلِ الدنيا ، لأَمَرَّتْ عليهم عَيْشَهم ، فكيف بمن طعامُهُ الزقُّومُ ؟)[2] .

---

(١) ذكر هذه الرواية الإمام المناوي في فيض القدير على شرح الجامع الصغير ٢١٨/٦ . وذكرها ابن الأثير في النهاية عند ذكره الحديث (من كنتُ مولاه فعليٌّ مولاه) فقال : الوليُّ : الناصر ، وقد تكرر ذكر المولى في الحديث وهو اسم يقع على معانٍ كثيرة منها : السيد ، والمنعم ، والمعتِق ، والناصر ، وابن العم ، والحليف ، وكلُّ من وَلِيَ أمراً فهو مولاه ووليُّه ، ثم قال : وسبب الحديث أن أسامة قال لعلي : لستَ مولايَ .. الحديث ، قال الهروي : أي من أحبني وتولَّاني فليتولَّه . اهـ .

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه بلفظ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا ، لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم ، فكيف بمن يكون طعامه » قال الترمذي : وهذا حديث حسن صحيح . اهـ. تحفة الأحوذي ٣٠٧/٧ ورواه أيضاً ابن ماجه برقم ٤٣٨٠ في باب صفة النار ، وذكره الطبري عن مجاهد عن ابن عباس ١٣١/٢٥ وابن كثير ١٧/٧ .

قال أبو الدرداء : ﴿ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴾ : طعامُ الفاجر[1] .

٢١ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ كَالمُهْلِ يَغْلِي فِي البُطُونِ . كَغَلْيِ الحَمِيمِ ﴾ [آية ٤٥] .

روى سعيد بن جبير ، وأبو ظبيانَ عن ابن عباسٍ قال : المُهْلُ : دُرْدِيُّ الزيتِ[2] .

ثم قال ﴿ تَغْلِي فِي البُطُونِ ﴾[3] يعني الشجرة .

ومن قال ﴿ يَغْلِي ﴾ : جعله للطَّعام ، والزَّقُّومِ .

وقال الفراء وأبو حاتم : من قال ﴿ يَغْلِي ﴾ جاز أن يجعله للمُهْلِ[4] .

(١) هذا الأثر أخرجه الطبري ١٣١/٢٥ وابن كثير ٢٤٥/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٢/٦ ولفظه كما في الدر « كان أبو الدرداء يقرىء رجلاً ﴿ إنَّ شجرة الزَّقوم طعامُ الأثيم ﴾ فجعل الرجل يقول : طعام اليتيم ، فلمَّا رأى أبو الدرداء أنه لا يفهم قال ﴿ إن شجرة الزقوم طعام الفاجر ﴾ وأخرجه ابن المنذر ، والحاكم وصحَّحه ، وهذا محمول على التفسير ، وليس بقراءة .

(٢) درديُّ الزَّيْتِ : أي عَكَرُ الزيت ورديئه ، وهو ما يبقى من الحُثالة في آخره ، قال في اللسان : ودرديُّ الزيت : ما يبقى في أسفله ، وأصله ما يركُدُ في أسفل كل مائع . اهـ. والأثر ذكره الطبري ١٣١/٢٥ وابن كثير ٢٤٥/٧ .

(٣) في الآية قراءتان سبعيتان ، فقد قرأ أبو عمرو ، وابن عامر ، ونافع ، وحمزة « تغلي » بالتاء ، وقرأ ابن كثير وحفص « يغلي » بالياء ، وقد نبَّه المصنف على معنى كل قراءة ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٣٧١/٢ .

(٤) انظر معاني القرآن للفراء ٤٣/٣ قال : « يَغْلي » إن شئت جعلتها للطعام ، أو للمُهْلِ .

قال أبو جعفر : وهذا غَلَطٌ ، لأن المُهْـلَ ليس هو الـذي يغلي في البطون ، وإنما شُبِّهَ به ما يَغْلِي .

والحميم : الماءُ الحارُّ ، كما قال :

« فِيهَا كِبَاءٌ مُعَدٌّ وَحَمِيمٌ »(١)

الكِبَـاءُ : البخـورُ ، يُقـال : كَبَّبتُ العـودَ أي بَخَّرْتُـه ، والكِبَـا مقصورٌ : الكُنَاسَةُ(٢) .

٢٢ ــ ثم قال جل وعــز : ﴿ خُذُوهُ فَاعْتِلُــوهُ إِلَــى سَوَاءِ الجَحِيــمِ ﴾ [آية ٤٧] .

أي يقول للملائكة : خذُوه فاعْتِلوه(٣) .

قال مجاهد : أي فادفعُوهُ .

(١) هذا شطر بيت أنشده شمر للمرقّش كما في لسان العرب ، وتهذيب اللغة مادة « حمم » وتمامه :

كُلَّ عِشَاءٍ لَهَـــا مِقْطَـــرة ذَاتُ كبـــاءٍ مُعَـــدٍّ وحَـــمِيم

قال الأزهري : الحميمُ عند ابـن الأعـرابي من الأضداد ، يكـون الماء البـارد ، ويكـون الماء الحار . قال الشاعر :

وَسَاغَ لِي الشَّرابُ وكُــنْتُ قَبْــلاً أَكَــادُ أَغَصُّ بالمَـــاءِ الحَمِيـــمِ

(٢) في المخطوطة « فيها كِبَا » وصوابه « كِبَـاءٌ » قال في القامـوس : الكبـاءُ كَكِسَاءٍ : عودُ البخـور ، وبالقصر كَإلى : الكناسةُ .

(٣) الخطاب للملائكة كما قال المفسرون أي يقال للزبانية : خذوا هذا الفاجر اللئيم ، فسوقـوه وجـرُّوه بعنف ، إلى وسط الجحيم .

قال أبو جعفر : يُقال : عَتَلَهُ ، يَعْتُلُهُ ، ويَعْتِلُهُ : إذا جَرَّه بعنفٍ ، وشِدَّة[1] .

قال قتادة : ﴿ **إِلَى سَوَاءِ الجَحِيمِ** ﴾ إلى وسطِ الجحيم .

٢٣ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ** ﴾ [آية ٤٩] .

وقرأ الحسن بنُ عليٍّ عليهما السَّلام ﴿ **ذُقْ أَنَّكَ** ﴾ بفتح الهمزة[2] ، وهي قراءة الكسائي ، والمعنى عليها : ذُقْ لأنك كنتَ تقولُ هذا ، والمعنى : على قولك .

قال قتادة : أنزل اللهُ عز وجل في « أبي جهلٍ » الآية ﴿ **أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى . ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى** ﴾ فقال : أيوعدني محمدٌ ، وما بين جبلَيْها أعزُّ مني ولا أكرم ؟ فأنزل الله ﴿ **ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ**

(١) قال الأزهري : عتلتُه ، أعتِله ، وأعتُله : إذا دفعتَه دفعاً عنيفاً ، وهما لغتان فصيحتان ، وقد قُرِئ بهما . وقوله تعالى ﴿ خذوه فاعْتِلُوه ﴾ أي خذوه فاقصفوه كما يُقصفُ الحطبُ . رواه الأعمش عن مجاهد . اهـ. تهذيب اللغة وفي كتاب السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٢ : اختلفوا في كسر التاء وضمها من قوله ﴿ فاعتِلُوه ﴾ فقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ﴿ فَاعْتُلُوه ﴾ برفع التاء ، وقرأ عاصم ، وأبو عمرو ، وحمزة ، والكسائي ﴿ فاعْتِلوه ﴾ بكسر التاء ، وكذا في النشر في القراءات العشر ٣٧١/٢ .

(٢) قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٧١/٢ : ﴿ ذُقْ إنك ﴾ قرأ الكسائي بفتح الهمزة ، وقرأ الباقون بكسرها . اهـ.

أقول : فكل من القراءتين سبعية ، أمَّا على قراءة الفتح فيكون للتعليل ، ذق لأنك أنت العزيز الكريم ، وعلى كلا القراءتين فالغرض التهكم والتوبيخ .

الكَرِيمُ ﴾ وأنزل فيه ﴿ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾[1] .

٢٤ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾** [آية ٥١] .

قال الكسائي : المقامُ : المكانُ ، والمُقَامُ : الإقامة[2] ، كما قال :

« عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا »[3]

ومعنى ﴿أمين﴾ أي من العلل والأحزان .

قال قتادة : « أمين » من الشيطان والأنصاب ، والأحزان[4] .

٢٥ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَاسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾** [آية ٥٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ١٣٤/٢٥ وابن كثير ٢٤٧/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣/٦ عن قتادة ، وقال : أخرجه عبد الرزاق ، وعبد بن حميد ، وقال في البحر المحيط ٤٠/٨ : وهذا على سبيل التهكم والهزء لمن كان يتعزّز ويتكرّم على قومه .

(٢) قال الجوهري : المَقَامُ والمُقَامُ ، قد يكون كل منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القيام ، تقول : أقام بالمكان إقامةً ، والمُقامة بالضم : الإقامة ، وبالفتح : المجلسُ ، والجماعة من الناس . اهـ. الصحاح .

(٣) هذا شطر بيت للبيد من أول معلقته ، وهو في ديوانه ص ٢٩٧ وتمامه :

عَفَتِ الدِّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا ... بِمِنًى تَأَبَّدَ غَوْلُهَا فَرِجَامُهَا

وذكره الجوهري في الصحاح مادة « قوم » والقرطبي في جامع الأحكام ١٥٢/١٦ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣٥/٢٥ والسيوطي في الدر المنثور ٣٣/٦ ويجمع الأقوال ما قاله الشوكاني ٥٧٩/٤ : ﴿ في مقام أمين ﴾ يأمن صاحبه من جميع المخاوف ، وكذا قال ابن كثير ٢٤٦/٧ : قد أمنوا من الموت ، والخروج ، ومن كل هَمٍّ ، وحَزَن ، وجزع ، وتعب ، ونصب ، ومن الشيطان وكيده ، وسائر الآفات والمصائب . اهـ.

قال عكرمة : الاستبرقُ : غليظُ الدِّيباج[(١)] .

قال أبو إسحاق[(٢)] : الاستبرقُ مأخوذٌ من البريقِ ، وهو الذي يُجعل على الكعبة ، والسندسُ الرقيقُ منه .

٢٦ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ** ﴾ [آية ٥٤] .

قال مجاهد : أي أنكحناهم[(٣)] .

قال قتادة : وفي قراءة عبد الله ﴿ **كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِعِيسٍ عِينٍ** ﴾[(٤)] ومعناه : البِيضُ ، يُقال : جَملٌ أَعْيَسُ ، إذا كان أبيضَ يَضْرِبُ إلى الشُّقْرَةِ[(٥)] .

٢٧ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ** ﴾ [آية ٥٥] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن عكرمة ١٣٦/٢٥ والقرطبي ١٥٢/١٦ قال الطبري : والمعنى : يلبس هؤلاء المتقون في الجنات ﴿ من سُنْدسٍ ﴾ وهو ما رقَّ من الديباج ﴿ واستبرقٍ ﴾ وهو ما غَلُظ من الديباج . اهـ.

(٢) هو الإمام الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ وقد تقدمت ترجمته ٧٤/١ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٣٦/٢٥ قال : والمعنى : كما أكرمناهم بإدخال الجنات ، وإلباسهم فيها السندس والاستبرق ، كذلك أكرمناهم فزوجناهم حوراً من النساء ، وهنَّ النقيَّات البياض ، العظيمات العيون . اهـ.

(٤) هذه القراءة عن ابن مسعود من القراءات الشاذة كما في المحتسب لابن جني ٢٦١/٢ وذكرها الطبري ١٣٦/٢٥ في جامع البيان ، والفراء في معاني القرآن ٤٤/٢ قال : والعَيْسَاءُ : البيضاءُ ، والحوراء كذلك .

(٥) قال الجوهري : العِيسُ بالكسر : الإبل البيضُ يخالط بياضَها شيءٌ من الشقرة ، واحدها أعيسُ ، والأنثى عيساء ، وكذلك في المصباح .

قال قتادة : آمنين من الموتِ ، والوَصَبِ ، والشيطانِ[1] .

وقال غيره : آمنين من انقطاع ذلك[2] ، ومن غائلةِ أَذَاهُ ، ومكروهِهِ ، وليس كفاكهة الدنيا التي لها غائلةٌ ، وتَنْفَدُ .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ، وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾** [آية ٥٦] .

المعنى : لا يذوقون فيها الموتَ البَتَّةَ ، ثم قال **﴿ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾** استثناءٌ ليس من الأوَّلِ ، وأنشد سيبويه :

مَنْ كَانَ أَسْرَعَ فِي تَفَرُّقِ فَالِجٍ
فَلَبُونُهُ جَرِبَتْ مَعاً وَأَغَدَّتِ[3]

ثم استثنى ما ليس من الأول فقال :

إِلَّا كَنَاشِرَةَ التِي ضَيَّعْتُمُ
كَالغُصْنِ فِي غُلَوَائِهِ المُتَنَبِّتِ

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٣٧/٢٥ والقرطبي ١٣٤/١٦ والشوكاني ٥٧٩/٤ .

(٢) هذا ما اختاره ابن كثير ٢٤٧/٧ حيث قال : ﴿ آمنين ﴾ أي وهم آمنون من انقطاعه ، وامتناعه ، بل يحضر لهم كلَّما أرادوا . اهـ. والأولى أنه على العموم ، أي آمنين من التخم ، والأمراض ، والآفات ، والأكدار ، ومن انقطاع النعيم في الجنة .

(٣) البيتان للشاعر (عنز بن دَجَاجة المازني) وهما من شواهد سيبويه ص ٧٣ وقد ورد فيه البيت الأول بلفظ « من كان أشرك في تفرق فالج » .. إلخ. وانظر كتاب سيبويه شرح قنبر ٣٢٨/٢ وجامع الأحكام للقرطبي ١٥٤/١٦ والشاهد فيه « إلَّا كَنَاشِرَة » فالاستثناء فيه منقطع بمعنى لكنْ ، فالشاعر يدعو على بني مازن الذين تسبَّبوا في هجر فالج لوطنه ، ويستثني منهم « ناشرة » لأنه لم يرض بصنيعهم . اهـ. والآية على هذا الرأي معناها : لا يذوقون في الجنة الموت أبداً ، لكنْ الموتةُ الأُولى قد ذاقوها في الدنيا .

٢٩ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ ﴾ [آية ٥٧] .

قال الفراء : أي فعل ذلك تفضلاً(١) .

٣٠ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴾ [آية ٥٩] .

أي منتظرون .

* * *

« انتهت سورة الدخان »

---

(١) انظر معاني القرآن للفراء ٣/٤٤ وعلى قوله ﴿ فضلاً ﴾ جعله مفعولاً لفعل محذوف تقديره : فعل ذلك بهم تفضلًا منه عليهم ، وقيل : منصوب على أنه مفعول مطلق ، أي تفضل عليهم تفضلاً ، كما في حاشية الجمل على الجلالين .

تفسير سورة الجاثية

مكية وآياتها ٣٧ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثية وهي مكية

١ ــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ إنَّ فِي السَّمَـوَاتِ والأَرْضِ لآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آية ٣] .

والمعنى : إنَّ في خلق السمواتِ والأرضِ[1] .

ودلَّ عليه قوله ﴿ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ .. ﴾ [آية ٤] .

وكلُّ ما فيه الرُّوحُ ، فهو دابَّةٌ[2] .

٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [آية ٥] .

(١) على هذا أكثر المفسرين ، وقال أبو حيان في البحر المحيط ٤٢/٨ : احْتُمِل أن يراد بقوله ﴿ إن في السموات والأرض ﴾ أي في خلق السموات كقوله ﴿ وفي خلقكم ﴾ والظاهر أنه لا يُراد التخصيص بالخلق ، بل في السَّموات والأرض على الإطلاق والعموم ، أي في أي شيء نظرتَ منهما من خَلْقٍ ، ومن غيره ، من تسخير وتنوير ، لآيات للمؤمنين . اهـ.

(٢) قال في المصباح : كلُّ حيوان في الأرض دابة ، قال تعالى ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ وتخصيص الفرس ، والبغل ، بالدابة ، عُرْفٌ طارئ . اهـ.

قال **قتادة** : إن شاء جعلها رحمةً ، وإن شاء جعلها عذاباً[1] .

٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالحَقِّ ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [آية ٦] .

أي بعد قرآن الله[2] ، كما قال تعالى **﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾** .

٤ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴾ [آية ٧] .

الأَفَّاكُ : الكذَّابُ[3] .

٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ .. ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٤١/٢٥ وعزاه في الدر المنثور ٣٤/٦ إلى ابن جريج .
أقول : هذا نوع من أنواع تصريف الرياح أن يجعلها الله رحمةً على قوم ، وعذاباً وهلاكاً لآخرين ، والأولى التعميم ، كما قال ابن كثير ﴿ وتصريف الرياح ﴾ : أي جنوباً ، وشمالاً ، بحرية ، وبريَّة ، منها ما هو للمطر ، ومنها ما هو للقاح الأشجار ، ومنها ما هو غذاءٌ للأرواح ، ومنها ما هو عقيم . اهـ. وفي الحديث (نُصرتُ بالصَّبا ، وأُهْلِكتْ عادٌ بالدَّبور) .

(٢) قال في البحر المحيط ٤٩/٨ ﴿ بعد اللهِ .. ﴾ الآية فيها تقريع وتوبيخ وتهديد ، والمراد بقوله ﴿ بعد الله ﴾ أي بعد حديث الله ، وهو كتابه وكلامه كقوله تعالى ﴿ الله نَزَّل أحسن الحديث ﴾ وقوله ﴿ فبأيِّ حديث بعده يؤمنون ﴾ أي بعد حديث الله وكلامه ؟ فالآية على حذف مضاف .

(٣) في الصحاح : الإفك : الكذبُ ، ورجلٌ أفَّاك أي كذَّاب . اهـ. والصيغة تدل على المبالغة لأنها على صيغة فعَّال ، وهي من أوزان المبالغة كما قال ابن مالك :
« فَعَّالٌ أَوْ مِفْعَالٌ أَوْ فَعُولُ   فِي كَثْرَةٍ عَنْ فَاعِلٍ بَدِيلُ »
قال المفسرون : نزلت الآية في « النضر بن الحارث » كان يشتري أحاديث العجم ، ويشغل بها الناسَ عن استماع القرآن ، والآية عامة في كل من كان موصوفاً بالصفة المذكورة .

روى إسرائيل عن سِمَاكٍ عن عكرمة عن ابن عباس قال : منه النُّورُ ، ومنه الشمسُ ، ومنه القمر[1] .

ويُقرأ ﴿ جَمِيعاً مِنَّةً ﴾[2] بمعنى مَنَّ به مِنَّةً .

ويُقرأ ﴿ مِنَّةٌ ﴾[3] بمعنى : ذلكَ مِنَّةٌ .

ويجوز ﴿ مَنُّهُ ﴾[4] على أنه مصدر ، كما قال تعالى ﴿ **صُنْعَ اللهِ** ﴾[5] .

٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللهِ .. ﴾** [آية ١٤] .

قال مجاهد : أي لا يبالون نِعَمَ اللهِ[6] ، أي لا يعلمون أنه أنعم

---

(١) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٦/٣٤ عن ابن عباس ، وأخرجه الطبري عنه ٢٥/١٤٣ فقال : « كلُّ شيءٍ هو من الله ، لا ينازعه فيه المنازعون » وقال ابن كثير : الكواكبُ ، والجبالُ ، والبحارُ ، والأنهارُ ، وجميع ما تنفقون به ، الجميع من فضله ، وإحسانه ، وامتنانه . اهـ.

(٢ ــ ٤) هذه الوجوه من القراءات ﴿ مِنَّةً ، أو مِنَّةٌ ، أو مَنُّهُ ﴾ كلُّها قراءات شاذة ، كما ذكره ابن جني في المحتسب ٢/٢٦٢ وليس فيها شيء من القراءات السبع ، ومعلوم أنه لا يُقرأ بالشاذِّ ، وإنما تُذكر لبيان الوجوه التي تحتملها الآية فقط .

(٥) سورة النمل آية رقم ٨٨ وتمامها ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمرُّ مرَّ السحاب صنع الله الذي أتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون ﴾ .

(٦) الطبري عن مجاهد ٢٥/١٤٤ في قوله ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ قال : لا يُبالون نِعَمَ الله ، أو نقم الله ، وابن الجوزي ٧/٣٥٨ .

أقول : إذا فُسِّرت « أيام الله » بنعمه فالرجاء على أصله ، وإذا فسرت بالنقم والعقوبات ،=

بها عليهم ، كما قال تعالى ﴿ **وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ**[1] .

قال أبو جعفر : يجوز أن يكون المعنى : لا يرجون البعث ، أي لا يؤمنون به .

وقال قتادة : هذه الآية منسوخةٌ بقوله تعالى ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾[2] .

٧ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ [آية ١٨] .

روى سعيد عن قتادة قال : الشريعةُ : الفرائضُ ، والحُدودُ ، والأمرُ ، والنهيُ[3] .

قال أبو جعفر : الشَّريعةُ في اللغة : المذهبُ ، والمِلَّةُ ، ومنه شَرَعَ فلانٌ في كذا ، ومنه [الشَّارعُ لأنه طريق إلى المقصد ، فالشريعة

= فالرجاء بمعنى الخوف أي لا يخافون عقاب الله ، والأظهر كما قال النحاس أن المراد ﴿ لا يرجون أيام الله ﴾ أي لا يرجون لقاءه ، ولا يؤمنون بالبعث والنشور .

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٥ وتمامها ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور وذكِّرهم بأيام الله ﴾ .

(٢) هذا رأي الأكثرين أن الآية منسوخة ، قال ابن كثير ٢٥١/٧ : ﴿ قل للذين آمنوا يغفروا .. ﴾ الآية أي يصفحوا عنهم ، ويحملوا الأذى منهم ، وهذا كان في ابتداء الإسلام ، أُمروا أن يصبروا على أذى المشركين ، وأهل الكتاب ، تأليفاً لقلوبهم ، ثم لمَّا أصرُّوا على العناد ، شرع الله للمؤمنين الجلادَ والجهاد . اهـ.

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ١٤٧/٢٥ والقرطبي ١٦٣/١٦ والدر المنثور ٣٥/٦ .

ما شرع الله لعباده من الدِّينِ ، والجمع : الشرائع][1] أي المذاهب .

٨ ــ وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوْقِنُونَ ﴾ [آية ٢٠] .

أي هذا القرآن[2] .

٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [آية ٢١] .

﴿ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ ﴾ أي : كسبوا السيئات[3] ، ومنه ﴿ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ﴾[4] ومنه الجوارح[5] أي الكواسب .

١٠ ــ وقوله تعالى : ﴿ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾ [آية ٢١] .

---

(١) ما بين الحاصرتين سطر كامل سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من القرطبي ، لأنه ينقل كثيراً عن الإمام النحاس .

(٢) الإشارة ﴿ هذا ﴾ تعود على القرآن ، كما قال الطبري : هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد ، بصائر للناس ، يبصرون به الحق من الباطل . اهـ.

(٣) في الصحاح : جَرَح واجترح ، أي اكتسب ، والجوارحُ من السِّباع والطير : ذواتُ الصَّيْدِ ، وجوارح الإنسان : أعضاؤه التي يكتسب بها . اهـ.

(٣) الآية من سورة الأنعام رقم ٦٠ وأولها ﴿ وهو الذي يتوفاكم بالليل . ويعلمُ ما جرحتم بالنهار ﴾ أي ما اكتسبتموه وفعلتموه .

(٤) يشير المصنف إلى آية المائدة ﴿ وما علَّمتم من الجوارح مكَلِّبين تُعلِّمونهن مما علمكم الله ﴾ وهي كما قال ابن عباس : الكلابُ ، والصقور المعلَّمة .

قال مجاهد : المؤمن يموتُ مؤمناً ، ويُبْعثُ مؤمناً ، والكافرُ يموتُ كافراً ، ويُبْعَث كافراً[1] .

ويُقرأ : ﴿ سَوَاءٌ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[2] .

وقرأ الأعمش : ﴿ سَوَاءٍ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ﴾[3] .

قال أبو جعفر : القراءة الأولى أحسنُ من جهة المعنى على قول مجاهد ، وهي أيضاً أجودُ عند النحويين من جهة الإعراب .

وقراءة الأعمش على البدل ، وعند الفراء بمعنى الظَّرف[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٥/١٤٨ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣٥ والقرطبي ١٦/١٦٦ .

(٢) قراءة النصب ﴿ سَوَاءً محياهم ﴾ هي قراءة حمزة ، والكسائي ، وحفص ، وقرأ ابن كثير ، ونافع ، وابن عامر ، وعاصم ، بالرفع ﴿ سواءٌ محياهم ﴾ وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر النشر ٢/٣٧٢ والسبعة لابن مجاهد ص ٥٩٥ .

(٣) قراءة الجر ﴿ سواءٍ محياهم ومماتهم ﴾ ذكرها في البحر المحيط ٨/٤٧ وليست من القراءات السبع ، فهي جائزة لغة لا تلاوة .

(٤) انظر كلام الفراء في معاني القرآن ٣/٤٧ قال في التسهيل ٤/٧٠ : وهذه الجملة داخلة فيما أنكره الله مما ظنه الكفار ، وقيل : هي كلام مستأنف ، أي : إن محيا المؤمنين ومماتهم سواء ، وأن محيا الكفار ومماتهم سواء ، لأن كل واحد يموت على ما عاش عليه ، وهذا المعنى بعيد ، والصحيح أنها من تمام ما قبلها . اهـ.

أقول : هذا هو الظاهر والصحيح ، كما نبه ابن جُزي ومعنى الآية على قوله : هل يظن الكفار الفجّار ، الذين اكتسبوا المعاصي والآثام ، أن نجعلهم كالمؤمنين الأبرار ، ونساوي بينهم في المحيا والممات ؟ لا يمكن أبداً المساواة بين الأبرار والفجار ، لا في الدنيا ولا في الآخرة ، كقوله سبحانه ﴿ أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون ﴾ .

١١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ .. ﴾ [آية ٢٣] .

قال سعيد بن جبير : كان أحدهم يعبدُ الحَجَر ، فإذا رأى أحسنَ منه ، قال : هذا أحسنُ من هذا ، فعَبَدَه[١] .

وقال الحسن وقتادة في قوله ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ قال : المنافقُ إذا هَوِيَ شيئاً رَكِبَهُ[٢] .

ثم قال : ﴿ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [آية ٢٣] .

رُوي عن ابن عباس أنه قال : ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ قد عَلِمَه عنده[٣] .

(١) الأثر في الطبري ٢٥/١٥٠ والقرطبي ١٦/١٦٧ والبحر المحيط ٨/٤٨ .

(٢) قال في البحر المحيط ٨/٤٨ : كانوا يعبدون ما يَهْوَوْن من الحجارة ، قال قتادة : لا يَهْوى شيئاً إلّا ركبه لا يخاف الله ، فلهذا يقال : « الهَوَى إِلَهٌ معبودٌ » وقد كان أحدهم يهوى الحجر فيعبده ، ثم يرى غيره فيهواه ، فيلقي الأول ويعبد الثاني ، والآية وإن نزلت في هوى الكفر ، فهي متناولة جميع هوى النفس الأمَّارة ، وهذا قول ابن عباس ، وقتادة ، والحسن البصري ، كما نقله القرطبي ١٦/١٦٦ أن الكافر اتخذ دينه ما يهواه ، فلا يهوى شيئاً إلا ركبه ، ولهذا قال ابن عباس : ما ذكر الله الهوى إلّا ذمَّه .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن ابن عباس ٢٥/١٥١ والضمير على هذا القول ، يرجع إلى الله تعالى ، أي أضلَّه الله في سابق علمه ، وهو اختيار الطبري حيث قال : أي خذله الله عن محجة الطريق ، في سابق علمه ، على علم منه تعالى بأنه لا يهتدي .

والقول الثاني أن الضمير يعود على العابد أي وأضلَّ الله ذلك الشقي حال كونه عالماً بالحق غير جاهل به ، فهو أشد قبحاً وشناعة ، ممن يضلُّ عن جهلٍ ، وهذا القول أظهر .

وقيل : ﴿ عَلَى عِلْمٍ ﴾ أنه لا ينفعه ، ولا يضرُّه .

١٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** .. ﴾ [آية ٢٤] .

يُقال : هم لا يُقِرُّون بالبعث ، فما معنى ﴿ **نَمُوتُ ونَحْيَا** ﴾ ؟

ففيه ثلاثة أجوبة :

١ ــ **منها أن المعنى** : يموتُ بعضُنَا ، ويحيا بعضٌ[1] .

٢ ــ **ومنها أن في الكلام تقديماً وتأخيراً وأن المعنى** : نحيا ، ونموتُ[2] .

٣ ــ **والجواب الثالث** : أن معنى ﴿ **نَمُوتُ** ﴾ نُخْلَقُ مَوَاتاً ، ثم نحيا في الدنيا .

وقوله جل وعز : ﴿ **وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ** ﴾ :

---

(١) هذا القول هو أرجح الأقوال وأظهرها ، وهو اختيار الأكثرين والمعنى : قال المشركون : لا حياة إلا هذه الحياة الدنيا ، يموت بعضنا ويحيا بعضنا ، ولا آخرة ، ولا بعث ، ولا نشور ، قال ابن كثير ٢٥٣/٧ : هذا قول الدهرية من الكفار ، يريدون ما ثَمَّ إلَّا هذه الدار ، يموت قومٌ ، ويعيش آخرون ، وما ثَمَّ معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد . اهـ.

(٢) هذا القول بناء على أن الواو لمطلق الجمع ولا تفيد ترتيباً ، وقد ذكره الطبري ١٥١/٢٥ فقال : ويحتمل أن يكون المعنى : نحيا ونموت ، على وجه تقديم الحياة قبل الممات ، وهذا تفعله العرب في « الواو » خاصة كما يقال : قمتُ وقعدتُ بمعنى : قعدت وقمت . اهـ.

قال مجاهد : أي الزَّمَانُ أي مرُّ السنينَ ، والأيَّامِ[1] .

وفي الحديث عن النبي ﷺ (لا تسبُّوا الدَّهرَ ، فإنَّ اللهَ هو الدَّهْرُ)[2] .

في معناه ثلاثة أقوال :

١ ــ **منها أن المعنى** : لا تسبُّوا خَلْقاً من خلقِ اللهِ ، فيما لا ذنب له فيه « فإن اللهَ هو الدَّهرُ » أي خالقُ الدَّهرِ[3] ، كما قال تعالى ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ ﴾ .

٢ ــ **وقيل** : لما كانوا يقولون فعلَ اللهُ بالزمان ، فإنه قد فعل بنا كذا ، وكان اللهُ جلَّ وعزَّ هو القاضي بتلك الأشياء ، قال لهم : لا تسبُّوا فاعل

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٥/١٥٣ والقرطبي ١٦/١٧٠ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٣٥ قال الطبري : أي ما يُفنينا إلا مرُّ الليالي والأيام ، وطول العمر ، إنكاراً منهم أن يكون لهم ربٌّ ، يُفنيهم ويُهلكهم . اهـ.

(٢) الحديث رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه ٤/١٧٦٣ وأحمد في المسند ٥/٢٩٩ وأخرجه البخاري في كتاب التفسير ٦/١٦٦ بلفظ (يؤذيني ابنُ آدمَ يسبُّ الدَّهر ، وأنا الدَّهْرُ ، بيدي الأمْرُ ، أُقلِّب اللَّيلَ والنَّهارَ) .

(٣) أحسن ما قيل في معنى الحديث ، ما قاله الشافعي وأبو عُبيدة : كانت العرب في جاهليتها ، إذا أصابهم شدةٌ ، أو بلاءٌ ، أو نكبة ، قالوا : يا خيبة الدَّهرِ ، فيُسندون تلكَ الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله ، فكأنهم إنما سبُّوا الله عز وجل ، لأنه فاعل ذلك في الحقيقة ، فلهذا نُهي عن سبِّ الدهر بهذا الاعتبار ، قال ابن كثير : هذا أحسن ما قيل في تفسير الحديث .

الأشياء ، فإن الدهر ليس يفعلها[1] .

٣ ــ **وقد رُوي** (فإنَّ اللّهَ هو الدَّهْرَ) والمعنى عليه : لا تسبُّوا الدَّهرَ ، فإن الله مقيمٌ الدَّهْرَ ، أي مقيمٌ أبداً لا يزالُ[2] .

وقد رُوي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ قال : قولهم لا نُبْعَث[3] .

١٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ، كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا .. ﴾ [آية ٢٨] .

في معناه قولان :

رَوى ورقاءُ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وابنُ عيينةَ عن ابن جُريج ، عن مجاهد في قوله تعالى **﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾**

---

(١) هذا القول هو خلاصة قول الشافعي رحمه الله كما ذكرناه ، ويؤيده ما أخرجه ابن جرير ، والبيهقي في الأسماء والصفات عن النبي ﷺ (إن الله تعالى قال : لا يقولنَّ أحدكم يا خيبةَ الدهر ، فإني أنا الدهر ، أُقلِّبُ ليله ونهاره ، وإذا شئتُ قبضتُهما) الطبري ١٥٣/٢٥ .

(٢) هذا القول غريب وبعيد ، والصحيح ما ذكرناه ، فإنهم كانوا يضيفون الأمور إلى الدهر ، والله هو الفاعل لهذه الأمور ، فيرجع السبُّ إليه سبحانه ، وانظر القرطبي في جامع الأحكام ١٧١/١٦ ففيه كلام نفيس .

(٣) مراده : ما لهم بأمر البعث والنشور ، والجزاء والمعاد ، علمٌ يقيني ، ولا مستند من عقل أو نقل ، بل هو مجرد ظنون وأوهام ، يقولونه تخرصاً من غير دليل ولا برهان ، وهو خلاصة قول ابن جرير الطبري رحمه الله .

قال : مُسْتَوْفِزِينَ عَلى الرُّكَبِ[1] .

قال مجاهد ــ في رواية ابن أبي نجيح ــ الأُمَّةُ ههنا : الواحدُ[2] .

قال سفيان بن أبي عُيينة : ولا يكون المستوفز إلَّا على ركبتيه ، وأطراف أصابعه[3] .

قال الضحاك : ﴿ جَاثِيَةً ﴾ : عند الحساب[4] .

فهذا قولٌ .

وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ﴾ قال : أهلُ كلِّ دين ، وجاثية : مجتمعة[5] .

قال أبو جعفر : قد يُقال لما اجتمع من التراب : جُثْوَةٌ ، فأحسِبُ الفراء أخذه من هذا ، قال الشاعر :

تَرَى جُثْوَتَيْنِ مِنْ تُرَابٍ عَلَيْهِمَا
صَفَائِحُ صُمٌّ مِنْ صَفِيدٍ مُنَضَّدِ[6]

(١ ــ ٤) انظر هذه الآثار في الطبري ١٥٤/٢٥ والقرطبي ١٧٤/١٦ والبحر المحيط ٥٠/٨ قال أبو حيان : ﴿ جاثية ﴾ أي باركة على الركب ، مستوفزة وهي هيئة المذنب الخائف . اهـ. وكلُّ الأقوال التي ذكرها المصنف متقاربة ، ولهذا عدَّها المصنف قولاً واحداً .

(٥) معاني القرآن للفراء ٤٨/٣ قال : ﴿ وترى كل أمةٍ جاثية ﴾ يريد أهل دين « جاثية » يقول مجتمعة للحساب ﴿ كل أمة تدعى إلى كتابها ﴾ يقول : إلى حسابها ، وهو من قوله تعالى ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه ﴾ . اهـ.

(٦) البيت لطرفة بن العبد ، يصف قبرين ، كما في ديوانه ص ٤٨ وقد استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ١٧٤/١٦ وفي البحر المحيط ٥٠/٨ وقد ورد في الديوان الشطر الثاني بلفظ « صَفَائِحُ صُمٌّ من صَفِيحٍ مُنَضَّدِ » .

والقول الأول أعرفُ ، وأشهرُ .

١٤ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٢٨] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن كتابها ما فُرض عليها ، من حلال وحرام[١] .

والقول الآخر : أن كتابَها ما كتبت الملائكةُ عليها[٢] .

وهذا أَوْلى ، لأنَّ بعده ما يدلُّ عليه .

١٥ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ، إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾** [آية ٢٩] .

﴿ يَنْطِقُ ﴾ أي يُبيِّنُ .

أي تنظرون فتذكرون ما عملتم[٣] .

---

(١) هذا قول الماوردي كما في تفسير ابن الجوزي ٣٦٤/٧ قال : كتابُها الذي أُنزل على رسوله ، وهو قول مرجوح .

(٢) هذا قول الأكثرين أن المراد به صحائف أعمالها التي سجلتها الحفظة عليها ، قال الطبري : تُدعى إلى كتابها الذي أَمْلَتْ على حفظتها ، وقال ابن كثير : يعني كتاب أعمالها . اهـ. ويؤيده قوله تعالى ﴿ ووُضِع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ، ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ﴾ فهي صريحة في كتاب الأعمال ، والله أعلم .

(٣) المراد بقوله ﴿ ينطق عليكم بالحق ﴾ أي يشهد عليكم بما عملتم ، ففيه استعارة تصريحية ، والاستعارة هنا أبلغ من الحقيقة ، لأن شهادة الكتاب ببيانه ، أقوى من شهادة الإنسان بلسانه ، وأعماهم القبيحة لوضوحها كأنها تنطق بإجرامهم .

ثـم قـال تعـالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [آية ٢٩] .

في معناه قولان :

أحدهما : أن المعنى ما تكتبُهُ الملائكةُ ، وتنسخُه من أعمال بني آدم(١) .

والقول الآخر : رواه سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ ، عن ابن عباس قال : فَرَغَ اللهُ جَلَّ وعزَّ مما هو كَائِنٌ ، فتنسخُ الملائكةُ ما يُعمل يوماً بيومٍ ، من اللوح المحفوظ ، فيقابَلُ به ما يعمله الإنسان ، لا يزيد على ذلكَ ، ولا يَنْقص .

قال : فقيل لابن عباس : ما توهَّمنا إلَّا إنهم يكتبونه بعدما يُعْمَل !! فقال : أنتم قومٌ عربٌ ، واللهُ جلَّ وعزَّ يقول ﴿ **إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ** ﴾ ولا يكون الاستنساخُ إلَّا منْ نسخةٍ(٢) .

١٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ ، فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْماً مُجْرِمِينَ ﴾** [آية ٣١] .

---

(١) هذا القول أظهر وهو اختيار الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير ، قال الحافظ ابن كثير ٢٥٦/٧ : أي إنا كنا نأمر الحفظة أن تكتب أعمالكم عليكم .

(٢) ذكر هذ الأثر الطبري ١٥٦/٢٥ وابن كثير ٢٥٦/٧ والقرطبي ١٢٥/١٦ وابن الجوزي ٣٦٥/٧ وكان ابن عباس رضي الله عنهما يحتج على ذلك بأن يقول : لا يكون الاستنساخ إلا من أصلٍ ، وأكثرُ المفسرين على أن المراد بالاستنساخ ، أمرُ الله للملائكة بتدوين أعمال العباد ، كما قال عليٌّ رضي الله عنه : إن لله ملائكة ينزلون في كل يوم بشيء ، يكتبون فيه أعمال بني آدم ، وقرأ ﴿ إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون ﴾ وهو الأظهر ، والله أعلم .

في الكلام حذفٌ ، والمعنى : فيقال لهم[1] : ألم تكنْ آياتي تُتْلى عليكم ؟

١٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَقِيلَ اليَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا .. ﴾** [آية ٣٤] .

روى معمر عن قتادة قال : فاليوم نتركُكُم ، كما تركتم لقاء يومكم هذا .

قال أبو جعفر : المعنى على هذا : فاليوم نترككم في النَّار ، كما تركتم العملَ ليومكم هذا[2] !!

١٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَهُ الكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ﴾** [آية ٣٧] .

الكبرياء : العَظمة .

* * *

« انتهت سورة الجاثية »

---

(١) أي يقال لهم ذلك تقريعاً وتوبيخاً ، والمحذوف من الآية هو جواب ﴿ أمَّا ﴾ أي وأما الكفار فيقال لهم : ألم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله ؟

(٢) هذا قول ابن عباس كما حكاه عنه الطبري وغيره حيث قال ١٥٨/٢٥ : أي وقيل لهؤلاء الكفرة اليوم نترككم في عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا .. وإنما فسَّر النسيان بالترك لأن الله تعالى لا يضل ولا ينسى ، والآية فيها استعارة تمثيلية ، مثَّل تركهم في العذاب ، بمن حُبس في مكان منفرد مظلم ، ثم نسيه السجَّان من الطعام والشراب ، حتى هَلَك ، والمراد نعاملكم معاملة الناسي فنترككم في عذاب جهنم .

تفسير سورة الأحقاف

مكية وآياتها ٣٥ آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الأحقاف وهي مكية

١ ــ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالحَقِّ .. ﴾ [آية ٣] .

أي إلّا لإقامة الحق[١] .

ثم قال : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنْذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴾ [آية ٣] .

أي أعرضوا بعدما تبيَّن لهم الحقُّ من خلق الله عز وجل .

٢ ــ ثم احتج عليهم فيما يعبدون فقال : ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ .. ﴾ [آية ٤] .

المعنى : ما تدعونه إلهاً من دون الله .

﴿ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ ؟ ﴾[٢] .

---

(١) الباء على هذا القول بمعنى لام التعليل ، أي ما خلقنا السموات والأرض إلا لإقامة الحق ، والعدل بين العباد ، وقال بعض المفسرين إنه استثناء مفرَّغ أي إلّا خلقاً ملتبساً بالحق ، حسب الحكمة الإلهية لإيجاد العالَم .

(٢) هذا أسلوب إفحام وتعجيز وسخرية بعقول المشركين ، فإن هذه الأصنام حجارة صمَّاء لا تخلق شيئاً ، ولا تبدي ولا تعيد ، فكأنه يقول لهم : أخبروني وأرشدوني أيَّ شيء خلقوا من الأرض حتى جعلتموها شركاء مع الله ؟ ففيه تهجين لعقولهم كقوله تعالى ﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ؟ بل الظالمون في ضلال مبين ﴾ .

أي في خلق السموات .

﴿ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ أي بكتاب فيه برهان على ما قلتم .

﴿ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾ .

قال مجاهد : أحد يأثر علماً[1] .

وقال الحسن : شيء يُثار أو يُستخرج[2] .

وقال أبو عبيدة : ﴿ أَثَارَة ﴾ : بقيَّة[3] .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال متقاربةٌ ، لأن البقيَّة هوَ شيءٌ يؤثر ، ومعروف في اللغة[4] أن يُقال : سَمِنَتِ النَّاقةُ على أَثَارةٍ أي على بقيَّةٍ من سِمَنٍ .

---

(١) الأثر في الطبري ٢٦/٣ وابن كثير ٢٥٨/٧ وزاد المسير ٣٦٩/٧ ، وروى عن ابن عباس أن معنى « أثارةٍ من علمٍ » أي بيِّنة من الأمر حكاه عنه الطبري وابن كثير ، واختار الطبري أن المعنى : بقية من علم .

(٢) حكاه الطبري ٢٦/٣ عن الحسن البصري ، وابن كثير ٢٥٩/٧ وابن الجوري ٣٦٩/٧ ولفظه : الأثارةُ : الشيء يثيره مستخرجه ، قاله الحسن ، وهو قول مرجوح .

(٣) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٢/٢ .

(٤) قال الهروي : الأثارة والأثر : البقيَّة ، يُقال : ما ثمَّ عينٌ ولا أثر ، والأُثارة : مصدر كالسماحة والشجاعة ، وأصل الكلمة من الأثر وهي الرواية ، وقال الألوسي : ﴿ أو أثارةٍ من علمٍ ﴾ أي بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين ، شاهدة باستحقاقهم العبادة .

ويُقرأ ﴿ أَوْ أَثَرَةٍ ﴾[1] .

روى أبو سَلَمَة عن ابن عباس ﴿ أَوْ أَثَـرَةٍ مِنْ عِلْـمٍ ﴾ قال : الخطُّ[2] .

حدثنا محمد بن أحمد ــ يُعرفُ بالجُرَيْجِـي ــ حدثنـا بُنْـدَار ، أنبأنا يحيى بن سعيد عن سفيان الثوري ، عن صفـوانَ بنِ سُليـمٍ ، عن أم سَلَمةَ ، عن ابنِ عباس عن النبي ﷺ في قوله تعالى **﴿ أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ ﴾** قال : الخطُّ[3] .

(١) هذه القراءة رُويت عن الأعمش ﴿ أو أَثْرة ﴾ وهي ليست من السبع ، بل هي قراءة شاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢/٢٦٤ .

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/٢٢٦ وابـن أبي حاتم ، والطبراني عن ابـن عبـاس مرفوعـاً ، وانظر الدر المنثور ٦/٣٧ .

(٣) جامع الأحكـام للقرطبـي ١٦/١٧٩ وروى السيوطـي في الـدر المنثـور أحـاديث متعـددة في هذا الباب ، والمراد بالخطِّ : الخطُّ من التراب ــ أي الضرب بالرمل ــ قال ابن عباس : وذلك شيءٌ كانت العرب تفعله وتتكهـن به وتزجر ، وفي الحديث الـذي رواه مسلم وأحمد عن معاوية بن الحكم (.. قلت يا رسول الله : ومنا رجال يخطُّون ، قال : « كان نبيٌّ يخطُّ فمن وافـق خطَّـه فذاكَ ») صحيح مسلم ٤/١٧٤٩ ومسند أحمد ٥/٤٤٧ ، وقد اختلف العلماء في معناه ، والصحيـح أن معناه من وافق خطُّه خطَّ ذلك النبيِّ فهو مباح له ، ولكنْ لا طريق لنا إلى العـلم اليقينـي بموافقـة خطه ، فلا يُباح لنا فعله إلا بيـقين الموافقـة ، ولـيس لنـا يقين بها ، وهـذا خلاصة رأي القـاضي عياض رحمه الله ، وإنما لم يقل رسول الله ﷺ هو حرام ، لئلا يتوهم متوهم أن النصَّ يدخل فيـه ذاك النبي الذي كان يخطُّ ، فراعى النبـيُّ عليـه السلام حرمـة ذلك النبـي ، مع بيـان الحكـم في حقنـا ، والحديث إشارة إلى علـم الرمـل ، وهـو منسوخ في شريعتنـــا ، لأن الشرع منــــع من التخرص ، والتكهن ، وادعاء معرفة الغيب ، وانظر ما قاله الخطابي في القرطبي ١٦/١٨٠ وكـذا النهاية لابن الأثير ٢/٤٧ .

وروى سعيدٌ عن قَتَادة ﴿ أَوْ أَثَـرَةٍ مِنْ عِلْـمٍ ﴾ قال : خاصة من علمٍ(١) .

قال أبو جعفر : يُقَال لفلانٍ عنـدي أَثَـرَةٌ ، أو أُثْـرَةٌ : أي شيءٌ أخصُّه به ، ومنه آثَرْتُ فُلَاناً على فُلَانٍ .

ويجوز أن يكـون ﴿ أَثَـرَةٌ ﴾ خبراً عن بعض الأنبيـــاء صلى الله عليهم ، من أَثَرْتُ الحَدِيثَ ، وذا قولُ أبي عُبَيْدَةَ(٢) .

٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ .. ﴾** [آية ٨] .

قال مجاهد : أي تقولونه(٣) .

٤ ــ **وقولـه جل وعـز : ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً مِنَ الـرُّسُلِ وَمَـــا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ .. ﴾** [آية ٩] .

قال مجاهــد في قولـــه تعـــالى **﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعـــــاً مِنَ الرُّسُلِ ﴾** : أي أوَّل مَنْ أُرْسِلَ(٤) .

---

(١) في المخطوطة [خاصاً من علـم] وهـو تصحيـف ، وصوابـه خاصة من علـم ، كما في الــطبري ٢/٢٦ وابن الجوزي ٣٦٩/٧ وابن كثير ٢٥٩/٧ .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٢/٢ .

(٣) الأثر في الطبري ٥/٢٦ والقرطبي ١٨٤/١٦ والإفاضة : الخوضُ في الشيء والاندفاع ، والمعنـى : هو تعالى أعلم بما تخوضون في القرآن ، وتقدحون به ، من قولكم : هو شعر ، هو سحر ، هو كهانة ، وغير ذلك من وجوه الطعن .

(٤) الأثر أخرجه الطبري ٦/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٨/٦ وعزاه الطبري إلى ابن عبـاس قال : ﴿ ما كنت بدعـاً من الـرسل ﴾ أي لستُ أوَّل رسول أُرسل إلى النـاس ، بل كان قبلي رسل ، وقـــال =

وقوله تعالى ﴿ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ﴾ وقد قال في موضع آخر ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾[1] .

فالجواب في هذا : أنه ليس من ذاك ، وإنما المعنى — والله أعلم — وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ، من جَدْبٍ أو غيره[2] .

= ابن كثير ٧/٢٦٠ : قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة المعنى : ما أنا بأول رسول ، ولم يحكِ ابن جرير ، ولا ابنُ أبي حاتم غير ذلك .

(١) سورة الفتح آية رقم ٢ .

(٢) أراد المصنف أن يدفع الإشكال الذي ربما يخطر على البال ، وهو كيف نوفق بين قوله تعالى ﴿ وما أدري ما يُفْعل بي ولا بكم ﴾ وقوله تعالى ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ ؟ فقد أخبره تعالى بمغفرة ذنوبه ، وبدخوله الجنة مع المؤمنين ، فكيف يقول ﴿ وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم ﴾ ؟ والجواب فيه أربعة أقوال للمفسرين ، وأظهرها أن المراد ما يحدث له ولأصحابه من أمور الدنيا لا من أمور الآخرة ، كأنه يقول : لا أدري بما يقضي الله عليَّ وعليكم ، فإن مقادير الله مغيَّبة ، وهذا قول الحسن البصري ، واختاره الطبري ، وابن كثير ، وجمهور المفسرين ، قال الطبري ٧/٢٦ : والمراد من الآية أنه عليه السلام لا يدري إلاَمَ يصير أمره ، وأمرهم في الدنيا ، أيصير أمره معهم أن يقتلوه ، أو يخرجوه من بينهم ، أو يؤمنوا به فيتبعوه .. إلخ. قال الحسن : أما في الآخرة فمعاذالله ، قد علم أنه في الجنة حين أخذ الله ميثاقه في الرسل ، ولكن قال : وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم في الدنيا ، هل أُخرج كما أُخرجت الأنبياء من قبلي ؟ أو أُقتل كما قتلت الأنبياء من قبلي ؟ وهل أمتي المكذبة ؟ أو أمتي المصدِّقة ؟ أم أمتي المرمية بالحجارة ؟ أو المخسوف بها ، ثم أُوحي إليه فأخبره الله ما يصنع الله به ، وما يصنع بأمته .. قال الطبري : وأولاها بالصواب ما قاله الحسن البصري ، وقال ابن كثير ٧/٢٦٠ : وهذا القول الذي عوَّل عليه ابن جرير ، لا يجوز غيره ، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة للآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه ، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يئول إليه أمره ، وأمر مشركي قريش إلى ماذا ؟ أيؤمنون أم يكفرون ، فيعذبون فيُستأصلون بكفرهم ؟ . اهـ.

أقول : وهذا هو الحق الذي تطمئن له النفس .

ويُبَيِّن هذا أنه يُرْوَى أن النبيَّ ﷺ رأى رؤيا سَرَّتْ أصحابَهُ ، فاستبطأوا تأويلَها ، فأنزَل اللهُ جلَّ وعزَّ ﴿ **وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ** ﴾ .

٥ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ، وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ، فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ** .. ﴾ [آية ١٠] .

قيل : في الكلام حذفٌ لعلم السَّامع به .

والمعنى : أرأيتم إن كان من عند الله ، وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل ، ممَّنْ تثقون به ، وتقفون على صدقه وعلمه ، على ما شهد النبي ﷺ ، وكفرتم به ، أليس قد غرَّرتم ، وأتيتم أمراً قبيحاً ، واجترأتم عليه[1] ؟!

فأما الشاهد من بني إسرائيل فقيل : إنه « عبدُ الله بنُ سَلَام » .

رَوَى مَالِكٌ عن أبي النَّضْرِ ، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال : « ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لأحدٍ يمشي

(١) عبارة ابن جرير في التسهيل ٤/٧٥ : ومعنى الآية : أرأيتم إن كان القرآن من عند الله ، وكفرتم به ألستم ظالمين ؟ ثم حُذف قوله : « ألستم ظالمين » وهو الجواب لأنه دل عليه قوله تعالى ﴿ إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ .

على وجه الأرض : إنه من أهل الجنة ، إلا لعبد الله بن سَلَام ، وفيه نَزَلَتْ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ .. ﴾)[1] .

وقال الحسنُ ، ومجاهدٌ ، والضحَّاكُ ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ : عبدُ الله بن سَلَام[2] .

قال أبو جعفر : وفي الآية قولان آخران :

أ ـ **قال مسروق** : ليس هو « عبد الله بن سَلَام » لأن السورة مَكيَّةٌ ، والمعنى لموسى ﷺ والتوراةِ ، وأهلِ الكتاب ، أنزلَ اللهُ جلَّ وعز التوراة على موسى ، فآمن بها أهلُ الكتاب ﴿ وَكَفَرْتُمْ بِهِ ﴾ مخاطبةٌ

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار ٤٦/٥ ومسلم في فضائل الصحابة ١٦٠/٧ ورواه النسائي أيضاً وابن جرير ، وابن مردويه ، عن سعد بن أبي وقاص بهذا اللفظ ، وانظر السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وروح المعاني للألوسي ٣/٢٦ .

(٢) هذا قول الجمهور ، والسورة وإن كانت مكية إلا أن هذه الآية مدنية على رأي بعض المفسرين ، فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن عوف بن مالك ، أنها نزلت بالمدينة في قصة إسلام عبد الله بن سلام ، وإسلام عبد الله كان بالمدينة بالاتفاق ، فتكون الآية مدنية ، ومما يدلُّ على أن إسلامه كان في المدينة بعد الهجرة ، ما أخرجه أحمد في المسند ٤٥١/٥ من حديث زُرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن سلام ، قال : لمَّا قدم رسول الله ﷺ المدينة خرجتُ أنظر فيمن ينظر ، فلمَّا رأيت وجهه عرفتُ أنه ليس بوجه كذَّاب ، فكان أول شيء سمعته منه يقول « يا أيها الناس ، افشوا السلام ، وأطعموا الطعام ، وصِلوا الأرحام ، وصلُّوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام » وفي بعض الروايات « فلما نظرتُ إلى وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فقلت يا محمد : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي .. » ثم أسلم بعد إخباره ﷺ له عنها .

لقريش ، قال ﴿ وَسَبَقُونَا إِلَيْهِ ﴾ يعني أهل الكتاب(١) .

ب ــ **رَوَى ابنُ عَوْنٍ ، عن الشعبيِّ ، في قوله تعالى ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ ﴾** قال : هو رجلٌ من أهل الكتاب ، وليس بعبد الله بن سلام ، لأن السورة مكيَّةٌ ، وإنما أسلم عبد الله بن سلام ، قبل وفاة النبي ﷺ بعامين(٢) .

قال أبو جعفر : هذا الاعتراضُ لا يلزم ، وسُئل « محمدُ بن سيرين » عن هذا بعينه فقال : كانت الآية تنزل فيقال لهم : أَلْحِقُوهَا في سورة كذا ، وكذا(٣) .

قال أبو جعفر : فهذا جوابٌ عن ذاك .

ويجوز أن تكون الآية نزلت بمكة ، ويكون المعنى : أرأيتم إن كان من عند الله ، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله أتؤمنون ؟

وقال الحسن : نزل هذا بمكة فآمن عبد الله بن سَلَام

(١ ــ ٢) ذكرهما الطبري في جامع البيان ٩/٢٦ والسيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٥٧/٨ .

(٣) هذا هو الصحيح أن الآية نزلت في عبد الله بن سلام كما قاله الجمهور ، والآية مدنية جاءت ضمن هذه السورة المكية ، فقد كان جبريل ينزل على رسول الله ﷺ بالآية أو الآيات ، فيقول له : إن الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا في سورة كذا ، فتكون الآية مدنية في ثنايا سورة مكية ، وهذا هو القول الراجح ، وهو ما ذهب إليه المصنف ، والله أعلم .

بالمدينة[1] .

٦ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ .. ﴾** [آية ١١] .

قال مسروق : هم أهل الكتاب[2] .

وقال الحسن : أَسْلَمُ ، وغِفَارٌ ، فقالت قريش : لو كان خيراً ما سبقونا إليه[3] .

٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَاناً عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾** [آية ١٢] .

---

(١) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٣٩/٦ وعلى قول الحسن تكون الآية من الآيات التي تضمنت غيباً ظهر مصداقه في الوجود ، فقد أخبر القرآن الكريم بشهادة عبد الله بن سلام قبل وقوعها ، ثم وقعت كما أخبر ، وكان ابن سلام يقول : نزلتْ فيَّ آيات من كتاب الله عز وجل ، نزل فيَّ ﴿ وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن .. ﴾ ونزل فيَّ ﴿ قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ، ومَنْ عنده علم الكتاب ﴾ وانظر ترجمته وأخباره في أُسْد الغابة لابن الأثير ٢٦٤/٣ .

(٢) أي اليهود والنصارى هم الذين قالوا ذلك ، وهو أحد أقوال ذكرها المفسرون ، وانظر الدر المنثور ٣٧٦/٦ .

(٣) هذا قول ابن السائب والكلبي والزجاج ، كما في البحر المحيط ٥٩/٨ وإليه ذهب الفراء فقد قال في معاني القرآن ٥١/٣ : لمَّا أسلمت مُزينة ، وجهينة ، وأسلمُ ، وغفار ، قالت بنو عامر وغطفان : لو كان هذا خيراً ، ما سَبَقَنا إليه رُعَاة البَهْم . اهـ. ورجَّح ابن جُزي في التسهيل ٧٥/٤ أن هذه مقالة رؤساء قريش وأكابرهم ، وذلك لمَّا أسلم الضعفاء كبلال ، وعمار ، وصهيب قال أولئك المتكبرون : لو كان الإسلام خيراً ما سبقنا إليه هؤلاء ، قال ابن كثير : يعنون بلالاً ، وعماراً ، وصهيباً ، وخبَّاباً ، وأمثالهم من المستضعفين والعبيد والإماء .

فيه جوابان :

أحدهما : أن المعنى : مصدِّقٌ له أي لكتاب موسى ﷺ ، ثم حُذِفَ ، لأن قبله ﴿ **وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَاماً وَرَحْمَةً** ﴾[1] .

و ﴿ **عربياً** ﴾ حال ، و ﴿ **لساناً** ﴾ توطئة للحال أي توكيدٌ ، كما يُقَالُ : جاءني زيدٌ رجلاً صالحاً ، ويُقوِّي هذا أنه في قراءة عبد الله ﴿ **وَهَذا كتابٌ مصدِّقٌ [لما بين يديه]**[2] **لِسَاناً عَرَبِيًّا** ﴾ .

والجواب الآخر : أن يكون ﴿ **لساناً** ﴾ مفعولًا ، يُراد به النبيُّ ﷺ[3] ، ويكون المعنى : ذا لسانٍ عربي .

ثم قال ﴿ لِتُنْذِرَ[4] **الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ ﴾**

[آية ١٢] .

---

(١) على هذا القول يكون معنى الآية : وهذا القرآن كتاب عظيم الشأن ، مصدِّق للتوراة والإنجيل قبله ، بلسان عربي فصيح ، فكيف ينكرونه ، وهو أفصح بياناً ، وأظهر برهاناً ، وأبلغ إعجازاً !! ومعنى قوله ﴿ إماماً ﴾ أي يُهتدى به ، وهذا رأي الأكثرين .

(٢) المراد به عبد الله بن مسعود ، وهذه القراءة شاذة ، وليست من القراءات السبع ، فهي محمولة على التفسير .

(٣) هذا قول مرجوح ذكره القرطبي ١٦/١٩١ وابن جزي في التسهيل ٤/٧٦ وذكر أن هذا القول اختيار ابن عطية ، والمعنى على هذا القول : وهذا كتابٌ صدَّقَ ذا لسان عربي ، أي صدَّق محمداً . وعبارة القرطبي في جامع الأحكام : وقيل : إن ﴿ لساناً ﴾ مفعول ، والمراد به النبي ﷺ أي وهذا كتاب مصدِّق للنبي ﷺ لأنه معجزته ، والتقدير : مصدِّق ذا لسان عربي ، فاللسان منصوب بمصدِّق وهو النبي عليه السلام . اهـ. والقول الأول أظهر وأرجح لعدم التكلف ، ويصح أن يكون منصوباً بنزع الخافض والمعنى : وهذا كتاب مصدِّقٌ بلسان عربي .

(٤) هذه القراءة ﴿ لِتُنْذر ﴾ بالتاء قراءة نافع ، وابن عامر ، وقرأ الباقون ﴿ لِيُنذر ﴾ بالياء وهي قراءة الجمهور ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٦ .

يجوز أن يكون المعنى : وهو بُشرى .

وأن يكون المعنى : وتُبَشِّر المحسنين بُشْرَى(١) .

٨ ـ وقوله جل وعز : ﴿ إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [آية ١٣] .

قد بينا معنى ﴿ ثُمَّ اسْتَقَامُوا ﴾ فيما تقدَّم(٢) .

٩ ـ وقوله جل وعز : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إحْسَاناً ﴾ [آية ١٥] .

﴿ إحْسَاناً ﴾ : أي يحسن إليهما إحساناً(٣) .

١٠ ـ ثم قال تعالى : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ﴾ [آية ١٥] .

ويُقرأ ﴿ كَرْهاً ﴾ بفتح الكاف وهو عند بعض العربية لحنٌ ، لأنه يُفَرِّقُ بينهما .

قال الحسن ومجاهد وقتادة : الكُرْهُ : المشقَّةُ .

والفرَّاء وجماعةٌ من أهل العربية ، يذهبون إلى أن الكَرْهَ بفتح

---

(١) ذكر القولين الطبري في جامع البيان ١٤/٢٦ فقال : وفي ﴿ وبُشرى للمحسنين ﴾ وجهان من الإعراب : الرفع على العطف على الكتاب بمعنى : وهذا كتاب مصدِّق وبُشرى ، والنصب على معنى : لينذر الذين ظلموا ويُبشِّر ، فإذا جُعل مكان يُبشر ﴿ وبُشرى ﴾ أو « وبشارة » نصبت ، كما تقول : أتيتُك لأزورك ، وكرامةً لك . اهـ. وكذا قال الفراء في معاني القرآن ٥١/٣ .

(٢) انظر ص ٢٦٦ من هذا الجزء .

(٣) ﴿ إحساناً ﴾ منصوب على المصدر بفعل محذوف تقديره : أمرناه أن يحسن إليهما إحساناً ، وإلى هذا نحى صاحب الجلالين .

الكاف : القهرُ ، والغَصْبُ[1] ، فعلى هذا القول يكون لحناً .

وقال الكسائي : الكَرْهُ ، والكُرْهُ ، بمعنىً واحدٍ ، وكذلك هو عند البصريينَ جميعاً ، لا أعلمُ بينهم اختلافاً ، لأن الكَرْهَ : المصْدَرُ ، والكُرْهُ : اسم بمعناه[2] .

١١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً .. ﴾** [آية ١٥] .

قال مجاهد : سألتُ ابنَ عباس عن قوله تعالى ﴿ **حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ** ﴾ فقال : بضعاً وثلاثين سنة[3] .

قال مجاهد : ثلاثاً وثلاثين[4] .

---

(١) في الصحاح : الكُره بالضمّ : المشقّة يقال : قمتُ على كُرهٍ أي على مشقة ، وأقامني فلان على كَرْه بالفتح إذا أكرهك عليه ، قاله الفراء ، وكان الكسائي يقول : الكَرْه ، والكُرْه لغتان ، وأكرهته على كذا : حملته عليه كرهاً . اهـ.

أقول : هذا هو المشهور ويدل عليه قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم أن ترثوا النساء كَرْهاً .. ﴾ أي بطريق القهر والإكراه .

(٢) قال في اللسان مادة كره : أجمع كثير من أهل اللغة أن الكَره والكُره لغتان ، فبأيٍّ لغة وقع فجائز ، إلا عند الفراء ، فإنه زعم أن الكُره ما أكرهتَ نفسك عليه ، والكَرْه : ما أكرهك غيرك عليه ، تقول : جئتك كُرْهاً ، وأدخلتني كَرهاً ، وقال ابن البرِّي : يدل على صحة قول الفراء قوله سبحانه ﴿ كُتب عليكم القتال وهو كُرْه لكم ﴾ وقال سبحانه ﴿ وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكَرْهاً ﴾ فيصير الكَرْه بالفتح فعل المضطر ، والكُره بالضم فعل المختار . اهـ. بإيجاز .

(٣ ــ ٤) ذكرهما الطبري ١٦/٢٦ قال : وهو الأشبه ممن قال إنه بلوغ الحلم ، لأن المرء لا يبلغ في =

قال أبو جعفر : وقيل : الأَشُدُّ : ثماني عشرةَ سنـــةً .

والأول أشبــهُ ، لاتِّساق الكـلام ، ألا تَرَى أن بعـده ﴿ وَبَلَـــغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ؟

وأيضاً فإن البالـغ ثلاثـاً وثـلاثين سنـــة أولى بهذا الاسم لأنــــه أكمل .

١٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ .. ﴾ [آية ١٥] .

رَوى أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن أبي بكـر بن عيـاش في قوله تعالى ﴿ أَوْزِعْنِـي أَنْ أَشْكُـرَ نِعْمَـتَكَ الَّتِـي أَنْعَـمْتَ عَلَـيَّ وَعَلَـى وَالِدَيَّ ﴾ قال : هو أبـو بكـر الصدِّيـق[1] ، فلـم يكفـر له أبٌ ، ولا

= حال حُلْمه كال قواه ، ونهاية شدته .. وهكـذا قال الفـراء في معـاني القـرآن ٥٢/٣ أنـه الأشبـه بالصواب ، لأن الأربـعين أقـرب في النَّسَق إلى ثلاث وثـلاثين . اهـ. وقـال الحسن : ﴿ وبلـــغ أشدَّه ﴾ هو بلوغ الأربعين لقوله تعـالى بعـده ﴿ وبلـغ أربـعين سنـة ﴾ أي تناهـى عقلـه وكمـل فهمه ، ورجحه ابن كثير .

(١) هذا قول ابن عباس وعلي ، ذكره الفراء ٥٣/٣ والقرطبي عن علي في جامع الأحكـام ١٩٤/١٦ قال علي : « هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أسلم أبواه جميعـاً ، ولم يجتمـع لأحد من المهاجرين أن أسلم أبواه غيره » ووالده أبو قحافة « عثمان بن عامر » وأمه أم الخير اسمهـا « سلمى بنت صخر » وذكر هذا القول الطبري في جامـع البيـان ١٧/٢٦ قال : وذُكـر أن هذه الآية نزلت في أبي بكـر الصديـق رضي الله عنـه . وقـال الحسن البـصري : الآية على العمـوم أي تشمل كل مؤمن شكـر الله وبرَّ والديه ، واختاره صاحب البحر المحيط ٦١/٨ وهو الأظهـر ، والله أعلم .

أمٌّ ، قال : ﴿ وَأَوْزِعْنِي ﴾ : أَلْهِمْنِي[1] .

١٣ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي .. ﴾ [آية ١٧] .

قال الفراء : ﴿ أُفٍّ لَكُمَا ﴾ : أي قَذَراً لكما ﴿ أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ ﴾[2] !!

روى سعيدٌ عن قتادة قال : « هذا عبدُ سَوْءٍ ، نَعَتَهُ اللهُ جلَّ وعزَّ ، قَالَ لِوَالِدَيْهُ : أَتَعِدَانِني أَنْ أُبْعَثَ »[3] !!

١٤ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا .. ﴾ [آية ٢٠] .

وقرأ يزيد بن القعقاع ﴿ أَأَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ

---

(١) قال في المصباح المنير مادة وزع : أوزعه الله الشكر : ألهمه . اهـ . وكذا هو في الصحاح ، ولسان العرب .

(٢) معاني القرآن للفراء ٥٣/٣ ولفظه : ذكر أن القائل « عبد الرحمن بن أبي بكر » قال هذا القول قبل أن يسلم ﴿ أفٍّ لكما ﴾ أي قذراً لكما .

(٣) الطبري عن قتادة ١٩/٢٦ قال : أتعدانني أن أبعث بعد الموت ، قال : وهو نَعْتَ عبد سوء ، عاقاً لوالديه فاجراً ، وكذلك قال الحسن : هو الكافر الفاجر ، العاقُّ لوالديه ، المكذِّب بالبعث . اهـ. فالآية على هذا القول عامة ، وليست في عبد الرحمن بن أبي بكر كما زعم البعض ، فقد أنكرت عائشة أم المؤمنين أن تكون نزلت في أخيها عبد الرحمن ، قال الزجاج : كيف يُقال نزلت في عبد الرحمن ، والله عز وجل يقول ﴿ أولئك الذين حقَّ عليهم القول ﴾ أي العذاب ومن ضرورته عدم الإيمان ، وعبد الرحمن من أفاضل المؤمنين ، فالصحيح أنها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه . اهـ. القرطبي ١٩٧/١٦ .

الدُّنْيَا ﴾[1] ؟ بالاستفهام .

قال أبو جعفر : العرب تقرر ، وتوبخ بالاستفهام وغير الاستفهام[2] .

ويُروى أن عمر رضي الله عنه رأى جابر بن عبد الله ومعه إنسانٌ يحمل شيئاً ، فقال : ما هذا ؟ فقال : لحمٌ اشتريتُه بدرهم ، فقال : أكلَّما قام أحدكم اشترى لحماً بدرهم ، واللهِ لو شئتُ أن أكون أطيبَكم طعاماً ، وأليَنكمْ ثوباً ، لفَعلْتُ ، ولكنَّ الله يقول : ﴿ **أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا** ﴾ ؟ فأنا أترك طيِّباتي[3] .

١٥ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ** .. ﴾ [آية ٢٠] .

قال مجاهد : الهُونُ : الهَوَانُ .

١٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ ، وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ** .. ﴾ [آية ٢١] .

---

(١) هذه من القراءات السبع ، كما في السبعة لابن مجاهد ص ٥٩٨ وقرأ الجمهور ﴿ أذهبتم طيباتكم ﴾ على الخبر للتوبيخ ، وانظر زاد المسير ٣٨٢/٧ .

(٢) قال الطبري ٢١/٢٦ : العرب تستفهم بالتوبيخ ، وتترك الاستفهام به ، فتقول : أذهبتَ ففعلت كذا وكذا ؟ وذهبتَ ففعلتَ ، وفعَلْت !! وأعجب القراءتين إليَّ ترك الاستفهام ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، ولأنه أفصح اللغتين . اهـ.

(٣) روى هذه القصة ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٢/٧ والطبري في جامع الأحكام ٢٠٢/١٦ وذكر عن عمر رضي الله عنه أخباراً عجيبة ، في زهده في الدنيا ، وتركه للذائذ الحياة ، يستحسن الرجوع إليها ، لنرى في أيِّ تَرَف نعيش نحن ؟

قال قتادة : كانت عادٌ أحياء من اليمن ، منازلهم عند الرمال والدَّكَّاواتِ[1] .

قال أبو جعفر : الحِقْفُ عند أهل اللُّغة : الرَّملُ المنحني ، وجمعُه : حِقَفَةٌ ، وأَحْقَافٌ[2] ، وفي الحديث أن النبيَّ ﷺ مرَّ بِظَبْيٍ حَاقِفٍ ، أي منحنٍ متثنٍّ[3] .

١٧ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا .. ﴾** [آية ٢٣] .

معنى ﴿ **لِتَأْفِكَنَا** ﴾ لتصرفنا[4] .

١٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا .. ﴾** [آية ٢٤] .

---

(١) في القاموس المحيط : الدَّكَّاوات : جمع الدكَّاء ، وهي الرابية من الطِّين ، ليست بالغليظة ، والتي لا سنام لها ، والدكَّة : ما استوى من الرمل جمع دِكاك . اهـ. القاموس مادة دكَّ .

(٢) قال في اللسان مادة حقف : الحِقْفُ من الرمل المعوجُّ وجمعه أحقاف ، وحقوف ، وحِقاف وحِقَفة ، ومنه قيل لما اعوجَّ : محقوقف ، وقال الجوهري : الحِقف : المعوَّج من الرمل والجمع حقاف ، وأحقاف ، والأحقاف : ديار عاد .

(٣) ذكره ابن الأثير في كتابه النهاية ٤١٣/١ قال « فإذا ظبي حاقف » أي نائم قد انحنى في نومه ، وفي لسان العرب لابن منظور : وظبي حاقف : فيه قولان : أحدهما أن معناه صار في حِقْف ، والآخر أنه رَبَض ، واحقوقَفَ ظهره ، قال الأزهري : الظبي الحاقف يكون رابضاً في حقف من الرمل ، أو منطوياً كالحقف ، وفي الحديث أنه ﷺ « مرَّ هو وأصحابه وهم محرمون بظبي حاقف في ظل شجرة » وهو الذي نام ، وانحنى وانثنى في نومه . اهـ.

(٤) في المصباح : أفكْتُه : صرفتُه ، وكل أمرٍ صُرِفَ عن وجهه فقد أُفك ، والإفك بالكسر : الكذب . اهـ. ومعنى الآية ﴿ أجئتنا لتأفكنا ﴾ أي أجئتنا لتصرفنا عن عبادة آلهتنا بالإفك ، وقال الضحاك : من الإفك بمعنى الصرف .

أي فلما رأوا الذي أُوْعِدوا ، كسَحَابٍ عارضٍ ، قد اعترض ، فيه عذابٌ ، ولم يعلموا أن فيه عذاباً ، قالوا : هذا عارضٌ ممطِرُنا .

رَوى طاووسٌ عن ابن عباس قال « كان لعادٍ وادٍ ، إذا جاء المطر أو الغيمُ من ناحيته كان غيثاً ، فأرسل الله عليهم العذاب من ناحيته ، فلمَّا وعدهم هودٌ ﷺ بالعذاب ، ورأوا العارضَ ، قالوا : ﴿ **هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا** ﴾ قال لهم هود عليه السلام ﴿ **بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ فقالوا : كذبتَ ، كذبتَ » فقال الله جل وعزَّ ﴿ **فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ ..** ﴾[1] .

١٩ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِي مَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ ، وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً ..** ﴾ [آية ٢٦] .

قال قتادة : أنبأنا اللهُ أنه قد مكّنهم في شيء ، لم يمكنَّا فيه[2] .

(١) الأثر ذكره السيوطي في الدر المنثور ٤٣/٦ بنحوه ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٨٤/٧ : العارضُ : السحاب الذي يعرض من ناحية السماء ، وكان المطر قد حُبس عن عاد ، فساق الله إليهم سحابة سوداء ، فلما رأوها فرحوا واستبشروا ، وقالوا : ﴿ هذا عارض ممطرنا ﴾ فقال لهم هود ﴿ بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم ﴾ فنشأت الريح من تلك السحابة ، وكانت الريح تحتمل الظعينة ــ أي المرأة ــ فترفعها حتى تُرى كأنها جرادة ، فأصبحوا وقد هلكوا ، وروى البخاري ١٦٧/٦ عن ابن عباس : عارضٌ ، قال : السحاب .

(٢) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٤/٦ عن ابن عباس قال : فيما لم نمكنكم فيه ، وكان عاد أشدَّ قوة ، وأكثر أولاداً ، وأطول أعماراً . اهـ.

قال أبو جعفر : فـ « إنْ » على هذا القول بمعنى « ما »[1] .

وقد قيل : إنها زائدةٌ ، والأول أولى ، لأنه لا يُعرف زيادتُها إلّا في النفي ، وفي الإيجاب « أَنْ » بالفتح .

٢٠ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الجِنِّ يَسْتَمِعُونَ القُرْآنَ ..** ﴾ [آية ٢٩] .

قال زِرُّ بن حُبَيْشٍ : كانوا تسعةَ نَفَرٍ[2] .

٢١ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ..** ﴾ [آية ٣٥] .

قال قتادة : هم أربعة « نوحٌ ، وإبراهيمُ ، وموسى ، وعيسى » صلى الله عليهم .

---

(١) هذا قول الفراء كما في معانيه ٥٦/٣ حيث قال : مكّناهم في الذي نمكنكم فيه ، و « إن » بمنزلة « ما » في الجحد ــ أي في النفي ــ وهذا هو قول الأكثرين ، وإنما لم يؤت بـ « ما » فيقال : ولقد مكنّاهم في مَا مَا مكناكم فيه ، دفعاً لثقل التكرار ، وقد ضعَّف أبو حيان في البحر المحيط قول من قال : إنها شرطية ، أو زائدة فقال ٦٥/٨ : و « إن » نافية ، والمعنى : في الذي ما مكناكم فيه ، من القوة ، والغنى ، والبسط في الأجسام ، والأموال ، ولم يكن النفي بلفظ « ما » كراهةً لتكرير اللفظ ، وإن اختلف المعنى ، وقيل : إنها شرطية محذوفة الجواب والتقدير : إن مكناكم فيه طغيتم ، وقيل « إن » زائدة بعد « ما » الموصولة تشبيهاً بما النافية أي مكناهم في مثل الذي مكناكم فيه .. ثم قال : وكونها نافية هو الوجه ، لأن القرآن دلَّ عليه ﴿ كانوا أكثر منهم وأشد قوة ﴾ وهو أبلغ في التوبيخ . اهـ. البحر المحيط .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن زر ٣١/٢٦ قال : كانوا تسعة نفر ، وروى عن ابن عباس : كانوا سبعة نفر ، وذكره ابن كثير ٢٧١/٧ عن ابن مسعود قال : هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة ، فلمّا سمعوه قالوا : أنصتوا ، وكانوا تسعة ، أحدهم زوبعة ، وعزاه إلى ابن أبي شيبة . قال ابن قتيبة : والنفر ما بين الثلاثة إلى العشرة .

وقال مجاهد وعطاء الخراساني : أولو العزم من الرسل خمسةٌ : نوحٌ ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمَّدٌ صلى الله عليهم[1] .

٢٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ بَلَاغٌ ، فَهَلْ يُهْلَكُ إلّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ ﴾ [آية ٣٥] .

أي ذلك بلاغ .

وقَرَأ عيسى بن عمر ﴿ بَلَاغاً ﴾[2] وقرأ أبو مجلز ﴿ بَلِّغْ ﴾ على الأمر .

٢٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فَهَلْ يُهْلَكُ إلّا القَوْمُ الفَاسِقُونَ ؟ ﴾ [آية ٣٥] .

أي فهل يُهْلك مع رحمة الله ، وتفضُّله ، إلّا القومُ الفاسقون[3] ؟

* * *

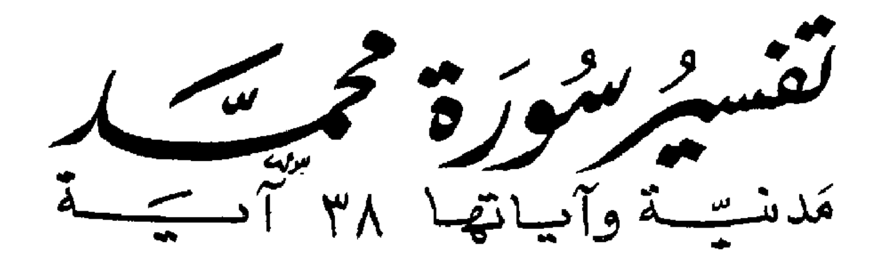
« تم تفسير سورة الأحقاف »

---

(١) هذا هو الصحيح أن الرسل من أولي العزم خمسة (نوح ، إبراهيم ، موسى ، عيسى ، محمد) وقد ذكروا في سورة الأحزاب ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح .. ﴾ الآية .

(٤) هذه من القراءات الشاذة ، كما في المحتسب لابن جني ٢٦٨/٢ وكذلك قراءة أبي مجلز ﴿ بَلِّغ ﴾ شاذة ، كما نبَّه على ذلك ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات .

(٣) « هل » استفهام يراد به النفي أي لا يهلك إلا القوم الخارجون عن طاعة الله عز وجل كما قاله الطبري ، وابن كثير ، وتفسير الجلالين والآية وعيدٌ وإنذار .


تفسير سورة محمد ﷺ
مدنية وآياتها ٣٨ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد وهي مدنية

١ ـ من ذلك قوله جل وعز : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾ [آية ١] .

روى أبو يحيى عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ .. ﴾ قال : أهلُ مكَّة(١) .

﴿ والَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ قال : الأنصارُ(٢) .

﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ قال : أمرهم(٣) .

قال أبو جعفر : معنى ﴿ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ : أبطلها(٤) ، كما

(١ ـ ٣) هذه الآثار عن ابن عباس ذكرها الطبري ٢٦/٣٩ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٤٦ والقرطبي في جامع الأحكام ١٦/٢٢٣ وهو قول مجاهد أيضاً قال : هم أهل مكة كفروا بتوحيد الله ، وصدُّوا المؤمنين عن دين الله ، وهو الإسلام ، بنهيهم عن الدخول فيه ، وروى عن ابن عباس قال : هم المطعمون ببدر ، وهم اثنا عشر رجلاً . اهـ. القرطبي ، واللفظ عام يشمل كل من كفر ، وصدَّ الناس عن سبيل الله ، كما في البحر المحيط ٨/٧٣ .

(٤) يؤيده قوله تعالى ﴿ وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ قال في المصباح المنير : الأصل في الضلال الغيبة ، ومنه قيل للحيوان الضائع : ضالَّة ، بالهاء للذكر والأنثى ، ويقال لغير الحيوان : ضائع ، ولقطة ، وضلَّ البعير : غابَ وخفي موضعه ، وضلَّ الطريق : زلَّ عنه فلم يهتد إليه . اهـ.

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الأَرْضِ ﴾[1] والمعنى : لم نُثِبْهم على ما عملوا لِكُفْرِهِمْ .

ومعنى ﴿ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ : غطَّى عليها ، ولم يؤاخذهم بما عملوا وقت كفرهم[2] .

٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴾ [آية ٣] .

المعنى : كذلك يُبَيِّنُ اللهُ أمرَ الحسناتِ والسيِّئَاتِ[3] .

ومعنى : ضربتُ له مَثَلاً : بيَّنتُ له ضرباً من الأمثال ، أي نوعاً منها[4] .

---

(١) سورة السجدة آية رقم ١٠ قال الفراء : ضلَّ الماء في اللبن ، وضل الشيء في الشيء : إذا أخفاه وغلب عليه ، ومعنى الآية : إذا صارت لحومنا وعظامنا تراباً كالأرض . اهـ. معاني القرآن للفراء ٣٣١/٢ .

(٢) المراد بتكفير سيئاتهم أنه تعالى أزال ومحا عنهم ما مضى من الذنوب والأوزار ، والتكفيرُ في اللغة : التغطية والستر كما في المصباح .

(٣) عبارة ابن كثير ٢٨٩/٧ : ﴿ كذلك يَضرب الله للناس أمثالهم ﴾ أي يُبيِّن لهم مآل أعمالهم ، وما يصيرون إليه في معادهم .

(٤) المِثل بمعنى الشبيه والنظير ، تقول : هذا مِثل هذا أي نظيره وشبيهه ، قال ابن جني : قولهم مثلك لا يفعل كذا أي أنت من جماعة شأنهم ألا يفعلوا كذا ، إذا كان له فيه أشباه وأضراب ، والمثل بفتحتين والمثيل بمعنى الشِّبْه ، من مَاثَلَه ، مُماثلة ، إذا شابهه ، وقد استعمل الناس المثالَ بمعنى الوصف والصورة ، فقالوا : مثالُه أي وصفه وصورته ، قال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾ أي صفتها وصورتها . اهـ. المصباح المنير .

٣ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ﴾ [آية ٤] .

أي فاقتلوهم ، وذُكرت الرِّقابُ لأن القتل أكثرُ ما يقعُ بها[1] .

٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ[2] ﴾ [آية ٤] .

قال سعيد بن جبير : لا ينبغي أن يقع أسرٌ ، حتى يُثْخَن بالقتل في العدوِّ[3] ، كما قال جل وعز ﴿ **مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ** ﴾[4] .

(١) هذا قول الزجاج ﴿ فَضَرْبَ الرِّقَاب ﴾ أي فاضربوا الرقاب ضرباً ، وخصَّ الرقاب بالذكر لأن القتل أكثر ما يكون بها ، وقال القرطبي ٢٢٦/١٦ : ولم يقل : فاقتلوهم ، لأن في العبارة بضرب الرقاب من الغِلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل ، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة ، وهو حزُّ العُنق وإطارة العضوِ الذي هو رأس البدن وأوجَهُ أعضائه . اهـ.

(٢) الوَثَاق : اسم لما يُربط به من حبل وغيره ، والمراد به هنا الأسر ، وإنما أمرهم بشدِّ الوثاق لئلا يُفلتوا .

(٣) ذكره القرطبي ٢٢٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٤٦/٦ ولفظه : قال سعيد بن جبير ﴿ فشُدُّوا الوثاق ﴾ أي لا تأسروهم ولا تُفادوهم حت تُثخنوهم بالسَّيف ، أي تُكثروا فيهم القتل والجراحات . اهـ. والإثخان في اللغة : الإكثار من القتل أو الجراح ، قال في المصباح : أثخن إثخاناً : إذا سار إلى العدوِّ وأوسعهم قتلاً ، وأثخنته الجراحة : أوهنته وأضعفته .

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٦٧ .

٥ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وإِمَّا فَدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [آية ٤] .

قال أبو جعفر : في هذه الآية اختلاف .

قال ابن جريج : كان عطاء يكره قتل الأسير صبراً ، لقول الله جل وعز ﴿ **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ ، وإِمَّا فِدَاءً** ﴾ وقال : امنُنْ ، أو فَادِ ، ولا تقتل(١) .

وقال قتادة : الآيةُ منسوخةٌ ، نَسَخَهَا قوله تعالى ﴿ **فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهم في الحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ ..** ﴾(٢) .

وَرَوى شعبةُ عن الحَكَم قال : سألني مغيرةُ عن آيةٍ غامضةٍ منسوخة ، وهي قوله تعالى ﴿ **فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً** ﴾ .

---

(١) ذكره القرطبي عن عطاء ١٦/٢٢٧ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٤٧ وهذا الأثر أخرجه عبد الرزاق في المصنف عن عطاء ، وهو قول الحسن البصري ، قال أشعث : كان الحسن يكره قتل الأسير ويتلو « فإمَّا مناً بعدُ وإما فداءً » وكان يقول : ليس للإمام إذا حصل الأسير في يديه أن يقتله ، لكنه بالخيار في ثلاثة منازل : إمَّا أن يُمنَّ ، أو يفادي ، أو يسترق . اهـ. القرطبي ١٦/٢٢٨ .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٢٦/٤٠ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٤٦ والقرطبي في جامع الأحكام ١٦/٢٢٧ قال : وهو قول قتادة ومجاهد ، أنه إذا أُسر المشرك ، لم يَجُز أن يُمَنَّ عليه ، ولا أن يُفادى به فيردَّ إلى المشركين ، ولا يُفادى إلا بالمرأة لأنها لا تقتل ، وهذا مذهب أبي حنيفة ، لئلا يعودوا حرباً على المسلمين .

وقال **الضحاك** : هي ناسخة ، نَسَخَتْ قوله تعالى ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾[1] .

قال أبو جعفر : البيِّنُ في الآية أنها ليست بمنسوخة ولا ناسخة ، وإنما هذا إباحةٌ ، وكذلك القتلُ ، لأن النبيَّ ﷺ قد قَتَل ، وفَادَى ، وذكر القتلَ في آية أخرى ، وهو ﴿ **فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ** ﴾ فاجتزأ بذلك[2] .

٦ ـ **وقوله جل وعز** : ﴿ **حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ [آية ٤] .

قال قتادة : أي حتَّى يُسلِم أهلُ الشِّرْكِ ، فسمَّاهم حِرْباً[3] .

قال سعيد بن جبير ومجاهدٌ في قوله تعالى ﴿ **حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا** ﴾ : حتى ينزلَ عيسى بن مريمَ فيكسرَ الصليبَ ،

---

(١) الأثر في القرطبي ٢٢٧/١٦ والطبري ٤١/٢٦ والدر المنثور ٤٧/٦ وعلى هذا القول تكون الآية ناسخةً لحكم القتل ، الذي ورد في سورة التوبة ، وهو قول مرجوح ، لأن سورة التوبة من أواخر ما نزل ، فلا تنسخها الآيات في سورة محمد ﷺ .

(٢) هذا هو الأرجح والأظهر من الأقوال ، كما نبَّه المصنف رحمه الله ، فالآية محكمةٌ وليست بمنسوخة ، والإمام مخيَّر بين القتل ، والأسر ، والمنِّ ، والفداء ، لأن النبي ﷺ والخلفاء الراشدين فعلوا ذلك كله ، فقتل النبي عليه السلام « عقبة بن أبي مُعَيط » يوم بدر صبراً ، وفادى سائر أسارى بدر ، ومنَّ على سبي هوازن ، وهذا مذهب مالك والشافعي وهو قول عن ابن عباس ، على ما فيه الصلاح للمسلمين ، وهو اختيار الطبري .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٤٣/٢٦ وابن كثير عن قتادة ٢٩١/٧ واستدل قتادة بقوله تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ﴾ .

ويَقْتُلَ الخنزيرَ ، وتـزولَ الأديانُ ، إلَّا ديـن الإسلام ، وتكـون المِلَّـةُ واحدة[٢] .

قال أبـو جعفـر : فهـذا قولٌ في الآية ، أي حتـى يضع أهـلُ الحرب أوزارهم ، فيُسلموا أو يُسالموا[٢] .

وقيل : يعني بالأوزار ههنا السِّلاحُ كما قال الشاعر :

وَأَعْـدَدْتُ لِلْحَـرْبِ أَوْزَارَهَـا
رِمَاحـاً طِوَالاً ، وَخَيْـلاً ذُكُـوراً[٣]

والمعنـى على هذا : فشدُّوا الوَثَـاقَ حتـى تضع الحربُ أوزارهـا ، فإما منًّا بعد وإمَّا فِدَاءً[٤] .

---

(١) الأثـر أخرجـه الطبري ٤٢/٢٦ وابـن كثير عن مجاهـد ٢٩٠/٧ قال الحافـظ ابـن كثير : وكأنـه أخـذه من قولـه ﷺ : « لا تزال طائفـة من أمتـي ظاهريـن على الحقِّ ، حتـى يقاتـل آخرهـم الدجال » . اهـ.

أقـول : ونـزول عيسى بن مريم إنما يكـون عنـد خروج الدجَّـال ، وهـو من علامـات الساعـة الكبرى ، وعند نزول عيسى يدخـل النـاس جميعـاً في الإسلام ، ويعـمُّ الرخـاء ، ويـكثر المال ، كما ثبت في الصحيحين .

(٢) هذا قول الفراء كما في معاني القرآن ٥٧/٣ ﴿ حتى تضع الحربُ أوزارها ﴾ أي آثامها وشركهـا ، حتى لا يبقى إلا مسلمٌ أو مسالم .

(٣) البيـت للأعشى كما في ديوانـه ص ٩٩ وغـريب القـرآن ص ٤٠٩ والقرطبـي ٢٢٩/١٦ والبحـر المحيط ٧٤/٨ وفي الصحاح واللسان مادة وزر .

(٤) قال الطبري : معنى الآية : اضربوا رقابهم حتـى تضع الحرب آثامهـا ، وأثقـال أهلهـا المشركين ، بأن يتوبوا إلى الله من شركهم ، وفي الصفوة ٢٠٧/٣ : حتى تنـقضي الحرب وتـنتهي بوضع آلاتها =

٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَلَكِنْ لِيَبْلُو بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ .. ﴾ [آية ٤] .

أي ليمحِّص المؤمنين ، ويمحق الكافرين[1] .

٨ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ والَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [آية ٤] .

ويُقرأ ﴿ قَتَلُوا ﴾ و ﴿ قُتِّلُوا ﴾ و ﴿ قُتِلُوا ﴾[2] .

٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُم . وَيُدْخِلُهُم الجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾ [آية ٦] .

في معناه ثلاثة أقوال : .

قال مجاهد : عرَّفهم بيوتها ، ومساكِنَها ، وقَسَمَهم منها ، فلا

= وأثقالها ، بين المسلمين ، والمناوئين للإسلام ، وذلك بعزة المسلمين ، واندحار المشركين ، والله أعلم .

(١) الأظهر أن معنى قوله تعالى ﴿ ولكن ليبلو بعضكم ببعضٍ ﴾ أي ولكنه تعالى أمركم بجهادهم ، ليختبر إيمانكم وثباتكم ، فيظهر حال المجاهدين منكم والصابرين ، ويبلوهم بكم ، فيعاقب بأيديكم من شاء منهم .. وهو اختيار الطبري والجمهور .

(٢) قراءة ﴿ قَتَلوا ﴾ قراءة الجحدري وأبي حيوة ، والمراد : والذين قَتَلوا المشركين ، وقراءة ﴿ قُتِّلوا ﴾ بالتشديد قراءة الحسن ، وكلتا القراءتين ليست من القراءات السبع ، قال ابن الجزري في النشر في القراءات العشر ٣٧٤/٢ : اختلفوا في قوله ﴿ والذين قاتلوا ﴾ فقرأ البصريان وحفص ﴿ قُتِلُوا ﴾ بضم التاء وكسر القاف من غير ألف ، وقرأ الباقون بفتح القاف وألف بينهما ﴿ والذين قاتلوا ﴾ وكذلك قال ابن مجاهد في السبعة في القراءات ص ٦٠٠ وانظر أيضاً الطبري ٤٣/٢٦ والقرطبي ٢٣٠/١٦ .

يَغْلطُ أحدٌ منهم ، فيدخل إلى موضعٍ غيره ، ولا يحتاج أن يَسْتَدِلَّ[1] .

وقال سَلَمةُ بن كُهَيل : ﴿ **عَرَّفَهَا لَهُمْ** ﴾ : عرَّفهم طُرُقها ، فهذا قولٌ .

وقيل : ﴿ **عَرَّفها** ﴾ : طيَّبها[2] .

وقيل : ﴿ **عَرَّفها** ﴾ : رفعها[3] .

قال أبو جعفر : القولُ الأول ـــ وإن كان بعض أهل اللغة قد أنكره ، وقال : لو كان كذا لقال : عرَّفهم بها ـــ أحسنُ الأقوال وأصحُّها ، ولا يَلزم هذا الردُّ .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٤٤/٢٦ وابن الجوزي ٣٩٨/٧ والبحر المحيط ٧٥/٨ وابن كثير ٢٩٢/٧ والقرطبي ٢٣١/١٦ وهذا هو قول الجمهور ، واختاره الفراء ، وأبو عبيدة ، وهو الأظهر والأرجح ، ويؤيده ما رواه البخاري في صحيحه ١٣٨/٨ إذا خلص المؤمنون من النار ، حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار ، يتقاصُّون مظالمَ كانت بَينهم في الدنيا ، حتى إذا هُذِّبوا ونُقُّوا ، أُذِن لهم في دخول الجنة ، والذي نفسي بيده إن أحدهم بمنزله في الجنة ، أهدى منه بمنزله الذي كان في الدنيا » قال ابن كثير في روايته عن مجاهد ٢٩٢/٧ : يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم ، لا يخطئونها ، كأنهم ساكنوها منذ خُلقوا ، لا يستدلُّون عليها أحداً . اهـ.

(٢) هذا القول رواه عطاء عن ابن عباس كما في ابن الجوزي ٣٩٨/٧ والقرطبي ٢٣١/١٦ قال : أي طيَّبها لهم بأنواع الملاذّ ، من العَرْف وهو الرائحة الطيبة ، وطعامٌ معرَّفٌ أي مطيَّب ، تقول العرب : عرَّفتُ القِدْر إذا طيبتها بالملح والأبزار . اهـ. القرطبي .

(٥) ذكره في البحر عن بعض أهل اللغة ٧٦/٨ قال : شرَّفها لهم ورفعها وعلَّاها ، وهذا من الأعراف التي هي الجبال وما أشبهها . اهـ. البحر المحيط .

والمعنى : بيَّنها لهم فتبيَّنوها .

والقول الثاني : ليس بممتنع ، لأنه يُقال : طعامٌ معرَّفٌ أي مطيَّبٌ .

والقولُ الثالث : مأخوذ من العُرْفِ ، لارتفاعه .

وقيل : أي عرَّف المكلَّفينَ من عباده بأنَّها لهم[1] .

١٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْساً لَهُمْ ، وأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [آية ٨] .

أي ممن ينبغي أن يُقال لهم : أتعسَهَمُ اللهُ[2] ، أي لا جَبَرهم ، وهذا يُدعى به على العَاثِرِ .

وقال ثعلب : التَّعْسُ : الشرُّ ، قال : وقيل : هو البُعْدُ ، وانتكس : قُلِبَ أمرُهُ وأُفْسِدَ .

وقال ابن السكِّيت : التَّعْسُ : أن يَخِرَّ على رأسه ، قال

---

(١) ذكر نحوه القرطبي ٢٣١/١٦ قال : عرفَّ أهل السماء أنها لهم إظهاراً لكرامتهم فيها . اهـ.
أقول : القول الأول هو الأظهر وهو قول الجمهور ، والله أعلم .

(٢) ﴿ فَتَعْساً لَهُمْ ﴾ نصب على المصدر على وجه الدعاء ، كأنه قال : فأتعسهم الله ، وأضلَّ أعمالهم ، قال الفراء في معاني القرآن ٥٨/٣ لأن الدعاء قد يجري مجرى الأمر والنهي ، ألا ترى أن « أضلَّ » فعلٌ ، والتَّعْسَ اسمٌ ، لأنه في معنى أتْعَسَهُمْ . اهـ.

والتَّعْسُ أيضاً : الهلاكُ[1] .

١١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ دَمَّرَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [آية ١٠] .

قال **مجاهد** : وللكافرين التدميرُ وعيداً من اللهِ[2] .

وقال **غيره** : فقُتل منهم من قُتل بالسيف .

١٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ، وأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾ [آية ١١] .

قال **قتادة** : أي وليُّ الذين آمنوا[3] .

---

(١) قال في الصحاح : التَّعْسُ : الهلاكُ ، وأصلُه الكبُّ ، وهو ضدُّ الانتعاش ، وتَعَسَ ، يَتْعَسُ ، تَعْساً يقال : تَعْساً لفلان أي أَلْزَمَهُ الله هلاكاً . اهـ. مادة تعس ، وفي المصباح : التَّعْسُ أن يخرَّ لوجهه ، والنَّكْسُ أن لا يستقلَّ بعد سقطته ، وهي أشدُّ من الأولى ، وقال الطبري : ﴿ فتعساً لهم ﴾ أي فخِزياً لهم ، وشقاءً ، وبلاءً .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٤٦/٢٦ ولفظه : ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ قال مجاهد : مثلُ ما دُمِّرت به القرون الأولى ، وعيدٌ من الله لهم . وقال القرطبي ٢٣٤/١٦ : ﴿ دمَّر الله عليهم ﴾ أي أهلكهم واستأصلهم ﴿ وللكافرين أمثالها ﴾ أي أمثال هذه الفعلة يعني التدمير ، وقال الزجاج والطبري : الهاء تعود على العاقبة ، أي وللكافرين من قريش أمثال عاقبة تكذيب الأمم السالفة . اهـ. القرطبي . ولفظ ﴿ دمَّر عليهم ﴾ أبلغ من دمرهم ، لأن معناها أن الله أهلكهم إهلاكاً فظيعاً ، مع أموالهم ، ودورهم ، وأولادهم ، وأطبق عليهم الهلاك إطباقاً ، حتى شمل الدمار الكل .

(٣) هذا قول الفراء وأبي عبيدة ، واختاره الطبري ، والقرطبي ، وصاحب البحر المحيط ، ويؤيده ﴿ الله ولي الذين آمنوا ﴾ أي ناصرهم وسندهم .

قال أبو جعفر : وفي قراءة عبد الله كذلك[1] ، وقال الشاعر :

فَغَدَتْ كِلَا الفَرْجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ
مَوْلَى المَخَافَةِ خَلْفُهَا وَأَمَامُهَا[2]

أي وليُّ المخافة .

وروى سِمَاكٌ عن عكرمةَ ، عن ابن عباس ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ قال : لا مولى لهم غيرُه[3] .

قال قتادة : نزلت هذه الآيةُ يوم أُحُدٍ ، والنبيُّ ﷺ في الشِّعب ، وقد أُثخن في المسلمين بالقتل والجراح ، فصاح المشركون : يومٌ بيوم بدر ، لنا العُزَّى ، ولا عُزّى لكم ، فأنزل الله جلَّ وعزَّ **﴿ والَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ .. ﴾** إلى قوله **﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وأَنَّ الكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾** .

فقال لهم النبيُّ ﷺ قولوا : (اللهُ مَوْلَانَا ، ولا مولى لكم ،

---

(١) قراءة ابن مسعود ﴿ ذلك بأن الله وليُّ الذين آمنوا ﴾ ذكرها الطبري ٤٧/٢٦ والقرطبي ٢٣٤/١٦ والفراء في معاني القرآن ٥٩/٣ ، وليست من القراءات السبع .

(٢) البيت من معلقة لبيد بن ربيعة كما في ديوانه ص ٣١١ في وصف بقرة ، والفرج : الواسع من الأرض ، وقد تقدم هذا الشاهد في سورة الدخان ، وانظر اللسان ، والصحاح مادة ولي ، وجامع الأحكام للقرطبي ٢٣٤/١٦ .

(٧) الأثر أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٦ وعزاه إلى عبد الرزاق ، وعبد بن حميد .

وقتلانا أحياءٌ يُرْزقونَ في الجنَّةِ ، وقتلاكم في النَّارِ)[1] .

قال أبو جعفر : والمعنى : اللهُ وليُّ الَّذينَ آمنوا في الهدايةِ ، والنُّصْرةِ[2] .

فلمَّا أخبر بولايته المؤمنين ، وخذلانه الكافرين ، أعلَمَ بما أعدَّه للمؤمنين والكافرين ، فقال : ﴿ **إنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ أي منزل لهم .

﴿ **وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ والنَّارُ مَثْوىً لَهُمْ** ﴾ [آية ١٤] .

١٣ ــ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ** ﴾ [آية ١٣] .

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في المسند بأوسع من هذا ١/٤٦٣ ولفظه : (.. فجاء أبو سفيان فقال : اعلُ هُبَل ، فقال رسول الله ﷺ قولوا : الله أعلى وأجلُّ ، فقال أبو سفيان : لنا عُزَّى ولا عُزَّى لكم ، فقال رسول الله قولوا : الله مولانا والكافرون لا مولى لهم ..) الحديث ، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٢٩٧ والبيهقي في دلائل النبوة .

(٢) أي هو هاديهم وناصرهم ، يتعهدهم ويتولّى شؤونهم ، ويدفع عنهم أذى المشركين ، فالوليُّ بمعنى الناصر والمعين .

(٣) في المصباح : ثوى بالمكان أقام به فهو ثاوٍ ، قال تعالى ﴿ وما كنتَ ثاوياً في أهل مدين ﴾ والمثْوَى : المنزل ، والجمع المثاوي ، وقال الطبري ٢٦/٤٧ : ﴿ والنار مثوى لهم ﴾ أي ونار جهنم مسكن لهم ومأوى ، إليها يصيرون من بعد مماتهم .

قال قتادة : يعني أهل مكة ، قال : فلا ناصر لهم[1] .

١٤ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ..** ﴾ [آية ١٤] .

قال قتادة : هو محمد ﷺ .

﴿ **كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ** ﴾ قال : هم مشركو العرب[2] .

ثم قال ﴿ **وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ** ﴾ على معنى « مَنْ »[3] .

١٥ ـ **ثم قال جل وعز** : ﴿ **مَثَلُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ..** ﴾ [آية ١٥] .

ولم يأت بالمماثل .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٦/٤٨ عن قتادة قال : قريته مكة ، وروى الطبري بسنده عن ابن عباس (أنَّ نبي الله ﷺ لما خرج من مكة التفت إليها فقال : أنتِ أحبُّ بلاد الله إلى الله ، وأنتِ أحب بلاد الله إليَّ ، ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك) فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿ وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم ﴾ وانظر الدر المنثور ٦/٦/٤٨ والقرطبي ١٦/٢٣٥ وابن كثير ٧/٢٩٤ .

(٢) الأثر في الدر المنثور ٦/٤٩ والبحر المحيط ٨/٧٨ وذكره الطبري ٢٦/٤٨ واختار أن الآية على العموم ، في كل مهتدٍ وضالٍّ ، فليس المستنير بنور القرآن ، كالذي يتخبط في ظلمات الجهل والضلالة .

(٣) يريد المصنف أن الضمير في « واتَّبعوا » جاء بالجمع حملاً على المعنى ، لأن « مَنْ » من صنيع العموم ولو جاء على اللفظ لقال : واتَّبع هواه ، وقال قبله ﴿ سُوءُ عَمَلِهِ ﴾ حملاً على اللفظ ، فالأول محمول على اللفظ ، والثاني على المعنى .

في معناه ثلاثة أقوال :

أ ــ **منها أن مَثَلاً** بمعنى : « صفة » قال ذلك النَّضْرُ بنُ شُميل ، والفرَّاء[1] .

ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قرأ ﴿ أَمْثَالُ الجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ المُتَّقُونَ ﴾[2] .

قال أبو جعفر : فهذا قولٌ ، ويكون على هذا « مَثَلٌ » على معنى « مِثْلٍ » ويكون فيه خلاف معناه ، كما أن في « عِدْلٍ » خلاف معنى « عَدْل » .

ب ــ **وقيل المعنى** : مَثَلُ الجنة التي وُعد المتقون ، فيما تعرفون في الدنيا ، جَنَّةٌ فيها أَنْهَارٌ[3] .

جـ ــ **والقول الثالث** : أن المعنى على التوبيخ والتقرير ، أي مثل الجنة التي وُعِد المتقون ، كمن هو خالد في النار ؟ أي مثل المطيع عندكم كمثل العاصي[4] ؟

---

(١) معاني القرآن للفراء ٣/٦٠ والمعنى على قول الفراء : صفة الجنة العجيبة الشأن .. إلخ.

(٢) ذكرها ابن جني في المحتسب ٢/٢٧٠ عن علي ، وابن عباس ، وعدَّها من القراءات الشاذة ، وكذلك ذكرها الفراء ٣/٦٠ .

(٣) على هذا التقدير يكون قوله تعالى ﴿ فيها أنهار ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف تقديره .. مَثَلُ الجنة جنة فيها أنهار .

(٤) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٣/٦٠ قال : كأنه أراد : أَمَّنْ كان في هذا النعيم ، كمن هو خالد في النار ؟ وإليه ذهب الطبري في جامع البيان ٢٦/٥٠ قال : المعنى : أَمَّن هو في هذه =

وروى معمر عن قتادة ﴿ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ﴾ قال : غير منتن[1] .

قال قتادة : الآسِنُ : المتغَيِّرُ ، الآجِنُ[2] .

قال أبو جعفر : قولُ قتادة أصحُّ ، لأنه يُقال : أَسَنَ الماءُ يَأْسَنُ ويَأْسُنُ فهو آسِنٌ وأَسِنٌ : إذا أنتن فلم يقدر أحد على شربه ، وأَجِنَ يَأْجَنُ وَهو آجِنٌ : إذا تغيَّر ، وإن كان شُرِبَ على كُرْهٍ .

١٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّارِبِينَ ﴾ [آية ١٥] .

يُقال : شرابٌ لذيذٌ ، ولَذٌّ[4] .

= الجنة التي صفتُها ما وصفنا ، كمن هو خالد في النار ؟! قال ذلك استغناء بمعرفة السامع معنى الكلام ، وقال ابن كثير ٢٩٧/٧ : أي أهؤلاء الذين ذكرنا منزلتهم من الجنة ، كمن هو خالد في النار ؟ ليس من هو في الدرجات كمن هو في الدَّركات !؟

(١) الأثر في الطبري ٤٩/٢٦ والدر المنثور ٤٩/٦ وابن كثير ٢٩٥/٧ قال : والعرب تقول : أسِنَ الماء إذا تغيَّر ريحُه .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٠/٣ وقال أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢١٥/٢ : الآسِنُ : المتغيِّرُ الريح .

(٣) قال في اللسان : الآسِنُ من الماء مثلُ الآجن ، وهو ما تغيَّرت ريحه ، وفي التهذيب : أسَنَ الماءُ أسْناً وأسُوناً وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه ، وقال الجوهري : أسِنَ الرجل إذا دخل البئر فأصابته ريح منتنة ، فغُشي عليه . اهـ.

(٤) قال الجوهري : اللَّذّةُ واحدة اللَّذات ، وشراب لَذٌّ ، ولذيذ بمعنى ، واستلذَّه : عدَّه لذيذاً . اهـ. الصحاح . وفي المصباح : لذَّ الشيء يَلَذُّ : صار شهياً فهو لذٌّ ولذيذ . اهـ. قال الزمخشري : (لَذَّةٍ) تأنيث لَذّ وهو اللذيذ أو وصفٌ بمصدر ، وقال ابن قتيبة : (لَذَّةٍ) أي لذيذة يقال : =

﴿ **وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى** ﴾ أي ليس كعسل الدنيا ، الذي فيه الشَّمعُ وغيرُهُ[1] .

﴿ **وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ** ﴾ أي ولهم مغفرةٌ من ربهم[2] .

ثم قال تعالى ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴾ ؟

قال أبو جعفر : قد تقدَّم القول فيها .

وفيه قولٌ آخر ، وهو أن المعنى : أَمَّنْ يُخَلَّد في الجنَّةِ ، وفي هذا النعيم المذكورِ ، كمن هو خالدٌ في النار ؟ ثم حُذِفَ هذا ، لعلم السَّامع ، كما قال تعالى ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً** ﴾[3] .

= شراب لِذاذٌ إذا كان طيباً . وقال الزجاج : أي ذاتُ لذَّة ، طعمها طيب كلونها . ومعنى الآية : أن في الجنة أنهار جاريات من خمر لذيذة الطعم ، يتلذذ بها الشاربون ، ليست كريهة الطعم والرائحة كخمر الدنيا ، بل حسنة المنظر والطعم والرائحة .

(١) قوله ﴿ من عسل مُصَفًّى ﴾ : أي من عسل ليس فيه عكر ، ولا كدر ، كعسل أهل الدنيا قال ابن كثير : وفي حديث مرفوع (لم يخرج من بطون النحل) .

(٢) المعنى : ولهم فوق ذلك النعيم « الحسّي » نعيم « روحي » وهو المغفرة من الله مع الرحمة والرضوان ، وفي الصحيح (أُحلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً) .

(٣) سورة الزمر آية رقم ٩ وقد حذف من الآية الجواب لدلالة الكلام عليه والتقدير : أم من هو مطيع عابد ، في ساعات الليل ، يتعبد ربه في صلاته ساجداً ، وقائماً ، كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً ؟ وخلاصته : ليس المؤمن كالكافر ، ولا المطيع كالعاصي .

وإن كان قد قيل إن **المعنى** : يا من هو قانتٌ .

١٧ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ .. ﴾** [آية ١٦] .

قال قتادة : هم المنافقون(١) .

١٨ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ ، قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفاً ﴾** [آية ١٦] .

أي إذا سمعوا النبيَّ ﷺ يخطب ، ثم خرجوا ، قالوا للمسلمين استهزاءً ﴿ **مَاذَا قَالَ آنِفاً** ﴾ ؟ أي لم نلتفت إلى ما قال .

والمعنى : ماذا قال السَّاعةَ ، أي في أقرب الأوقات إلينا ؟ من قولهم : استأنفتُ الشيءَ ، وروضةٌ أُنُفٌ : لم تُرْعَ(٢) .

---

(١) الطبري عن قتادة ٢٦/٥١ والدر المنثور ٦/٤٩ وابن كثير ٧/٢٩٧ قال : وهذا خبرٌ عن المنافقين في بلادتهم وقلة فهمهم ، حيث كانوا يجلسون إلى رسول الله ﷺ ويستمعون كلامه ولا يفهمون منه شيئاً ، فإذا خرجوا من عنده قالوا للصحابة ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ ؟ أي الساعة ، لا يعقلون ما يُقال ، ولا يكترثون له . اهـ.

(٢) قال في التسهيل لعلوم التنزيل ٤/٨٦ : ﴿ آنفاً ﴾ : معناه : الساعة الماضية قريباً ، وأصله من استأنفتُ الشيء إذا ابتدأته ، يقولونه سفهاً وجهلاً ، لأنهم كانوا وقت كلامه ﷺ معرضين عنه . اهـ. قال الزجاج ﴿ ماذا قال آنفاً ﴾ أي ماذا قال الساعة ، ومنه روضةٌ أُنُفٌ أي لم تُرْعَ ، فالمعنى : ماذا قال في أول وقت يقرب منا ؟ وعن غلام تعلب ﴿ آنفاً ﴾ : مُذْ ساعة . اهـ. زاد المسير لابن الجوزي ٧/٤٠٢ .

١٩ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ [آية ١٧] .

المعنى : زادهُمُ اللهُ هدى[1] ، فيكون الضمير يعود على قوله ﴿ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ .

ويجوز أن يكون المعنى : وزادهم قولُ النبيِّ هُدىً[2] .

ويجوز أن يكون المعنى : وزادهم استهزاءُ المنافقينَ هُدىً[3] .

ثم قال تعالى ﴿ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾ : أي ألهمهم[4] .

ويجوز أن يكون المعنى : ثواب تقواهم[5] .

---

(١) هذا في مقابلة قوله تعالى ﴿ أولئك الذين طَبَع الله على قلوبهم ﴾ ثم قال ﴿ والذين اهتدوا زادهم هُدى ﴾ أي زادهم الله إيماناً فوق إيمانهم ، ويقيناً فوق يقينهم ، وهذا قول الجمهور .

(٢) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٣/٧ عن الزجاج ، وذكره أبو حيان في البحر المحيط ٧٩/٨ بصيغة التضعيف : وقيل .

(٣) هذا قول الفراء في معاني القرآن ٦١/٣ ونقله القرطبي عنه ٢٣٩/١٦ وابن الجوزي ٤٠٣/٧ وهو قول مرجوح ، والراجح القول الأول ، وهو اختيار الطبري ، وابن كثير والجمهور ، قال الطبري ﴿ زادهم هدى ﴾ أي زادهم الله إيماناً إلى إيمانهم .. إلخ.

(٤) هذا هو الأرجح « وآتاهم تقواهم » أي ألهمهم رشدهم حتى ثبتوا على دين الله ، وقال في البحر : أي أعطاهم التقوى أي جعلهم متقين .

(٥) هذا قول السدي حكاه عنه القرطبي ٢٣٩/١٦ مع أقوال أخرى ، وهو قول للفراء في معاني القرآن ٦١/٣ .

٢٠ ـ وقوله جل وعز : ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً[١] فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا .. ﴾ [آية ١٨] .

أي فهل ينتظرون إلَّا أن تأتيهم الساعة فَجْأَةً ؟

﴿ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ﴾[٢] .

قال الفراء : أي علامتها ، الواحد شرطٌ[٣] .

٢١ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴾ ؟ [آية ١٨] .

قال قتادة : أي فأنَّى لهم أن يتذكَّروا[٤] ؟

قال أبو جعفر : فالمعنى على هذا : فمن أين لهم منفعةُ الذِّكرى ، إذا جاءت الساعةُ ، وانقطعت التوبة[٥] ؟

---

(١) قال في المصباح : بغته بغتاً : فاجأ ، وجاء بغتة أي فجأة على غِرَّة . اهـ. والمراد أن تأتيهم الساعة دون سابق إنذار .

(٢) هذا قول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢١٥ ولم أره للفراء في كتابه المعاني ، والأشراط في اللغة : الأمارات والعلامات .

(٣) قال في المصباح : الشَّرَطُ بفتحتين : العلامةُ ، والجمع أشراط ، مثل سَبَبٍ وأسباب ، ومنه أشراط الساعة ، وجمع الشرط شروط ، مثل فَلْس وفلوس . اهـ.

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٢٦/٥٣ وابن الجوزي ٧/٤٠٤ ولفظ الطبري عنه : أنى لهم أن يتذكَّروا أو يتوبوا ، إذا جاءتهم الساعة ؟

(٥) هذا قول الفراء في معانيه ، وقال ابن جزي في التسهيل ٤/٨٧ : ﴿ فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم ﴾ : أي كيف لهم الذكرى إذا جاءتهم الساعة بغتة ؟ فلا يقدرون على عمل ، ولا تنفعهم التوبة ، والمراد به الاستبعاد . اهـ. وهذه الآية كقوله تعالى ﴿ يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى ﴾ أي ليس ينفعه تذكُّرُهُ، ولا توبته ، أو ندامته لفواتِ الأوان .

٢٢ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ فاعلَمْ أنَّهُ لَا إلَهَ إلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ .. ﴾ [آية ١٩] .

والمخاطبة للنبيِّ ﷺ مخاطبةٌ لأمَّته(١) .

أي اثبتُوا على هذا .

٢٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ، فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا القِتَالُ .. ﴾ [آية ٢٠] .

قال قتادة : كل سورة فيها ذكر القتالِ فهي محكمة(٢) .

قال أبو جعفر : وهذه آية مشكلةٌ ، وفي قراءة عبد الله ﴿ وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْدِثَةٌ ﴾(٣) .

والمعنى واحد ، أي لم يقع عليها النسخ ، وذُكر فيها القتال .

---

(١) المراد من الآية ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله ﴾ مع أنه ﷺ عالم ذلك ، هو الثبات عليها والدوام ، والخطاب له ولأمته أي اثبت يا محمد وأتباعك على التوحيد والإخلاص لربك .. إلخ. وكثيراً ما يخاطب الرسول ويراد به هو وأمته كقوله تعالى ﴿ يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ﴾ ولهذا جاءت بصيغة الجمع ، والله أعلم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٤/٢٦ والقرطبي ٢٤٣/١٦ ولفظه : « كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة ، وهي أشدُّ القرآن على المنافقين ، والمراد بأنها آية محكمة أي لا يدخل إليها النسخ فحكمها ثابت إلى قيام الساعة .

(٣) هذه ليست من القراءات السبع ، بل هي من القراءات الشاذة ، ومعنى « محدثة » أي مُحدثة النزول ، وانظر القرطبي ٢٤٣/١٦ والطبري ٥٤/٢٦ .

وإنما كان المسلمون يقولون هذا ، لأنهم كانوا يأنسون بنزول الوحي[١] .

﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ أي ريبٌ وشكٌّ ﴿ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ أي نظر مغتاظين مغمومين ، كما قال تعالى ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ ﴾ وإنما كانوا يكرهون ذكر القتال ، لأنهم إذا تأخروا عنه تَبَيَّن نفاقُهم ، فخافوا القتل .

ثم قال تعالى : ﴿ فَأَوْلَى لَهُمْ ﴾ على التهديد[٢] .

وحقيقته : وَلِيَهم المكروهُ ، أي أولى لهم المكروهُ ، والعربُ تقول

---

(١) كان المسلمون وهم بمكة يتشوقون للجهاد ويتمنون أن تنزل آياتٌ تأذن بقتال أعداء الله ، شوقاً إلى الجهاد وحرصاً على ثوابه ، فكانوا يقولون : ﴿ لولا أنزلت سورة ﴾ أي هلَّا أنزلت سورة فيها الإذن بالجهاد ، لتقرَّ أعيننا من قتال المشركين ؟ فلما نزلت آيات القتال ـــ وهي آيات محكمة ـــ ظهرت خفايا نفوس المنافقين ، فأظهروا الامتعاض من فزعهم ، ورعبهم ، وجبنهم من لقاء الأعداء .

(٢) قال الجوهري « أَوْلَى لك » تهدُّدٌ ووعيد ، قال الأصمعي : معناه قاربه ما يهلكه أي نزل به ، قال ثعلب : ولم يقل أحد في « أَوْلَى » أحسن مما قال الأصمعي ... وقال ابن قتيبة : هذا وعيد وتهديد ، تقول للرجل إذا أردتَ به سوء ففاتك : أولى لك . اهـ. وانظر زاد المسير ٤٠٦/٧ والقرطبي في جامع الأحكام ٢٤٤/١٦ وقال الزمخشري في تفسيره الكشاف ٤٥٧/٣ ﴿ فأولى لهم ﴾ وعيد بمعنى فويل لهم ، وهو أفعل من الولي وهو القرب ، ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه . اهـ.

لكل من قارب الهلكة ثم أفلت : « أَوْلَى لَكَ » أي كِدْتَ تهلِكُ .

كما رُوي أن أعرابياً كان يوالي رمي الصيد ، فيفلت منه ، فيقول : أَوْلَى لك ، ثم رمى صيداً فقاربه ، ثم أفلتَ منه ، فقال :

فَلَـوْ كَانَ « أَوْلَـى » يُطْعِـمُ القَـوْمَ صِيْدَتُهُـمْ
وَلَكِـنَّ « أَوْلَـى » تَتْـرُكُ النَّـاسَ جُوَّعَـاً[1]

٢٤ ـــ ثم قال تعالى : ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ ، فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾ [آية ٢١] .

قال قتادة : أي طاعـةُ الله ، وقـولٌ بالمعـروف في حقائـق الأمور[2] .

أي سمعٌ وطاعة خيرٌ لهم .

وقال الخليل وسيبويه : أي طاعة وقولٌ معروفٌ أَمْثَلُ[3] .

---

(١) استشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٤٤/١٦ ولم أعثر على قائله فيما بين يدي من دواوين الشعر ، ومراد الشاعر أن كلمة « أولى » لو كانت تطعم أحداً من القوم لصاد الأرانب والغزلان ، ولكنَّ هذه الكلمة تترك الناس جياعاً خمص البطون ، وهو معنى بديع .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٦/٢٦ ولفظه : طاعة الله ، وقول بالمعروف عند حقائق الأمور خير لهم .

(٣) هذا هو الأوضح والأظهر ، وهو أن الآية ﴿ طاعة وقول معروف ﴾ مستأنفة وليست من كلام المنافقين ، فهي مبتدأ حذف منه الخبر ، وجاز الابتداء بالنكرة لأنها موصوفة كأنه قال : طاعة صادقة مخلصة ، وقول جميل طيب ، خير لهم وأفضل وأحسن ، وهذا قول مجاهد وإليه ذهب الخليل وسيبويه ، وهذا قول الأكثرين .

وفي المعنى قول آخرُ : وهو أنه حَكَى ما كانوا يقولون ، قبل نزولِ القتال ، وقبل الفرضِ[1] .

فالمعنى على هذا : يقولون : منَّا طاعةٌ وقولٌ معروف .

ويدل على صحة هذا القول ﴿ **فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ** ﴾ .

قال مجاهد : أي جدَّ الأمرُ[2] .

قال أبو جعفر : فالتقدير على هذا : فإذا جدَّ الأمرُ بفرض القتال ، كرهوا ذلك ، ثم حُذف .

٢٥ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ فَلَوْ صَدَقُوا اللهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ ﴾** [آية ٢١] .

قال قتادة : فلو صدقوا اللهَ في الإيمان ، والجهاد[3] .

٢٦ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾** [آية ٢٢] .

---

(١) هذا القول ذكره الطبري ٢٦/٥٥ وهذا على أنه من كلام المنافقين أي يقولون قبل نزول فريضة القتال وقبل وجوبه : طاعة وقول معروف ، فإذا عزم الأمر ، وجدَّ الجدُّ كرهوه وشقَّ عليهم .. وهذا القول مرجوح ، والقول الأول هو الراجح كما في البحر المحيط ، والقرطبي ، والألوسي ، وغيرها .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٢٦/٥٥ والمعنى : فإذا جدَّ الجدُّ ، وفُرِض القتال ، كرهوا ذلك وتقاعسوا ، كما قدره المصنف .

(٣) هذه الجملة جواب الشرط ﴿ فإذا عزم الأمر ﴾ والمعنى : فإذا صار وقت الجد ، فلو أخلصوا نيَّاتهم ، وجاهدوا بإخلاص ويقين ، لكان ذلك خيراً لهم ، من التقاعس والعصيان .

قال بكرُ بن عبد الله المزنيُّ : هؤلاء الحَرُوريَّةُ[1] .

قال محمد بن كعب : أي فهل عسيتم إن توليتم الأمور ، أن يقتل بعضكم بعضاً ، كقتلِ قريش بني هاشم ، وكقتل بني هاشم قريشاً[2] .

وفي المعنى قولٌ آخر : وهو فهل تريدون ، إن توليتم عن النبي ﷺ ، وكفرتم بما جاءكم به ، على أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه ، من الكفر ، فتفسدوا في الأرض بالكفر ، وتقطّعوا أرحامكم ، بأن تئدوا بناتكم[3] ؟

وقرأ علي بن أبي طالب عليه السلام ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إنْ

(١) ذكر هذا القول ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٧ والقرطبي ٢٤٥/١٦ والمراد بالحرورية : الخوارج ، وفي هذا القول بُعْدٌ ، وما قاله أبو حيان في البحر المحيط ٨٢/٨ هو الأظهر ، قال : ﴿ فهل عسيتم ﴾ التفاتٌ للذين في قلوبهم مرض . أقبلَ بالخطاب عليهم على سبيل التوبيخ ، وتوقيفهم على سوء صنيعهم . اهـ.

(٢) هذا قول الكلبي . وقال قتادة : كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ، ألم يسفكوا الدم الحرام ، وقطعوا الأرحام ، وعصوا الرحمن ؟! يشير إلى ما جرى من القتال بعد زمان الرسول ﷺ . اهـ. نقلاً عن البحر المحيط ٨٢/٨ .

(٣) هذا القول ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٧/٧ عن بعض المفسرين ، واختاره الطبري في جامع البيان ٥٦/٢٦ وذكره القرطبي ٢٤٥/١٦ واختار ابن كثير ٣٠٠/٧ أن المراد : فهل عسيتم إن توليتم عن الجهاد ونكلتم عنه .. إلخ. لأن الآيات قبلها في الجهاد .

تُوُلِّيتُمْ ﴾[1] أي وُلِّي عليكم .

٢٧ ـــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ، الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾** [آية ٢٥] .

قال قتادة : هؤلاء أهل الكتاب ، عندهم صفة محمد ﷺ ، فأنكروها وكفروا ، من بعد ما تبيَّن لهم الهُدَى[2] .

وقال الضحاك : هم أهلُ النِّفاقِ[3] .

﴿ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ ﴾ قال قتادة : أي زيَّن لهم .

ثم قال تعالى ﴿ وَأَمْلَى لَهُمْ ﴾ .

المعنى : وأملى اللهُ لهم ، أي مدَّ الله لهم في آجالهم ، مَلَاوةً[4]

---

(١) هذه القراءة ﴿ إن توليتم ﴾ بضم التاء والواو ، وكسر اللام ، من القراءات العشر ، كما ذكره ابن الجزري في النشر ٣٧٤/٢ وقال : هي رواية رويس ، والباقون قرءوا بفتح التاء والواو ﴿ إن توليتم ﴾ من التولي بمعنى الإعراض ، وبالضم من الولاية .

(٢) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٥٨/٢٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٠٨/٧ والسيوطي في الدر المنثور ٦٦/٦ ولفظه : « قال هم أعداء الله أهل الكتاب ، يعرفون نَعْتَ محمد ﷺ وأصحابه عنده ، ويجدونه مكتوباً في التوراة والإنجيل ثم يكفرون به » .

(٣) هذا قول ابن عباس ، والسدي ، وابن زيد أيضاً ، وهو الأظهر والأرجح ، لأن لفظه (ارتدوا) تدل على أنهم دخلوا في الإسلام ثم رجعوا عنه ، وهذه خاصة بالمنافقين ، والسورة معظمها في الحديث عن المنافقين ، وهذا ما رجحه الطبري وغيره .

(٤) مَلَاوة : أي زمناً وحيناً من الدهر ، قال الجوهري : يُقال : أقمتُ عنده ملاوة من الدهر أي حيناً وبرهة . اهـ. الصحاح .

من الدهر ، كما قال تعالى ﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ .

وقرأ مجاهد : ﴿ **الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وأُمْلِي لَهُمْ** ﴾(١) .

وهذه قراءةٌ حسنةٌ ، والمعنى : وأنَا أُمْلِي لهم .

وَحَكى الفراء أنه قُرِئ ﴿ **وَأُمْلِيَ لَهُمْ** ﴾(٢) وهي قراءة شيبةَ ، وأبي عمرو .

٢٨ ــ **ثم قال جل وعز :** ﴿ **ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ ..** ﴾ [آية ٢٦] .

[أي في التضافر على عداوة محمد ﷺ](٣) .

وقال سفيان : يعني الفرائض(٤) .

قال قتادة : هم المنافقون(٥) .

---

(١) هذه القراءة ليست من السبع ، إنما هي من الشواذ ، ذكرها الفراء في معانيه ٦٣/٣ وابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢٧٢/٢ .

(٢) انظر معاني القرآن للفراء ٦٣/٣ فقد ذكر القراءتين ﴿ وأُملي لهم ﴾ مرسلة الياء ، و ﴿ أُمْلِيَ لهم ﴾ بالبناء للمجهول .

(٣) ما بين الحاصرتين سقط من المخطوطة ، وقد أثبتناه من تفسير القرطبي ، ومن إعراب القرآن للنحاس .

(٤) هذا تفسير لقوله ﴿ كَرِهوا ما نزَّل الله ﴾ يعني كرهوا ما فرضه الله ، وشرعه لعباده ، ولم أره في أقوال المفسرين .

(٥) هذا القول هو الأظهر كما قاله الألوسي في روح المعاني ٧٥/٢٦ ومعنى الآية : ذلك الارتداد بسبب أن المنافقين قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله ــ وهم بنو قريظة وبنو النضير من اليهود ــ =

٢٩ ـ **وقوله جل وعز : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ**[1] ﴾ [آية ٢٩] .

أي عداوتهم .. أي يظهروا عداوتهم لأهل الإسلام .

٣٠ ـ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ .. ﴾** [آية ٣٠] .

أي لعرَّفناكهم ، يُقال : قد أريتُك كذا أي عَرَّفتكَهُ .

﴿ **فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ** ﴾ أي بعلامتهم .

٣١ ـ **ثم قال تعالى : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ .. ﴾** [آية ٣٠] .

أي فحواه ، ومعناه ، كما قال الشاعر :

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وَتَلْحَنُ أَحْيَاناً
وَخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً[2]

= الذين كرهوا نزول القرآن ، سنطيعكم في بعض الأمر ، أي في بعض أموركم وأحوالكم ، وهو ما حكاه القرآن الكريم ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم .. ﴾ الآية ، وهو اختيار أبي حيان في البحر المحيط ٨٣/٨ .

(١) في المصباح : الأضغان جمع ضِغْنٍ وهو الحقد ، مثل حِمْلٍ وأحمال ، وقال الجوهري : الضِّغْن ، والضَّغينة : الحقدُ ، وتَضَاغَنَ القومُ : انطوَوْا على الأحقاد . اهـ.

(٢) البيت لمالك بن أسماء بن خارجة الفَزَاري ، وقبْلَه ـ كما في الصحاح ـ مادة لَحَنَ :

وحَدِيثٍ أَلَــذُّهُ هُوَ مِمَّا ... يَنْعَتُ النَّاعِتُونَ يُوزَنُ وَزْناً
مَنْطِقٌ رَائِعٌ وتَلْحَنُ أَحْيَا ... ناً ، وخَيْرُ الحَدِيثِ مَا كَانَ لَحْناً =

أي ما لم يُصَرَّح بِهِ ، وما عُرِفَ بالمعنى ، ونحوِ الكلامِ .

وقولهم : لحنَ فلانٌ في هذا : إنَّما معناه : أخَذَ في ناحيةٍ غير الصَّواب .

٣١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ واللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أعْمَالَكُمْ ﴾ [آية ٣٥] .

قال مجاهد : لن يُنْقِصَكم(١) .

قال أبو جعفر : من هذا حديثُ النبي ﷺ (من فاتَتْهُ صلاةُ العصرِ ، فكأنَّما وُتِرَ أهلَهُ)(٢) .

٣٢ ــ وقوله جل وعز : ﴿ إنْ يَسْألْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أضْغَانَكُمْ ﴾ [آية ٣٧] .

= يريد أنها تتكلم بشيء وهي تريد غيره ، وتُعرِّض في حديثها ، فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها ، واستشهد به القرطبي في جامع الأحكام ٢٥٣/١٦ وأبو حيان في البحر المحيط ٧١/٨ .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٦٤/٢٦ وقال ابن عباس : ﴿ ولن يَتِرَكُمْ أعمالكم ﴾ أي لن يظلمكم أجور أعمالكم ، قال ابن قتيبة : أي لن يُنْقِصكم ولن يظلمكم ، يُقال : وَتَرْتني حقِّي : أي بخستني حقِّي ، والمراد لن يُنقصكم من ثواب أعمالكم شيئاً .

(٢) الحديث أخرجه البخاري في المواقيت ١٤٥/١ ومسلم في المساجد ٤٣٥/١ بلفظ (الذي تفوتُه صلاةُ العصر ، كأنما وُتر أهلَه وماله) .

﴿ فَيُحْفِكُمْ ﴾ أي يُجْهِدكم ، ومنه حَفِيَتِ الدَّابةُ[1] .

﴿ وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴾ قيل : أي عداوتكم .

وقال الضحاك : غِشَّ قلوبكم ، إذا سُئِلْتُم أموالَكُمْ[2] .

٣٣ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ .. ﴾ [آية ٣٨] .

قال قتادة : أي إن تتولوا عن طاعة الله[3] .

ثم قال : ﴿ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ [آية ٣٨] .

قال مجاهد : من شاء .

---

(١) قال الفراء ﴿ فيُحْفكم ﴾ أي يُجهدكم ، أحفيتُ الرجل : أجهدته ، وقال ابن قتيبة : ﴿ يُحْفِكم ﴾ يلحُّ عليكم بما يوجبه من أموالكم . يُقال : أحفاني بالمسألة وألحف : إذا ألحَّ . اهـ. وانظر زاد المسير ٤١٤/٧ والبحر المحيط ٨٦/٨ .

(٢) الأظهر في معنى الآية ﴿ تبخلوا ويُخرج أضغانكم ﴾ أي تبخلوا عن الإنفاق ، ويُخرج الله ما في قلوبكم من البخل وكراهية الإنفاق ، وذلك لأن الإنسان جُبِل على محبة المال وادِّخاره ، ومن نُوزع في حبيبه ، ظهرت سرائره ، فمن رحمته تعالى بالعباد : عدم التشديد عيهم في التكليف ، فلذلك لم يأمرهم بإنفاق جميع أموالهم . وانظر الطبري ٦٥/٢٦ .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٩٦/٢٦ وابن كثير ٣٠٦/٧ وابن الجوزي ٤١٥/٧ وهو الأظهر في معنى التولي .

وروى العلاءُ عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : (قالـــوا يا رسول الله : مَنْ هؤلاءِ الذينَ إن تولَّيْنا استُبْدِلُوا ، ثم لا يكونـوا أمثالنـا ؟ فضرَبَ بيده على فخِذِ سَلْمَـان رضي الله عنـه ، فقـال : هم قومُ هذا ، لو كان الدِّينُ بالثريَّا لتناوله رجالٌ من الفُرْسِ)[1] .

* * *

« تمت سورة محمد ﷺ »

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي ٣٥٨/٥ وقال : هذا حديث غريب في إسناده مقال ، وأخرجه ابن أبي حاتم ، والطبراني في الأوسط ، والبيهقي في الدلائل . ورواه ابن جرير ٦٦/٢٦ والحافظ ابن كثير ٣٠٦/٧ وانظر الدر المنثور ٦٧/٦ وروح المعاني للألوسي ٨٢/٢٦ والقرطبي ٢٥٨/١٦ .

تفسير سورة الفتح

مدنية وآياتها ٢٩ آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح وهي مدنية

مدنيةٌ في رواية مجاهد عن ابن عباس(١) .

وروى الزُّهريُّ ، عن عُـرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ، ومـروانَ قالا : « نزلت سورةُ الفتح بين مكة والمدينة ، كلُّها في شأن الحديبية »(٢) .

١ ــ **من ذلك قوله جل وعز : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾** [آية ١] .

روى قتادةُ عن أنس قال : نزلت **﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ .. ﴾** بعد رجوع النبيِّ ﷺ من الحديبية ، فقال رسول الله ﷺ : لقد نزلت عليَّ آيةٌ

---

(١) هذا قول الجمهور ، قال القرطبي ٢٥٩/١٦ : سورة الفتح مدنية بإجماع ، نزلت بين مكة والمدنية في شأن الحديبية ، وقال الحافظ ابن كثير ٣٠٧/٧ : نزلت هذه السورة الكريمة ، لمَّا رجع رسول الله ﷺ من الحديبية في ذي القعدة ، من سنة ستٍّ من الهجرة ، حين صدَّه المشركون عن الوصول إلى المسجد الحرام ، ليقضي عمرته فيه وحالوا بينه وبين ذلك ، ثم مالوا إلى المصالحة والمهادنة ، وأن يرجع عامه هذا ثم يأتي من قابل . فأجابهم إلى ذلك على تكرُّهٍ من جماعة من الصحابة ، منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فلما نحر هديه ورجع أنزل الله عز وجل عليه هذه السورة الكريمة .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ، والحاكم وصححه ، والبيهقي في الدلائل ، عن المسور بن مخرمة ، وانظر الدر المنثور ٧٦/٦ والقرطبي ٢٥٩/١٦ ولفظه : عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا : نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها .

أحبُّ إليَّ من جميع الدنيا ثم تَلَاها ، فقال رجلٌ من المسلمين : هنيئاً مريئاً ، هذا لكَ يا رسولَ الله ، فماذا لنا ؟ فأنزل الله جلَّ وعزَّ ﴿ لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾[1] إلى آخر الآية .

قال مجاهد في قوله تعالى ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ قال : قضينا لك قضاءً بيِّناً[2] .

قال سفيان : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ ﴾ أي ما كان في الجاهلية ، ﴿ **وَمَا تَأَخَّرَ** ﴾ قال : ما كان في الإسلام ، ممَّا لم تعمله بعد[3] .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب المغازي باب « غزوة الحديبية » ١٦٠/٥ ومسلم في كتاب الجهاد « صلح الحديبية » ١٧٦/٥ ورواه أحمد في المسند ١٩٧/٣ وذكره المفسرون ، الطبري ، والقرطبي ، وابن كثير وغيرهم .

(٢) الأثر أخرجه الطبري ٦٨/٢٦ عن مجاهد ، والسيوطي في الدر المنثور ٦٩/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤١٩/٧ والقرطبي ٢٦٠/١٦ وروي عن البراء رضي الله عنه أنه قال : تعدُّون أنتم الفتح « فتح مكة » وقد كان فتح مكة فتحاً ، ونحن نعدُّ الفتح « بيعة الرضوان » يوم الحديبية ، كنا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائة ، والحديبية بئر ، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها ، ثم دعا بماء فتوضأ ، ثم تمضمض ودعا ، ثم صبَّه فيها ، فتركناها غير بعيد ، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن وركائبنا » أخرجه البخاري في المغازي ١٥٦/٥ وكان ذلك من المعجزات الباهرة لرسول الله ﷺ .

(٣) أخرجه عبد حُميد عن سفيان ، وانظر الدر المنثور ٧٠/٦ قال ابن كثير : وهذا من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه التي لا يشاركه فيها غيره ، وفيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ ، وهو في جميع أموره على الطاعة ، والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه ، لا من الأولين ولا من الآخرين ، وهو أكمل البشر على الإطلاق ، وسيدهم في الدنيا والآخرة . ابن كثير ٣١٠/٧ .

قال أبو جعفر : في قوله جلَّ وعز ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً ﴾ ثلاثة أقوال متقاربة :

أ ـــ منها ما تقدم أنه فتح الحديبية[1] ، والحديبيةُ بئرٌ سُمِّي المكان باسمها .

قال أبو جعفر : ولا أعرف أحداً من أهل اللغة يُشدِّدُ الياءَ منها ، وكان في فتحها أعظمُ الآياتِ ، لأنَّ النبي ﷺ فيما رُوِيَ وَرَدَ على هذه البئر ، وقد نُزِف ماؤها ، فتمضمض ﷺ وَتَفَل فيها ، فأقبل الماءُ ، حتى شرب كلُّ من كان معه ، ولم يكن بينهم إلَّا تَرَامٍ ، حتى كان الفتح »[2] هذا قولٌ .

(١) هذا أظهر الأقوال وأشهرها ، وإليه جنح عدد من المفسرين ، منهم الحافظ ابن كثير ، ويدلُّ عليه حديث البراء بن عازب المتقدم الذي رواه البخاري (تعدُّون الفتح فتح مكة ، ونحن نعدُّ الفتح يوم الحديبية) وذلك لما ترتب على صلح الحديبية من آثار عظيمة ، وفوائد جسيمة ، من بيعة الرضوان ، ودخول كثير في الإسلام ، قال الزهري : لم يكن فتح أعظم من فتح الحديبية ، اختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا كلامهم ، وتمكن الإسلام من قلوبهم ، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير ، وكثر بهم سواد الإسلام . اهـ. وروي أنها لما نزلت قال بعض الناس : ما هذا الفتح وقد صدنا المشركون !! فبلغ ذلك الرسول فقال : بل هو أعظم الفتوح ، وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالرَّاح ـــ أي الرجوع ـــ ورغبوا إليكم في الأمان ، وقد رأوا منكم ما كرهوا .. وانظر الدر المنثور ٦٨/٦ .

(٢) الحديث أخرجه البخاري بغير هذا اللفظ ، وقد تقدم آنفاً ، وانظر تفسير ابن كثير ٣٠٧/٧ ومعاني القرآن للفراء ٦٤/٣ .

ب ـ **وقيل المعنى :** ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً** ﴾ باجتناب الكبائر ﴿ **لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ** ﴾ الصغائر[١] .

جـ ـ **وقيل :** ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً** ﴾ بالهداية إلى الإسلام[٢] .

فهذه الأقوال متقاربة ، وقول مجاهدٍ يجمعها ، لأنَّ فتح الحديبية قضاءٌ من قضاء الله ، وهدايـةٌ من هدايتـه ، يهدي بها من شاء ، وكذلك اجتنابُ الكبائر .

وقد روي عن ابن عباس ، ما يقوِّيه ، قال : ما كنتُ أدري ما معنى ﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا** ﴾ حتى قالت لي ابنة مشرح : فَتَحَ اللهُ بيني وبينك[٣] .

وقوله تعالى ﴿ **رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالحَقِّ** ﴾[٤] .

---

(١) هذا قول غريب لم أره لأحد من المفسرين ، لأن الفتح إنما يكون فيما فيه جهاد وغزو ، أو يكون بطريق الصلح ، كما قال أهل اللغة ، فتفسيره باجتناب الكبائر ، قولٌ لا يتفق مع اللغة ، ولا مع الآثار التي ذكرها المفسرون ، والله أعلم .

(٢) هذا قول مرجوح نُقل عن بعض المفسرين ، منهم مقاتل كما في زاد المسير لابن الجوزي ٤٢٣/٧ والصحيح أن المراد به « فتح مكة » أو « صلح الحديبية » لأن السورة نزلت على رسول الله ﷺ مرجعه من الحديبية ، فإن كان يراد به « فتح مكة » فيكون ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله وللمؤمنين ، بقرب فتحها ، وجيء به بلفظ الماضي « إنا فتحنا » لتحقق الوقوع كما في قوله سبحانه ﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ فكل ما أخبر عنه الباري جل وعلا لا بدَّ وأن يحصل ، وإن كان يراد به « صلح الحديبية » فلما كان له من العاقبة المحمودة ، والنتائج الحسنة التي ترتبت على هذا الصلح .

(٣) في المصباح : فتح الحاكم بين الناس فتحاً : قضى ، والفاتح والفتَّاح : الحاكم والقاضي .

(٤) سورة الأعراف آية رقم ٨٩ وتتمة الآية ﴿ وأنت خير الفاتحين ﴾ أي الحاكمين .

٢ ــ وقد تكلم العلماء في قوله تعالى : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ [آية ٢] .

فقال أبو حاتم : المعنى : لِيَغْفِرَنَّ لَكَ اللهُ[1] .

وقال أبو الحسن بن كيسان[2] : لا يجوز أن تكون إلَّا « لامَ كَيْ » قال : قال الله جل وعزَّ ﴿ إذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ . وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً . فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إنَّهُ كَانَ تَوَّاباً ﴾ فأمر الله أن يستغفره إذا كان الفتح ، ووَعدهُ بالمغفرة فكان قولُه ﴿ إنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً . لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ ﴾ متعلقاً بذالك[3] .

وقيل : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ ممَّا

---

(١) خطَّأ العلماء « أبا حاتم السجستاني » في هذا القول ، لأنه على رأيه تكون اللام في « ليغفر » لام القسم أي ليغفرنَّ لك الله ، وهذا لا يصحُّ ، لأن لام القسم لا تُكسر ، ولا يُنصب بها الفعلُ ، قال القرطبي ٢٦٢/١٦ : ولو جاز هذا الجازَ : لِيَقُومَ زيدٌ ، بتأويل ليقومنَّ زيدٌ ، وهذا لا يصحُّ في لغة العرب .

(٢) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم « أبو الحسن » المعروف بابن كيسان ، من كبار علماء العربية ، أخذ عن المبرِّد وثعلب ، وانظر ترجمته في الأعلام ١٩٧/٦ .

(٣) هذا القول عن ابن كيسان هو قول ثعلب ، وهو المشهور من أقوال المفسرين ، قال ابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٣/٧ قال ثعلب : ﴿ ليغفر لكَ الله ﴾ اللَّام لامُ « كي » والمعنى : لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح ، فلما انضمَّ إلى المغفرة شيء حادث ، حَسنُ معنى « كيْ » وغلط من قال : ليس الفتح سبب المغفرة . اهـ.

كان .. أي ممَّا كان مقدَّماً ومؤخراً[1] ، وقد وقع ذلك كلُّهُ .

وقيل : ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾ كلَّه للمستقبل ، أي لتقع المغفرة في الاستقبال ، فيما يكون من الذنوب أولاً وآخراً[2] .

٣ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً . وَيَنْصُرَكَ اللهُ نَصْراً عَزِيزاً ﴾** [آية ٢ و ٣] .

أي نصراً ذا عزٍّ ، لا ذُلَّ معه[3] .

٤ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَعَ إِيمَانِهِمْ .. ﴾** [آية ٤] .

---

(١) هذا قول مجاهد كما في القرطبي ١٦/٢٦٢ قال : ﴿ ما تقدم من ذنبك ﴾ قبل الرسالة ﴿ وما تأخر ﴾ بعدها ، وحكى ابن الجوزي عن ابن عباس أنه قال ﴿ ما تقدَّم ﴾ في الجاهلية ﴿ وما تأخَّر ﴾ أي ما لم تعمله ، وهذا على سبيل التأكيد كما تقول : فلان يضرب من يلقاه ومن لا يلقاه . اهـ. زاد المسير ٧/٤٢٣ وهو قول حسن ، وبه قال سفيان الثوري ، واختاره الواحدي .

(٢) على هذا القول يكون المراد من الآية : ليغفر الله لك جميع ما تفعله في المستقبل ، بسبب جهادك ، وصبرك ، وكفاحك ، وتحملك الأذى في سبيل الله ، وهو قول لبعض المفسرين ، ذكره القرطبي ١٦/٢٦٣ .

(٣) هذا قول الزجاج كما في تفسير ابن الجوزي ٧/٤٢٤ وقال القرطبي في جامع الأحكام نقلاً عن صاحب الكشاف : فإن قلت : كيف جعل فتح مكة علَّةً للمغفرة ؟ قلت : لم يجعل ذلك عِلَّةً للمغفرة ، ولكن لما عدَّد من الأمور الأربعة ، وهي : المغفرة ، وإتمام النعمة ، وهداية الصراط المستقيم ، والنصر العزيز ، كأنه قال : يسرنا لك فتح مكة ، ونصرناك على عدوك ، لنجمع لك عز الدارين . اهـ. جامع الأحكام ١٦/٢٦٢ .

﴿ السَّكِينَةُ ﴾ : أي السكونُ والطمأنينةُ .

٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَللهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ ، وَكَانَ اللهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ [آية ٤] .

أي كلُّ ما فيها يدلُّ على أنَّ له خالقاً ، وأنه واحدٌ(١) .

٦ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ لِيُدْخِلَ المُؤْمِنِينَ والمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ .. ﴾ [آية ٥] .

أي فَتَحَ لك بالإسلام والهداية بهذا(٢) .

ويدلُّ عليه أيضاً قوله سبحانه ﴿ ويُعَذِّبَ المُنَافِقِينَ

---

(١) هذا قول مرجوح ، فإن كل ما في هذا الكون ناطق بعظمة الله ، شاهد على وحدانيته ، والآية وردت لغير هذا المعنى ، فقد قال ابن عباس : جنوده « الملائكة ، والجن ، والشياطين ، والإنس » قال الحافظ ابن كثير ٣١١/٧ : « ولو أرسل الله عليهم ملكاً واحداً ، لأباد خضراءهم ، ولكنه تعالى شرع لعباده المؤمنين الجهاد والقتال ، لما له في ذلك من الحكمة البالغة والحجة القاطعة . وقال ابن الجوزي ٤٢٥/٧ : يريد أن جميع أهل السموات والأض جنود وملك له ، لو أراد نصرة نبيه بغيركم لفعل ، ولكنه اختاركم لذلك فاشكروه . اهـ.

(٢) الآية متعلقة بما قبلها ، وقد قدَّره ابن جرير الطبري بأنالمعنى : فتحنا لك فتحاً مبيناً ، لتشكر ربك ، وتحمده على ذلك ، فيغفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وليحمد المؤمنون ربهم ، ويشكروه على إنعامه ، فيدخلهم بذلك جنات تجري من تحتها الأنهار ، وقدَّره الألوسي في روح المعاني ٩٤/٢٦ بأن المراد من كون جنود السموات والأرض له جلَّ وعلا معنى التصرف والتدبير ، فكأنه قال : دبَّر سبحانه ما دبَّر من تسليط المؤمنين ، ليعرفوا نعمة الله ويشكروها ، فيدخلهم الجنة بجهادهم وقتالهم .

﴿وَالمُنَافِقَاتِ ، والمُشْرِكِينَ والمُشْرِكَاتِ الظَّانِينَ باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ [آية ٦] .

لأنهم ظنُّوا أنَّ النبيَّ ﷺ لا يرجع ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي الهلاك .

ويُقرأُ : السُّوْءُ[١] ، والفرقُ بينهما أن « السَّوْءَ » الشيءُ بعينه ، والسُّوْءُ : الفعلُ[٢] .

٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿إنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ [آية ٨] .

قال قتادة : أي شاهداً على أمتك ﴿ومبشراً﴾ المحسن منهم ﴿ونذيراً﴾ المسيءَ[٣] .

قال أبو جعفر : هذا قولٌ حسنٌ ، وهذه حالٌ مقدَّرة[٤] .

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ﴿دائرةُ السُّوءِ﴾ بضم السين ، وقرأ الباقون ﴿دائرةُ السَّوءِ﴾ بالفتح ، وكلاهما من القراءات السبع ، وانظر السبعة لابن مجاهد ص ٦٠٣ .

(٢) قال الجوهري : ساءَهُ يسوءُهُ سَوْءاً بالفتح : نقيضُ سرَّه ، والاسم السُّوءُ ، وقرئ ﴿عليهم دائرةُ السُّوء﴾ أي الهزيمة والشرِّ ، ومن فَتَح فهو من المَسَاءَة ، وتقول : هذا رجلُ السَّوء ، ولا يُقال : هذا رجل السُّوء بالضم . اهـ. الصحاح .

(٣) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٧٤/٢٦ ، والقرطبي ٢٦٦/١٦ والألوسي ٩٥/٢٦ ولفظه وقال قتادة ﴿شاهداً﴾ على أمتك ، وشاهداً على الأنبياء عليهم السلام ، أنهم قد بلَّغوا ﴿ومبشراً﴾ بالثواب على الطاعة ﴿ونذيراً﴾ بالعذاب على المعصية . اهـ.

(٤) يريد المصنف أن قوله تعالى ﴿شاهداً ، ومبشراً ، ونذيراً﴾ في محل نصب على الحال ، أي أرسلناك حال كونك شاهداً على أمتك .. إلخ.

حكى سيبويه : مررتُ برجلٍ معه صقرٌ ، صائداً به غداً .

فالمعنى : إنَّا أرسلناك مقدِّرينَ لشهادتك يوم القيامة ، وعلى هذا تقول : رأيت عَمْراً قائماً غَداً .

٨ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ، وَتُعَزِّرُوهُ ، وتُوَقِّرُوهُ ، وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾** [آية ٩] .

روى شعبةُ عن أبي بشرٍ عن عكرمة في قوله تعالى ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ قال : وتقاتلوا معه بالسيف[1] .

قال قتادة : وتنصروه[2] .

وقرأ جويبر : أي وتفخِّموه[3] .

وقرأ عاصم الجَحْدَرِيُّ ﴿ وتَعْزُرُوهُ ﴾[4] .

وأصله في اللغة من التبجيل ، والتَّطْهِيرِ ، ومنه « التعزيرُ » الذي هو دون الحدِّ[5] .

(١ ــ ٣) هذه الآثار عن السلف ذكرها الطبري ٢٦/٧٥ والدر المنثور ٦/٧١ والقرطبي ١٦/٢٦٦ قال الطبري : « وهذه الأقوال متقاربات المعنى ، وإن اختلفت ألفاظ أهلها بها ، ومعنى التعزير في هذا الموضع : التقوية ، بالنصرة ، والمعونة ، ولا يكون ذلك إلا بالطاعة ، والتعظيم ، والإجلال » . اهـ.

(٤) هذه القراءة شاذة ، ذكرها ابن جني في المحتسب في شواذ القراءات ٢/٢٧٥ .

(٥) قال في الصحاح : التعزيرُ : التعظيم ، والتوقير ، والتعزير أيضاً : التأديب ، ومنه سمي الضرب دون الحدِّ تعزيراً . اهـ.

وقرأ محمد اليماني ﴿ وَتُعَزِّزُوهُ ﴾[1] بزاءين معجمتين ، يقال : عزَّزَه : أي جعله عزيزاً وقوَّاه ، ومنه قوله تعالى ﴿ فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .

ويجوز أن يكون ﴿ وتُعَزِّرُوهُ وتُوَقِّرُوهُ ﴾ للهِ جلَّ وعزَّ وحدَهُ ، ويجوز أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم[2] .

٩ ــ فأمَّا قوله تعالى : ﴿ وتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلاً ﴾ [آية ٩] .

فلا يجوز أن تكون إلا لله جل وعز[3] .

لأنه ليس يخلو من أن يكون معناه كما قال جويبر : وتُصَلُّوا له .

أو يكون معناه : وتُعظِّموه وتُنَزِّهوه .

---

(١) هذه من القراءات الشاذة أيضاً كما في المحتسب ٢٧٥/٢ قال الألوسي في روح المعاني ٩٦/٢٦ : وقرأ ابن عباس ومحمد اليماني ﴿ وتعززه ﴾ بزائين من العزة ، أي تجعلوه عزيزاً ، وذلك بالنسبة إليه سبحانه بجعل دينه ورسوله عزيزاً .

(٢) قال بعض المفسرين : الضمائر في قوله ﴿ وتُعزروه وتُوقِّروه وتُسبِّحوه ﴾ كلها لله تعالى ، فعلى هذا يكون تأويل الآية ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ أي تثبتوا له صحة الربوبية ، وتنفوا عنه الشريك والولد ، واختار هذا القول القشيري ، والراجح قول الضحاك أن الضمير في قوله ﴿ وتعزروه وتوقروه ﴾ عائد على النبي ﷺ ، وهنا وقف تام ثم تبتدىء ﴿ وتسبحوه ﴾ أي تسبحوا الله ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، فيكون بعض الكلام راجعاً إلى الله سبحانه ، وبعضه إلى الرسول عليه السلام .

(٣) هذا هو الصحيح أن الضمير في قوله تعالى ﴿ وتسبحوه ﴾ لا يجوز أن يكون إلا لله ، أي وتنزهوا الله كما قال الطبري ٧٦/٢٦ ﴿ وتسبحوه ﴾ من ذكر الله وحده ، دون الرسول .

١٠ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ .. ﴾** [آية ١٠] .

أي عقدكَ عليهم البيعة ، عقدٌ للهِ جلَّ وعزَّ(١) .

١١ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ .. ﴾** [آية ١٠] .

أي يدُ اللهِ في الثَّواب(٢) .

وقيل : في الوفاء(٣) .

وقيل : في المِنَّةِ عليهم بالهداية(٤) .

---

(١) قال القرطبي : بيَّن تعالى أن بيعتهم لنبيه ﷺ إنما هي بيعة الله ، كما قال تعالى ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان .

(٢ ــ ٤) هذه الأقوال ذكرها القرطبي ٢٦٧/١٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٢٧/٧ ولفظه : ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ فيه أربعة أقوال :

أحدها : يد الله في الوفاء فوق أيديهم .

والثاني : يد الله في الثواب فوق أيديهم .

والثالث : يد الله عليهم في المنة بالهداية ، فوق أيديهم بالطاعة .

والرابع : قوة الله ونصرته فوق قوتهم ونصرتهم ، ذكره ابن جرير ، وابن كيسان . اهـ. تفسير ابن الجوزي .

وذكر الطبري في جامع البيان ٧٤/٢٦ فقال : « في قوله ﴿ يد الله فوق أيديهم ﴾ وجهان من التأويل :

أحدهما : يد الله فوق أيديهم عند البيعة ، لأنهم كانوا يبايعون الله ببيعتهم نبيه ﷺ .

والثاني : قوة الله فوق قوتهم في نصرة رسوله ﷺ ، لأنهم إنما بايعوا رسول الله ﷺ على نصرته على العدو . اهـ.

﴿ **فَوْقَ أَيْدِيهِمْ** ﴾ في الطاعة .

﴿ **فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ** ﴾ يُقال : نكثَ إذا نقض ما اعتقده .

١٢ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا** .. ﴾ [آية ١١] .

قال مجاهد : هم أعرابُ المدينة ، وجُهينة ومُزَيْنةُ(١) .

ثم قال تعالى ﴿ **شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا** ﴾ أي ليس لنا من يحفظ أموالنا ، ويقومُ بأهالينا .

١٣ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ** .. ﴾ [آية ١٥] .

قال مجاهد : دعاهم النبيُّ ﷺ إلى الخروج إلى مكَّة ، فأبوا ، وقالوا : كيف نخرج معه إلى قومٍ جاءوا إليه فقتلوا أصحابه ؟ فلمَّا خرج النبي ﷺ وأخذ قوماً على غفلة ، ووجَّه بهم ، قالوا ﴿ **ذَرُونَا**

---

(١) قال الألوسي ٢٦/٩٧ : والمخلَّفون من الاعراب هم « جُهينة ، ومزينة ، وغفار ، وأشجع » استنفرهم رسول الله حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية ، ولم يكن الإيمان تمكَّن من قلوبهم فقعدوا عن النبي ﷺ وتخلفوا ، وقالوا : لن يرجع محمد ولا أصحابه من هذه السفرة ، ففضحهم الله تعالى في هذه الآية ، وأعلم رسوله بقولهم قبل أن يصل إليهم ، فكان الأمر كذلك . اهـ .

نَتَّبِعْكُمْ ﴾[1] .

١٤ ـــ ثم قال جل وعز : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللهِ .. ﴾ [آية ١٥] .

وهو على قول ابن زيد[2] ، قوله جلَّ وعزَّ ﴿ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَداً وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِي عَدُوًّا ﴾[3] .

١٥ ـــ وقوله جل وعز : ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ، تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ [آية ١٦] .

روى سفيانُ عن شعبة عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير ، قال سفيان ـــ أراه عن ابن عباس ـــ ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ قال : هوازنُ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٧٧/٢٦ عن مجاهد ، والقرطبي ٢٦٨/١٦ والدر المنثور ٧٢/٦ قال السيوطي : وهم أعراب المدينة استنفرهم لخروجه إلى مكة ، فقالوا : نذهب معه إلى قوم جاءوا فقتلوا أصحابه فنقتلهم ، فاعتلُّوا له بالشغل ، فأقبل معتمراً فأخذ أصحابه أناساً من الحرم غافلين ، فأرسلهم النبي ، فذلك الإظفار ببطن مكة ، ووُعد ﷺ وهو بالحديبية بمغانم خيبر ، فقال المخلَّفون ﴿ ذَرُونا نتَّبعكم ﴾ وهي المغانم التي قال الله فيها ﴿ إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ﴾ . اهـ.

(٢) ذكره في البحر المحيط عن ابن زيد ٩٣/٨ ثم قال : وهذا لا يصح ، لأن هذه الآية نزلت مرجع رسول الله ﷺ من تبوك في آخر عمره ، وهذه السورة نزلت يوم الحديبية .

(٣) الآية التي استشهد بها المصنف من سورة التوبة رقم ٨٣ .

(٤) هذا الأثر ذكره الطبري ٨٣/٢٦ وعزاه إلى سعيد بن جبير ، وعكرمة ، وذكره ابن الجوزي ٤٣١/٧ قال : إنهم « هوازن ، وغطفان » وذلك يوم حنين ، وكذلك في البحر المحيط ٩٤/٨ قال : هم هوازن ، ومن حارب الرسول في حنين ، وهو قول عكرمة ، وابن جبير ، والمشهور عن ابن عباس أنهم : الفرس .

وقال عطاء : هم فارس[1] .

وقال الحسن : فارسُ والرُّومُ[2] .

ومن أصح ما قيل فيه : أنهم « بنو حنيفة »[3] الذين قوتلوا في الرِّدَّة ، وكان هذا ممَّا يدلُّ على صحَّةِ خلافةِ أبي بكر رضي الله عنه من القرآن[4] .

ويدلُّك على ذلك قوله تعالى ﴿ **تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ** ﴾ فليس هذا ممن تؤخذ منهم الجزية[5] .

(١ ـ ٢) الآثار أخرجها الطبري ٨٢/٢٦ وابن الجوزي ٤٣١/٧ والقرطبي ٢٧٢/١٦ قال : وهو قول ابن عباس ، وعطاء ، ومجاهد ، وابن أبي ليلى .

(٣) هذا قول مقاتل ، والزهري كما في القرطبي ٢٧٢/١٦ قالا : هم بنو حنيفة ، أهل اليمامة ، أصحاب مسيلمة الكذَّاب ، قال رافع بن خديج : والله لقد كنا نقرأ هذه الآية ﴿ أولي بأس شديد ﴾ فلا نعلم من هم ، حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة ، فعلمنا أنهم هم ، وذكره في الدر المنثور ٧٣/٦ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣٢/٧ وأبو حيان في البحر المحيط ٩٤/٨ .

(٤) قال القرطبي في جامع الأحكام ٢٧٢/١٦ ما نصُّه : « في هذه الآية دليل على صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، لأن أبا بكر دعاهم إلى قتال بني حنيفة ، وعمر دعاهم إلى قتال فارس والروم ، وأما قول عكرمة وقتادة : إن ذلك في هوازن ، وغطَفَان يوم حنين فلا ، لأنه يمتنع أن يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام ، لأنه قال : ﴿ لن تخرجوا معي أبداً ، ولن تقاتلوا معي عدواً ﴾ فدلَّ على أن الداعي غير النبي ﷺ ، ومعلوم أنه لم يدع هؤلاء القوم بعد النبي إلا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما » . اهـ.

(٥) قال في البحر المحيط ٩٤/٨ : « والظاهر أن هؤلاء المقاتلين ليسوا ممن تأخذ منهم الجزية ، إذ لم يُذكر هنا إلا القتال ، أو الإسلام » . اهـ.

أقول : وهو استنباط دقيق .

١٦ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً** ﴾ [آية ١٦] .

أي كما توليتم مع النبي ﷺ .

١٧ ــ **قال عثمان بنُ المغيرةِ** : سألتُ الحسن عن قوله تعالى : ﴿ **لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى المَرِيضِ حَرَجٌ** ﴾ [آية ١٧] .

فقال : هذا في الجهاد[1] .

١٨ ــ **وقوله جل وعز** : ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ المُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ** .. ﴾ [آية ١٨] .

قال جويبر : بايعوا على أن لا يَفِرُّوا[2] .

---

(١) هذا رأي الجمهور أن الآية نزلت في بيان الأعذار في ترك الجهاد ، فمنها العمى ، والعرج ، والمرض الشديد ، ومعنى الآية : ليس على هؤلاء إثم ولا ذنب في ترك الخروج للجهاد ، روى الطبراني بسند حسن عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : (كنت أكتبُ لرسول الله ﷺ وإني لواضع القلم على أذني ، إذْ أُمر بالقتال ، إذ جاء أعمى فقال : كيف بي وأنا ذاهبُ البصر ؟ فنزلت ﴿ ليس على الأعمى حرج .. ﴾ الآية . قال : هذا في الجهاد ، ليس عليهم من جهاد ، إذا لم يطيقوا) الدر المنثور ٧٣/٦ .

(٢) هذا قول أنهم بايعوا على ألَّا يفرُّوا من المعركة ، والمشهور القول الثاني ، أنهم بايعوا على الموت ، فقد أخرج البخاري عن « سلمة بن الأكوع » رضي الله عنه قال : « بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة ، قيل : على أي شيء كنتم تبايعون ؟ قال : على الموت » الدر المنثور ٧٤/٦ .

وقال **قتادة** : كانوا ألفاً وأربعمائة ، وكانت الشجرة سمرة[1] .

١٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [آية ١٨] .

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإخلاص .

﴿ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾ قال قتادة : الصبرُ ، والوقار[2] .

﴿ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ قال ابنُ أبي لَيْلَى : خيبر[3] .

٢٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ، فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ، وكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ .. ﴾ [آية ٢٠] .

قوله ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ قال مجاهد : يعني خيبر[4] .

---

(١) السمرة : شجر الطلح ، ورواية قتادة أنهم كانوا ألفاً وأربعمائة ، رواها البخاري في تفسير سورة الفتح ١٧٠/٦ عن جابر قال : « كنا يوم الحديبية ألفاً وأربعمائة » وروي في الصحيح أيضاً أنهم كانوا ألفاً وخمسمائة ، والجمع بينهما كما قال البيهقي أن جابراً رضي الله عنه كان في القديم يقول : كانوا خمس عشرة مائة ، ثم ذكر الوَهْمَ فقال : أربع عشرة مائة » وانظر ابن كثير ٣١٣/٧ .

(٢) السكينة : السكون والطمأنينة حتى بايعوا رسول الله ﷺ على أن يقاتلوا ولا يفرُّوا ، وأن يقاتلوا حتى الموت .

(٣) الأثر أخرجه الطبري ٨٨/٢٦ والقرطبي ٢٧٨/١٦ والسيوطي في الدر المنثور ٧٤/٦ وقيل : إن المراد بالفتح القريب « فتح مكة » لأنها كانت بعد سنين من الصلح ، والأول أشهر ، فتح خيبر كان بعد عودته من الحديبية ، وانظر التسهيل لعلوم التنزيل ٩٦/٤ .

(٤) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ٨٩/٢٦ والقرطبي ٢٧٨/١٦ وابن كثير ٣٢٢/٧ وروى الطبري عن ابن عباس أن المراد بقوله تعالى ﴿ فَعَجَّل لكم هذه ﴾ يعني صلح الحديبية ، ورجَّح قول مجاهد ، وهو الأظهر والأشهر .

ثم قال تعالى ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ ﴾ : لأنهم خلَّفوا عيالاتهم فَزِعِينَ عليهم ، فمنع الله منهم ، وكفَّ أيدي النَّاسِ عنهم[1] .

٢١ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا ، قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا ، وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً ﴾** [آية ٢١] .

روى شعبة عن سِمَاكٍ الحنفي قال : سمعتُ ابن عباس يقول في قوله تعالى ﴿ **وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا** ﴾ : هي الفتوحُ التي فُتحت لكم[2] .

وقال ابن أبي ليلى : هي فارس والروم[3] .

وقال مجاهد : هو ما يكون بعدُ إلى يوم القيامة[4] .

وقال قتادة : هو فتح مكة[5] .

---

(١) هذا القول هو قول قتادة أن المعنى : كفَّ أيدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي ﷺ إلى الحديبية وخيبر ، وقال بعضهم : المراد به المشركون أهل مكة ، كفَّ أيديهم عنكم بالصلح ، واختار الطبري القول الأول ، وجمع ابن كثير بينهما فقال : ﴿ وكفَّ أيدي الناس عنكم ﴾ أي لم ينلكم سوء مما كان أعداؤكم أضمروه لكم من المحاربة والقتال ، وكذلك كفَّ أيدي الناس عن الذين خلفتموهم وراء أظهركم من عيالكم وحريمكم » ابن كثير ٣٢٢/٧ .

(٢) الأثر أخرجه القرطبي عن ابن عباس ٢٧٩/١٦ وهو قول الحسن ، ومقاتل ، وقيل : فتح خيبر ، وقيل : فتح مكة ، وهو قول قتادة ، واختاره الطبري في جامع البيان ٩٢/٢٦ وقال : وهذا أشبه بما دلَّ عليه ظاهر التنزيل ، لأنه لا يقال لقومٍ لم يقدروا على مدينة إلا إذا كانوا قد راموها ، وهي مكة التي قد عالجها ورامها المسلمون .

(٣ ــ ٥) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون : الطبري ٩٠/٢٦ وأبو حيان في البحر المحيط =

٢٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُم الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوا الأَدبَارَ ، ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ﴾** [آية ٢٢] .

قال قتادة : كفار قريش(١) .

قال أبو جعفر : ولو قاتلكم من لم يقاتلكم منهم لانهزموا ، لأن في سنة الله نصرَ أوليائه(٢) .

قال قتادة : يعني في قوله عز وجل **﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيراً ﴾** ولا يجدون لهم ولياً ولا نصيراً من الله جلَّ وعزَّ .

٢٣ ــ **وقوله جل وعز : ﴿ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ .. ﴾** [آية ٢٤] .

= ٩٧/٨ وابن الجوزي في زاد المسير ٤٣١/٧ وغيرهم ، قال في البحر المحيط ٩٧/٨ « قال ابن عباس والحسن ومقاتل : بلاد الفرس والروم وما فتحه المسلمون ، وقال الضحاك وابن زيد : خيبر ، وقال قتادة والحسن : مكة ، وهذا القول يتَّسق معه المعنى ويتأيد ، وفي قوله ﴿ لم تَقْدِروا عليها ﴾ دلالة على تقدم محاولة لها ، وفوات درك المطلوب في الحال ، كما كان في مكة » . اهـ. وما اختاره صاحب البحر هو الأظهر وهو ما رجحه الإمام الجليل ابن جرير رحمه الله .

(١) قال ابن الجوزي ٤٣٧/٧ : ﴿ ولو قاتلكم الذين كفروا ﴾ هذا خطاب لأهل الحديبية ، والذين كفروا : مشركو قريش ، والمعنى : لو قاتلوكم يوم الحديبية ، لَوَلَّوا الأدبار ، لما في قلوبهم من الرعب ، ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً لأن الله خذلهم . اهـ.

(٢) هذا قول الزجاج كما في زاد المسير ٤٣٧/٧ قال : لو قاتلك من لم يقاتلكم لنصرت عليه ، لأن سنة الله النصرة لأوليائه .

كفَّ أيديَ المشركيـنَ عمَّـن خلَّفـه المؤمنـون ، حين خرجـوا إلى الحديبية[1] .

قال قتادة في قوله تعـالى ﴿ **وَكَـفَّ أَيْدِيَكُـمْ عَنْهُـمْ** ﴾ « تَطَلَّعَ رجل من أصحاب النبي ﷺ يقال لـه : « زُنَيْـم »[2] فرمـاه المشركـون بسهمٍ ، فقتلوه ، فبعث النبي ﷺ خيلاً ، فأخذوا اثنـيْ عَشَرَ فارساً ، فأتوا بهم النبي ﷺ ، فقال لهم : ألكـم عهـدٌ أو ذِمَّـةٌ ؟ قالـوا : لا ، فأطلقهم »[3] فأنزل الله تعـالى ﴿ **وَهُـوَ الَّـذِي كَفَّ أَيْدِيَهُـمْ عَنْكُـمْ ، وأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ** .. ﴾ .

قال قتادة : يعني الحديبية[4] .

---

(١) هذا قول قتادة كما ذكره الطبري وغيره ، وقد تقدَّم .

(٢) الأثر ذكـره الطبري في جامـع البيـان ٩٤/٢٦ وذكـر أن اسم الرجـل « رُهْـم » وهـو تصحيـف وصوابـه « زنيم » وقـد ذكـره الحافـظ ابـن كثير ٣٢٥/٧ عن قتـادة بلفـظ « ابـن زنيم » والرواية أخرجها عبد بن حميد كما في الدر المنثور ٧٥/٦ وانظر الإصابة لابن حجر ٥٧٠/٢ فقد ذكر أنـه « زنيم » وأن له صحبة ، ولكنه غير معروف النسب .

(٣) الأثر في الدر المنثور للسيوطي ٧٦/٦ وتفسير ابن كثير ٣٢٥/٧ وروى أحمد في المسنـد ١٢٢/٣ عن أنس بن مالك قال : « لما كان يوم الحديبيـة ، هبـط على رسول الله ﷺ وأصحابـه ثمانـون رجـلاً من أهـل مكـة في السلاح ، يريـدون غِرَّة رسول الله ﷺ ، فدعـا عليهم فأُخـذوا ، فعفـا عنهم ، ونزلت هذه الآية ﴿ وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم .. ﴾ الآية » .

(٤) هذا قول قتادة وأنس بن مالك أن بطن مكة يراد به الحديبية ، قال الفـراء ٦٧/٣ ﴿ وهـو الـذي كفَّ أيديهم عنكـم .. ﴾ الآية هذا لأهـل خيبر ، وقـال الـطبري ٩٣/٢٦ : يعنـي كفَّ أيـدي المشركين الذين كانوا خرجوا على عسـكر رسول الله ﷺ بالحديبيـة ليصيبـوا منهم ، فبـعث رسول الله فأتى بهم أسرى فخلَّى سبيلهم .

٢٤ ــ وقولـه جل وعـز : ﴿ هُمُ الَّذِيـنَ كَفَـرُوا وَصَدُّوكُـمْ عَنِ المَسْجِـدِ الحَرَامِ ، وَالهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ .. ﴾ [آية ٢٥] .

قال قتادة : ﴿ وَالهَدْيَ مَعكوفاً ﴾ : محبوساً(١) .

٢٥ ــ وقوله جل وعز : ﴿ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُـمْ مَعَـرَّةٌ بِغَيْـرِ عِلْـمٍ ، لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ .. ﴾ [آية ٢٥] .

﴿ أَنْ تَطَئُوهُـمْ ﴾ أي تقتلوهم ﴿ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَـرَّةٌ ﴾ أي عيبٌ .

يقول المشركون : قتلُوا أهـلَ دينهم ، ولـو فعـلتم لأدخلهـم اللهُ في رحمته(٢) .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري عن قتادة ٩٦/٢٦ والقرطبي ٢٨٣/١٦ قال الجوهري : عكفه أي حبسه ووقَفَه ، ومنه الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس .

(٢) أشار المصنف رحمه الله إلى أن جواب « لولا » محذوف لقوله تعالى ﴿ ولـولا رجـال مؤمنـون ونسـاء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهـم .. ﴾ الآية وقـدَّره : ولـو فعـلتم لأدخلهـم الله في رحمتـه ، وفسَّر المعرةَ بالعيب ، وفسَّره الجوهري بالإثم ــ وهـو قول ابـن زيـد ــ قال ابـن الجوزي ٤٤٠/٧ : ومعنى الآية : لولا أن تطئوا رجالاً مؤمنين ، ونساء مؤمنات ، بالقتل ، وتُوقعوا بهم ولا تعرفونهم ، فيصيبكم منهم إثمٌ أو عيب ، لأدخلتكـم من عامكـم هذا .. » .. إلخ. وقـال في البحـر المحيـط ٩٨/٨ : كان بمكـة قوم من المسلـمين مختلـطين بالمشركين ، غير متميزيـن عنهم ، ولا معـروفي الأماكن ، فقال تعـالى : لولا كراهـة أن تُهلكـوا أنـاساً مؤمـنين بين ظهـراني المشركين ، وأنتم غير عارفين لهم ، فيصيبكـم بإهلاكهـم مكـروه ومشقـة ، ما كفَّ أيديكـم عنهم ، وحُـذِف جواب « لولا » لدلالة الكلام عليه . اهـ.

٢٦ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾ [آية ٢٥] .

قال مجاهد : ﴿ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ بالسِّباء ، والقتل .

٢٧ ــ وقوله جل وعز : ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى .. ﴾ [آية ٢٦] .

قال علي بن أبي طالب وابن عمر ، وأبو هريرة : ﴿ كَلِمَةَ التَّقْوَى ﴾ : لا إله إلا الله[١] .

٢٨ ــ ثم قال تعالى : ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [آية ٢٦] .

أي أن الله اختارهم لدينه[٢] .

٢٩ ــ وقوله جل وعز : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالحَقِّ ، لَتَدْخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ .. ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : رأى النبي ﷺ كأنه قد دخل مكة هو وأصحابه

(١) هذا قول الجمهور أن المراد بكلمة التقوى « لا إله إلا الله » وسميت كلمة التقوى لأن الإنسان بها يتقي عذاب الله ، وقيل : هي الإخلاص ، والأول أرجح وهو قول الأكثرين ، قال في البحر المحيط ٩٩/٨ : وكلمة التقوى (لا إله إلا الله) رُوي ذلك عن النبي ﷺ وبه قال عليٌّ ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعمر بن ميمون وقتادة .

(٢) قال القرطبي ٢٨٩/١٦ : ومعنى الآية : وكانوا أحقَّ بها من كفار مكة ، لأن الله اختارهم لدينه وصحبة نبيه ﷺ .

محلِّقين[1] .

وقال **قتادة** : هي رؤيا رآها النبيُّ ﷺ بالحديبية ، كأنهم دخلوا مكة محلِّقينَ رءوسهم ومُقَصِّرينَ ، فاستَبْطَأوا الرؤيا ، ثم دخلوا بعد ذلك[2] .

فأمَّا قوله تعالى ﴿ إنْ شَاءَ اللهُ ﴾ ففيه أقوال :

أ ـــ **منها إنَّ المعنى** : إن شئتُ دخلتم آمنين .

ب ـــ **وقيل** : هو حكايةٌ لما قيل للنبي ﷺ .

جـ ـــ **وقيل** : **خُوطب العبادُ على ما يجب أن يقولوه** ، كما قال تعالى **﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غداً إلَّا أنْ يَشَاءَ اللهُ .. ﴾**[3] .

د ـــ **وقيل** : الاستثناء لمن مات منهم ، أو قُتِلَ[4] .

(١ ـــ ٢) قول مجاهد ، وقتادة ذكرهما الطبري ٢٦/١٠٧ والقرطبي ١٦/٢٩٠ والسيوطي في الدر المنثور ٦/٨٠ ولفظه قال مجاهد : أُري رسول الله ﷺ أنه يدخل هو وأصحابه مكة آمنين محلقين رءوسهم ومقصرين ، فلما كان بالحديبية ونحر الهدي ، قال له أصحابه : أين رؤياك يا رسول الله ؟ فأنزل لله عز وجل ﴿ لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين .. ﴾ الآية إلى قوله ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ ففتحوا خيبر ، ثم اعتمر بعد ذلك ، فكان تصديق رؤياه في السنة المقبلة . اهـ.

(٣) سورة الكهف آية رقم ٢٣ .

(٤) ذكر المصنف هنا أربعة أقوال للمفسرين ، وذكر ابن الجوزي ٧/٤٤٣ أن فيها ستة أقوال ، والراجح من هذه الأقوال أن قوله تعالى ﴿ إن شاء الله ﴾ للتأكيد ، وليست للشك ، فكأنه تعالى يقول : لتدخلن المسجد الحرام بمشيئة الله تعالى ، آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين ، =

٣٠ ــ وقوله جل وعز : ﴿ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً ﴾ [آية ٢٧] .

قال مجاهد : رجعوا من الحديبية ، ثم فتح الله عليهم خيبر(١) .

٣١ ــ وقوله جل وعز : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ، والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً ، يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللهِ وَرِضْوَاناً ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

قال سعيد بن جبير : ذلكَ أثرُ الطُّهُور ، وثَرَى الأرضِ(٢) .

وقال عكرمة : هو أثرُ التراب(٣) .

= فـ « إن » بمعنى « إذا » كما في الدعاء المأثور عند زيارة القبور ﴿ السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ﴾ أي إذا شاء الله ، وهذا ما اختاره بعض المفسرين ، منهم الحافظ ابن كثير حيث قال : هذا لتحقيق الخبر وتوكيده ، وليس هذا من الاستثناء في شيء . اهـ. ابن كثير ٣٣٧/٧ .

(١) الأثر أخرجه الطبري عن مجاهد ١٠٨/٢٦ والقرطبي ٢٩١/١٦ وفي البحر المحيط ١٠١/٨ ولفظه : وقال كثير من الصحابة هذا الفتح القريب هو « بيعة الرضوان » وقال مجاهد ، وابن إسحاق ، هو فتح الحديبية ، وقال ابن زيد : خيبر ، وضعَّف قول من قال إنه (فتح مكة) لأن فتح مكة لم يكن دون دخول الرسول وأصحابه مكة ، بل كان بعد ذلك . اهـ.
أقول : قوله تعالى ﴿ فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ﴾ أي فجعل قبل ذلك فتحاً عاجلاً لكم ، فالمراد به ما كان قبل فتح مكة ، وهو « فتح خيبر » الذي حدث بعد عودته ﷺ من صلح الحديبية ، والله أعلم .

(١ ــ ٣) هذه الآثار كلها عن السلف ذكرها المفسرون ، الطبري ١١٠/٢٦ وابن الجوزي ٤٤٦/٨ والقرطبي ٢٩٣/١٦ والبحر المحيط ١٠٢/٨ والسيوطي في الدر المنثور ٨٢/٦ وهي تتلخص في =

قال ابنُ وهب : أخبرني مالكٌ في قوله تعالى ﴿ **سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ** ﴾ قال : هو ما يتعلّق بالجبهةِ من تراب الأرض ، فهذا قولٌ[1] .

وقال مجاهد : إنما هو الخشوعُ والتواضع ، وليس للمنافق هذا[2] .

وقال الحسن : بياضٌ يكون في الوجه يوم القيامة[3] .

وقال عطية : موضع الجبهة يوم القيامة أشدُّ بياضاً من سائر الوجه[4] .

وقال الضحاك : هذا يوم القيامة ، تبدو صلاتُهُمْ على

= قولين : إما أن تكون هذه السِّيما ، والعلامة ، في الدنيا ، وإما أن تكون في الآخرة ، فمن قال إنها في الدنيا كابن عباس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة فسره بما يتفق مع أحوال الدنيا ، فقال ابن عباس : هو السمت الحسن أي المظهر الحسن ، والصفة الحسنة ، وقال مجاهد : هو الخشوع ، والتواضع ، قال منصور : سألت مجاهداً عن قوله تعالى ﴿ سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ أهو أثر يكون بين عيني الرجل ؟ قال : لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز ، وهو أقسى قلباً من الحجارة ، ولكنه نور في وجوههم من الخشوع ، والذين قالوا في الآخرة ، فسروه بما يتفق مع الآخرة كالحسن البصري فقد قال : هو بياض يكون في الوجه يوم القيامة ، وقال شهر بن حوشب : يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر ، ويشهد لهذا ما ورد في الصحيح (قالوا كيف تعرف إخوانك يا رسول الله ؟ قال : إنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من أثار الوضوء) أي تشرق وجوههم وأيديهم بالنور يوم القيامة ، والله أعلم .

(١ ـــ ٤) راجع التعليق السابق .

وجوههم[7] .

وقال شِمْرُ بنُ عطية : هو تهيُّجُ الوجه وصفرتُه من سهر الليل[2] .

وقال قتادة : نُعِتوا بالصلاة ، أي يُعرفون بالصلاة[3] .

٣٢ ــ **ثم قال جل وعز : ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ .. ﴾** [آية ٢٩] .

روى عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﴿ مَثَلُهُمْ ﴾ يعني نعتُهم **﴿ في التوراة والإنجيل ﴾** أي مكتوب فيهما[4] .

وقال قتادة : فيما تقدَّم مَثَلُهم في التوراة ، ولهم مَثَلٌ آخر في الإنجيل وهو **﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَه ﴾**[5] .

قال الضحاك : هما مَثَلان ، فالأول في التوراة ، والثاني في الإنجيل[6] .

وقال مجاهد : هما مَثَلٌ واحدٌ ، والتَّمامُ على قول مجاهد **﴿ فِي الإِنْجِيلِ ﴾**[7] .

(١ ــ ٣) راجع التعليق السابق .

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٣٤٧/٧ : ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ أي صفتهم ، والمعنى أن صفة محمد ﷺ وأصحابه في التوراة هكذا . اهـ . يعني ذلك وصفُهم في التوراة : الشدة على الكفار ، والرحمة بالمؤمنين ، وكثرة الصلاة والسجود ، هكذا وصفهم الله تعالى في التوراة . اهـ .

(٥ ــ ٧) هذه الآثار عن السلف ذكرها المفسرون ، فقد روى ابن الجوزي ٤٤٨/٧ عن مجاهد قال : =

٣٣ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

﴿ كَزَرْعٍ ﴾ أي هم كَزَرْعٍ .

﴿ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ﴾ روى حُميد عن أنس قال : نَباتُهُ ، فُرُوخَه[1] .

قال أبو عبيدة : يقال : أشطأَ الزَّرْعُ : إذا خرجت فِرَاخُهُ[2] .

قال الفراء : الحَبَّةُ تُخْرِجُ العَشْرَ ، والسَّبْعَ ، والثَّماني ، من السنبل[3] .

= مثلهم في التوراة والإنجيل واحد ، وقال القرطبي ٢٩٤/١٦ قال مجاهد : هو مثل واحد ، يعني أن هذه صفتهم في التوراة والإنجيل ، قال : فلا يوقف على « التوراة » على هذا القول ، وإنما الوقف على قوله ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ﴾ ثم يبتدىء بقوله ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ أي وهم كزرع أخرج فراخه وأولاده . اهـ. وعلى قول الضحاك ، وقتادة ، وابن عباس أنها مثلان ، فالمتقدِّم مثلهم في التوراة ، وأما مثلهم في الإنجيل فهو ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ . إلى آخر المثل ، فالوقف على هذا القول يكون عند قوله تعالى ﴿ ذلك مثلهم في التوراة ﴾ ويكون الابتداء من قوله ﴿ ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه .. ﴾ الآية وهذا ما رجحه الطبري، وكثير من المفسرين ، قال أبو حيان في البحر المحيط ١٠٢/٨ : وقال ابن عباس : هما مثلان فيوقف على ذلك ﴿ في التوراة ﴾ و ﴿ كزرع ﴾ خبر مبتدأ محذوف أي مثلهم كزرع ، أو هم كزرع ، وانظر الطبري ١١٣/٢٦ .

(١) الطبري عن أنس ١١٣/٢٦ قال: قرأ أنس بن مالك ﴿ كزرع أخرج شطأه ﴾ قال : تدرون ما شطأه ؟ قال : نباته .

(٢) انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢١٨/٢ .

(٣) انظر معاني القرآن للفراء ٦٩/٣ .

ثم قال تعالى : ﴿ فَآزَرَهُ ﴾ .

قال مجاهد : أي شدَّده ، وأعانه[1] .

وقال الضحاك : هم أصحاب النبي ﷺ ، كانوا قليلاً فكثروا ، وضعفاءَ فقَوُوا[2] .

٣٤ ـ ثم قال جل وعز : ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوْقِهِ .. ﴾ [آية ٢٩] .

جمع ساقٍ ﴿ **يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ** ﴾ تمثيلٌ[3] ﴿ **لِيَغِيظَ بِهِمُ الكُفَّارَ** ﴾ قال قتادة : أي ليغيظ محمدٌ ﷺ وأصحابُه الكفَّارَ[4] .

---

(١) الأثر أخرجه الطبري ٢٦/١١٤ عن مجاهد ، والقرطبي ١٦/٢٩٥ وابن الجوزي ٧/٤٤٨ .

(٢) قال الضحاك : هذا مثل في غاية البيان ، فالزرع محمد ﷺ ، والشطأُ أصحابه ، كانوا قليلاً فكثروا ، وضعفاء فقووا ، وانظر البحر المحيط ٨/١٠٢ والقرطبي ١٦/٢٩٥ .

(٣) قال القرطبي في جامع الأحكام ١٦/٢٩٥ : وهذا مثل ضربه لله تعالى لأصحاب النبي ﷺ يعني أنهم يكونون قليلاً ، ثم يزدادون ويكثرون ، فكان النبي ﷺ حين بدأ بالدعوة إلى دينه ضعيفاً ، فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى قوي أمره ، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفاً ، فيقوى حالاً بعد حال ، حتى يغلظ نباته ، وأفراخه ، فكان هذا من أصحِّ مثل ، وأقوى بيان . اهـ.

(٤) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٤٤٩ : إنما كثَّرهم وقوَّاهم ليغيظ بهم الكفار ، وقال مالك بن أنس : من أصبح وفي قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ، فقد أصابته هذه الآية ، وقال الإمام الشافعي رحمه الله : لا آمن على الرافضة أن يكونوا قد ضارعوا الكفار ، لأن الله تعالى يقول : ليغيظ بهم الكافر . اهـ. وقال الحافظ ابن كثير ٧/٣٤٣ : ومن هذه الآية انتزع الإمام مالك رحمه لله القول بتكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة ، قال: لأنهم يغيظونهم ، ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية ، ووافقه طائفة من العلماء على ذلك ، والأحاديث في فضائل الصحابة ، والنهي عن التعرض لهم بمساءة كثيرة جداً ، ويكفيهم ثناء الله عليهم ورضاه عنهم . اهـ. ابن كثير .

٣٥ ــ ثم قال جل وعز : ﴿ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ [آية ٢٩] .

يجوز أن تكون « مِنْ » ههنا لبيان الجنس[1] ، كما قال تعالى ﴿ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ ﴾ .

ويجوز أن تكون للتبعيض أي وعدَ اللهُ الذين ثبتوا على الإيمان منهم ، مغفراً وأجراً عظيماً .

آخر السورة ، والحمد لله وحده[2]

وصلى الله على سيدنا محمد رسوله وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

« انتهت سورة الفتح »

---

(١) هذا قول الزجاج ، وهو الأظهر والأشهر ، أي وعد الله الذين آمنوا من هذا الجنس ، أي من جنس الصحابة ، مغفرةً وأجراً عظيماً ، واختاره الطبري ، والقرطبي ، وأبو حيان في البحر المحيط ، وابن عطية .. قال القرطبي ٢٩٥/١٦ : « وليست « مِنْ » في قوله منهم للتبعيض ، لقومٍ من الصحابة دون قوم ، ولكنها عامةً للجنس ، كما يُقال : أنفق صدقتك من الدراهم أي اجعل نفقتك هذا الجنس . اهـ. والله أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

(٢) إلى نهاية سورة الفتح تنتهي المخطوطة التي بين أيدينا ، وهي المخطوطة الوحيدة كما أسلفنا ، وبذلك ينتهي الكتاب ، ولا ندري هل أكمل المصنِّف تفسير بقية السور ، أم أنه اكتفى بهذا القدر من الكتاب العزيز ؟ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين (المحقق) .

تم الكتاب بعون الله وتوفيقه في البلد الحرام
« مكة المكرمة » عام ١٤٠٩هـ من هجرة خير الأنام

تم بعونه تعالى الكتاب



مؤسسة مكة للطباعة والاعلام (مطابع الندوة) ــ ☎ ٥٢٠٣٠٥٤